من نوادر المخطوطات

أمثال القرآن

تأليف

قاضي القضاة الشافعي

علي بن محمد بن حبيب أبي الحسن الماوردي

يطبع لأول مرة

الأمثال في القرآن الكريم

تأليف

شيخ الإسلام

محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي

المعروف بابن قيم الجوزية

حققهما وخرج أحاديثهما وعلق عليهما

أبو عمرو الأثري

سلسلة من نوادر المخطوطات

أمثال القرآن للماوردي

الأمثال في القرآن لابن قيم

تحقيق

أبو عمرو الأثري

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

رقم الإيداع

٢٠١٠/١٠١٧٢

دار المودة
للنشر والتوزيع
المنصورة - مدينة جمال - شارع الهادي

هاتف جوال / ٠٠٢٠١٠١١١٠٠٦٧ - ٠٠٢٠١٠٧٨٦٨٩٨٣

dar_elmawada@hotmail.com

المقـــــدمة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل به، ومن يضلل فلا هادى له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٢]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء:١]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١]

أما بعد:

لما خلق الله جل وعلا الخلق أرسل لهم الرُسل، وجعل مع كل رسول آية، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [سورة الرعد: ٣٨]، فكان من آيات الله لصالح عليه السلام الناقة، ولنوح عليه السلام السفينة، ولداود وسليمان عليهما السلام أنْ عُلِّما منطق الطير، وعلِما من كل شيء، ولموسى عليه السلام عصاه ونبينا ﷺ القرآن.

بيد أن الرُسل صلوات الله وسلامه عليهم لَمَّا قَضوا نَحبهم انقضت هذه الآيات، وذهبت معهم فلم يكن لها ثَمَّة أثر ولا بَعضه.

ولنا أن نتصور لو أن عصا موسى عليه السلام ظَلت وكانت إلى أَبدِ الأبد، فكيف يكون حال اليهود وقتئذ ؟!

أقول لك، لو كانت، لطافوا بها البلاد ليُعْلِمُوا العِباد مُعجزة نبيهم ولفعلوا، وفعلوا.

فما بالنا ومُعجزة نبينا ﷺ باقية لم تنتهي، بل هي كما كانت على عهده ﷺ إلى أن

تقوم الساعه ولم ولن تتبدل

بأيمانهم نُورانٌ ذكرٌ وسنةٌ فَمَا بالُهم في حَالكِ الظُلماتِ

إي والله في ظلمات حالكة، فهذا القرآن أصح الكتب نسبة إلى الله جل وعلا ونحن أكثر الأمم، فهذا أبو هريرة رضي الله عنه يحدثنا عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من الأنبياء نبي إلا أعطى ما مثله أمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحيًا أوحاه الله إليَّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة»(١).

قال الإمام ابن كثير رحمه الله:

وفي هذا الحديث فضيلةٌ عظيمة للقرآنِ المجيد على كُل معجزةٍ أُعطيها نبيٌّ من الأنبياء وعلى كل كتاب أنزله.

وذلك أن معنى الحديث: «ما مِنْ نَبي إلا أُعْطى - أي من المعجزات - ما أمن عليه البشر» ، أي: ما كان دليلاً علي تصديقه فيما جاءهم به واتبعه من اتبعه من البشر، ثم لما مات الأنبياء لم تبق لهم معجزة بعدهم إلا ما يحكيه أنباءهم عما شاهدوه في زمانه.

وأما الرسول الخاتم للرساله محمد ﷺ فإنما كان معظم ما أتاه الله وحيا منه إليه منقولاً إلى الناس بالتواتر ففي كل حين هو كما أنزل فلهذا قال «فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا» وكذلك وقع. فإن أتباعه أكثر من أتباع الأنبياء لعموم رسالته ودوامها إلى قيام الساعه واستمرار معجزته ولهذا قال الله عز وجل: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان:١] .

وقال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

ثم تقاصر معهم إلى عشر سور منه فقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [هود: ١٣].

---

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري (١٣ / ٢٤٧) ومسلم (١٥٢ / ٢٣٩) وأحمد (٢/ ٣٤١)

ثم تحداهم إلى أن يأتو بسورة من مثله فعجزوا فقال: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [يونس: ٣٨] وقصر التحدي على هذا المقام في السور المكية.

كما ذكرنا في المدنية أيضًا، كما في سورة البقرة حيث يقول تعالى: ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة ٢٣-٢٤]. وأخبر أنهم عاجزون عن معارضته بمثله وأنهم لا يفعلون ذلك في المستقبل أيضًا.

هذا وهم أفصحُ الخلق وأعلمهم بالبلاغة والشعر (وقريظ) الكلام وضُروبه، لكن جاءهم من الله ما لا قِبلَ لأحدٍ من البشر به من الكلام الفصيح البليغ الوجيز المحتوي على العلوم الكثيرة الصحيحة النافعة، والأخبار الصادقة، على الغيوب الماضية والآتية، والأحكام العادلة المحكمة، كما قال تعالى: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾[الأنعام: ١١٥] (١)

قال أبو عمرو:

فالقرآن فيه آيات بينات، واضحات، يهتدي بها الأعمى، لم تنتهي عجائبه، وانظر منذ أن أنزله الله سبحانه وتعالى على نبيه ﷺ بواسطة الروح الأمين عليه السلام، والناس جميعًا ينهلون منه، ولم يكدره الدلاء، ولم ينقص إلا كما ينقص المخيط إذا وضع في اليم.

وأهل العلم قد اقتطفوا منه ثماراً يانعه، وصنفوها.

فمنهم من صنف له التفسير (٢) ومنهم من أخرج منه الأحكام الفقهية (٣)،

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم (١ / ١٤٦ - ١٤٨) طبعة شيخنا حفظه الله.

(٢) وكان أولهم وشيخهم العالم محمد بن جرير الطبري وكتابه .. «جامع البيان في تأويل القرآن» وهو مطبوع ومتداول.

(٣) ككتاب «الجامع لأحكام القرآن» للإمام محمد بن أحمد بن أبي بكر المعروف والمشهور بـ (القرطبي) وكتابة مطبوع ومشهور.

ومنهم من صنف له كتب القراءات، وكذلك الوقف والابتداء، وفضائل من قرأه و .....

فلو وُضِعَ كل كتابٍ استخرج من القرآن جَنبًا بِجَنبٍ لغطى الأرض بأسرها.

ومن علمائنا كذلك من استخرج منه الأمثال التي ضربها الله للناس لعلهم يتذكرون

فكان من هؤلاء، الإمام قاضي القضاة الشافعي الكبير علي بن محمد بن حبيب أبو الحسن الماوردي.

وكذلك شيخ الإسلام أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية رحمه الله.

فقد قاما بجمع الأمثال التي ضربها الله جل وعلا في كتابه الكريم ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾. فليست طريقة الماوردي في جمعه وشرحه للأمثال كطريقة ابن القيم، عليهما رحمة الله وبركاته.

وسوف أعقد فصلاً لكل كتاب على حدة أصف فيه مبناه ومعناه، وموارده، وغير ذلك.

وأسأل الله جل وعلا في علاه أن يجعله زاداً لحسن المصير إليه، وعتادًا حين القدوم عليه، إنه بكل جميل كفيل وهو حسبنا ونعم الوكيل وصلى الله عليه نبينا وسلم تسليماً كثيراً

كتبه

أبو عمرو الأثري

أسامة آل عكاشه

عفا الله عنه وعن المسلمين أجمعين

قُبيل فجر الثامن من شهر رجب لعام ١٤٣١هـ

الموافق ٢٢/ ٦/ ٢٠١٠م

نبذة عن الأمثال

أهمية المثل في الكلام:

- للمثل في الكلام مكانةٌ هامةٌ ووظيفةٌ لا تنكر فائدتها، فله تأثير عجيب في الآذان وتقرير غريب لمعانيها في الأذهان.

قال إبراهيم النظّام:

- يجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام:

١- إيجاز اللفظ. ٢- إصابة المعنى.

٣- حسن التشبيه. ٤- جودة الكفاية، فهو نهاية البلاغة.

وقد ضرب اللهُ ورسولهُ الأمثال للناس لتقريب المراد وتفهيم المعنى وإيصاله إلى ذهن السامع ، وإحضاره في نفسه بصورة المثال الذي مثل به فقد يكون أقرب إلى تعقله وفهمه وضبطه واستحضاره له باستحضار نظيره - فأن النفس تأنس بالنظائر والأشباه، وتنفر من الغربة والوحدة وعدم النظير.

- ففي الأمثال من تأنس النفس وسرعة قبولها وانقيادها لما ضرب لها مثله من الحق أمر لا يجحده أحد ولا ينكره. وكلما ظهرت الأمثال إزداد المعنى ظهوراً ووضوحاً، فالأمثال شواهد المعنى المراد، وهي خاصية العقل ولبه وثمرته [1].

التأليف في الأمثال:

ولمكانة الأمثال وأهميتها اهتم العلماء بالتأليف فيها قديماً وحديثًا حيث جموعها ورتبوها وشرحوا غريبها وبينوا القصص التي صدرت عنها والمناسبات التي تضرب فيها وتُحكى.

ونحن نشير إلى بعضها وخاصة فيما يتعلق بأمثال القرآن وأمثال الحديث.

فمنها:

- «جمهرة الامثال للعسكري». (لأبي هلال حسن بن عبدالله توفى سنة ٣٩٥

(١) انظر «إعلام الموقعين» لابن القيّم الجوزية، جزء (١/ ٢٩١).

هجرية رتبه على حروف المعجم).

- «مجمع الأمثال» للميداني (أبي الفضل أحمد بن محمد النيسابوري توفي سنة ٥١٨ هجرية، جمع فيه نيفًا وستة آلاف مثل رتّبها على حروف المعجم كذلك).

- «المستقصي» للزمخشري.

- «أمثال القرآن» للجنيد بن محمد القواريري المتوفي سنة ٢٩٨ هجرية .

- «أمثال القرآن» لنفطوية المتوفي سنة ٣٢٣ هجرية.

- «أمثال القرآن» لمحمد ابن الحسين السلمي (٤١٢ هجرية) .

- «رسالة في أمثال القرآن» مع شرح روضات الأمثال لأحمد بن عبدالله الكوزكفاني طبع فارس سنة ١٣٢٤ هجرية.

- «الأمثال القرآنية» لعلي ابن محمد الماوردي . (وهو كتاب، وسيأتي الكلام عليه بالتفصيل)

- «أمثال القرآن وأثرها في الأدب العربي إلى القرن الثالث الهجري» لنوري الحق تنوير، وهي رسالة ماجستير، مخطوطة بمكتبة كلية دار العلوم ومكتبة جامعة القاهرة.

- «أمثال القرآن» للدكتور محمود بن الشريف، طبع دار المعارف مصر.

- «الأمثال القرآنية» لعبد الرحمن حسن حنبكة الميداني، دار القلم - دمشق - بيروت .

- «الأمثال في النثر العربي القديم مع مقارنتها بنظائرها في الآداب السامية الأخرى». للدكتور عبدالمجيد عابدين.

المؤلفات في أمثال الحديث:

- أفرد الترمذي في كتابه مكاناً خاصاً تحت عنوان أبواب الأمثال عن رسول الله عليه الصلاة السلام ذكر فيه أربعة عشر حديثًا.

- «كتاب الأمثال الحديث المروية عن رسول الله ﷺ»، تأليف أبو محمد الحسن

بن عبدالرحمن ابن خلاد الهرمزي وهو كتاب صغير بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية رقم ٩٤ حديث.

- «كتاب الامثال السائرة عن رسول الله ﷺ» لأبي عروبة الحسين بن محمد بن أبي معشر الخراني المتوفي سنة ٣١٨ هجرية.

- «كتاب الأمثال» الحديث للدكتور عبدالمجيد محمود - كلية دار العلوم - جامعة القاهرة - مكتبة دار التراث، وهو أجمع كتاب في هذا الباب ومنه لخصنا هذا الموضوع [١].

- «أمثال الضبّى»، لمفضل الضبي (ت ١٨٠ هـ)، وقد طبع فيما نعلم طبعتين: الأولى في مطبعة الجوانب بالقسطنطينية ١٣٠٠ هـ، والثانية بالقاهرة ١٣٢٧ هـ.

- «كتاب الأمثال» لأبي عكرمة الضبّي (ت ٢٥٠ هـ) وقد نشره المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٩٧٤ م بتحقيق د.رمضان عبدالتواب . والكتاب يشتمل على مائة وأحد عشر مثلاً.

- «كتاب الأمثال» لأبي فيد مؤرج السدوسي (ت ١٩٨ هـ) وقد نشر مرتين، مرة في القاهرة نشره د.رمضان عبدالتواب . ١٩٧١، وأخرى في السعودية بتحقيق د. أحمد محمد الطيب ١٩٧٠.

- «الامثال» لزيد بن رفاعة ، نشر بحيد أباد بالهند سنة ١٣٥٨ هـ.

- «فصل المقال في شرح كتاب الأمثال»، لأبي عبيد البكري بتحقيق عبدالمجيد عابدين وإحسان عباس . والكتاب أصلاً لأبي عبيد ابن سلام (ت ٢٢٤). وشرحه أبو عبيد البكري . طبع مرة في الخرطوم سنة ١٩٣٧ وثانية ببيروت سنة ١٩٧١م.

- «الفاخر للمفضل بن سلمة» (ت ٢٩١ هـ) نشره الأستاذان عبدالعليم الطحاوي ومحمد على النجار سنة ١٩٦٠ مصر . ويشتمل الكتاب على خمسمائة

---

(١) انظر المصدر المذكور من (ص٨٢ - ٩٠).

واحد وعشرين مثلاً.

- «أمثال القرآن» للشريف منصور عون العبدلي ، رسالة ماجستير مقدمة لكلية الشريعة بمكة المكرمة عام ١٣٩٤هـ.

- «الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة» للأصفهاني. حمزة بن الحسن الأصفهاني (ت ٣٥١هـ) تحقيق الاستاذ عبدالمجيد قطامش ، طبعة دار المعارف بمصر ١٩٧٢.

- «جمهرة الأمثال» لأبي هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ) يتحقيق الأستاذين محمد أبي الفضل إبرراهيم ، وعبدالمجيد قطامش سنة ١٩٦٤.

المستقصي في الأمثال للزمخشري (ت ٥٣٨هـ) بتحقيق الدكتور/ محمد المعبد خان مدير دائرة المعارف .

«مجمع الامثال للميداني» (ت ٥١٠) العثمانية بحيدر أباد بالهند سنة ١٩٦٢ في جزئين:

وقد طبع هذا الكتاب طبعات متعددة منها في القاهرة ١٢٨٤هـ وطهران ١٢٩٠ه وبيروت ١٩٦١م.

- «كتاب الأمثال» للطالقاني علي بن الفضل (ت ٤٢١هـ).

- «كتاب الأمثال» لأبي الفضل الميكالي عبيد الله بن أحمد (٤٣٦هـ) وقد طبع بتحقيق زكي مبارك ١٣٤٤هـ بالقاهرة.

- أما «كتب الأمثال» التي لم تر النور بعد، وما زالت حبيسة في خزائن دور الكتب والمتاحف

- مخطوط لابن الأنباري محمد بن القاسم وهو موجود في استنبول وذكره ابن خالكان ٢ / ٥٥، كما ذكره ابن خير الإشبيلي في فهر سته.

- «الأمثال للأصمعي» ، ذكره ابن خير (٣٤٠).

- «الأمثال» لأبي زيد سعيد بن أوس الأنصاري، ذكره ابن خير ٣٧١.

- «الامثال الكامنة في القرآن والسنة» للحسن بن الفضل (٧٥).

- «مجامع الأمثال» للبيهقي ، تلميذ لاميداني (ت٥٦٥هـ).

- «الامثال للثعالبي» موجود في مكتبة الأحمدية بتونس تحت رقم (٤٧٩٤) ومكتوب في القرن الحادي عشر للهجرة.

- «جوهرة الامثال» لابن عبد ربه (ت ٣٢٨هـ) - الأحمدية بتونس تحت رقم (٤٧٩٢).

- «زبدة الامثال» للزمخشري ، الأحمدية بتونس تحت رقم (٥٦٤٥).

- «الأمثال» لعبيد بن شريه الجرهمي، ذكره ابن النديم في الفهرست (٩٠).

- «الأمثال» لصحار بن العياش العبدي، ذكره ابن النديم في الفهرست (٩٠).

- «الأمثال» لعلاقة الكلافة، ذكره ابن النديم في الفهرست (٩).

*****

أَمْثَالُ القُرْآنِ

تأليف

قَاضي القُضَاة الشَّافعيّ
عَليّ بْنِ مُحَمَّد بْنِ حَبيب أبي الحَسنِ
المَاوَرديّ رَحِمَهُ اللهُ

حقَّقَهُ وخَرَّجَ أحَاديثه وَعَلَّقَ عَلَيْهِ
أبُو عَمرُو الأَثَريّ
عَفَا الله عَنهُ

ترجمة قاضي القضاة الشافعي المعروف بالماوردي رَحِمَهُ اللَّهُ

اسمه ونسبه: [١]

عَلى بن محمد بن حبيب الماوردي، البصري، الشافعي.

لقبه:

لقبه أهل السير والطبقات بـ «الماوردي» ، و «أقضى القضاة» ، «البصري» ، «الشافعي» .

أما الماوردي: بفتح الميم والواو وسكون الراء وفي آخرها الدال المهملة: هذه النسبة إلى بيع الماورد وعمله، لأن بعض أجداده كان يعمله أو يبيعه [٢].

وأما «أقضى القضاة» فقد وصفه به جُل من ترجم له، وذلك لتصدره القضاء والفتيا وتبحره في العلم الشرعية، لقب به في عام ٤٢٩ هـ.

وقد جرى بينه وبين الفقهاء إنكار لهذه التسمية كأبي الطيب الطبري والصيمري، وقال: لا يجوز أن يسمى به أحد هذا بعد أن كتبوا خطوطهم بجواز تلقيب جلال الدولة ابن بهاء الدولة ابن عضد الدولة بملك الملوك الأعظم، فلم

---

(١) انظر ترجمته في طبقات الشافعية لابن السبكي ٥ / ٢٦٧ ، الإسنوي ٢ / ٣٨٧ ، ابن كثير في طبقاته ٨٤ / ٩ ، ابن قاضي شهبة ١ / ٢٤٠ ، ابن هداية الله ١٥١ ، الشيرازي ١٣١ ، وفيات ابن قنفذ ٢٤٥ ، طبقات المفسرين للسيوطي ٧٠ ، طبقات المفسرين للداودي ١ / ٤٢٣ ، السير للذهبي ١٨ / ٦٤ ، العبر ٣ / ٣٢٣ ، دول الإسلام ١ / ٢٦٥ ، الميزان ٣ / ١٥٥ ، تاريخ بغداد ١٢ / ١٠٢ ، الأنساب ٥ / ١٨١ ، معجم الأدباء ١٥ / ٥٢ - ٥٥ ، المنتظم ٨ / ١٩٩ ، الكامل ٩ / ٦٥١ ، اللباب ٣ / ١٥٦ ، تتمة المختصر ١ / ٥٤٩ ، مفتاح السعادة ١ / ٣٢٢، مختصر تاريخ دول آل سلجوق ٢٤، وفيات الأعيان ٣ / ٢٨٢ ، المختصر ٢ / ١٧٩، تهذيب الأسماء للنووي ١ / ٢ / ٢١٠ ، روضات الجنان ٣ / ٤٨٣ ، مرآة الجنان ٣ / ٧٢ ، نزهة الألباب ٤٠٦ ، لسان الميزان ٤/ ٢٦٠ ، البداية والنهاية ١٣ / ٤٣ ، النجوم الزاهرة ٥/ ٦٤، شذرات الذهب ٣ / ٢٨٥ ، كشف الظنون ١٩ ، ٤٥ ، ١٤٠ ، ١٦٨ ، ٤٠٨ ، ٦٢٨ ، ١١٠١، ١٣١٥ ، ١٩٧٨ ، الفتح المبين ١ / ٢٤٠ ، هداية العارفين ١ / ٦٨٩ ، الأعلام ٥ / ١٤٦ .

(٢) الأنساب ٥ / ١٨١ ، اللباب ٣ / ١٥٦ ، لب اللباب ٢/ ٢٣٣ .

يلتفت إليهم واستمر له هذا اللقب إلى أن مات [١].

وأما تلقبيه بالبصري - بفتح الباء الموحدة وسكون الصاد المهملة وفي آخرها الراء هذه النسبة إلى البصرة محل ولادته [٢].

كنيته: [٣]

كنيته المصنف رحمه الله «أبو الحسن»

ولادته: [٤]

ولد عليه سحائب الرحمة في البصرة سنة أربع وستين وثلاث مائة هجرية.

نشأته:

نشأ الماوردي منذ نعومة أظفاره في أسره مُحبة للعلم ولأهله فاشتغل في صباه بعلوم الحديث رواية ودراية، وبالفقه والأصول وغيرهما من علوم الشرع، فكان يسمع الحديث على عادة المحدثين من الشيوخ، كالحسن بن علي الجيلي، ومحمد ابن المعلي الأزدي، ومحمد بن عدي المنقري، كما أنه تلقى الفقه وعلومه على أبي القاسم الصميري أحد أئمة البصرة ثم ارتحل على عادة طلاب العلم فنهل من منهل الشيخ أبي حامد الإسفراييني، وبه تخرج ثم أخذ الأدب على الشيخ أبو محمد الباقي، ثم بعد ذلك تصدر للحديث والتدريس والقضاء، فكان من أنظر أهل زمانه عليه رحمة الله تعالى.

شيوخه:

١ - الصيمري: [٥]

---

(١) وشرط المقلب بهذا اللقب: أن يكون دون منزلة ومن تلقب بقاضي القضاة. معجم الأدباء ١٢ / ٥٢، ٥٣.

(٢) الأنساب (١/ ٣٦٣)، الإكمال (١ / ٣٨٩)، معجم البلدان (١ / ٤٣٠)، اللباب (١ / ١٥٨).

(٣) مصادر الترجمة

(٤) مصادر الترجمة

(٥) الشيرازي ١٢٥، معجم البلدان ٣ / ٤٣٩، السير ١٧ / ١٤، الإسنوي ٢/ ١٢٧، تهذيب الأسماء ٢/ ٢٦٥، السبكي ٢/ ٣٣٩، ابن قاضي شبهة ١/ ١٨٤، وابن هداية الله ١٢٩.

شيخ الشافعية وعالمهم، القاضي أبو القاسم عبدالواحد بن الحسين الصيمري من أصحاب الوجوه.

تفقه بأبي حامد المروروذيِّ وبأبي الفياض، وارتحل الفقهاء إليه إلى البصرة وعليه تفقه أقضى القضاة الماوردي.

قال الذهبي في السير: وقد حَدَّثَ ببعض كتبه خفي سنة سبع وثمانين وثلاث مائة.

والصيمري: بصاد مهملة مفتوحة، ثم ياء ساكنة بعدها ميم مفتوحة ضمها بعضهم، منسوب إلى صيمري نهر من أنهار البصرة عليه عدة قرى [١].

٢- المِنْقَرِي:

محمد بن عديٍّ المِنْقَرِي بكسر الميم وسكون النون، وفتح القاف والراء هذه النسبة إلى بني منقر بن عبيد بن مقاعس بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم بن مر بن أدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر قبن نزار بن سعد بن عدنان[٢].

٣- الجيلي:

الحسن بن على بن محمد الجيلي صاحب أبي حنيف أخذ عنه الحديث [٣].

٤- الأزدي:

محمد بن المعلَّي الأزدي. أخذ عنه علوم العربية [٤].

٥- البغدادي:

جعفر بن محمد البغدادي.

---

(١) معجم البلدان ٣ / ٤٤٩، اللباب ٣ / ٢٥٥، لب اللباب ٢/ ٧٧.

(٢) الأنساب ٥/ ٣٩٦.

(٣) الأنساب في ترجمة الماوردي ومصادر ترجمة الماوردي.

(٤) معجم الأدباء ١٩ / ٥٥.

٦- أبو حَامد الإسْفَرَيِيني: [١]

الأستاذ العلامة، شيخ الإسلام، أبو حامد، أحمد بن أبي طاهر محمد بن أحمد الإسفراييني، شيخ الشافعية ببغداد.

ولد سنة أربع وأربعين وثلاث مئة.

وقدم بغداد وله عشرون سنة فتفقه على أبي الحسن بن المرزبان، وأبي القاسم الدَّارَكي. وبرع في المذهب وأربى حعلى المتقدمين، وعظم جاهه عند الملوك.

قال الخطيب: حدثونا عن أبي حامد، وكان ثقة، حضرت تدريسه في مسجد ابن المبارك، وسمعت من يذكر أنه يحضر درسه سبع مئة فقيه، وكان الناس يقولون: لو رآه الشافعي، لفرح به.

قال الخطيب: مات أبوحامد في شوال، سنة ست وأربع مائة، وكان يومًا مشهودًا، ودفن في داره، ثم نقل بعد أربع سنين، ودفن بباب حرب، رحمه الله.

٧- الباقي: [٢]

شيخ الشافعية، أبو محمد عبدالله بن محمد البخاري، المعروف بـ «الباقي» نزيل بغداد، وتلميذ أبي على بن أبي هريرة، وأبي إسحاق المروزي، قد عمر دهراً.

---

(١) طبقات العبادي ١٠٧، طبقات الشيرازي ١٠٣، تاريخ بغداد ٤ / ٣٦٨ - ٣٧٠، الأنساب ١/ ٢٣٧ - ٢٣٨، المنتظم ٧ / ٢٧٧، ٢٧٨، معجم البلدان ١ / ١٧٨، تهذيب الأسماء واللغات ٢/ ٢٠٨ - ٢١٠، وفيات الأعيان ١ / ٧٢ - ٧٤، المختصر في أخبار البشر ٢/ ١٥٢، العبر ٣/ ٩٢، دول الإسلام ١ / ٢٤٣، الوافي بالوفيات ٧ / ٣٥٧، ٣٥٨/ مرآة الجنان ٣ / ١٥، طبقات السبكي ٤/ ٦١ - ٧٤، طبقات الإسنوي ١/ ٥٧، البداية والنهاية ١٢/ ٢، ٣، النجوم الزاهرة ٤/ ٢٣٩، طبقات ابن هداية الله ١٢٧ - ١٢٨، شذرات الذهب ٣/ ١٧٨، ١٧٩.

(٢) انظر السير ١٧ / ٦٨، ٦٩، ابن قاضي شهبه ١/ ١٥٩ يتيمة الدهر ٣/ ١٢٢؛ العبادي ١١٠ السبكي ٣/ ٣١٧ النجوم الزاهرة ٤ / ٢١٩، الشيرازي ١٠٢، المنتظم ٤ / ٢٤٠، البداية ١١ / ٣٤٠، اللباب ١/ ١١٢.

قال الذهبي: كان من بحور العلم، ماهراً بالعربية ، حاضر البديهة بديع النظم ، وكان من أصحاب الوجوه تفقه به جماعة.

مات في المحرم سنة ثمان وتسعين وثلاث مائة وصلى عليه الشيخ أبو حامد الإسفراييني.

تلاميذه:

١ - الخطيب: [١]

أحمد بن على بن ثابت بن أحمد بن مهدي الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي . أحد حفاظ الحديث وضابطيه المتقنين . ولد في جمادي الآخرة سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة ، وتفقه على القاضي أبي الطيب الطبري وأبي الحسن المحاملي واستفاد من الشيخ أبي إسحاق الشيرازي وأبي نصر بن الصباغ وشهرته في الحديث تغني عن الإطناب في ذكر مشايخه فيه وتعداد البلدان التي رحل إليها وسمع فيها ، وذكر مصنفاته في ذلك فإنها تزيد على ستين مصنفاً ، منها تاريخ بغداد.

توفي في ذي الحجة سنة ثلاث وستين وأربعمائة ودفن إلى جانب بشر الحافي.

وقال ابن خلكان: سمعت أن الشيخ أبا إسحاق ممن حمل جنازته لأنه انتفع به كثيراً وكان يراجعه في الأحاديث التي يودعها كتبه.

٢- عبدالملك بن إبراهيم بن أحمد أبو الفضل الهمداني الفرضي المعروف بالمقدسي [٢]

من أهل همذان . سكن بغداد إلى حين وفاته.

سمع أبا نصر بن هبيرة ، وأبا الفضل بن عَبْدَان الفقيه ، وأبا محمد عبدالله بن جعفر الخبازي وغيرهم.

---

(١) انظر ترجمته في طبقات ابن قاضي شبهة ١ / ٢٤٠ ، طبقات السبكي ٣ / ١٢، وفيات الأعيان ١ / ٧٦ ، النجوم الزاهرة ٥ / ٧٨، شذرات الذهب ٣ / ٣١١ ، البداية والنهاية ١٢/ ١٠١، تذكرة الحفاظ ٣ / ١١٣٥ ، معجم الأدباء ٤ / ١٣ .

(٢) الكامل بان الأثير ١٠ / ٢٦١ ، المنتظم ٩ / ١٠٠ ، طبقات السبكي ٥ / ١٦٢ - ١٦٤ ، طبقات الإسنوي

وحدث باليسير ، وكان من أئمة الدين وأوعية العلم.

توفي في شهر رمضان سنة تسع وثمانين وأربعمائة ، وقد قارب الثمانين ، ولم يكن يخبر بمولده ، على ما ذكر ولده أبو الحسن محمد بن عبدالملك.

٣- محمد بن أحمد بن عبدالباقي بن الحسن بن محمد بن طوق أبو الفضائل ، الربعي ، الموصلي [١]

تفقه على الماوردي ، وأبي إسحاق الشيرازي .

وسمع الحديث من أبي إسحاق إبراهيم بن عمر البرمكي والقاضي أبي الطيب الطبري ، وأبي القاسم التنوخي ، وأبي طالب بن غيلان والحسن بن جعلى الجوهري ، وغيرهم.

مات في مُستهل صفر، سنة أربع وتسعين وأربعمائة ، ودفن في مقبرة الشونيزي.

٤- على بن سعيد بن عبدالرحمن بن محرز بن أبي عثمان المعروف بأبي الحسن العبدري [٢]

له «مختصر الكفاية» في خلافيات العلماء ، من بني عبدالدار ، ومن أهل ميورقة، من بلاد الأندلس.

كان ررجلا عالماً مفتياً ، عارفا باختلاف العلماء.

توفي ببغداد ، يوم السبت سادس عشر جمادي الآخرة، سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة.

---

(١) انظر ترجمته في طبقات الشافعية للسبكي ٤ / ١٠٢ ، البداية والنهاية ١٢ / ١٦١ ، المنتظم ٩ / ١٢٦، الوافي بالوفيات ٢ / ١٠٥ .

(٢) انظر طبقات الشافعية الكبرى لابن السبكي ٥ / ٢٥٧.

٥- ابن خيرون [١]

الإمام العالم الحافظ المسند الحجة ، أبو الفضل أحمد بن الحسن بن أحمد بن خيرون البغدادي المقرئ ابن الباقلاني.

ولد سنة أربع وأربع مئة.

قال أبو منصور: كتبوا مرة لعمي: الحافظ ، فغضب ، وضرب عليه وقال: قرأنا حتى يكتب لي الحافظ؟!.

مات في رجب سنة ثمان وثمانين وأربع مائة، وله أربع وثمانون سنة وشهر.

٦- عبدالرحمن بن عبدالكريم بن هوازن أبو منصور القشيري [٢]

أحد أولاد الأستاذ أبي القاسم ، من السيدة الظاهرة فاطمة بنت الأستاذ أبي علي الدقاق.

وكان أبو منصور هذا جميل السيرة ورعا عفيفا فاضلاً ، محتاطاً لنفسه في مطعمه ومشربه وملبسه ، مستوعب العمر بالعبادة ، مستغرق الأوقات بالخلوة.

سمع الكثير من والده ، ومن أبي حفص عمر بن احمد بن مسرور ، وأبي سعيد ومحمد بن إبراهيم بن محمد بن يحيى المزكي وغيرهم.

مولده في صفر سنة عشرين وأربعمائة ، ووفاته في شعبان لسنة اثنتين وثمانين وأربعمائة.

٧- عبدالواحد بن عبدالكريم بن هَوازنِ الأستاذ أبو سعيد ابن الأستاذ أبي القاسم القشيري الملقب ركن الإسلام [٣]

---

(١) المنتظم ٩ / ٨٧ ، الكامل لابن الأثير ١٠/ ٢٥٣ ، دول الإسلام ٢ / ١٧ ، العبر ٣ / ٣١٩، ميزان الاعتدال ١/ ٩٢ ، تذكرة الحفاظ ٤ / ١٢٠٧ - ١٢٠٩ ، عيون التواريخ ١٣/ ٥١ ، الوافي بالوفيات ٦/ ٣٢٠، البداية والنهاية ١٢ / ١٤٩ ، لسان الميزان ١/ ١٥٥ ، طبقات الحفاظ ٤٠٠ ، شذرات الذهب ٣ / ٣٨٣.

(٢) انظر ترجمته في الطبقات الكبرى ٥ / ١٠٥ ، العقد الثمين ٥ / ٣٧٩.

(٣) انظر الطبقات الكبرى لابن السبكي ٥ / ٢٢٥ ، العبر ٣/ ٣٣٩.

وسعيد في كنيته بالياء، أما سعيد بإسكان العين، فذاك أخوه عبدالله .

كلاهما ولد الأستاذ أبي القاسم ، وشبل ذلك الأسد الذي تَجِمُ دونه الضَّراغِم، وقُرة عين تلك الذات الطاهرة ، وأحد ولدين بل أحد ستة نجوم زاهرة.

ولد عبدالواحد سنة ثماني عشرة وأربعمائة قبل إمام الحرمين بسنة ، ونشأ في العلم والعبادة ، وأخذ حظًا وافراً من الأدب وكان مداوماً على تلاوة القرآن.

ذكره عبدالغافر ، فقال: ناصر السنة ، أوحد عصره فضلاً ونفسًا وحالا، وبقية مشايخ العصر خفي الحقيقة والشريعة ، نشأ صبيًا في عبادة الله تعالى وفي التعلم ، خطب المسلمين قريبًا من خمس عشرة سنة ، ينشئ الخطب كل جمعة خطبة جديدة جامعة للفوائد ، معدودة من الفرائد. انتهى.

٨- عبدالغني بن نازل بن يحيى بن الحسن بن يحيى بن شاهي الألواحي أبو محمد المصري [١]

من أهل ألواح بُليدة من بلاد مصر .

قدم بغداد وتفقه بها ، وسمع أبا طالب بن غيلان ، وأبا إسحاق البرمكي ، وأبا محمد الجوهري والقاضي أبا الطيب الطبري وأبا الحسين بن النرسي والقاضي أبا الحسن الماوردي وأبا يعلي بن الفراء ، وغيرهم.

قال السبكي : ووقع في تاريخ شيخنا الذهبي أنه توفى سنة ثلاث وثمانين ، والأشبه ما في تاريخ ابن النجار .

٩- أحمد بن على بن بدران أبو بكر الحلواني [٢]

سمع أبا إسحاق الشيرازي يقولفي اختياره ورأيه : إنه يجوز صرف زكاة الفطر إلى النفس الواحدة.

---

(١) انظر الطبقات الكبرى لابن السبكي ٥ / ١٣٥ ، اللباب ١/ ٦٦ وفيه عبدالغني بن أبان ومعجم البلدان ٤ / ٨٧٤ .

(٢) انظر الطبقات الكبرى لابن السبكي ٦ / ٨٢ ، العبر ٤/ ١٢ والكامل ١٠/ ١٧٥ ، والمنتظم ٩ / ١٧٥ ، الشذرات ٤ / ٢٢١.

ولد في حدود سنة عشرين وأربعمائة.

توفي سنة سبع وخمسمائة.

١٠ - أبي النرسي [١]

الشيخ الإمام الحافظ ، المفيد المسند ، محدث الكوفة ، أبو الغنائم محمد بن على بن ميمون بن محمد النرسي، الكوفي ، المقرئ، الملقب بأبي لجودة قراءته.

ولد سنة أربع وعشرين وأربع مئة.

وكان يقدم كل سنة من الكوفة من سنة ثمان وتسعين في رجب ، فيبقى ببغداد إلى بعد الفطر ، ويرجع ، وكان ينسخ بالأجرة ، يستعين على العيال ، وكذا كان أبة عامر العبدري يثني عليه ، ويقول : ختم هذا الشأن بأبي رحمه الله.

مرض أُبيٌّ ببغداد وحُمِلَ ، فأدركه الأجل بالحلة، وحمل إلى الكوفة ميتًا ، فدفن بها ، مات يوم سادس عشر شعبان سنة عشر وخمس مئة.

قال الذهبي: عاش ستًا وثمانين سنة.

١١ - ابن كادش [٢]

الشيخ الكبير أبو العز أحمد بن عبيدالله بن محمد بن عبيد الله بن محمد بن أحمد ابن حمدان بن عمر بن إبراهيم بن عيسى ابن صاحب النبيﷺ عتبة بن فرقد السلمي العُكبري، المعروف بابن كادش ، أخو المحدث أبي ياسر محمد.

ولد في صفر سنة اثنتين وثلاثين وأربع مئة ، وطلب الحديث وقرأ على

---

(١) انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٩/ ٢٧٤ - ٢٧٦، المنتظم ٩ / ١٨٩ ، تاريخ الإسلام ٤ / ١٩٨ ، دول الإسلام ٢ / ٣٧ ، العبر ٤ / ٢٢، تذكرة الحفاظ ٤/ ١٢٦٠ - ١٢٦٢ ، الوافي ٤ / ١٤٣ - ١٤٤ النجوم الزاهرة ٥ / ٢١٢ ، طبقات الحفاظ ٤٥٨.

(٢) انظر ترجمته في الأعلام ٣ / ٣٢١ وطبقات الفقهاء للشيرازي ١٠٦ - ١٠٧ وتاريخ بغداد ٨ / ٣٥٨ ووفيات الأعيان ٢ / ١٩٥ وطبقات الشافعية للسبكي ٣ / ١٧٦ - ١٩٧ والبداية والنهاية ١٢ / ٧٩، والأنساب للسمعاني ٩ / ٤٢ وشذرات الذهب ٣ / ٣٢٥ والعقد المذهب لابن الملقن ص٥٥ ومرآة الجنان ٣ / ٧٠ وكتاب العبر للذهبي ٣/ ٢٢٢.

المشايخ ونسخ بخطه الرديء المعقد جملة، وجمع وخرج.

قال مرة: ولدت سنة اثنتين وثلاثين ، وسئل مرة فقال : سنة إحدى وثلاثين.

وقال يوسف الدمشقي: سألته ، فقال: في المحرم سنة سبع وثلاثين .

مات في جمادي الأولى سنة ست وعشرين وخمس مئة.

أقـــــرانه:

كان عصر المؤلف – رحمه الله – عصرًا ازدهر فيه العلم ، وتعددت سبله ، وكثرت فيه المدارس والربط، فتعددت على أثر ذلك المشايخ والعلماء الأجلاء ، فكان من أقران مؤلفنا – رحمه الله – الكثير منهم.

١ – أبو الطيب الطبري: (١)

طاهر بن عبدالله بن طاهر بن عمر القاضي العلامة ، أبو الطيب الطبري ، من آمل طبرستان . أحد أئمة المذهب وشيوخه والمشاهير الكبار ولد بآمل طبرستان سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة . سمع من أبي أحمد الغطريفي، وأبي الحسن الدارقطني وابن عرفه وغيرهم.

وقال القاضي أبو بكر الشامي: قال ابن قاضي شبهة للقاضي أبي الطيب وقد عمر: لقد متعت بجوارحك أيها الشيخ ، فقال: ولم لا وما عصيت الله بواحدة منها قط – أو كما قال توفي ببغداد في ربيع الأول سنة خمسين وأربعمائة ، ودفن بباب حرب . ومن تصانيفه «التعليق» نحو عشر مجلدات وهو كتاب جليل ، و«المجرد» وشرح الفروع.

---

(١) انظر ترجمته في الأعلام ٣ / ٣٢١ وطبقات الفقهاء للشيرازي ١٠٦ – ١٠٧ وتاريخ بغداد ٨ / ٣٥٨ ووفيات الأعيان ٢ / ١٩٥ وطبقات الشافعية للسبكي ٣ / ١٧٦ – ١٩٧ والبداية والنهاية ١٢/ ٧٩ ، والأنساب للسمعاني ٩ / ٤٢ وشذرات الذهب ٣ / ٣٢٥ والعقد المذهب لابن الملقن ص٥٥ ومرآة الجنان ٣ / ٧٠ وكتاب العبر للذهبي ٣ / ٢٢٢.

٢- الإسكاف: [١]

عبدالجبار بن علي بن محمد الأستاذ أبو القاسم الإسفراييني ، المعروف بالإسكاف ، تلميذ الأستاذ الشيخ أبي إسحاق الإسفراييني وشيخ إمام الحرمين في الكلام . له المصنفات في الأصلين وفي الجدل.

قال عبدالغافر : كان شيخًا جليلاً ، من رؤوس الفقهاء والمتكلمين ، له اللسان في النظر والتدريس ، والتقدم في الفتوى مع لزوم طريقة السلف من الزهد والورع، عديم النظير في وقته ، ما رئي مثله، عاش عالماً عاملاً .

قال عبدالغفار: توفى في صفر سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة.

٣- الصَّيْمَرِيُّ: [٢]

القاضي ، العلامة أبو عبدالله؛ الحسين بن علي بن محمد ، الصَّيْمَرِيُّ الحَنَفِيُّ

قال الخطيب: مات في شوال سنة ست وثلاثين وأربع مئة عن إحدى وثمانين سنة.

٤- الدارمي: [٣]

محمد بن عبدالواحد بن محمد بن عمر بن ميمون ، الإمام أبو الفرج الدارمي، البغدادي ، نزيل دمشق.

---

(١) انظر ترجمته في طبقات لاشافعية للاسنوي ص٣٦ وطبقات الشافعية للسبكي ٣ / ٢٢٠ وهداية العارفين ١ / ٤٩٩ .

(٢) تاريخ بغداد ٨ / ٩٨ ، ٧٩ ، الأنساب المتفقه ٩١ ، ٩٢ الأنساب ٨ / ١٢٨ ، المنتظم ٨ / ١١٩، معجم البلدان ٣ / ٤٣٩، اللباب ٢ / ٢٥٥، المختصر في أخبار البشر ٢ / ١٦٧، العبر ٣/ ١٨٦ ، تتمة المختصر ١ / ٥٢٧ ، البداية والنهاية ١٢ / ٥٢ ، الجواهر المضيئة ٢ / ١٦ - ١٨ النجوم الزاهرة ٥ / ٣٨ ، تاج التراجم ٢٦ ، طبقات الفقهاء لطاش كبري ٨٠، الطبقات السنية (٧٧٠)، كشف الظنون ٢ / ١٦٢٨ ، ١٨٣٧ ، شذرات الذهب ٣ / ٢٥٦ ، الفوائد البهية ٦٧ ، هدية العارفين ١ / ٣٠٩ ، تهذيب ابن عساكر ٤ / ٣٤٧ ، ٣٤٨ .

(٣) تاريخ بغداد ٢ / ٣٦٣ والأنساب للسمعاني ٥ / ٢٧٩ وطبقات الشافعية للسبكي ٣ / ٧٧ وطبقات الفقهاء للشيرازي ص١٠٧ وطبقات الشافعية لابن هداية ص٥١.

مولده سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة . توفي بدمشق في ذي القعدة سنة ثمان وأربعين وأربعمائة . وقال الشيخ أبو إسحاق : مات سنة تسع وأربعين ودفن بباب الفراديس.

٥- أبو عاصم العبادي: (١)

محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن عبدالله بن عباد القاضي أبو عاصم العبادي الهروي، أحد أعيان الأصحاب .

قال أبو سعد السمعاني : كان إماماً متثبتاً ، منتظراً ، دقيق النظر ، سمع الكثير.

٦- الكازروني: (٢)

محمد بن بيان بن محمد الكازروني ، سكن آمد. قال الذهبي في ترجمة الفارقي أن الكازروني أخذ عن المحاملي . أخذ عنه الشيخ نصر المقدسي وأبو بكر الشاشي وأبو على الفارقي وأبو المحاسن الروياني وصنف كتاباً في الفقه سماه «الإبانة» . مات سنة خمس وخمسين وأربعمائة.

٧- الفَنَّاكِي: (٣)

أحمد بن الحسين أبو الحسين ، الرازي الفَنَّاكِي ، بفاء مفتوحه ونون مشددة وكاف مكسورة . ولد بالري

---

(١) انظر طبقات الشافعية للإسنوي ص٣١٥، وطبقات الشافعية للسبكي ٣ / ٤٣ ومرآة الجنان ٣ / ٨٢، ووفيات الأعيان ٣ / ٣٥١ وشذرات الذهب ٣ / ٣٠٦ والأنساب للسمعاني ٩ / ١٧٣ وكتاب العبر للذهبي ٣ / ٢٤٣.

(٢) انظر ترجمته في طبقات الشافعية الوسطي ق٦٨/ ب وطبقات الشافعية للإسنوي ٣٩٦ وهدية العارفين ٢ / ٧١ وطبقات الشافعية للسبكي ٣ / ٥٠.

(٣) انظر ترجمه في طبقات الشافعية للإسنوي ص٣٥٥ وطبقات الشافعية للسبكي ٣/ ٧ وهدية العارفين ١ / ٧٧ ومعجم المؤلفين ١ / ٢٠٧ .

٨- أبو عبدالله الونّي: [١]

الحسين بن محمد بن عبدالواحد، أبو عبدالله الوني - بواو مفتوحة ونون مشددة الفرضي ، الضرير . كان متقدماً في علم الفرائض .

قال الذهبي: وكان أحد الأذكياء المذكورين ، وله يد في علوم متعددة . توفي شهيداً ببغداد في أواخر سنة خمسين وأربعمائة .

ثناء العلماء عليه:

قال ابن خيرون [٢]: كان رجلا عظيم القدر متقدماً عند السلطان ، أحد الأئمة له التصانيف الحسان في كل من العلم.

قال الخطيب البغدادي [٣]: كان ثقة من وجوه الفقهاء الشافعيين ...

وقال ابن الجوزي: كان ثقة صالحاً.

وقال الشيخ أبو إسحاق [٤]: كان حافظاً للمذهب.

وقال الداؤدي: أحد أئمة أصحاب الوجوه.

وقال ياقوت في معجم الأدباء [٥]: وكان عالمًا بارعًا متفنناً شافعياً.

وقال السبكي [٦]: الإمام الجليل القدر الرفيع الشأن ...

وقال أيضًا: كان إماماً جليلاً رفيع الشأن، وله اليد الباسطة في المذهب ، والتفنن التام في سائر العلوم.

---

(١) انظر ترجمت في وفيات الأعيان ١ / ٤٠٣ وطبقات الشافعية للسبكي ٣/ ١٦٣ ونكت الهميان ١٤٥ والبداية والنهاية ١٢ / ٧٩ - ٨٥.

(٢) ابن قاضي شبهة ١ / ٢٣١.

(٣) تاريخ بغداد ١٢ / ١٠٢.

(٤) الطبقات ١٣١.

(٥) ١٤ / ٥٣.

(٦) ٥ / ٢٦٧، ٢٦٨.

وذكره أبو حامد فقال: كان حافظًا [١].

قول ورَدٌّ

قيل: إنه لم يُظْهِر شيئًا من تصانيفه في حياته ، وجمعها في موضع فلما دنت وفاته قال لمن يثق به : الكتب التي في المكان الفاني كلها تصنيفي، وإنما لم أظهرها لأني لم أجد نية خالصة، فإذا عاينت الموت ووقعت في النزع ، فاجعل يدك في دي فإن قبضت عليها وعصرتها فاعلم إنه لم يقبل مني شيء منها ، فاعمد إلى الكتب وألْقِها في دجلة، وإن بسطت يدي ولم أقبض على يدك ، فاعلم أنها قد قبلت ، وأني قد ظفرت بما كنت أرجوه من النية.

قال ذلك الشخص: فلما قارب الموت وضعت يدي في يده فبسطها ولم يقبض على يدي فعلمت أنها علامة القبول . فأظهرت كتبه بعده.

قال ابن خيرون: لعل هذا بالنسبة إلى «الحاوي» وإلا فقد رأيت من مصنفاته غيره كثيرًا ، وعليه خطه، ومنه ما أكملت قراءته عليه في حياته.

تصانيفه:

قال ابن خيرون: له التصانيف الحسان في كل فن من العلم ، فنوردها حتى يعلم قدر هذا الإمام المبجل.

وقال الزركلي في الأعلام: .. من العلماء الباحثين أصحاب التصانيف الكثيرة النافعة منها:

١ - الحاوي: وهو أحد شروح مختصر المزني.

الأحكام السلطانية: وهو من أقدم ما طبع من مؤلفاته ، وهو متداول بين أهل العلم.

٢- أدب الوزير: طبع بهذا العنوان سنة ١٣٤٨هـ في القاهرة ، وعنوان الكتاب الأصلي هو «قوانين الوزارة وسياسة الملك».

---

(١) لسان الميزان ٤ / ٦٠.

٣- الإقناع:

كتاب البيوع [١]: ذكره في كتاب «أدب الدنيا والدين» . فقال: «وما أنذرك من حالي أني صنفت كتاباً في البيوع جمعت فيع ما استطعت من كتب الناس» ..

«الكافي» في شرح مختصر المزني [٢]

٤- النكت والعيون: وهو مطبوع

٥- الأمثال والحكم [٣]: توجد نسخة منه في مكتبة ليدن برقم (٣٨٢)، وقد طبع بدار الجامعات المصرية بالإسكندرية وطبع كذلك بدار الوطن للنشر بالرياض عام ١٤٢٠هـ. [*] وهو غير كتابنا.

٦- كتاب في النحو: ذكره ياقوت الحموي [٤] وقال: رأيته في حجم الإيضاح أو أكبر.

٧- أدب الدنيا والدين: والاسم الأصلي : «النهضة العليا في أدب الدين والدنيا» وهو مطبوع أكثر من طبعة ، وعليه شروح وحواش.

٨- المقترن: ذكره ابن الجوزي في المنتظم [٥]، ولعل ذلك تحريف عن العيون، لأنه قال: إن للماوردي «المقترن» و «النكت» في التفسير.

٩- أعلام النبوة: وهو مطبوع ومتداول بين أهل العلم.

١٠- تسهيل النظر وتعجيل الظفر: ويوجد منه نسخة بمكتبة جوته بألمانيا الشرقية رقم ١٨٨٢ ونسخة أخرى في كلية الآداب بطهران برقم ٩٠ دس.

---

(١) أدب الدنيا والدين ٦٥.

(٢) طبقات السبكي ٥ / ٩.

(٣) هدية العارفين ١ / ٦٨٩.

(*) وقد أهدى إلي نسخة الدكتور/ أبو دجانة صاحب مكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنورة في معرض القاهرة لعام ١٤٢٦هـ فجزاه الله خيرًا.

(٤) ١٥ / ٥٤.

(٥) ٨ / ١٩٩ .

١١- نصيحة الملوك: وهو بالمكتبة الوطنية بباريس ضمن مجموعة برقم (١٤٤٧).

١٢- الرتبة في طلب الحسبة [١].

صفات الماوردي وأخلاقه:

لا شك أن الناظر في كتب الماوردي يرى فيها التواضع العلمي، وشدة تحرزه وأدبه، فها هو ابن الجوزي يقول: كان وقوراً متأدباً لا يرى أصحابه ذراعه ...

وابن كثير يصفه فيقول: «كان حليماً وقوراً أديباً لم ير أصحابه ذراعه يوماً من الدهر من شدة تحرزه وأدبه».

وابن السبكي يقول في كتابه الطبقات [٢]: ومن كلام الماوردي الدال على دينه ومجاهدته لنفسه ما ذكره في كتاب «أدب الدين والدنيا» فقال: «ومما أنذرك به من حالي أني صنفت في البيوع «كتاباً» جمعته ما استطعت من كتب الناس وأجهدت فيه نفسي ، وكدت في خاطري ، حتى إذا تهذب واستكمل وكدت أعجب به، وتصورت أني أشدُّ الناس اطلاعا بعمله، حضرني وأنا في مجلسي أعرابيان ، فسألاني عن بيع عقداه في الباديه على شروط تضمنت أربع مسائل، ولم أعرف لشيء منها جواباً، فأطرقت مفكراً ، وبحالي وحالهما معتبراً ، فقالا : أما عندك فيما سألناك جواب، وأنت زعيم هذه الجماعة؟

فقلت: لا.

فقالا: إيهًا لك. وانصرفا ثم أتيا من قد يتقدمه في العلم كثير من أصحابي، فسألاه، فأجابهما مسرعًا بما أقنعهما، فانصرفا عنه راضيين بجوابه، حامدين لعلمه.

إلى أن قال: فكان ذلك زاجر نصيحه ونذير عظة تذلل لهما قياد النفس، وانخفض لهما جناح العجب».

---

(١) مقدمة أدب القاضي لسرحان.

(٢) ٥ / ٢٦٩.

مناصبه:

تقلد الإمام أبو الحسن الماوردي القضاء في بلدان متعددة كـ «البصرة» و «بغداد» ووصل إلى قاضي القضاة ، وعمل هذا المنصب التحدث في الأحكام الشرعية، وتنفيذ قضاياها، والقيام بالأوامر الشرعية ، والفصل بين الخصومات ، ونصب النواب للتحدث فيما عسر مباشرته بنفسه ، وهي أرفع الوظائف الدينية وأعلاخا قدراً وأجلها رتبة.

الماوردي السفير:

قال ياقوت الحموي: وكان ذا منزلة من ملوك بني بويه يرسلونه في التوسطات بينهم وبين من يناوئهم ويرتضون بوساطته ويقفون بتقريراته [١].

فقد بعثه الخليفة القائم بأمر الله إلى جلال الدولة سنة ٤٢٤ هـ عندما استولى جلال الدولة على نصيب الخليفه من الهدايا، وكانت الشحناء قد دبت بين جلال الدولة وابن أخيه سنة ٤٢٨ هـ فأرسله جلال الدولة فأصلح بينهما وبعثه الخليفة القائم بأمر الله سفيرًا إلى السلاجقة.

قال ابن الأثير: قال الماوردي: لما أرسلني القائم بأمر الله إلى طغرل بك سنة ٤٤٣ هـ كتبت كتاباً إلى بغداد أذكر فيه سيرته وخراب بلاده ، وأطعن عليه بكل وجه، فوقع الكتاب من غلامي فحمل إليه ، فوقف عليه وكتمه ولم يحدثني فيه بشيء ولا تغير عما عليه من إكرامي.

وفاتـــه:

توفي أبو الحسن -عليه رحمة الله- في ربيع الأول سنة خمسين وأربعمائة بعد وفاة أبي الطيب بأحد عشر يومًا عن ست وثمانين سنة [٢].

*****

(١) معجم الأدباء ١٥ / ٥٣

(٢) انظر مصادر الترجمة، والترجمة مستقاة من مقدمة كتابه «النكت والعيون».

وصف المخطوط

قد اعتمد في إخراج هذا الكتاب وتحقيقه على نُسخة فَريدة، أصلها بالمكتبة الوطنية بباريس، رقمها (٩٦٢٨) .

قال المستشار الدكتور/ فؤاد عبدالمنعم أحمد: وقد أفرد هذا الكتاب لأمثال القرآن بالشرح والبيان والإيضاح والتبيين، وتوجد منه نسخة في تركيا «نوادر المخطوطات في مكتبات تركيا» (٢/ ٤٠)[١].

قال أبو عمرو: لها صورة بمعهد المخطوطات، بالقاهرة رقم (١٠٠٨ أدب).

يقع المخطوط في تسعة وأربعين لوحاً.

واللوح وجهان،

الوجه به عشرين سطرًا،

والسطر به عشر كلمات تقريبًا.

قد كُتب المخطوط بخط قديم،

خال من النقط في مواضع غير قليلة،

بيد أن الناسخ قد اهتم بالتشكيل.

وقد جاء في طرة الأخرى:

١- كتاب «لغات القرآن» «للفراء»

٢- كتاب «النكت في إعجاز القرآن» «للرماني»

٣- كتاب «المجاز في كلام العرب لشواهد القرآن» «لقطرب»

٤- من أمثال القرآن الكريم نظائر ما وقف من أمثال العرب.

٥- كتاب «الأبواب المؤلفة في معاني كلام العرب» «للأصبهاني»

٦- كتاب «ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن» «للمبرد»

٧- كتاب «أحكام الهمز وصفاته» «لأبي زيد»

---

(١) انظر «الأمثال والحكم» للماوردي تحقيق الدكتور/ فؤاد عبدالمنعم طبعة دار الوطن (ص١٥)

وصف طرة المخطوط

والمخطوط يقع ضمن مجموع، وقد جاء على طرته:

١- أمثال القرآن .

٢- وصية الإمام الأعظم.

٣- رسالة في قضية العلم.

٤- مجمع العقائد.

٥- منظومة في ذكر مشروط تكبيرة الإحرام وشرحها.

٦- رسالة في الفقه.

٧- رسالة في تعارض البيانات.

٨- قصيده في كمال العرفان.

٩- كتاب آداب المفتي.

* * * * *

توثيق نسبة الكتاب لمصنفه

١- قد عُلم من طُرة المخطوط - فيما سبق - أن الكتاب لمصنفه، وهذا دليل قوي [١]

السيوطي رحمه الله ينسب الكتاب للمصنف

٢- وأزيد على ذلك، أن الإمام السيوطي رحمه الله، قد نسبه له، وذاك وهو يتكلم عن الكتب المتعلقه بالإعجاز وفنون البلاغة، ثم ذكر بعض الكتب، وقال: ومن الكتب فيما سوى ذلك من الأنواع:

أمثال القرآن للماوردي [٢]

٣- وقال رحمه الله

النوع السادس والستون، في «أمثال القرآن» أفرده بالتصنيف الإمام أبو الحسن الماوردي، من كبار أصحابنا [٣]

٤- ما سطره الدكتور/ عبدالمنعم أحمد أثناء تحقيقه لـ «الأمثال والحكم» أن الكتاب له وعزاه كذلك الشيخ/ سعيد محمد نمر الخطيب، أثناء تحقيقه لكتاب الأمثال في القرآن لابن القيم (ص٢٣) فذكره ضمن الكتب المؤلفة في الباب فقال: منها «الأمثال القرآنية» لعلي بن محمد الماوردي

نقل الإمام السيوطي رحمه الله من الكتاب

قال رحمه الله: قال الماوردي: «من أعظم علم القرآن علم أمثاله، والناس في غفلة عنه لاشتغالهم بالأمثال، وإغفالهم الممثلات، والمثل بلا ممثل كالفرس بلا لجام، الناقة بلا زمام» [٤].

---

(١) بيد أن الناسخ قد أخطأ في كنيته، وهذا وارد ، وقد أصلحت ما أخطأ فيه، والله أأله أن يغفر لنا ذلاتنا.

(٢) انظر الإتقان في علوم القرآن (١/ ٣٨)

(٣) المصدر السابق

(٤) انظر الإتقان (١١/ ٣٨)

وهذا المقطع في نسختنا ﷺ.

وقال كذلك:

قال الماوردي: «سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن مضارب بن إبراهيم يقول سمعت أبي يقول: سألت الحسين بن الفضل فقلت: إنك تخرج أمثال العرب والعجم من القرآن، فهل تجد في كتاب الله خير الأمور أوساطها؟

قال: نعم، في أربعة مواضع ... ثم ذكرها.»[1]

وهذا المقطع في نسختنا ﷺ

وأخيرا فقد نقل المصنف بعض الفقرات من هذه الرسالة في تفسيره «النكت والعيون» وقد أحلت ذاك في الحاشية أثناء التحقيق.

والله أعلم

*****

(١) انظر الإتقان (١/ ٣٨)

ميزات الأمثال للماوردي رحمه الله

امتاز كتاب الماوردي بأمور منها :

جمعه لأقوال السلف والخلف التي قيلت في تفسير الآية.

تحليلاته اللغوية الدقيقة في بيان مفردات الآية.

منهجة الدقيق في حصر الأقوال.

أنه لم يقتصر على المأثور فحسب، بل جمع فيه إلى المأثور ذكر الوجوه والقراءات، والأحكام الفقهيات.

مصادر الماوردي في كتابه:

(أ) القراءات:

اعتمد رحمه الله على كتب القراءات التي كانت موجودة في عصره ككتاب «القراءات الشاذة» لابن خالويه، وكتاب «الحجة في علل القراءات السبع» لأبي علي الحسن بن أحمد الفارسي ، وكتاب المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات، والإيضاح عنها ، لأبي الفتح عثمان بن جني ، ولقد استفاد أيضًا من كتب مكي ابن أبي طالب القيسي ، وكتب أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني.

(ب) في التفسير المأثور:

يعتبر كتاب الطبري «جامع البيان عن تأويل آي القرآن» من أهم مصادره في التفسير بالمأثور.

كذلك فقد نقل كثيراً عن مقاتل بن حيان ، ومحمد بن إسحاق بن يسار، صاحب السيرة.

(جـ) مصادره اللغوية والنحوية:

استمد الماوردي مادته اللغوية والنحوية من مصادر كثيرة ومتنوعة فنقل عن الكسائي، والفراء، والأخفش، وثعلب، والمبرد، والزجاج، من مؤلفاتهم في القرآن.

وعن أبي عبيدة من «مجاز القرآن» وعن الرماني

كما نقل عن الخليل بن أحمد ، وسيبويه، وعمرو بن العلاء .

عملي في الكتاب

يتلخص عملي في الكتاب على ما يلي:

قمت بنسخ المخطوط الفريد ثم مطابقته بما نسخته.

تحقيق الأحاديث تحقيقًا علميًا، مع تقديم درجة الحديث قبل الكلام عليه.

تحقيق الآثار الواردة عن الصحابة ﷺ، وتقديم درجة الأثر قبل الكلام عليه.

عزو الأقوال الواردة عن السلف، إلى مصادرها .

شرح غريب الحديث.

شرح غريب الألفاظ.

عمل مقدمة بها ترجمة المصنف.

عمل نبذة عن الأمثال.

عمل فهارس خاصة للآيات والأحاديث والآثار.

عمل فهرس عام للكتاب.

* * * * *

نماذج من المخطوط

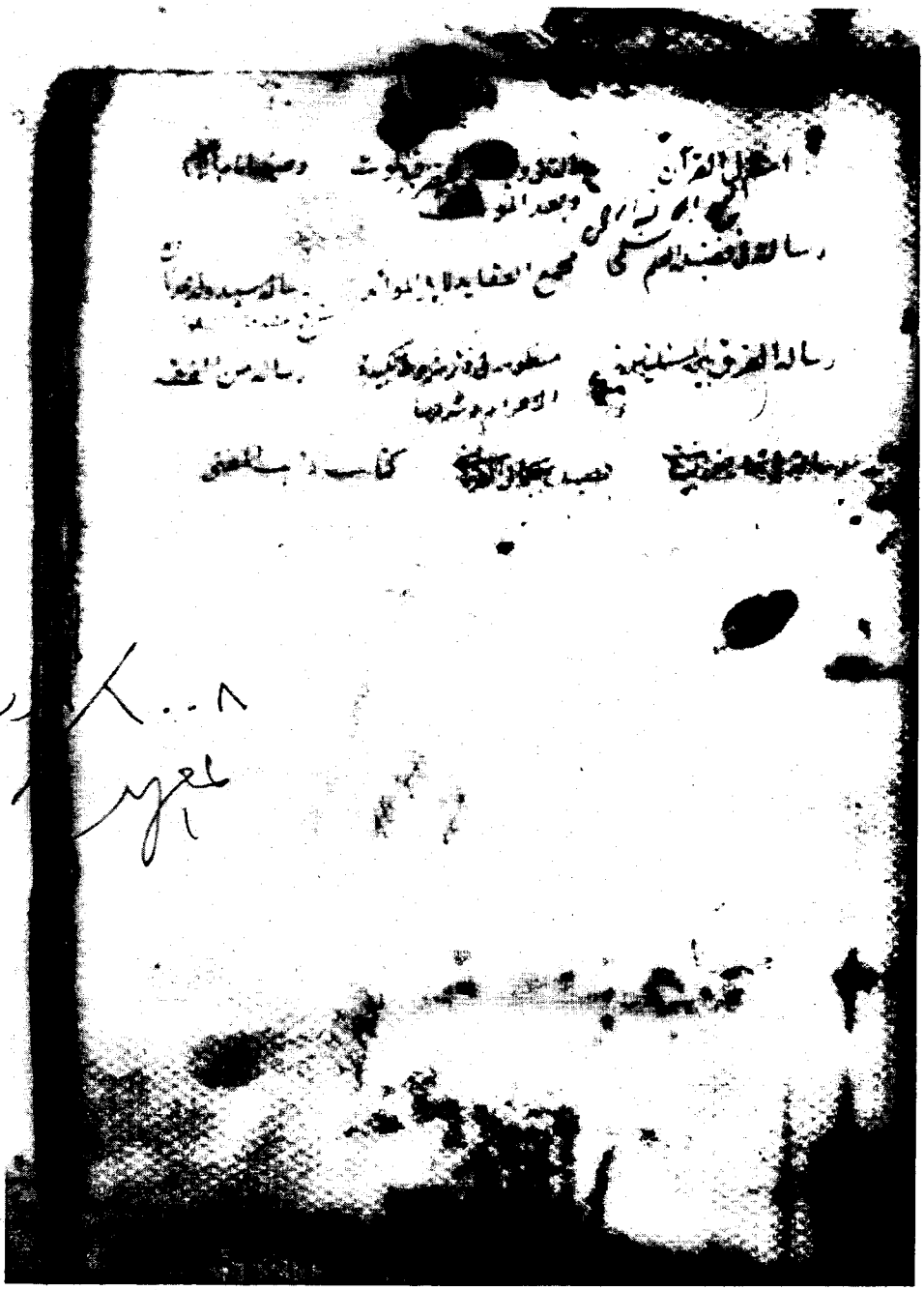

طرة المخطوط

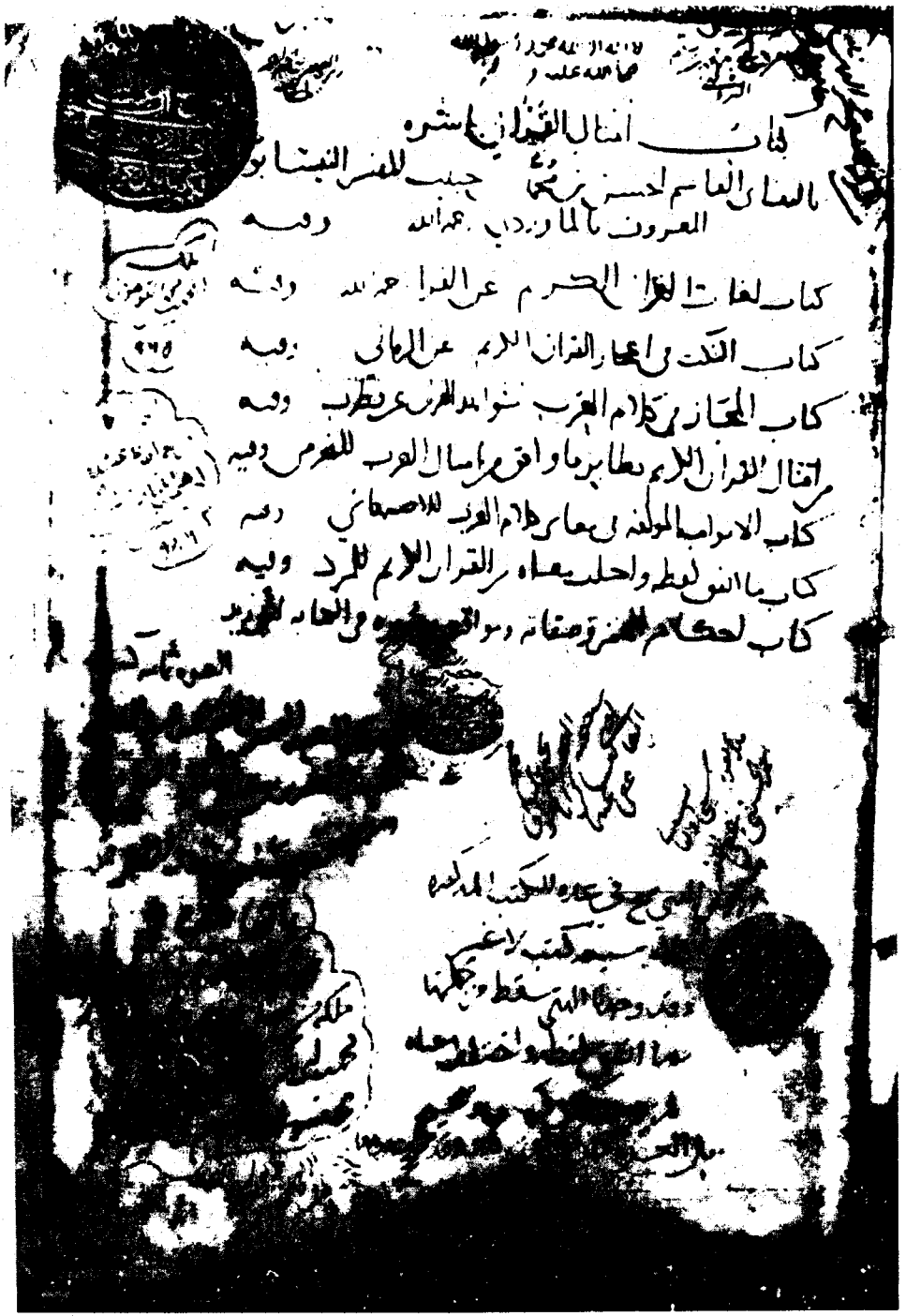
كتاب أمثال القرآن العشرة
للعلامة العالم الحسن بن محمد حبيب النيسابوري
المعروف بالماوردي رحمه الله وفيه
كتاب لغات القرآن المحرم عن الفراء رحمه الله وفيه
كتاب الكنى والأسماء والقرآن الأعم عن المعاني وفيه
كتاب المجاز من كلام العرب شواهد القرآن عن قطرب وفيه
أمثال القرآن الأعم بظاهرها وأقرب أمثال العرب للفرس وفيه
كتاب الأسباب المؤلفة من معاني كلام العرب للأصفهاني وفيه
كتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن الأعم للمبرد وفيه
كتاب أحكام القرآن وصفاته وما

طرة المخطوط

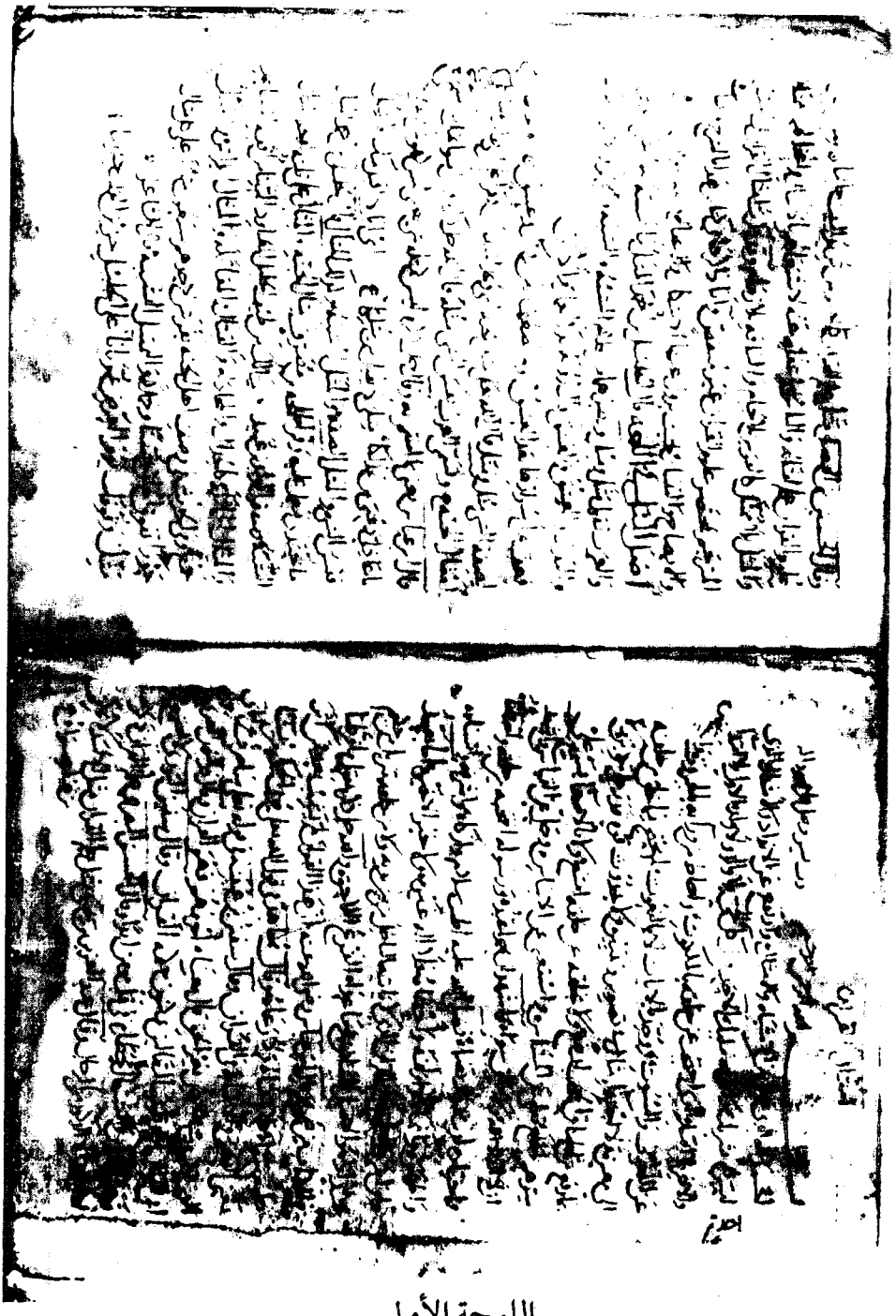

اللوحة الأولى

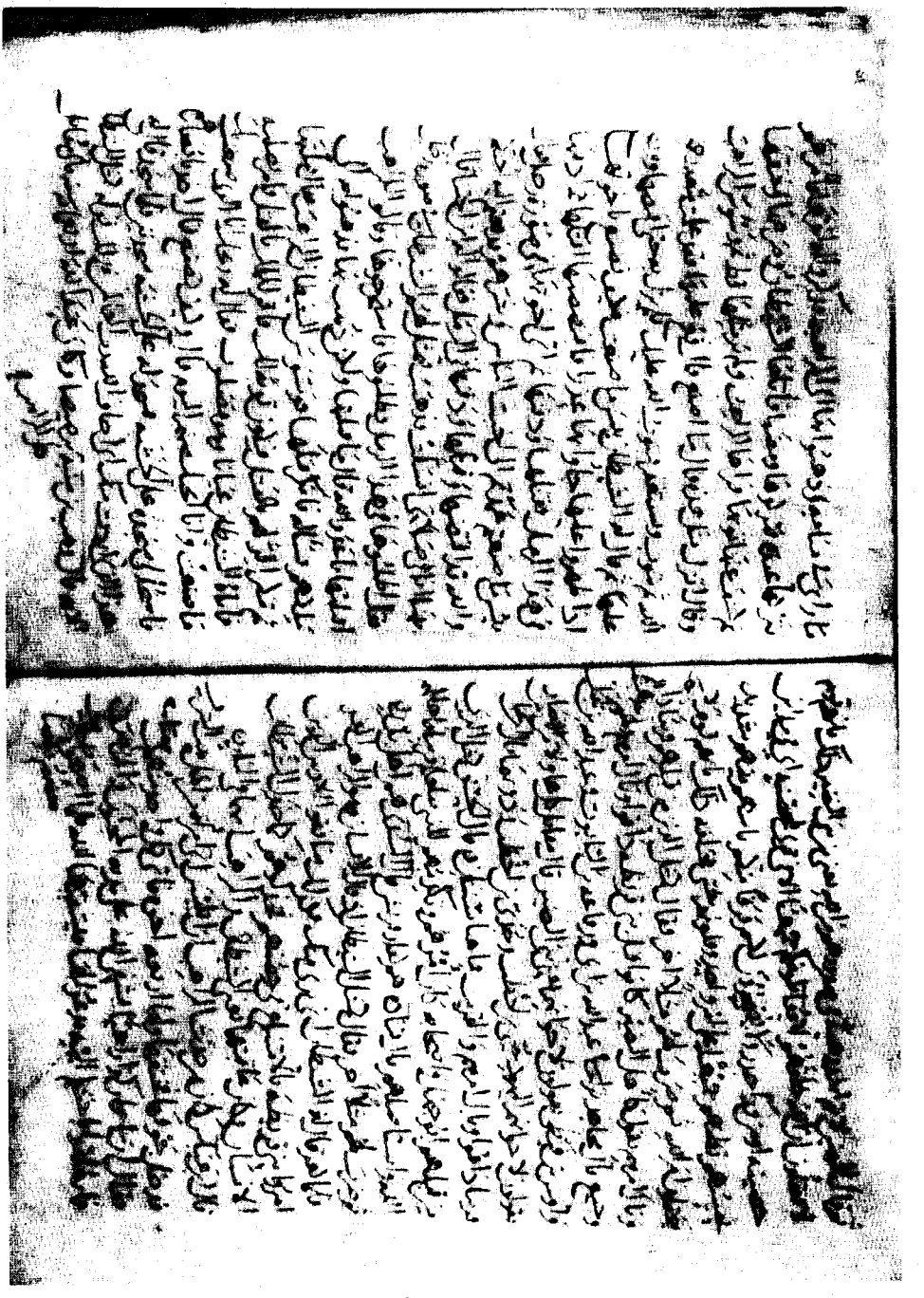

اللوحة قبل الأخيرة

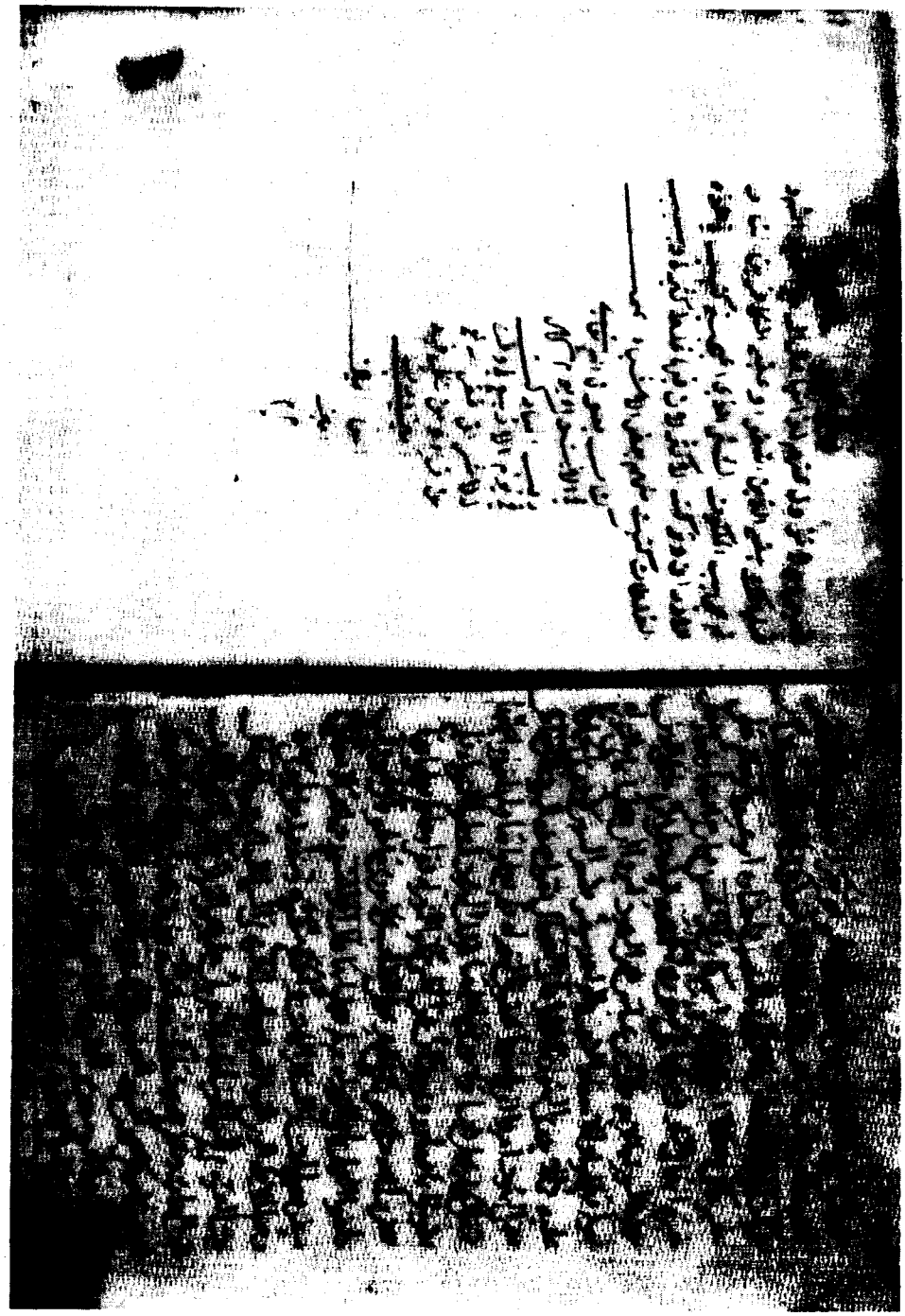

اللوحة الأخيرة

بسم الله الرحمن الرحيم

رَبِّ يَسر وصلِّ عَلى محمدٍ وآلِه ..

الحمد لله الذي تعالى [١] عن الأشبَاهِ [٢] والأمثالِ [٣] .

---

(١) أي : تنزه عن الأشباه والأمثال .

ومثال ذلك في كتابه جل وعلا قوله : ﴿ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء : ٤٢- ٤٣] .

قال إمام المفسرين محمد بن جرير الطبري رحمه الله :

«وهذا تنزيه من الله تعالى ذكره نفسه عما وصفه به المشركون، الجاعلون معه آلهة غيره، المضيفون إليه البنات؛ فقال تنزيهًا لله وعلوًا له عما تقولون : أيها القوم من الفرية والكذب، فإن ما تضيفون إليه من هذه الأمور ليس من صفته، ولا ينبغي أن يكون له صفة»، انظر : (جامع البيان) (١٥ / ٦٢)

فائدة : كلمة (تعالى) ذكرت في القرآن أربعة عشر مرة .

(٢) الأشباه : جمع شبه .

قال الفيروز أبادي : « الشبه : بالكسر والتحريك،، وكأمير، المثلج : أشباه، وشابهه وأشبهه، ماثله، وتشابها واشتبها، أشبه كل منهما الآخر حتى التبسا »، انظر : (القاموس المحيط) (مادة : شبه)

وقال العلامة بن منظور : « الشِّبهُ والشَّبهُ والشَّبِيهُ : المثل، والجمع : أشباه، وأشبه الشيءُ الشيءَ : ماثله، وفي المثل : من أشبه أباه فما ظلم »، انظر : لسان العرب (مادة : شبه)

(٣) الأمثال : جمع مثل .

قال العلامة الفيروزأبادي : « المثل : بالكسر والتحريك، وكأمير الشبه، ج : أمثال » .

وقال العلامة ابن منظور : « مثل : كلمة تسوية، يقال : هذا مِثْله ومَثَله، كما يقال : شِبْهه وشَبَهُه؛ بمعنى، والمثل : الشبه » .

وقوله ﷻ : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [الشورى : ١١] أراد ليس مِثْله لا يكون إلا ذلك؛ لأنه إن لم يَقُل هذا أثبت له مِثلًا تعالى الله عن ذلك »، انظر القاموس المحيط (مادة : مثل)

قال الإمام الطبري رحمه الله : « وقوله : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾؛ فيه وجهان :

أحدهما : أن يكون معناه : ليس هو كشيء، وأدخل المثل في الكلام توكيدًا للكلام إذا =

وارتفع عن الأندادِ [1] والأشكالِ، الذي ليس له شريك، ولا فوقه

= اختلف اللفظ به وبالكاف، وهما بمعنى واحد .

كما قيل : ما إن نديت بشيء أنت تكرهه .

فأدخل على (ما) وهي حرف جحد (إن) وهي أيضًا حرف جحد، لاختلاف اللفظ بهما وإن اتفق معناهما توكيدًا للكلام .

وكما قال أوس بن حجر :

وقتلى كمثل جُذوع النخيل تغشاهم مُسْبل منهمر

ومعنى ذلك : كجذوع النخيل .

وكما قال الآخر :

سعد بن زيد إذا أبصرت فضلهم ما إن كمثلهم في الناس من أحد

والآخر: أن يكون معناه: ليس مثل شيء، وتكون الكاف هي المدخلة في الكلام، كقول الراجز:

وصاليات كلما يُؤَنفين

فأدخل على الكاف كافًا توكيدًا للتشبيه .

كما قال الآخر :

تنقى الغيادق على الطريق قلَّص عن كبيضة في نيق

فأدخل الكاف مع (عن) وقد بنا هذا في موضع غير هذا المكان بشرح هو أبلغ من هذا الشرح، فلذلك تجوزنا في البيان عنه في هذا الموضع .

انظر (جامع البيان) (٢٥ / ١٤) .

قال الإمام الطحاوي رحمه الله : « اتفق أهل السنة على أن الله ليس كمثله شيء، لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله » .

ولكن لفظ التشبيه قد صار في كلام الناس لفظًا مجملًا يراد به المعنى الصحيح، وهو : ما نفاه القرآن ودل عليه العقل، من أن خصائص الرب تعالى لا يوصف بها شيء من المخلوقات، ولا يماثله شيء من المخلوقات في شيء من صفاته؛ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى : ١١] رد على الممثلة المشبهة، ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى : ١١] رد على النفاة المعطلة .

شرح العقيدة الطحاوية (٩٨- ٩٩) .

(١) الأنداد : جمع (ند) .

قال الأصبهاني : نديد الشيء، مشاركه في جوهره، وذلك ضربٌ من المماثلة فإن المثل يقال في أي مشاركة كانت، فكل ندٍّ مِثلٌ، وليس كل مثلٍ ندًا . =

مليك [١]، الأحد قبل كل [أحدٍ] [٢]، الحي بلا والدٍ ولا ولد، الأول بلا ابتداء والآخر بلا انتهاء[٣].

الذي احتجب عن خلقه بالملكوت، وأحاط من ورائه بالجبروت، واستغنى عن اللغوب [٤] والسبوتِ، ووحد بالآياتِ لا بالنعوت [٥].

لم يحتج فيما خلق من خلقه إلى مُعين، ولا احتذاء مثَالٍ في تَصوير، وتَبين، ولا بحدُوثِ قُوةٍ، قدَرَ على تكْوين، ولا بما رفع من أطباق الحُجُب ارتفع، ولا بخلقه عن خلقه امتنعْ، ولا بالإصغاءِ بَسْمع على سِرهم اطلع، تعلى على المساسِ [٦].

= ويقال : نِدٌّ ونديدُهُ ونديدته، قال : ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا ﴾ [البقرة : ٢٢]، ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا ﴾ [البقرة : ١٦٥]، ﴿ وَنَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ﴾ [فصلت : ٩]، انظر : المفردات في غريب القرآن، مادة (ند) .

(١) (مليك) بمعنى : مَلِكْ .

قال الليث : المَلِكُ هو الله تعالى وتقدس، ملك الملوك له الملك، وهو مالك يوم الدين وهو (مليك الخلق)، أي : ربهم ومالكهم، وجمع المَلِك : أملاك، وجمع المَلِيك : ملكاء »، انظر (لسان العرب) مادة (ملك)

(٢) كتبت بهامش الأصل .

(٣) وهو مسقاه من الحديث الصحيح الذي أخرجه مسلم (٨ / ٧٨- ٧٩) وغيره، وفيه « **اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء** » .

(٤) اللغوب : التعب والإعياء، انظر لسان العرب (٨ / ٩٣) .

والسبت : الراحة، وانظر لسان العرب (٤ / ٤٦٢) .

(٥) نعت : النَّعْتُ : وصفك الشيء، تنعته بما فيه، وتبالغ في وصفه، والنعت : ما نُعِت به .

نعته ينعته نعتًا، وصفه، ونعت الشيء، وتنعته : إذا وصفته، انظر لسان العرب (٨ / ٦١١) .

(٦) المساس، قد ورد في قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ﴾ [طه : ٩٧]، أي : لا تخالط أحدًا، حرم مخالطة السامري عقوبة له، ومعناه : أي لا أُمَسُّ ولا أَمِسُّ، ويكني بالمساس، عن الجماع، قال تعالى : ﴿ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ﴾ [المجادلة : ٣، ٤] . =

واستغنى على الإيناسِ [١]، وجل عن القياس .

وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا الله، ولا خالق سواه، وأشهد أنَّ محمدًا عبدُه ورَسُوله، انتَخَبَهُ من خَلقِه واصطفاهُ [٢]، واختاره لدِينِه وارتضاه، فصلى الله عليه أطيب سلامٍ وأزكاه وأشرفه وأسناه[٣]، وأطهره وأنماهُ،

= قال الليث : لا مساس لا مُماسة، أي : لا يمس بعضنا بعضًا؛ انظر : (لسان العرب)، و (تهذيب اللغة) مادة (مسس) .

(١) أي : من الأنس، والاصطفاء .

(٢) وهذا معلوم لدى الناس جميعًا، حتى أهل الكتاب من اليهود والنصارى، فهم يعرفونه كما يعرفون أبنائهم .

قال عطاء بن يسار لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ فقلت : « أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة » .

فقال : « أجل، والله إنه لموصوف في التوراة، وصفته في القرآن ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٤٥]، وحرزًا للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ، ولا سخّاب في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفوا ويصفح، ولن يقضبه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا : « لا إله إلا الله، ويفتح بها أعينًا عميًا، وآذانًا صمًا، وقلوبًا غلفًا » .

صحيح : أخرجه البخاري (٢١٢٥، ٤٨٣٨) وفي الأدب المفرد (٢٤٦، ٢٤٧) والبيهقي في (الدلائل) (١ / ٣٧٤) .

(٣) أي : رفعه، قال ابن منظور : « السناء : من الرفعة ممدود » .

والسني : الرفيع، وأسناه : أي رفعه، وأنشد ابن بري :

وهم قوم كرام الحي طرًا ... لهم حولٌ إذا ذكر السناء

وفي الحديث : « بشر أمتي بالسناء »، أي : بارتفاع المنزلة والقدر عند الله .

انظر لسان العرب مادة (سنا) .

قال أبو عمرو : وهو قطعة من حديث أُبي بن كعب ﷺ عن النبي ﷺ قال : « **بشر هذه الأمة بالسناء والرفعة والدين والنصر والتمكين في الأرض** » .

حديث صحيح : أخرجه أحمد (٥ / ١٣٤) والحاكم (٤ / ٣١١، ٣١٨) والبيهقي في (شعب الإيمان) (٦٨٣٤، ١٠٣٣٥) وفي (دلائل النبوة) (٦ / ٣١٧- ٣١٨) .

وأزلفه [١] وأحظاهُ [٢]، فلا إله غيره، ولا خير إلا خيره.

أما بعد؛

فإن أشرف العلم عِلمُ القرآن الذي : ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت : ٤٢] .

إذ هُو الأصل السابق وما عداه الفرع اللاحق، والله جل ذكره يقول : ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾ [الأنعام : ٣٨]، وقال ابن عباس رضي الله عنه : « إنَّ هذا القرآنَ لم يشب بعد، فمن أثر عليه سواه فلا سقاهُ ولا رعاهُ » [٣] .

وقال مجاهد في قوله تعالى : ﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ﴾ [البقرة : ٢٦٩]، يعنى : الفهم والإصابة في القرآن [٤] .

---

(١) قال العلامة ابن منظور : « الزلف، والزلفة، والزلفى، القربة و الدرجة والمنزلة .
وأزلف الشيء، قربه، وفي التنزيل العزيز : ﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الشعراء : ٩٠]، أي : قربت .
انظر : (لسان العرب) مادة (زلف) .

(٢) قال الليث : الخطوة المكانة والمنزلة للرجل من ذي سلطان ونحوه، تقول : حظي عنده يحظى خطوة.
وجمعه : حظًا وخطاء .
انظر : (تهذيب اللغة) لسان العرب مادة (حظا) .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) أخرجه ابن جرير الطبري بإسناده إلى مجاهد في قوله تعالى : ﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ﴾ [البقرة : ٢٦٩]، قال : « ليست بالنبوة، ولكنه القرآن والعلم والفقه » .
أخرجه الطبري في تفسيره (٣/ ٩٣) بإسناد ضعيف .
فيه ليث وهو بن أبي سليم، قال الحافظ رحمه الله : « صدوق اختلط جدًا، ولم يتميز حديثه فترك ».
وأخرجه كذلك عن مجاهد قال : الإصابة، وإسناده صحيح .

وقال سفيان بن عيينة [١] في قوله تعالى: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ [الأعراف:١٤٦]، قال: «معناه أحْرمهُم فَهمَ القرآن [٢]».

وقال ذو النون المصري رحمه الله [٣] : « أبى الله أن يكرم قلوب البطالين بمكنون حكمة القرآن » .

وقال سفيان الثوري[٤] : « لا يجتمع فَهم القرآن والاشتغال بالحطام في

---

(١) سفيان بن عيينة بن أبي عمران، الإمام الكبير حافظ العصر، شيخ الإسلام .
أبو محمد الهلالي الكوفي ثم المكي، مولده : بالكوفة، في سنة سبع ومائة وطلب الحديث وهو حدث، بل غلام، ولقي الكبار، وحمل عنهم علمًا جمًا، وأتقن وجود وجمع وصنف، وعمر دهرًا، وازدحم الخلق عليه، وانتهى إليه علو الإسناد، وألحق الأحفاد بالأجداد .
قال الإمام الشافعي : لولا مالك وسفيان بن عيينة لذهب علم الحجاز .
قال الإمام الذهبي : « عاش إحدى وتسعين سنة » .
انظر ترجمته : الطبقات لابن سعد (٥ / ٤٩٧) وتاريخ بغداد، (٩ / ١٧٤) والحلية (٧ / ٢٧٠)، وصفه الصفوة بتحقيقنا (٢ / ١٣٠) والسير (٨ / ٤٥٤) .

(٢) إسناده حسن : أخرجه الطبراني في تفسيره (٩ / ٦٥) وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ كما في (الدر المنثور) (٣ / ٢٣٤) .

(٣) ذو النون المصري رحمه الله .
قال أبو نعيم رحمه الله : « ومنهم العَلَم المضيّ، والحكم المرضي الناطق بالحقائق، الفائق للطرائق له العبارات الوثيقة، والإشارات الدقيقة، نظر فعبر وذكر فازدجر أبو الفيض ذو النون بن إبراهيم المصري رحمه الله»، ثم ذكر شيء من ترجمته، انظر حلية الأولياء (٩ / ٣٣١- ٣٩٥)، وصفة الصفوة لابن الجوزي بتحقيقنا.

(٤) هو الإمام، شيخ الإسلام، سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، قال الذهبي : هو شيخ الإسلام، إمام الحفاظ، سيد العلماء العاملين في زمانه، أبو عبدالله الثوري الكوفي المجتهد، قال أبو عمرو : له ترجمة عاطرة انظرها : الطبقات لابن سعد (٦ / ٣٧١- ٣٧٤) وحلية الأولياء (٦ / ٣٥٦- ٧ / ١٤٤) والسير (٧ / ٢٢٩) .

قلب مؤمن أبدًا » .

وقال الحسن البصري[١]: علم القرآن ذكرٌ، لا يعلمه إلا الذكور من الرجال.

وقال عبد العزيز بن يحيى [٢] : « مثل علم القرآن مثل الأسد لا يمكن من غيله سواه » ./ (٣/ أ

وقال الحسين بن الفضل[٣]: مثل علم القرآن كالعروسِ، تريد البيت حاليًا.

ومِنْ أَغْمضِ عُلومِ القرآنِ عِلمُ أمثالِه ... .

---

(١) هو الإمام الحسن بن أبي الحسن يسار، أبو سعيد، المشهور والمعروف بـ (الحسن البصري) كان سيد أهل زمانه علمًا وعملًا .
انظر ترجمته (الطبقات) لابن سعد (٧ / ١٥٦) و (الزهد) لأحمد بتحقيقنا، والحلية (٢ / ١٣١) و (السير) (٤ / ٥٦٣) .

(٢) الشيخ المعمر مسند بغداد في وقته، أبو نصر عبد العزيز بن يحيى بن المبارك ابن محمد ابن الزبيدي الربعي ثم البغدادي .
ولد سنة ستين وخمس مائة، وتفي في سالم جماد الأولي سنة تسع وأربعين وستمائة .
له ترجمة : (العبر) (٥ / ٢٠٣) و(السير) (٢٣ / ٢٥١) كلاهما للذهبي .

(٣) الحسين بن الفضل بن عمير العلامة المفسر بالإمام اللغوي المحدث أبو علي البجلي الكوفي، ثم النيسابوري عالم عصره، ولد قبل الثمانية ومائة، قال الحاكم : « إمام عصره في معاني القرآن».
قال محمد بن أبي القاسم المذكر سمعت أبي يقول : « لو كان الحسين بن الفضل في بني إسرائيل لكان ممن يذكر في عجائبهم » .
قال محمد بن صالح بن هانئ : توفي الحسين في شعبان سنة اثنتين وثمانين ومائتين، وهو ابن مائة وأربع سنين، وصلى عليه محمد بن النضر الجارودي .
له ترجمة أنظرها : (طبقات المفسرين) (١ / ١٥٦) و(السير) (١٣ / ٤١٤) .

والناسُ في غفلةٍ عَنْه لاشتغالهم بالأمثالِ، وإغفالهم الممثلات [١] .

والمثلُ بلا مُمثلٍ، كالفَرَسِ بلا لِجامٍ، والناقةُ بلا زمامٍ [٢] .

وقد ذكرت أمثال القرآن في التفسير المترجم بمختصر علوم القرآن، غير مقتصٍ وأنا ذاكرها في كتابي هذا بالشرح والبيان والإيضاح والتبيان، بحيث يزولَ عنها الإشكال والإغفال، والله الموفق والمعين .

أصل المَثَلُ في اللغةِ :

قال الخليل بن أحمد [٣] :

« المثل ما يشبه به الشيء ليفهم » .

والعرب تقول : مثلٌ، ومِثل ونظيرهما من الكلام الشِّبهُ والشبَه، والإِثْر والأَثَر، والبدل، والعشقُ والعشَقْ .

قال رُؤبةَ [٤] .....

---

(١) نعم، ولو استمسكوا بكلام الله، وما ضربه في القرآن بالأمثال لوجدوا فيه خيرًا كثيرًا؛ إذ لا يوجد بعد كلام الله ﷻ كلام، ولا بعد وصفه وصف، فهذا كلام ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ﴾ [فصلت : ٤٢]، فكيف بكلام غيره، ولكن أكثر الناس لا يفقهون .

(٢) من قول المصنف : (ومن أغمض علوم القرآن ...) إلى قوله (والناقة بلا زمام) نقله السيوطي في الإتقان (٤ / ٣٨)، وعزاه للمصنف .

(٣) انظر لسان العرب (٨ / ٢٠٠- ٢٠١) والقاموس المحيط (٤ / ٥٥ وما بعدها) .

(٤) البيت في ديوانه (١٠٤) .

ورُؤبة؛ هو : رُؤبة بن العجاج، التميمي الراجز، من أعراب البصرة، وسمع أباه والنسابة البكرى .

وروى عنه يحيى القطان، والنَّضر بن شُميل، وأبو عبيدة وأبو زيد النحوي وطائفة، وكان رأسًا في اللغة، توفي سنة خمس وأربعين ومائة .

وله ترجمة انظرها : (البيان والتبيين) (١/ ٣٧، ٤٠، ٦٨) (٢/ ٩، ١٣، ٩٧)، =

ويَذْكُرُ الحِمار والأُتُن [١] :

فَعَفَّ عن أسْرارِها بعد العَسَقْ ولم يُضعها بين فِـرك وعَشَق

ويقال لصفة الشيء : مُثل ومَثَل .

قال الله تعالى ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [محمد : ١٥]، وقرأ علي بن أبي طالب عليه السلام (أَمثَال الجنَّة) [٢] .

وتسمي العرب نفس الشيء مِثلَهُ [٣]، قال الله جل ذكره ﴿ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ ﴾ [البقرة : ١٣٧]، قال ابن عباس رضي الله عنه : « يعني بما أمنتم به » [٤] .

= و (الشعر والشعراء) (٤٩)، و (المؤتلف والمختلف) (١٧٥)، (معجم الأدباء) (٨/ ١٤٩-١٥١)، و (وفيات الأعيان) (٢/ ٣٠٣)، و (السير) (/ ١٦٢) .

فائدة : قال الإمام الذهبي رحمه الله :

«ورُؤبة بالهمز : قطعة من خشب يُشعب بها الإناء، جمعها رئاب، والرؤبة بالواو : خميرة اللبن، والرؤبة أيضًا : قطعة من الليل » .

(١) قال العلامة منظور : « الأتان : الحمارة والجمع : أُتُنٌ، مثل : عناق وأعنق، وأُتُنٌ وأتن، وأتان: الحمار يقع على الذر والأنثى، والأتان والحمارة الأنثى خاصة »، انظر (لسان العرب) مادة (أتن)

(٢) انظر (المحرر الوجيز) لابن عطية (١٣/ ٣٩٥)، و (الجامع لأحكام القرآن) للقرطبي (١٩/ ٢٥٩) طبعة الرسالة، و(المحتسب) (٢/ ٢٧٠)، و(تأويل مشكل القرآن) (٨٣) .

(٣) انظر (تهذيب اللغة) و(لسان العرب) و(القاموس المحيط) مادة (نفس) .

(٤) قال الطبري رحمه الله : وقد رُوي عن ابن عباس في ذلك قراءة جاءت مصاحف المسلمين بخلافها، وأجمعت قراء القرآن على تركها وذلك ما حدثنا به محمد بن المثني قال ثنا محمد بن جعفر قال : ثنا شعبة عن عن حمزة قال ابن عباس : لا تقولوا : ﴿ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ﴾ [البقرة : ١٣٧]، فإنه ليس لله مثل، ولكن قولوا : ﴿ فإن آمنوا بالذي آمنتم به فقد اهتدوا ﴾، أو قال : ﴿ فإن آمنوا بما آمنتم به ﴾.

فكأن ابن عباس في هذه الرواية إن كانت صحيحة عنه يوجه تأويل قراءة من قرأ : =

وقال جل ذكره ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [الشورى : ١١]، يعني : ليس كهو شيء [١] لأنه لا مثلَ (له .

قال الشاعر) [٢] :

يـا عـــاذلي دعـنـي مـن عذلكا مِثلي لا يقبل مِنْ مِثلِكَ[٣]]

أي : أنا لا أقبل منك، فالمثل : نفس الشيء، والمثل : الصفة والمثل : الشبه، وكذلك المثال .

= ﴿ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ ﴾ فإن آمنوا بمثل الله، وبمثل ما أنزل على إبراهيم وإسماعيل، وذلك إذا صرف إلى هذا الوجه شرك لا شك بالله العظيم، لأنه لا مثل لله تعالى ذكره، فنؤمن أو نكفر به .

ولكن تأويل ذلك على غير المعنى الذي وجه إليه تأويله، وإنما معناه ما وصفنا وهو : فإن صدقوا مثل تصديقكم بما صدقتم به من جميع ما عددنا عليكم من كتب الله وأنبيائه، فقد اهتدوا، فالتشبيه إنما وقع بين التصديقين والإقرارين اللذين هما إيمان هؤلاء وإيمان هؤلاء .

كقول القائل : مر عمرو بأخيك مثلما مررت به، يعني بذلك مر عمرو بأخيك مثل مروري به، فالتمثيل إنما دخل تمثيلًا بين المرورين، لا بين عمرو وبين المتكلم فكذلك قوله ﴿ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ ﴾ إنما وقع التمثيل بين الإيمانين لا بين المؤمن به .

قال أبو عمرو : والأثر لم يصح عن ابن عباس .

في إسناده : عمران بن أبي عطاء الأسدي، أبو حمزة القصاب الواسطي، قال أبو حاتم والنسائي : ليس بالقوي، وضعفه أبو داود، ولخص حاله الحافظ بقوله : صدوق له أو هام .

وهذا كله يرجحه قول الطبري رحمه الله في أثناء الكلام على الأثر : إن كانت صحيحة عنه، وتصدره الأثر بقوله وقد رُوي عن ابن عباس . . .

وهذه عند علماء الحديث لا تقال إلا لما ضعف وليس لما صح .

(١) تقدم الكلام على الآية .

(٢) كتبت بهامش الأصل .

(٣) انظر (تفسير الوسيط) للواحدي (١ / ٥٠٢) .

قال الخليل بن أحمد [١] : المثال : ما يحتذى فيعمل عليه .

وقرأ طلحة بن مصرف [٢] : .....

(١) هو الإمام، صاحب العربية، ومنشئ علم العَروض، أبو عبد الرحمن، الخليل بن أحمد الفراهيدي، البصري، أحد الأعلام، كان رأسًا في لسان العرب، دينًا، ورعًا، قانعًا، متواضعًا، كبير الشأن يقال : إنه دعا الله أن يرزقه علمًا لا يسبقه إليه، ففتح له بالعروض، وله كتاب (العين) في اللغة .

وكان رحمه الله مفرط الذكاء، وهو معدود في الزهاد، كان يقول : إني لأغلق علي بابي، فما يجاوزه همي.

وقال : أكمل ما يكون الإنسان عقلًا وذهنًا عند الأربعين .

وقال أيضًا : لا يعرف الرجل خطأ معلمه حتى يجالس غيره .

قال أيوب بن المتوكل : كان الخليل إذا أفاد إنسانًا شيئًا، لم يره بأنه أفاده، وإن استفاد من أحد شيئًا، أراه بأنه استفاد منه .

قلت الذهبي رحمه الله صار طوائف في زماننا بالعكس .

قلت أبو عمرو عفا الله عنه : وهذا في زمن الذهبي، وقد مُلئ بالعلم والعلماء وكفى بهذا الزمان أن يكون فيه شيوخ الإسلام في الفقه مثل ابن تيمية وفي الحديث مثل المزي وغيره، وفي التاريخ مثل الذهبي وابن كثير، وفي الزهد مثل ابن القيم، وأمثالهم كثير وكثير، فهذا زمان الذهبي، ولا شك أنه يتكلم على عالم يمن بالمعلومة والمسألة .

أما في زماننا فالجاهل يمن بالعلم - لا العالم - فالأمور معكوسة، والناس منكوسة، إلا من رحم ربي والله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله .

عود على بدء : ولد سنة مائة ومات سنة بضع وستين ومائة .

وقيل بقي إلى سنة سبعين ومائة .

انظر ترجمة : (طبقات النحويين) للزبيدي (٤٧- ٥١) و (الكامل) لابن الأثير (٦ / ٥٠) و (السير) (٧ / ٤٢٩) و (البداية والنهاية) (١٠ / ١٦١- ١٦٢) وتهذيب الكمال وتهذيبه وتذهيبه .

(٢) شيخ الإسلام، أبو محمد الباقي الهمداني الكوفي : طلحة بن مصرف بن عمرو بن كعب الإمام الحافظ المقرئ المجود، كان من أئمة القراء، وثقه أئمة الجرح والتعديل .

قال عبدالله بن إدريس : « كانوا يسمونه سيد القراء » .

وقال العجلي : « كان يحرم النبيذ، وكان عثمانيًا يفضل عثمان علي علي، وكان من أقرأ أهل =

(مِثَالِ الجَنَّة) [١] والمِثَال : على ثلاثة أوجه :

المثال الشبه، ومنه قول الوليد بن عبيد [٢] :

مثالك من طيف الغليل المعاود ألَمَّ بِنا من أُفقهِ المتبَاعِدِ [٣]

والمثال : المماثلة، كالجدال، والمجادلة، والقتال والمقاتلة .

والمثال : الفراش، والمثل : جمعٌ [٤]، وفي الحديث في وصف أهل الجنة «يُفْرشُ

= الكوفة وخيارهم»، فعلق الذهبي على هذا بقوله : فهاتان خصلتان عزيزتان في الرجل الكوفي.
له ترجمة في التهذيب والسير وغيرهما .

(١) وعزا صاحب (البحر المحيط) هذه القراءة لعلي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما ، انظر البحر المحيط (٥ / ٣٩٦) .

(٢) هو الشاعر الكبير شاعر الوقت، وصاحب الديوان المشهور، أبو عبادة، الوليد بن عبيد بن يحيى بن عبيد الطائي البُحتري المنبجي، مدح الخلفاء والوزراء وصاحب مصر خُمارويه، عاش نيفًا وسبعين سنة، ونظمه في أعلى الذروة، وقد اجتمع بأبي تمام الطائي، وأراه شعره، فأعجب به، وقال : أنت أمير الشعر بعدي؛ قال : « فسررت بقوله » .
وقال ابن المبرد : « أنشدنا شاعر دهره ونسيج وحده، أبو عبادة البحتري » .
وقيل : سُئل أبو العلاء المعري : من أشعر الثلاثة : أبو تمام، والبحتري، والمتنبي ؟
فقال : « حكيمان، والشاعر : البُحتري » .
مات بمنبج، وقيل بحلب، سنة ثلاثة أو أربع وثمانين ومائتين .
وله أملاك بمنبج، وحفيدان، هما : أبو عُبادة وعبيد الله أبنا يحيى بن البحتري اللذان مدحهما المتنبي، وكانا رئيسين في زمانهما .
قال أبو عمرو: ومنبج : مدينة شمال حلب، بينها وبيت الفرات ثلاثة فراسخ، وبينها وبين حلب عشرة فراسخ، انظر معجم البلدان .
انظر ترجمته: (الأغاني) (٢١ / ٣٩-٥٧) و(تاريخ بغداد) (١٣ / ٤٧٦-٤٨١) و(معجم الأدباء) (٩ / ٢٤٨- ٢٥٨) و (السير) (١٣ / ٤٨٦) و(البداية والنهاية) (١١ / ٧٦) .

(٣) انظر ديوان البحتري (١/ ٢٢٦).

(٤) انظر : (تهذيب اللغة) مادة (مثل) (١٥ / ٧٢) .

لأحدهم سبعون مُثلًا، على كلِّ مثال حوراء تفوق الخلق حُسنًا وجمالا »[١].

والتمثيلِ : التشبيه، قال الشاعر :

مَثْل وقوفَك يوم العَرضِ عُريانًا عَلى الجَليلِ حَزينَ القَلبِ حيرانًا/ (٣/

والتمثيل أيضًا التصوير، قال الوليد بن عُبيد :

فلو كانَ للشكرِ شَخْصٌ يُرى إذا مَـا تـأمَّـلـهُ الـنَّـاظـرُ
لمثلتُه لـكَ حـتـى تـراهُ فتعلَمَ أنِّي امـرءٌ شاكرُ

أي : صورته .

سمعت أبا الحسن عيسى بن زيد العقيلي يقول سمع علي ابن عبدالعزيز بمكة يقول سمعتُ أبا عبيد القاسم بن سلام[٢] :

(١) لم أقف عليه.

(٢) الإمام الحافظ المجتهد ذو الفنون : أبو عبيد، القاسم بن سلام بن عبد الله، كان أبوه مملوكًا روميًا لرجل هروي، مولده : سنة سبع وخمسين ومائة .
صنف التصانيف المونقة التي سارت بها الركبان، قال أحمد بن يوسف : لما عمل أبو عبيد كتاب (غريب الحديث) عُرض على عبد الله بن طاهر، فاستحسنه وقال : إن عقلًا بعث صاحبه على عمل مثل هذا الكتاب لحقيق أن لا يحوج على طلب المعاش، فأجرى له عشرة آلاف درهم في الشهر .
قال أبو عمرو : فواعجبًا من قومنا، قد تركوا أهل العلم وطلابه سُدى هملًا، ألا يتقون الله ! وقد كان سمت الصدر الأول موالاة العلم وأهله وطلبته، والاعتناء بهم، وما قصة عفان بن مسلم شيخ الإمام أحمد منا ببعيد .
أما قومنا فصمٌّ بكمٌ عميٌ إلا من رحم ربي، فأين وصية نبيكم ﷺ، ألا تعلموا أنه أوصى بطلبة العلم، فاسمتعوا إلى صفوان بن عسال المرادي رضي الله عنه فيحكي قائلًا : أتيت النبي ﷺ وهو في المسجد متكئ على بُردٍ له أحمر فقال له : يا رسول الله إني جئت أطلب العلم .
فقال : « مرحبًا بطالب العلم، إن طالب العلم تحفه الملائكة، وتظله بأجنحتها ثم يركب بعضهم بعضًا حتى يبلغوا السماء الدنيا من محبتهم لما يطلب » .
حديث صحيح : أخرجه ابن ماجه (٢٢٦)، وأحمد (٤/ ٢٢٩)، والحاكم (١/ ١٨٠) وقال : صحيح الإسناد .
=

قول : خرج من خُراسان رَجلان أحدهما شَبَّه حتى مَثَّل؛ وهو : مقاتل ابن سليمان[١]، في الأخر حتى عَطل؛ .....

= فأين وصية رسول الله ﷺ أيها الناس ؟!
ومما يفري الكبد ويكدر المشرب ويَهمّ ويَغُمّ ما تراه من تشييد في المساجد الخاوية على عروشها، أو ارتفاع في البنيان، واستعمال أحدث الآلات وإلى الله المشتكى .
لكن أقول : أيها الطالب عليك بالصبر والاحتساب، وليكن دليلك حال نبيك ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم فقد كانوا يطووا، ويأكلوا أوراق الشجر، ويدخل الرجل منهم البيت فلا يجد ما يأكله، فلا يُثنيك هذا عن الطلب، وأعلم أن الحياة الدنيا إنما هي حلم يوشك أن تستيقظ منه، وليكن شعارك ودثارك التعفف والاستغناء عن الناس، واعلم أن الله جل وعلا عليم بعبده إذا أبقاه في موضع فهو خير له، والله الموفق .
قال أبو بكر بن الأنباري: كان أبو عبيد رحمه الله يُقَسِّم الليل ثلاثًا فيُصل ثلثه وينام ثلثه ويصنف الكتب ثلثه.
قال البخاري وغيره : مات سنة أربع وعشرين ومائتين بمكة .
قال الخطيب : وبلغني أنه بلغ سبعًا وستين سنة رحمه الله .
انظر ترجمته : طبقات ابن سعد (٧ / ٣٥٥) (تاريخ بغداد) (١٢ / ٤٠٣- ٤١٦)، (طبقات الحنابلة) (١ / ٢٥٩)، (تاريخ بن عساكر) (٣٥ / ٨٢- ١١٠)، (صفة الصفوة) (٤ / ١٣٠) بتحقيقنا، و (السير) (١٠ / ٤٩٠) .
فائدة نادرة :
كتاب (غريب الحديث) كتاب لم يُنسج على منواله، زكاه أهل العلم ورغبوا فيه وأثنوا عليه، بيد أن العبد لابد له من نقص، حتى لو قل .
عن حماد بن إسحاق بن إبراهيم: قال لي أبو عبيد: عَرضتُ كتابي في الغريب المصنف على أبيك؟
قلت : نعم، وقال لي : فيه تصحيف مائتي حرف .
فقال أبو عبيد : كتاب مثل هذا يكون فيه تصحيف مائتي حرف قليل .
انظر : (الفهرست)، (ص : ١٠٧) .

(١) هو مقاتل بن سليمان البلخي أبو الحسن الأزدي الخرساني صاحب التفسير .
قال أبو حنيفة : أتانا من المشرق رأيان خبيثان جهم معطل ومقاتل مشبه .
وقال محمد بن سماعة عن أبي يوسف عن أبي حنيفة : أفرط جهم في النفي حتى قال أنه ليس بشيء، وأفرط مقاتل في الإثبات حتى جعل الله تعالى مثل خلقه . =

وهو : جهم بن صفوان [١] .

والتمثيل، من المثلة [٢]، وهو : جدع الأنف والأذن، وجَبُّ [٣] المذَاكِر .

= وقال إسحاق بن إبراهيم الحنظلي : أخرجت خراسان ثلاثة لم يكن لهم في الدنيا نظير يعني في البدعة والكذب، هم ومقاتل وعمر بن صبح .

وقال خارجة بن مصعب : كان جهم ومقاتل عندنا فاسقين فاجرين .

قال أبو عمرو : الرجل صاحب بدعة، بل إمامها، ذمه أهل العلم بل كذبوه وكفاه شرًا، نعوذ بالله من الخذلان وقد توسعت في ترجمته أثناء تحقيقي لكتاب «السنة» لعبدالله بن إمامنا أحمد بن حنبل.

انظر ترجمته : طبقات ابن سعد (٧ / ٣٧٣)، و (المجروحين) (٣ / ١٤- ١٦)، و(تهذيب الكمال) و (تهذيبه)، و (تاريخ الإسلام) (٦ / ٣٠٢- ٣٠٧)، و (السير) (٧ / ٢٠١) .

(١) قال الإمام الذهبي رحمه الله :

جهم بن صفوان، أبو محرز الراسبي، مولاهم، السمرقندي، الكاتب المتكلم، أُسُ الضلالة، ورأس الجهمية، كان صاحب ذكاء وجدال، كتب للأمرين سُريج التميمي، وكان ينكر الصفات، وينزه الباري عنها بزعمه، ويقول بخلق القرآن، ويقول : إن الله في الأمكنة كلها .

قال ابن حزم : كان يخالف مقاتلًا في التجسيم .

وكان يقول : الإيمان عقد بالقلب، وإن تلفظ بالكفر .

قيل : إن سلم بن أحوز قتل الجهم، لإنكاره أن الله كلم موسى .

وله ترجمة صفحات سود انظرها : (تاريخ الطبراني) (٧ / ٢٢٠) (٢٢١، ٢٣٦، ٢٣٧) و(الملل والنحل) (١ / ١٩٩- ٢٠٠) و (الفصل) (٤ / ٢٠٤) و(الكامل) لابن الأثير (٥ / ٣١٢- ٣٤٤) و(السير) (٦ / ٢٦- ٢٧) و(السنة لعبد الله بن أحمد-بتحقيقنا) .

(٢) قال العلامة ابن منظور رحمه الله :

مثلت بالحيوان : أَمثُل به مثلًا، إذا قطعت أطرافه وشوهت به، ومثلت بالقتيل : إذا جدعت أنفه وأذنه وشوهت به، ومثلت بالقتيل : إذا جدعت انفه وأذنه أو مذاكيره أو شيئًا من أطرافه.

وللمزيد :

انظر (تهذيب اللغة) المعجم الوسيط، مادة (مثل) .

(٣) جَبَّ : قال أبو منصور الأزهري رحمه الله :

قال الليث : الجبُّ : استئصال السنام من أصله، وبعير أجب . =

ومنه حديث عمران بن حصين : ما قام رسول الله ﷺ فينا خطيبًا إلا أمر بالصدقة، نهي عن المثلة [١] .

= وأنشد :

ونَـأخـذْ بـعـدهُ بـذنـاب عيش أجـبَّ الظهر ليس لـه سَـنَـامُ

انظر : تهذيب اللغة و(لسان العرب)، و(القاموس المحيط) مادة (جَبَّ) .

(١) صحيح :

أما لفظ المصنف فقد أخرجه أحمد (٤ / ٤٢٩) والطيالسي (٨٣٦) والبزار (٣٥٦٦، ٣٥٦٧)، والحاكم (٤ / ٣٠٥) والطبراني (١٨ / ٣٤٥) والبيهقي (١٠ / ٨٠) من طرق عن صالح ابن رستم أبو عامر الخزاز حدثني كثير بن شِنظير عن الحسن عن عمران بن حُصين قال : (الحديث) .

قال البيهقي : لا يصح سماع الحسن من عمران ومع ذلك صحح إسناده الحاكم !!

قال أبو عمرو : وقد نص أئمتنا على ذلك، قال علي بن المديني : سمعت يحيى وقيل له : كان الحسن يقول : سمعت عمران بن حصين؛ فقال : أما عن ثقة فلا .

وقال أيضًا : ولم يسمع أي الحسن البصري من عمران بن حُصين شيئًا، وليس بصحيح، لم يصح عن الحسن عن عمران سماع من وجه صحيح ثبت .

وقال صالح بن إمام أهل السنة والجماعة أحمد بن حنبل رحمه الله : قال أبي : الحسن قال بعضهم حدثني عمران بن حصين .

يعني : إنكارًا عليه أنه لم يسمع عن عمران بن حصين .

وقال ابن أبي حاتم : سمعت أبي يقول : لم يسمع الحسن من عمران، وليس يصح من وجه يثبت .

وقال محمد بن سعيد بن بلج : سمعت عبدلرحمن بن الحكم يقول : سمت جَريرًا يسأل بهزًا عن الحسن: من لقي من أصحاب النبي ﷺ ؟

قال : سمع من ابن عمر حديثًا، ولم يسمع من عمران بن حصين شيئًا .

وقال أبو حاتم : الحسن لا يصح له سماع عن عمران بن حصين، يُدخل قتادة عن الحسن، هياج بن عمران البُرجي، عن عمران بن حصين، وسمرة .

انظر : (العلل) لعلي بن الديني (٨٢- ٨٣)، و(المراسيل) لابن أبي حاتم (٩٢١ ٩)، و(الجرح والتعديل) (٣ / ٤١) و (العلل) لعبد الله بن أحمد بن حنبل . =

وتقول العرب : النُّقْلة (مُثلة)، وبجمع (مَثُلات) [١] وقد قال الله ﷻ : ﴿وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ﴾ [الرعد : ٦]، يعني العقوبات [٢] .

والمثول (القيام) [٣]، وفي الحديث « مَنْ أحب أن يَمْثُل له الرجال صُفوفًا،

= قال أبو عمرو : وهذا ما وقع !! فقد أخرجه أبو داود (٢٦٦٧)، أحمد (٤ / ٤٢٨) والدارمي (١٦٥٦) وعبد الرزاق (١٥٨١٩) ومن طريقه الطبراني (١٨ / ٥٤١) وابن أبي شيبة (٩ / ٤٢٣) من طرق عن قتادة عن الحسن أن هياج بن عمران أتي عمران بن حُصين فقال : إن أبي قد نذر : لئن قدر علي غلامه ليقطعن منه طابقًا، أو ليقطعن يده .

فقال : قل لأبيك يُكفر عن يمينه، ولا يقطع منه طابقًا، فإن رسول الله ﷺ كان يحث في خطبته على الصدقة وينهى عن المثلة .

وإسناده حسن .

هياج بن عمران، قال ابن سعد : كان ثقة قليل الحديث، وذكره ابن حبان في ثقاته .

وفي الباب عن المغيرة بن شعبة، وعبدالله بن يزيد الأنصاري .

نعم !! قد أخرجه أحمد (٤ / ٤٤٠) من طريق المبارك عن الحسن أخبرني عمران بن حصين قال : الحديث، فاسقط هياجًا من الإسناد، وزاد تصريح الحسن بالسماع من عمران .

وهذا إسناد ظاهره الصحة، ولكنه معلول .

المبارك هو : ابن فضالة وهو مدلس وقد عنعن .

(١) قال الأزهري : والعرب تقول : للعقوبة : مَثُله، و مُثْلَة، فمن قال : (مَثُلة) جمعها على : مَثُلات، ومن قال (مُثْلَة) جمعها على : مُثلات، ومُثَلات : ومُثْلات، بإسكان الثاء .

هذا ما وقفت عليه في (تهذيب اللغة) ؟!

أما قول المصنف (النُقلة) فلم أقف عليها، والعبد ملازم له الخطأ والسهو والنسيان، نسال الله السلامة!!

(٢) هذا القول قول قتادة بن دعامة، الإمام المفسر المعروف أخرجه الطبري في (جامع البيان في تأويل القرآن) (١٥ / ١٠٨) .

وقد اعتمد الطبري هذا القول حيث قال في تفسير الآية (والمثلات) العقوبات المنكلات، انظر المصدر السابق .

(٣) انظر (تهذيب اللغة) و (القاموس المحيط) و (لسان العرب) مادة : (مَثَلَ) .

فليتبوأ مقعده من النار [١] » .

صُفوفًا يعني : قيامًا .

قال القُتَيبي : و (الماثل) القائم، و (الماثل) اللاطئ بالأرض [٢] .

---

(١) حديث صحيح :

أخرجه البخاري في (الأدب المفرد) (٩٧٧) وأبو داود (٥٢٢٩) والترمذي بإثر الحديث رقم (٢٧٥٥) وأحمد (٤ / ٩١) وابن أبي شيبة (٨ / ٥٨٦) وعبد بن حميد في (المنتخب) (٤١٣) والطبراني في (الكبير) (١٩/ ٨١٩/ ٨٢١٦) من طرق عن أبي مجلز قال: دخل معاوية على عبدالله بن الزبير وابن عامر قال : فقام ابن عامر ولم يَقُم ابن الزبير، قال : وكان الشيخ أوزنهما.

قال : فقال : مَهْ، قال رسول الله ﷺ : « **من أحب أن يَمْثُل له عباد الله قيامًا، فليتبوأ مقعده من النار** ».

أما لفظ المصنف، فهو عند الطبري في (تهذيب الآثار) (٨٣٨) لكن أخره (وجبت له النار) .

نعم ! قد أُعل الحديث بعلة حسمها الحافظ في (الفتح) (١١ / ٥٠) بقوله : قد اتفقوا على أن ابن الزبير لم يقم، وأما إبدال ابن عامر بابن صفوان فسهل، لاحتمال الجمع بأن يكونا معًا وقع لهما ذلك، ويؤيده الإتيان فيه بصيغة الجمع في رواية مروان بن معاوية المذكورة .

فائدة :

قال الإمام السندي رحمه الله : قوله (أن يمثل) لينصر أي (ينتصب) .

(٢) قال العلامة أبو منصور الأزهري رحمه الله : أبو عبيد عن أبي عمرو (الماثل) : القائم، (والماثل) اللاطئ بالأرض، قال : وسمعته يقول : كان فلان عندنا ثم مثل، أي : ذَهَب .

وقال لبيد في (الماثل) بمعنى القائم المنتصب :

ثـــم أصْـــدرْنـــاهمـــا في وارِدٍ
صـــادرٍ وهْـــمٍ صُـــوَاه كـالمَـثـلْ

أي : انتصب .

انظر : (تهذيب اللغة)، مادة (مثل) .

أما العلامة بن منظور رحمه الله فقد قال : المَاثِلُ : القائم، والماثلُ : اللاطئ بالأرض، بدون عزوه إلى قائله.

انظر (لسان العرب) مادة (مثل) .

قال الشاعر [١] :

..... فمنها مستبين وماثلُ [٢] .

وتماثل فُلانٌ مِنْ مرضهِ : إذا أفاق، والأمثلُ : الأشبَهُ [٣] .

وفي الحديث « أشدُّ النَّاسِ بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل [٤] » .

---

(١) الشاعر هو : زهير بن أبي سلمى .

(٢) البيت في ديوانه وأوله .

تحمَّل منها أهلُها وخَلَتْ لها
دُسومٌ فمنها مُستَبينٌ وماثِلُ

انظر (صنعة ثعلب) (٢٩٣)، وصنعة الأعلم، (٢٦٣) وقد أورده العلامة ابن منظور في (لسان العرب) ونسبه له انظر مادة (مثل) .

(٣) قال العلامة ابن منظور رحمه الله : « شبه، الشِّبْهُ، والشَّبَهُ، والشَّبيهُ، المِثْلُ، والجمع : أشباه، وأشبه الشيء الشيء، ماثله، وفي المثل : من أشبه أباه فما ظلم، وأشبه الرجل أمه، وذلك إذا عجز وضعف » .

انظر (لسان العرب) مادة (شبه) .

(٤) **حديث صحيح :**

أما لفظ المصنف فقد أخرجه الطحاوي في (مشكل الآثار) (٣ / ٦٢) من طريق المنجاب بن الحارث عن شريك عن سماك عن مُصعب بن سعد عن أبيه عن النبي ﷺ قال : « أشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل .

وهذا إسناد ضعيف، لضعف شريك .

والصحيح ما أخرجه : الترمذي (٢٣٩٨) وابن ماجة (٤٠٢٣) وأحمد (١ / ١٨٥) ابن حبان (٢٩٠١) وأبو يعلى (٨٣٠) والبزار (١٤٣٤) والحاكم (١ / ٤١) وعنه البيهقي في (الشعب) (٩٧٧٥) من طرق عن حماد بن زيد حدثنا عاصم بن بهدلة حدثني مُصعب بن سعد عن أبيه قال : قلت : لرسول الله ﷺ : أي الناس أشد بلاء ؟

قال : فقال : الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يُبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان دينه صُلبًا، أشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رِقة، ابتلي على حسبت دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة .

وهذا إسناد حسن؛ من أجل عاصم بن بهدلة، فقد لخص حاله الحافظ بقوله : صدوق، =

وأماثل البلدة : أعيانها وفقؤها [١] .

والطريقة المثلى : المستقيمة [٢]، ومنه قوله ﷻ : ﴿ وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ ﴾ [طه : ٦٣] .

= له أوهام حجة في القراءة وحديثه في الصحيحين مقرون .
وأخرجه أحمد (١ / ١٧٣ - ١٧٤) والطيالسي (٢١٥) والبيهقي في (السنن) (٣ / ٣٧٢) وفي (شعب الإيمان) (٩٧٧٥) عن شعبة عن عاصم بن بهدلة .... به .
وهذا إسناد حسن كذلك من أجل بهدلة .
أخرجه أحمد (٢ / ١٧٢، ١٨٠)، والطيالسي (٢١٥) وابن أبي شيبة (٣ / ٢٣٣) وعبد بن حميد (١٤٦) والدارمي (٢ ٧٨٣) والبزار (١١٥٥) وابن حبان (٢٩٠٠، ٢٩٢١) والحاكم (١ / ٤١) والبيهقي في (السنن) (٣ / ٣٧٢- ٣٧٣) من طرق عن عاصم ... به .
قال أبو عمرو :
فالحديث صحيح، فقد رواه جبال عن عاصم ... به، منهم سفيان الثوري وحماد بن زيد، وهشام الدستوائي ثلاثتهم عن عاصم ... به .
فائدة :
قوله : الأمثل فالأمثل .
قال ابن الأثير في «النهاية» (٤ / ٢٩٦) .
أي : الأشرف فالأشرف، والأعلى فالأعلى في الرتبة والمنزلة .
يقال : هذا أمثل من هذا، أي : أفضل وأدنى إلى الخير .
وأماثلُ الناس : خيارهم .

(١) قال العلامة ابن منظور رحمه الله .
وهو من قولهم : هو أَمْثل قومه، أي : أفضل قومه .
الجوهري : فلان أَمْثل بني فلان، أي : أدناهم للخير، وهؤلاء أماثل القوم أي : خيارهم، انظر (لسان العرب) مادة (مثل) (٨ / ٢٠١) .
وقال الراغب الأصبهاني .
(وأماثل القوم) كناية عن خيارهم، وعلى هذا قوله : ﴿ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴾ [طه : ١٠٤] وقال : ﴿ وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ ﴾ [طه : ٦٣]، أي الأشبه بالفضيلة، وهي : تأنيث الأمثل .

(٢) انظر : تفسير البغوي المسمى بـ (معالم التنزيل) (٣ / ٢٢٣) .

قال الشاعر :

فكم متفرَّغين مُنُـوا بجهل ... جرى بهمُ إلى زَيـغ فَزَاغُوا
وزيـغ بهـم عـن المثلى فَتاهوا ... وأورطهم مع الوَحَل الرَّدّاغُ[1]
فـزلـت فيه أقـدام فصارت ... إلى نـارٍ غَـلي منهاَ الـدماغُ

أنشدنيه أبي، قال: أنشدني أبو محمد القُشاني المؤدب، عن أبي سعيد الضرير.

و(التمثال) الصورة، و (التماثيل) جَمعٌ [2]، قال الله تعالى : ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَـٰرِيبَ وَتَمَـٰثِيلَ... ﴾ [سبأ : ١٣] [3] .

قال :

كَـــأنَّ تماثـيـلَ أرسـاغِـهِ ... رقـابُ وعـولٍ على مَـشْرَبِ

(١) الرَّدَغَةُ : محركة ، وتسكن ، الماء والطين والوحل الشديد ، ج : كصحب وخدم وجبال ومكان ردغ ككتف : كثيرة .
ورَدْغةُ الخبال : ويحرك : عصارة أهل النار ، انظر القاموس (المحيط) مادة (الراء مع الغين).
قال أبو عمرو : ولهذا قد فسر العلماء الحديث الصحيح الذي أخرجه مسلم (٢٠٠٢) وفيه :
«إن على الله عهدًا لمن يشرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال .
قيل يا رسول الله وما طينة الخبال ؟
قال : عرق أهل النار ، أو عصارة أهل النار».
نسأل الله السلامة

(٢) قال العلامة الفيروز أبادي : (التَّمْثيلُ)، وبالكسر : الصورة .
وقال العلامة ابن المنظور : والتمثال : الصورة، والجمع التماثيل، ومثل له الشيء : صورة حتى كأنه ينظر إليه، وامتثله، هو : تصورة .
وقال الراغب الأصبهاني : و(التِّمثال) الشيء المصور .
انظر (القاموس المحيط) و (لسان العرب) و (المفردات) مادة (مثل) .

(٣) عن الضحاك في قوله : وتماثيل : قال : الصور .
أخرجه الطبري في (جامع البيان) (٢٢ / ٧٥) .

أمثـــال القـــرآن [١]

سورة البقرة

قال تعالى: ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: ١٧ - ٢٠].

اختلف أهل التأويل في حكم هذه الآيات، فقال ابن عباسٍ وقتادة والضحاك ومقاتل والسدي والحسن: / إنها في المنافقين [٢]. (٤/

---

(١) تبويب المصنف.

(٢) أما ما ورد عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما.

فقد أخرج الطبري (١ / ٢٠٨) قال: حدثني به محمد بن حميد قال: حدثنا سلمة عن ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: ضرب الله للمنافقين مثلًا فقال: ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴾ [البقرة: ١٧].

أي: يبصرون الحق ويقولون به، حتى إذا خرجوا به من ظلمة الكفر أطفئوه بكفرهم به ونفاقهم فيه فتركهم في ظلمات الكفر فهم لا يبصرون هدى ولا يستقيمون على حق.

وهذا إسناد ضعيف، وإليك بيانه.

محمد بن حميد الرازي، قال فيه البخاري: فيه نظر، وضعفه غيره، بل قد رمي بالكذب.

وثم علة أخرى:

محمد بن إسحاق مدلس، وقد قال (عن).

وعلة ثالثة: محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، مجهول، لم يرو عنه غير محمد بن إسحاق.

وأخرج الطبري قال: حدثنا به المثنى بن إبراهيم قال: حدثنا أبو صالح قال حدثني معاوية بن=

= صالح عن علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس ﷺ ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ إلى آخر الآية.
هذا مثل ضربه الله للمنافقين أنهم كانوا يعتزون بالإسلام فيناكحهم المسلمون ويوارثونهم ويقاسمونهم الفيء، فلما ماتوا سلبهم الله ذلك العز كما سلب صاحب النار ضوءه وتركهم في ظلمات، يقول: في عذاب.

وهذا إسناد ضعيف أيضًا:

علي بن أبي طلحة واسمه: سالم بن المخارق الهاشمي لم يسمع من عبدالله بن عباس ﷺ، بينهما مجاهد، قال ابن حبان: روي عن ابن عباس ولم يره.

ومن ثم، قال الميموني عن أحمد ﷺ: «له أشياء منكرات وهو من أهل حمص».

وأخرج الطبري كذلك عن محمد بن سعد قال حدثني أبي سعد بن محمد قال حدثني عمي عن أبيه عن جده عن ابن عباس ﷺ قوله: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ إلى قوله ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾.

ضرب الله مثلًا للمنافق، وقوله ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ قال: أما النور فهو إيمانهم الذي يتكلمون به وأما الظلمة: فهي ضلالتهم وكفرهم، الذي يتكلمون به وهم قوم كانوا على هدى ثم نزع منهم فعتوا بعد ذلك.

إسناده ضعيف؛ وقد حقق إسناده الشيخ أحمد شاكر ﷺ في تحقيقه «تفسير الطبري»؛ وأنا ناقله كما سطّره:

قال الشيخ أحمد شاكر:

«محمد بن سعد؛ الذي يروى عنه الطبري: هو محمد بن سعد بن محمد بن الحسن بن عطية بن سعد بن جنادة العوفي، من (بني عوف بن سعد) فخذ من (بني عمرو بن عياذ بن يشكر بن بكر بن وائل).

وهو لين في الحديث؛ كما قال الخطيب.

وقال الدارقطني: «لا بأس به».

مات في آخر ربيع الآخر سنة ٢٧٦، ترجمه الخطيب في (تاريخ بغداد) (٥/ ٣٢٢-٣٢٣)، والحافظ في (لسان الميزان) (٥/ ١٧٤).

وهو غير (محمد بن سعد بن منيع) كاتب الواقدي، وصاحب كتاب (الطبقات الكبير)، فهذا أحد الحفاظ الكبار الثقات المتحرين، قديم الوفاة، مات في جمادي الآخرة سنة ٢٣٠.

أبوه: (سعد بن محمد بن الحسن العوفي): ضعيف جدًّا. =

= سُئل عنه الإمام أحمد، فقال: « ذاك جهمي »، ثم لم يره موضعًا للرواية ولو لم يكن، فقال: « لو لم يكن هذا أيضًا لم يكن ممن يستأهل أن يكتب عنه، ولا كان موضعًا لذاك ».

وترجمته عند الخطيب (٩/ ١٣٦-١٢٧)، و (لسان الميزان) (٣/ ١٨-١٩).

عن عمه: أي عم سعد، وهو (الحسين بن الحسن بن عطية العوفي): كان على قضاء بغداد.

قال ابن معين: « كان ضعيفًا في القضاء، ضعيفًا في الحديث ».

وقال ابن سعد في الطبقات: « وقد سمع سماعًا كثيرًا، وكان ضعيفًا في الحديث »، وضعفه أيضًا أبو حاتم والنسائي.

وقال ابن حبان في المجروحين: « منكر الحديث، ولا يجوز الاحتجاج بخبره ».

وكان طويل اللحية جدًّا، روى الخطيب من أخبارها طرائف، مات سنة ٢٠١.

مترجم في (الطبقات) (٧/ ٢/ ٧٤)، و (الجرح والتعديل) (١/ ٢/ ٤٨)، وكتاب (المجروحين) لابن حبان، (رقم: ٢٢٨) (ص: ١٦٧)، و (تاريخ بغداد) (٨/ ٢٩-٣٢)، و (لسان الميزان) (٢/ ٢٧٨).

عن أبيه: وهو (الحسن بن عطية بن سعد العوفي): وهو ضعيف أيضًا.

قال البخاري في الكبير: « ليس بذاك ».

وقال أبو حاتم: « ضعيف الحديث ».

وقال ابن حبان: « يروى عن أبيه، روى عنه ابنه محمد بن الحسن: منكر الحديث؛ فلا أدري: البلية في أحاديثه منه، أو من أبيه، أو منهما معًا؛ لأن أباه ليس بشيء في الحديث، وأكثر روايته عن أبيه، فمن هنا اشتبه أمره، ووجب تركه ».

مترجم في (التاريخ الكبير) (١/ ٢/ ٢٩٩)، وابن أبي حاتم (١/ ٢/ ٢٦)، و (المجروحين) لابن حبان (رقم: ٢١٠) (ص: ١٥٨)، و (التهذيب).

عن جده: وهو (عطية بن سعد بن جنادة العوفي): وهو ضعيف أيضًا، ولكنه مختلف فيه.

فقال ابن سعد: « كان ثقة إن شاء الله، وله أحاديث صالحة، ومن الناس من لا يحتج به ».

وقال أحمد: « هو ضعيف الحديث؛ بلغني أن عطية كان يأتي الكلبي فيأخذ عنه التفسير، وكان الثوري وهشيم يضعفان حديث عطية »، قال: « صالح ».

وقد رجحنا ضعفه في شرح حديث المسند (٣٠١٠)، وشرح حديث الترمذي (٥٥١).

وإنما حسن الترمذي ذاك الحديث لمتابعات، ليس من أجل عطية.

وقد ضعفه النسائي أيضًا في (الضعفاء) (٢٤). =

= وضعفه ابن حبان جدًّا في كتاب (المجروحين)؛ قال : « .. فلا يحل كتابة حديثه إلا على وجه التعجب » (الورقة : ١٧٨) .

وانظر أيضًا : (ابن سعد) (٦/ ٢١٢-٢١٣)، و (الكبير) للبخاري (٤/ ١/ ٨-٩)، و (الصغير) (١٢٦)، وابن أبي حاتم (٣/ ١/ ٣٨٢-٣٨٣)، والتهذيب .

والخبر نقله ابن كثير (١/ ٨٥)، والسيوطي في (الدر المنثور) (١/ ٢٩) وزاد نسبته لابن أبي حاتم، وكذلك صنع الشوكاني (١/ ٢٨) » انتهى كلام الشيخ أحمد شاكر ﷺ .

أما قول قتادة، فقد أخرجه الطبري (١ / ٢٠٩) فقال : حدثني به بشر بن معاذ قال : حدثنا يزيد بن بزيع عن سعيد عن قتادة قوله : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴾ [البقرة : ١٧] .

وإن المنافق تكلم بلا إله إلا الله فأضاءت له في الدنيا فناكح بها المسلمين وعاد بها المسلمين ووارث بها المسلمين وحقن بها دمه وماله .

فلما كان عند الموت سلبها المنافقين؛ لأنه لم يكن لها أصل في قلبه ولا حقيقة في علمه .

إسناد صحيح :

سعيد هو : ابن أبي عروبة .

وأخرج عبدالرزاق في تفسيره (١ / ٣٩) وعنه الطبري وعنه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٤) عن معمر عن قتادة، ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ﴾ هي لا إله إلا الله أضاءت لهم فأكلوا بها وشربوا وأمنوا في الدنيا ونكحوا النساء وحقنوا بها دماءهم حتى إذا ماتوا ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون .

وإسناده صحيح .

وأما قول الضحاك، فقد أخرجه الطبري (١ / ٢٠٩) عن القاسم بن الحسن قال : حدثنا الحسين قال حدثني أبو تميلة عن عبيد بن سليمان عن الضحاك بن مزاحم قوله : ﴿ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ﴾ قال : أما النور فهو إيمانهم الذي يتكلمون به، وأما الظلمات فهي ضلالتهم وكفرهم .

وإسناده صحيح .

وأما قول مقاتل فانظر (تفسيره) (١ / ٢٤) .

وأما قوله السدى، فانظره عند الطبري (٣٨٨) وابن أبي حاتم (١٧٠) .

قوله (فكانت الظلمة نفاقهم) . =

وروي عطاء عن ابن عباس : إنها في اليهود [١] .

وكذلك قال محمد بن كعب ومجاهد في إحدى رواياته، وسعيد بن جبير وريان بن رئاب : أنها في اليهود، وقالوا : « مثلهم في انتظارهم خروج النبي ﷺ كالمستوقد نارًا، فلم خرج كفروا به كما أذهب نور من أضاءت ما حوله [٢] » .

ومن قال : إن حكم الآية في المنافقين، قال : أمنوا بلسانهم فشاركوا المسلمين في أحكامهم، ومشوا أمنين فيما بينهم [٣] .

﴿ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ﴾ [البقرة : ٢٠] تفسيره قوله تعالى في سورة الحج : ﴿ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ

= أما قول الحسن فقد أخرجه ابن أبي حاتم (١٧١) عن الحسن البصري، ﴿ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴾، فذلك حين يموت المنافق، فيظلم عليه عمله عمل السوء فلا يجد له عملًا من خيرٍ عَمِلَ به يُصدق به قول لا إله إلا الله، وإسناده ضعيف .

(١) لم أقف عليه .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله :

والصواب أن هذا إخبارٌ عنهم في حال نفاقهم وكُفرهم، وهذا لا ينفي أنه كان حصل لهم إيمان قبل ذلك ثم سلبوه، وطبع على قلوبهم .

ولم يستحضر ابن جرير رحمه الله هذه الآية ها هنا وهي قوله تعالى ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ [المنافقون : ٣] فلهذا وجه هذا المثل بأنهم استضاءوا بما أظهروه من كلمة الإيمان أي في الدنيا، ثم أعقبهم ظلمات يوم القيامة .

قال : وصح ضرب مثل الجماعة بالواحد، كما قال : ﴿ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ﴾ [الأحزاب : ١٩] أي : كدوران الذي يغشى عليه من الموت .

وقال تعالى : ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ [لقمان : ٢٨]، وقال تعالى : ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ﴾ [الجمعة : ٥] .

عَلَىٰ وَجْهِهِۦ ﴾ [الحج: ١١]، قال ابن عباس ﷺ: هذا مثل ضربه الله تعالى في المنافقين الذين تكلموا بالإيمان فناكحو المسلمين ووارثوهم وقاسموهم الفيء [١].

يقول الله تعالى: ﴿ مَثَلُهُمْ ﴾ أي: شبههم [٢]، ﴿ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ﴾ [البقرة: ١٧]، أي: أبصر ما حوله طفئت نارُه وذَهب بنوره فلم يُبصر ما حوله، فكذلك المنافق لما تكلم بالإيمان مُراءاة الناس كان له نُور يهتدي به كمنزلة المستوقد نارًا يمشي في ضوئها مادامت ناره تَتَّقد، فإذا ترك الإيمان ذهبَ نورُه فصار في ظُلمةٍ، كظلمة من طفيت نارهُ، وذهب نوره، فقام في ظُلمةٍ لا يهتدي الطريق.

وعن ابن عباس ﷺ في رواية أخرى ﴿ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ ﴾ أي في عذاب إذا ماتوا [٣].

قال قتادة [٤]: « هذا مثل في المنافقين » ﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ﴾ (هي)[٥] لا إله إلا الله، أضاءت لهم فأكلوا بها وشربوا، وآمنوا في الدنيا، ونكحوا النساء، وحقنوا دمائهم حتى ماتوا (إذا) [٦] اذهب الله نورهم وتركهم في

---

(١) تقدم تخريجه والكلام عليه أنفًا.

(٢) تقدم ذلك في مقدمة المصنف ﷺ.

(٣) إسناده ضعيف.

أخرجه الطبري في (جامع البيان) (١ / ٢٠٨) وابن المنذر وابن أبي حاتم والصابوني كما في (الدر المنثور) (١ / ٧٢) وإسناده ضعيف تقدم الكلام عليه أنفًا.

(٤) صحيح.

أخرجه الطبري (١ / ٢٠٩) وعبد بن حميد كما في (الدر المنثور) (١ / ٧٢).

(٥) زيادة من جامع البيان للطبري.

(٦) زيادة من (جامع البيان).

ظلمات لا يبصرون .

قال مجاهد : « إضاءة النار إقبالها إلى المسلمين والهدى، وذهاب نورهم إقبالهم إلى الكافرين والضلالة [١] » . قال الكلبي [٢] عن أبي صالح [٣] : ﴿ حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾ [البقرة : ١٧]: فكذلك اليهود وغيرهم من أهل الأديان، إذا تركوا ما أمر الله به وأخذوا بغيره ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات يتحيرون لا يبصرون الهدى [٤] » .

وروي حبان عن الكلبي ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ [البقرة : ١٧] كذلك من عمل بكتاب الله مُراءاة الناس، فهو في نورٍ ما أخذ به فإذا/ (٤/ ترك كان في ظلمةٍ، كمثل مستوقدٍ نارًا، إذا خمدت ناره ذهب نوره، فصار في ظلمة .

---

(١) صحيح .

أخرجه الطبري (١ / ٢٠٩) وابن أبي حاتم في (تفسيره) (١٦١) .

وإسناده صحيح .

(٢) الكلبي هو :

محمد بن السائب بن بشر بن عمرو بن عبدالحارث بن عبدالعزي الكلبي أبو النضر الكوفي النسابة المفسر .

قال معتمر بن سليمان عن أبيه : كان بالكوفة كذابان أحدهما الكلبي .

وقال البخاري : تركه يحيى وابن مهدي، وقال أبو حاتم : الناس مجمعون على ترك حديثه هو ذاهب الحديث لا يشتغل به .

(٣) أما شيخه فهو :

باذام ويقال : باذان أبو صالح مولى أم هانئ بنت أبي طالب، قال ابن أبي خيثمة عن ابن معين : ليس به بأس، وإذا روي عنه الكلبي فليس بشيء .

(٤) إسناده ضعيف .

انظر ما قبله .

قال أبو روق [١] عن الضحاك : « هذا مثل المنافق إذا تكلم بالإيمان كان له نور، وإذا رجع عن إيمانه طفئ نوره، وتركهم الله في الظلمات لا يبصُرون الحق [٢] » .

قال الحُسين بن الفضل [٣] : « إن المنافق لما تكلم بالإيمان، أبصر الحق وعرفه، فذهب الله بنورهم، بعدما أبصروه، وتركهم في ظلمات منافقين لا يبصرون للحق، والظلمة إذا كانت بعد النور كانت أوحش، كذلك الكفر بعد الإيمان ونظيره ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ﴾ [المنافقون : ٣]، ﴿ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم ﴾ [التوبة : ١٢٧] [٤] .

قال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾، يريد أن الذي استوقد نارًا على جبلٍ، أبصرَهُ الخلق حوله، وذلك إن قريظة

---

(١) أبو روق هو :

عطية بن الحارث أبو روق الهمداني الكوفي، قال فيه أحمد والنسائي : « ليس به بأس »، وقال يحيى ابن معين : « صالح »، وذكره ابن سعد في الطبقة الخامسة وقال : « هو صاحب التفسير».

(٢) صحيح .

أخرجه الطبري (١ / ٢٠٨) من طريق عبيد بن سليمان عن الضحاك ... بنحوه .

(٣) الحسين بن الفضل بن عمير العلامة المفسر الإمام اللغوي، المحدث أبو علي البجلي الكوفي، ثم النيسابوري عالم عصره .

قال الحاكم : الحسين بن الفضل بن عمير بن قاسم بن كيسان البجلي المفسر إمام عصره في معاني القرآن، أقدمه ابن طاهر معه نيسابور، وابتاع له دار عزرة، فسكنها، وهذا في سنة سبع عشرة ومائتين، فبقي يعلم الناس ويفتي في تلك الدار إلى أن توفي، ودفن في مقبرة الحسين بن مُعاذ، في سنة اثنتين وثمانية ومائتين، وهو ابن مائة وأربع سنين .

انظر ترجمته : (السير) (١٤ / ٤١٤) ولسان الميزان (٢ / ٣٠٧) وطبقات المفسرين (١ / ١٥٦) و (شذرات الذهب) (٢ / ١٧٨) .

(٤) لم أقف عليه .

والنضير وبني قينقاع قدموا من الشام إلى يثرب، حين انقطعت النبوة من بني إسرائيل، وأفضت إلى العرب، فدخلوا المدينة يشهدون لمحمدٍ ﷺ بالنبوة، وأن أمته خير الأمم، وكان يغشاهم رجل من بني إسرائيل يقال له عبد الله ابن هيبان أبو هيبان قبل أن يوحى إلى رسول الله ﷺ كُلَ سنةٍ فيحضهم على طاعة الله وإقامة التوراة والإنجيل والإيمان بمحمدٍ ﷺ إذا خرج ويقول: لا تفرقوا عنه وانصروه، وقد كنت أطمع أن أدركه ... فمات.

فقبلوا عنه، ثم لما خرج رسول الله ﷺ كفروا به فضرب الله مثلهم فقال ﷻ: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ [البقرة : ١٧].

قال الحسن رحمه الله: «هم المنافقون، أعطوا كلمة التوحيد وأصابوا بها نورًا من نور الإسلام وحقنوا بها دمائهم، وأموالهم، وأخذوا بها الحقوق، فأكلوا وشربوا».

بمنزلة هذا الذي استوقد نارًا فأضاء ما حوله، فلما طفئت النار بقي القوم في ظلمة، وذلك أن نورهم يُطفأ إذا ماتوا وكان النور قائمًا فيما بينهم وبين الله تعالى إذ هم في الدنيا فذهب الله بنورهم وتركهم في ظلماتٍ لا يبصرون.

قال ابن كيسان: « ﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ﴾ [البقرة : ١٧]، يعني: حول المستوقد ».

وقوله ﴿فَلَمَّآ﴾ صلة للكلام يقول: فكذلك المنافق الإيمان، وتسمي به، فأضاء له بذلك نور في الناس، وزين به ظاهره، كما أضاءت النار للمستوقد ما حوله.

ثم قال: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ [البقرة : ١٧] يعني في الآخرة.

قال : ويقال : ذهب الله بالنور الذي أظهروا للنبي ﷺ / والمؤمنين (٥/أ) فذهب ذلك النور من قلوبهم وتركهم في ظلمات الكفر لا يبصرون حجته.

وقرأه العامة : في ظُلُمات بضمتين ولم يصح التخفيف عن الحسن .

قال أبو عبيد [١] عن الفراء [٢] : يقال : ضاء القمر، يَضُوء ضَوءًا، وأضاء يضيء إضاءةً، وهو : الضوَّء والضُّوء [٣] .

قال العباس بن عبدالمطلب للنبي ﷺ : « وأنت لما ظهرت أشرقت الأرض وضاءت بنورك الأفق [٤] » .

---

(١) تقدم الكلام عليه .

(٢) هو العلامة صاحب التصانيف، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبدالله بن منظور الأسدي الكوفي النحوي، صاحب الكسائي .

ورد عن ثعلب أنه قال : لولا الفراء، لما كانت عربية ولسقطت؛ لأنه خلصها، ولأنها كانت تُتنازعُ ويدعيها كلا أحد .

وكان المأمون قد وكل بالفراء ولديه يلقنهما النحو، فأراد القيام، فابتدر إلى نعله، فقدم كل واحد فردةً .

فبلغ ذلك المأمون، فقال : « لن يكبر الرجل عن تواضعه لسلطانه وأبيه ومعلمه » .

قال ثُمامة بن أشرس : رأيت الفراء، ففاتشته عن اللغة، فوجدته بحرًا، وعن النحو فشاهدته نسيج وحده، وعن الفقه فوجدته عَارفًا باختلاف القوم وبالطب خبيرًا، وبأيام العرب والشعر والنجوم، فأعلمت به أمير المؤمنين فطلبه .

مات الفراء بطريق الحج سنة سبع ومائتين، له ثلاث وستون سنة رحمه الله .

انظر ترجمته : (مراتب النحويين) لأبي الطيب اللغوي (٨٦) و (أخبار النحويين البحريين) للسيرافي (٥١) و (وتاريخ بغداد) (١٤ / ١٤٦) و (معجم الأدباء) (٢٠ / ٩) و (السير) (١٠ / ١١٨) .

(٣) انظر (معاني القرآن) (للفراء) (١ / ١٨) .

(٤) انظر : (أدب الكاتب) لابن قتيبة (ص : ١٩٧) نقلًا عن الفراء، وكذلك (روح المعاني) (١/ ١٦٦) تحت آية (٣) من البقرة .

قال السدى : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ [البقرة : ١٧] وذلك أن ناسًا دخلوا في الإسلام فقدم رسول الله ﷺ المدينة، ثم إنهم نافقوا، فكان مثلهم كمثل رجل كان في ظلمة الشرك فأوقد نارًا فأضاءت ما حوله من الأذي فأبصر حتى عَرف ما ينتقى من الأذى، وكذلك المنافق كان في ظلمة الشرك، وعَرف الحلال والحرام والإسلام والخير والشر، فبينما هو كذلك إذ كفر، كأن لا يعرف الحلال من الحرام والخير من الشر [١] .

﴿ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾ [البقرة : ١٧] يعني : الإيمان الذي جاء به محمد ﷺ : ﴿ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴾ [البقرة : ١٧]، قال أبو الحسن [٢] : « ورأيت في بعض التفاسير [٣] : أن الله تعالى ضرب هذه الأمثال للأفعال لا لأعيان الرجال »، وهو كقوله تعالى : ﴿ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ﴾ [الأحزاب:١٩].

﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ [لقمان : ٢٨]، فالمعنى: إلا كبعث نفس واحدة، ولو كان التشبيه للرجال كان مجموعًا كما قال تعالى ﴿ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ﴾ [المنافقون : ٤]، أراد الأجسام .

وقوله تعالى : ﴿ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾ [الحاقة : ٧]، وإنما قال : ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾ [البقرة:١٧] جميعًا لأنه ذهب إلى المنافقين ولو وجد لكان صوابًا[٤].

---

(١) تقدم تخريجه والكلام عليه .

(٢) أي : المصنف رحمه الله .

(٣) انظر (جامع البيان في تأويل القرآن) للطبري (١ / ٢٠٦- ٢٠٧) فقد نقل المصنف عنه بعض فقراته بالنص .

(٤) انظر (معاني القرآن) للفراء (١ / ١٥- ١٦) .

ومثله قوله تعالى: ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴾ [الدخان: ٤٣- ٤٥] قرئ بالتاء والياء [١].

فمن أنث ذهب إلى الشجرة، ومن ذكرها ذهب إلى المهل [٢]، قال القتيبي: الذي ها هنا بمعنى الذين، نظيره ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ﴾ ثم قال ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [الزمر: ٣٣].

قال الشاعر [٣]:

فإن الذي حانت بفلج دماؤهم هُمُ القومُ كلُّ القوم يا أمّ خالدِ [٤]

وقوله تعالى: ﴿ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴾ [البقرة: ١٧] قال: يعني:

---

(١) قال أبو عمرو الداني في: جامع البيان في القراءات السبع (٤ / ١٥٨):

قرأ ابن كثير وابن عامر في رواية التغلبي عن ابن ذكوان وعاصم في رواية حفص: (يغلي في البطون) بالياء .... وهو وهم.

واختلف عن أبي بكر عن عاصم فروي موسى بن إسحاق عن هارون عن حسين عنه والمنذر بن محمد عن هارون عن أبي بكر نفسه (بالتاء).

قال محققه: وجه من قرأ (بالياء)، أي: بياء التذكير، وفاعله يعود إلى الطعام.

وقرأ الباقون: بتاء التأنيث، والضمير للشجرة.

ولا يقرأ لابن عامر برواية التغلبي هذا.

انظر (إتحاف الفضلاء) (٣٨٨) و (الإعراب) للنحاس (٣ / ١١٦) و (الإملاء) للعكبري (٢/ ١٢٤)، (الغيث) للصفاقسي (٣٥٠).

(٢) انظر في تقدم من مصادر.

(٣) الشاعر هو: الأشهب بن رُميلة.

(٤) قال الإمام الطبري متعقبًا.

وقد زعم بعض أهل العربية من أهل البصرة أن ﴿ٱلَّذِى﴾ في قوله ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ بمعنى (الذين).

كما قال جل ثناؤه: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [الزمر: ٣٣].

وكما قال الشاعر: =

ماداموا على هذه الحال غير راجعين ولا تائبين [١] .

والظلمة: الكفر، والنور: الإيمان [٢]، كما قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ [البقرة : ٢٥٧] وفي بدر قول حسان بن

= فإن الذي حانت بفلج دماؤهم هم القوم كل القوم يا أم خالد

قال أبو جعفر : « والقول الأول هو القول لما وصفنا من العلة ، وقد أغفل قائل ذلك فرق ما بين الذي في الآيتين وفي البيت » .

لأن (الذي) في قوله : ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ ﴾ قد جاءت للدلالة على أن معناها الجمع وهو قوله ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ وكذلك الذي البيت وهو قوله : دماؤهم .

وليست هذه الدلالة في قوله : ﴿ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ .

فذلك فرق ما بين ﴿ ٱلَّذِى ﴾ في قوله : ﴿ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ وسائر شواهده التي استشهد بها على أن معنى ﴿ ٱلَّذِى ﴾ في قوله ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ بمعنى الجمع .

وغير جائز لأحد نقل الكلمة التي الأغلب في استعمال العرب على معنى إلى غيره إلا بحجة يجب التسليم لها .

انظر (جامع البيان في تأويل القرآن) (١ / ٧٠٢- ٨٠٢) . .

(١) انظر (تأويل مشكل القرآن) (٣٦١) وكذلك ما تقدم عند الطبري .

(٢) قال الإمام الطبري :

حدثني المثنى قال ثنا إسحاق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ [البقرة : ٢٥٧] .

الظلمات : الكفر، والنور : الإيمان .

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾ [البقرة : ٢٥٧] تخرجهم من الإيمان إلى الكفر .

وهذا إسناد ضعيف .

في إسناده (جويبر) وهو : جويبر بن سعيد الأزدي أبو القاسم البلخي، عداده في الكوفيين، ويقال : اسمه جابر وجويبر لقب .

قال يحيى بن معين : ليس بشيء، وقال عبدالله بن علي بن المديني : سألته - يعني أباه - عن =

ثابت رضي الله عنه [١] . / (٥/ ب

= جويبر فضعفه جدًا .

قال : وسمعت أبي يقول : جويبر أكثر على الضحاك روي عنه أشياء مناكير ابن وقال ابن حبان: يروي عن الضحك أشياء مقلوبة .

قال أبو عمرو :

« بيد أن الإمام الضري قد اعتمد هذا التفسير » فقال :

﴿ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ [البقرة : ٢٥٧] يعني بذلك : يخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان .

وإنما عني بالظلمات في هذا الموضع : الكفر، وإنما جعل الظلمات للكفر مثلًا، لأن الظلمات حاجبة للأبصار عن إدراك الأشياء وإثباتها .

وكذلك الكفر حاجب أبصار القلوب عن إدراك حقائق الإيمان والعلم بصحته وصحة أسبابه.

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ ﴾ [البقرة : ٢٥٧] يعني بالنور : الإيمان على نحو ما بينا، ﴿ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾ ويعني بالظلمات : ظلمات الكفر وشكوكه، الحائلة دون إبصار القلوب ورؤية ضياء الإيمان وحقائق أدلته وسبله .

انظر (جامع البيان) (٣ / ٢٣) .

(١) حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدي بن عمرو بن مالك ابن النجار .

سيد الشعراء المؤمنين، المؤيد بروح القدس، أبو الوليد، ويقال : أبو الحسام، الأنصاري الخزرجي النجاري المدني، ابن الفريعة .

شاعر رسول الله ﷺ وصاحبه .

قال ابن سعد : عاش ستين سنة في الجاهلية، وستين في الإسلام .

وقال ابن سعد عن الواقدي : لم يشهد مع النبي ﷺ مشهدًا، كان يَجْبُن، وأمه الفُريعة بينت خُنيس .

قال ابن إسحاق : سألت سعيد بن عبدالرحمن بن حسان : ابن كم كان حسان وقت الهجرة ؟

قال : ابن سنين سنة، وهاجر رسول الله ابن ثلاث وخمسين .

وقال ابن المسيب : كان حسان في حلقة فيهم أبو هريرة فقال : أنشدك الله يا أبا هريرة، =

فلما أتانا رسول المليك ... بالحق والنور بعد الظلم
ركنا إليه ولم نعصه ... غداة أتانا من أرض الحَرم
وقلنا صدقت رسول الله ... هلم إلينا وفينا أقم
فنشهد أنك عبد المليك ... أرسلت نورًا بدا من قتم [١]

أراد بالنور : الإسلام، وبالظلم : الجهالات والكفر .

وقال كعب بن زهير [٢] :

إن الرسول لنور يستضاء به ... وصارم من سيوف الله مسلول [٣]

[وقال ورقة بن نوفل [٤] .....

= هل سمعت رسول الله ﷺ يقول : أجب عني، أيدك الله بروح القدس .
فقال : اللهم نعم .
حديث صحيح أخرجه البخاري (٦ / ٢٢١) ومسلم (٢٤٨٥) .
وعن البراء أن رسول الله ﷺ قال لحسان : « **اهجهم وهاجمهم وجبريل معك** » .
حديث صحيح أخرجه البخاري (٦ / ٢٢١) ومسلم (٢٤٨٦) .
قال ابن إسحاق : توفي حسان رضي الله عنه سنة أربع وخمسين، وقال ابن سعد توفي زمن معاوية .
وللمزيد راجع : (السيرة) لابن هشام (٢ / ٢٢٨) و (التاريخ) لابن معين (١٠٧) و (الأغاني) (٤ / ١٣٤ - ١٦٩) وتاريخ الإسلام (٢ / ٢٧٧) والاستيعاب (١ / ٢٤١) و (أسد الغابة) (٢ / ٥) و (السير) (٢ / ٥١٢) .

(١) انظر ديوان حسان بن ثابت رضي الله عنه (١ / ٨٥) الأبيات (١٢ - ٤٢) .

(٢) هو : كعب بن زهير .

(٣) البيت في ديوانه ، انظر (شرح ديوان كعب بن زهير) (٣٢) وفيه (مهندٌ) بدلاً من (صارمٌ)

(٤) هو : ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشي الأسدي ابن عم خديجة زوج النبي ﷺ، ذكره الطبري والبغوي وابن قانع وابن السكن وغيرهم في الصحابة .
وأوردوا كلهم من طريق : روح بن مسافر - أحد الضعفاء - عن الأعمش عن عبد الله بن عبد الله عن سعيد بن جُبير عن ابن عباس عن ورقة بن نوفل قال : قلت : يا محمد، كيف يأتيك الذي يأتيك ؟ =

= قال : يأتيني من السماء جناحاه لؤلؤ، وباطن قدميه أخضر .

إسناده ضعيف .

أخرجه الطبراني في (الكبير) (٢٢ / ١٥٣) وفي (الأوسط) (٣١٤) مجمع البحرين، قال الهيثمي في (المجمع) (٨ / ٢٥٦): شيخه أي الطبراني المقداد بن داود ضعيف، ومن ثم ما ذكره الحافظ كما أوردته أنفًا .

قال ابن عساكر، لم يسمع ابن عباس من ورقة ولا أعرف أحدًا قال : إنه أسلم .

انظر (مختصر تاريخ دمشق) (٢٦ / ٢٧١) .

وقال الحافظ : وفي إثبات الصحبة له نظر، ثم ذكر الحافظ فقال : لكن في زيادات المغازي، من رواية يونس بن بكير، عن ابن إسحاق ..... عن أبي ميسرة، واسمه عمرو بن شرحبيل وهو من كبار التابعين أن رسول الله ﷺ قال لخديجة رضي الله عنها : « **إذا خلوت وحدي سمعت نداءً، فقد والله خشيت على نفسي** » .

فقالت : معاذ الله، ما كان الله ليفعل بك، فوالله إنك لتؤدي الأمانة ... الحديث .

فقال ورقة : أبشر ثم أبشر؛ فأنا أشهد أنك الذي بشر به ابن مريم وأنك على مثل ناموس موسى، وأنك نبي مرسل، وأنك سوف تؤمر بالجهاد بعد يومك هذا، وإن يدركني ذلك لأجاهدن معك .

فلما توفي قال رسول الله ﷺ «**لقد رأيت القس في الجنة، عليه ثياب الحرير، لأنه آمن بي وصدقني**».

حديث ضعيف .

أخرجه البيهقي في (الدلائل) (٢ / ١٥٨) وقال : فهذا منقطع، فإن كان محفوظًا فيحتمل أن يكون خبرًا عن نزولها بعد ما نزلت عليه ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾ و ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾، والله أعلم .

وأورده ابن كثير في (البداية والنهاية) (٣ / ٩) وقال : هذا لفظ البيهقي، وهو مرسل، وفيه غرابة وهو : كون الفاتحة أول ما نزل .

وقد أخرجه البيهقي في (الدلائل) من هذا الوجه، وقال : هذا منقطع .

ثم علق الحافظ ابن كثير قائلًا : « وقد قدمنا من شعره ما يدل على إضماره الإيمان، وعَقْدِه عليه، وتأكده عنده، وذلك : حين أخبرته خديجة ما كان من أمره مع غلامها ميسرة، وكيف كانت العمامة في هجير القيظ، فقال ورقة في ذلك أشعارًا قد مناها قبل هذا » .

قال أبو عمرو : فتحير فؤادي، وشرد ذهني، ووقفت حائرًا، لا أدري أيهما الأصح =

في النبي ﷺ]:[1]

ويظهر في البلاد ضياء نور ... يقيم به البرية أن تموجا
فيلقى من يحاربه خسارًا ... ويلقى من يسالمه فلوجًا [2]

والنار والنور : واحد، إلا أنهم فرقوا بينهما فجعلوا النار للوضوء مع الحرارة، وجعلوا النور للضوء الخالص .

= وكنت أسأل نفسي الفينة بعد الفينة، لو أقف على كلام لشيخنا العلامة الألباني رحمه الله يشفي غليلي، لا سيما وقد سمعت شيخنا العلامة الحويني حفظه الله يذكره على المنبر، ثم قال : عليه الرحمة، لكن ليس عندي ما أتكأ عليه!.

حتى وقفت على حديث عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال : « لا تسبوا ورقة فإني رأيت له جنة أو جنتين » .

حديث صحيح : أخرجه الحاكم (٢ / ٦٠٩) وقال : صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي وشيخنا العلامة الألباني رحمه الله كما في (الصحيحة) (٤٠٥) .

قال الحافظ العراقي : هذا شاهد لما ذهب إليه جمع من أن ورقة أسلم عند ابتداء الوحي .

ويؤيده خبر البزار وغيره عن جابر أن النبي ﷺ سُئل عنه فقال : أبصرته في بطنان الجنة على سندس .

قال أبو عمرو: إسناده ضعيف .

أخرجه أبو يعلى الموصلي في (مسنده) (٢٠٤٧) وفي إسناده مجالد بن سعيد ضعيف .

قال : والظاهر أنه لم يكن متمسكًا بالمبدل من النصرانية، بل بالصحيح منها الذي هو الحق .

انظر (فيض القدير) (٦ / ٥٢٢) .

وللمزيد انظر ترجمته : انظر (الإنابة على معرفة المختلف فيهم من الصحابة) لمغلطاي (٢ / ٢٣٦) و (أسد الغابة) لابن الأثير (٥ / ٣٩٣- ٣٩٥) و (تجريد أسماء الصحابة) (٢ / ١٢٨) و (البداية والنهاية) (٣ / ٩) و (الإصابة في تمييز الصحابة) (٥ / ٤٤٦- ٤٤٩)

(١) كتبت بهامش النسخة (أ) .

(٢) انظر (السيرة) لابن هشام (١/ ٣٠٢) ، و (السيرة النبوية) لابن كثير (١/ ٨٦٢ ، ٩٩٣) و(البداية والنهاية) (٣/ ٩) .

والظلمات : تكون بمعنى : الأهوال [١]، كما قال تعالى : ﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ [الأنعام : ٦٣] [٢] .

وتكون بمعنى : الكفر والشرك [٣]، وبيانه قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ [البقرة : ٢٥٧] [٤] وتكون بمعنى: سواد الليل، بيانه قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ﴾ [الأنعام : ١] [٥] على وجوه [٦] :

يكون بمعنى : الإيمان [٧]، بيانه ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ ﴾ [التوبة : ٣٢]، ويكون بمعنى : الهدى، بيانه : ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾ [النور : ٣٥] يعني :

---

(١) قال ابن منظور : ظُلمات البحر (شدائده) انظر (لسان العرب) (٦ / ٢٧) مادة (ظلم)، و (الأشباه والنظائر) (١١٦-١١٧) .

(٢) أخرج الطبري (٧ / ٢٣٠) وعبد الله حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ كما في (الدر المنثور) (٣ / ٣١) عن قتادة قال : من كرب البر والبحر .

(٣) قال المصنف في (تفسيره) ﴿ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ [البقرة : ٢٥٧] فيه وجهان : أحدهما : من ظلمات الضلالة إلى نور الهدى، انظر (النكت والعيون) (١ / ٢٦٢) .

(٤) أخرجه الطبري (٣ / ٢٤) عن الضحاك قال : الظلمات : الكفر، والنور : الإيمان، وإسناده ضعيف كما بيناه من قبل .
وأخرج أبو الشيخ كما في (الدر المنثور) عن ابن عباس، قال : الكفر والإيمان .

(٥) أخرج الطبري (٧ / ١٥٤) عن السُّدي في قوله : ﴿ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ﴾ [الأنعام : ١] قال: الظلمات : ظلمة الليل، والنور، نور النهار .

(٦) انظر (الأشباه والنظائر) لمقاتل (٣٠٣- ٣٠٥) .

(٧) أخرج ابن أبي حاتم كما في (الدر المنثور) والطبري (١٠ ١٢٢) عن السدي ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ ﴾ [التوبة : ٣٢] يقول : يريدون أن يطفئوا الإسلام بكلامهم .
تنبيه : لم يعز السيوطي للطبري فليستدرك .

هادي أهل السموات والأرض[١] .

ويكون بمعنى : الضوء، بيانه ﴿ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ﴾ [الأنعام : ١][٢] ويكون بمعنى : الحلال والحرام، والأحكام، بيانه ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾ [المائدة : ٤٤] ويكون بمعنى القرآن، بيانه ﴿ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف : ١٥٧][٣]، وقوله : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾ [النساء : ١٧٤][٤] .

(١) أخرج ابن مردويه كما في (الدر المنثور) والطبري (١٨ / ١٤٤) عن ابن عباس قوله : ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [النور : ٣٥] يقول الله سبحانه هادي أهل السماوات والأرض .
وإسناده ضعيف منقطع
علي بن أبي طلحة لم يسمع من أبن عباس كما تقدم .
تنبيه : لم يعزو السيوطي للطبري فليستدرك .

(٢) قال السدي : النور : نور النهار .
انظر تفسير الطبري (٧ / ١٥٤) وقد ذكر المصنف في (النكت والعيون) (٢ / ٩٢) فقال : والمراد بالظلمات والنور هنا ثلاثة أوجه :
أحدها : وهو المشهور من قول قتادة، قدم الظلمات على النور لأنه قدم خلق الظلمة على خلق النور، وجمع الظلمات ووحد النور لأن الظلمات أعم من النور .
والثاني : أن الظلمات : الليل، والنور : النهار .
والثالث : أن الظلمات : الكفر، والنور : الإيمان، قاله السدي .

(٣) قال المصنف في (النكت والعيون) (٢ / ٢٦٩) : ﴿ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ﴾ [الأعراف: ١٥٧] يعني القرآن .
وقال الطبري : يعني القرآن والإسلام، انظر (جامع البيان) (٩ / ٩٣) .

(٤) قال المصنف في (النكت والعيون) (١ / ٥٤٧) : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾ [النساء: ١٧٤] يعني : القرآن، سُمي نورًا : لأنه يظهر به الحق، كما تظهر المرئيات بالنور .
وقال قتادة : وهو هذا القرآن .
وقال الطبري : وذلك النور المبين هو القرآن الذي أنزله الله على محمد ﷺ، انظر (جامع البيان) (٦ / ٤٢) .

قال الأخفش : [١] « ﴿ ٱسْتَوْقَدَ ﴾ بمعنى أوقد، كما يقال : أجاب واستجاب» وأنشد :

وداع دعايا من يجيب إلى الندى فلم يستجبه عند ذاك مجيب [٢]

أي لم يجبه .

وقوله : ﴿ فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ﴾ [البقرة : ١٧] انتصب (حوله) على الظرف ﴿ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴾ [البقرة : ١٧] جعلها جميعًا لأن الذي في معنى الجمع كما يكون الإنسان في معنى الناس، بيانه قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴾ [العصر : ٢] [٣] .

وقوله ﴿ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ [البقرة : ١٨] .

قال ابن عباس رضي الله عنه : ﴿ صُمٌّۢ ﴾ لا يسمعون الخير ولا يعقلونه، ﴿ بُكْمٌ ﴾ خُرس لا يتكلمون بخير، ﴿ عُمْىٌ ﴾ لا يبصرون الهدى حين ذهب الله بنورهم ﴿ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ [٤] الهدى [٥] .

قال قتادة : ﴿ صُمٌّۢ ﴾ عن الحق فلا يسمعون / ، ﴿ بُكْمٌ ﴾ عن الحق فلا (٦/أ) ينطقون به ﴿ عُمْىٌ ﴾ عن الحق فلا يبصرونه، يقول الله : ﴿ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾

---

(١) انظر معاني القرآن له (١ / ٥٣) .

(٢) الأبيات لكعب بن سعيد الغنوي ، انظر (معاني القرآن) للأخفش (١ / ٣٥) و (جامع البيان) للطبري (١ / ٠٢٣) و (مجاز القرآن) لأبي عبيدة (١ / ٧٦).

(٣) انظر (معاني القرآن) للأخفش (١ / ٥٤) .

(٤) في النسخة (أ) (يبصرون) وهذا تصحيف بين .

(٥) إسناده ضعيف

أخرجه الطبري في (جامع البيان) (١ / ٢١٣) وابن المنذر وابن أبي حاتم والصابوني في (المائتين) كما في (الدر المنثور) بإسناد ضعيف، علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنه ، منقطع كما تقدم

أي : لا يتوبون ولا يذكرون [١] .

قال السدي : لا يرجعون إلى الإسلام [٢] .

قال الحسن : يقول ﴿ صُمٌّ ﴾ عن هذا الحديث فلا يعقلونه ﴿ بُكْمٌ ﴾ فيه فلا ينطقون بحجته، ﴿ عُمْيٌ ﴾ عنه فلا يبصرونه لأنهم عنه معرضون [٣] .

قال ابن كيسان : ﴿ صُمٌّ ﴾ عما جاء به محمد ﷺ بُغضًا له، ﴿ بُكْمٌ ﴾ لا ينطقون بحجته، ﴿ عُمْيٌ ﴾ لا يبصرون بيانه [٤] .

قال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنه ﴿ صُمٌّ ﴾ لا يسمعون القرآن، ﴿ بُكْمٌ ﴾ لا يشهدون أن محمدًا ﷺ رسول الله .

﴿ عُمْيٌ ﴾ عن الهدى فهم لا يرجعون، يريد لا يعقلون الذي يجدونه في التوراة في صفته [٥] .

قرأ ابن السميفع : ﴿ فلما أضاءت أذهب الله نورهم وتركهم في ظلمة لا يبصرون، صمًا بكمًا عميًا ﴾ [٦] .

(١) إسناد صحيح .

أخرجه الطبري (١ / ٢١٣) أورده المصنف في (النكت والعيون) (١ / ٨١) عن قتادة كذلك .

(٢) أخرج الطبري (١ / ٢١٣) بإسناده عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وأبي صالح عن ابن عباس، وعن مُرة وعن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ ﴿ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ إلى الإسلام .

(٣) لم أقف على من أخرجه .

(٤) لم أقف على من أخرجه .

(٥) انظر ما قبله .

(٦) هذه القراءة قرأ بها : عبد الله بن مسعود، وحفصة أم المؤمنين رضي الله عنها، انظر (إعراب القرآن) للنحاس (١ / ١٩٣- ١٩٤)، و (المحرر الوجيز) لابن عطية (١ / ١٨٧)، و (القراءات الشاذة) لابن خالويه (ص٢- ٣) .

=

قال أبو الحسن رحمه الله : « من رفع الصُم والبكم أضمر له مرافعًا، ومن نصبه جعله حالًا، قال المؤرج : « ﴿ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴾ تم الكلام».

ثم استأنف فقال : ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ ﴾ .

= قال الإمام أبو عبد الله القرطبي رحمه الله :

« فيجوز النصب على الذم »، كما قال تعالى : ﴿ مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ ﴾ [الأحزاب : ٦١] وكما قال : ﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴾ [المسد : ٤] .

وكما قال الشاعر :

سَـــقَـــوْني الخـمـرَ ثـم تـكـنَّـفـوني
عُـــداةَ الله مـــن كَـــذبٍ وزور

فنصب عُداةَ الله على الذم .

فالوقف على يُبصرون على هذا المذهب صوابٌ حسن .

والبيت لعروة بن الورد، وهو في ديوانه (ق ٥٨) وفيه (النسء) بدل (الخمر) وهو شراب بمعنى الخمر في إزالته للعقل .

ويجوز أن ينصب صُماً بـ ﴿ وَتَرَكَهُمْ ﴾ كأنه قال : « وتركهم صُمًا بكمًا عُميًا »، فعلى هذا المذهب لا يحسنُ الوقف على يبصرون .

انظر (الجامع لأحكام القرآن) (١ / ٣٢٣) .

وقال الإمام محمد بن جرير الطبري رحمه الله : « وأما النصب فقد يجوز فيه من وجهين :

أحدهما : الذم، والآخر : القطع من الهاء والميم اللتين في ﴿ وَتَرَكَهُمْ ﴾ أو من ذكرهم في ﴿لَّا يُبْصِرُونَ ﴾.

والقراءة التي هي القراءة الرفع دون النصب، لأنه ليس لأحد خلاف رسوم مصاحف المسلمين.

وإذا قرء نصبًا كنت قراءة مخالفة رسم مصاحفهم .

انظر (جامع البيان) (١ / ٢١٢) .

أنشد للنابغة [١] :

تـــوهمـــت أيـــــاتٍ لهـــا فـعـرفـتـهـا
لستة أعـــوامٍ وذا الـعـامُ سابعُ [٢]

ثم انقطع النصب واستأنف فقال :

رمـــادٌ ككحل الـعـين مـا إن تُبينه
ونؤي كجذم الحوض اثلم خاشعُ [٣]

قال المبرد [٤] : ﴿ صُمٌّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ ﴾ مستأنف، نظيره ﴿ جَزَآءٗ مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً

---

(١) النابغة هو : زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الغطفاني المعزي، أبو أمامة، شاعر جاهلي معروف، من الطبقة الأولى من أهل الحجاز .

كانت تضرب له قبة من جلد أحمر بسوق عكاظ، فتقصده الشعراء، فتعرض عليه أشعارها .

وكان الأعمش وحسان والخنساء ممن يعرض شعره على النابغة .

وكان أحد الأشراف في الجاهلية، وكان حظيًا عند النعمان بن المنذر، حتى شبب في قصيدة له بالمتجردة (زوجة النعمان) فغضب النعمان، ففر النابغة ووفد علي الغسانيين بالشام، وغاب زمنًا، ثم رضي عنه النعمان، فعاد إليه، وشعره كثير، وكان أحسن شعراء العرب ديباجة، لا تكلف في شعره ولا حشو، عاش عمرًا طويلًا وتوفي سنة (١٨ ق هـ) الموافق (٦٠٤ م) .

قال السمعاني رحمه الله : وسمي النابغة بقوله :

وحـلـت في بـنـي الـقـين بـن جسر
فـقـد نـبـغـت لـنـا مـنـهـم شـئـون

انظر (نهاية الأدب) (٣ / ٥٩) و (الشعر والشعراء) (٣٨) و (الأعلام) (٣ / ٥٤) .

(٢) انظر (ديوانه) (٣٠) .

(٣) انظر (مجاز القرآن) لأبي عبيدة (١ / ٣٣) . .

(٤) المُبرد هو : محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي، البصري، النحوي، الأخباري، صاحب (الكامل) أبو العباس، إمام النحو .

كان إمامًا، علامة، جميلًا، وسيمًا، فصيحًا، مفوهًا، موثقًا، صاحب نوادر وطرف، كان آية في النحو .

قال إسماعيل القاضي : ما رأي المبرد مثل نفسه . =

حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴾ [النبأ : ٣٦ - ٣٧].

على قراءة من رفع (ربُّ) .

ومثله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة : ١١١] ثم قال ﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ

= وأما عن سبب لقبه، والسر في ذلك؛ حكي الإمام الذهبي ﷺ عن المازني أنه أعجبه جوابه، فقال له : قم فأنت المبرد، أي : المثبت للحق، ثم غلب عليه .

وحكي ابن خلكان في (الوفيات) عن ابن الجوزي في (الألقاب) أنه قال : سُئل المبرد : لم لقبت بهذا اللقب ؟

فقال : كان سبب ذلك أن صاحب الشرطة طلبني للمنادمة والمذاكرة، فكرهت الذهاب إليه.

فدخلت إلى أبي حاتم السجستاني، فجاء رسول الوالي يطلبني، فقال لى أبو حاتم : ادخل في هذا يعني : غلاف مزملة فارغًا فدخلت فيه، وغطى رأسه .

ثم خرج إلى الرسول، وقال : « ليس هو عندي » !!

فقال : أخبرت أنه دخل إليك !

فقال : ادخل الدار وفتشها، فدخل، فطاف كل موضع في الدار، ولم يفطن لغلاف المزملة، ثم خرج .

فجعل أبو حاتم يصفق وينادي على المُزملة : المبرد المبرد، وتسامع الناس بذلك، فلهجوا به . اهـ

والمُزملة : بضم الميم، وفتح الزاي، والميم المشددة، جرة خضراء يبرد فيها الماء .

وللمزيد انظر : (طبقات النحويين واللغويين) (١٠١- ١١٠)، و (تاريخ بغداد) (٣ / ٣٨٠- ٣٨٧)، و (معجم الأدباء) (١٩ / ١١١- ١٢٢)، و(السير) (٣ / ٥٧٦- ٥٧٧).

وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة : ١١٢] .

والنصب من وجهين إن شئت على معنى : تركهم صمًا بكمًا، وإن شئت على الذم، نحو قوله : ﴿ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ ﴾ [الأحزاب : ٦١] .

ومن أهل المعاني من يريد التصام عن الحق، والتباكي والتعامي عنه .

قال : وذلك وجود في كلام العرب، قال قعنب بن أم صاحب [١] يذم قومًا:

إن يسمعوا ريبةً طاروا بها فرحًا
مني [٢] وما سمعوا من صالح دفنوا
صمًا [٣] إذا سمعوا خيرًا ذكرتُ به
وإن ذكرت بسوء عندهم أذنوا [٤]

وقال مسكين بن عارم الدارمي [٥] :

---

(١) هو قعنب بن ضمرة، من بني عبد الله بن غطفان، من شعراء العصر الأموي، يقال له : ابن أم صاحب، كان في أيام الوليد بن عبد الملك، وله هجاء فيه .
من شعره الأبيات التي أولها :
إن يسمعوا ريبة طاروا بها فرحًا
مني وما سمعوا من صالح دفنوا
انظر (سمط اللآلئ) (٣٦٢) والتبريزي (٤ / ١٢) (ونوادر المخطوطات) (١ / ٩٢) .

(٢) في ديوان الحماسة (عني) . .

(٣) في ديوان الحماسة (صُمٌّ) بالرفع .

(٤) انظر (ديوان الحماسة) ، وانظر : (المحرر الوجيز) سورة (التوبة) و (الانشقاق) . .

(٥) هو : ربيعة بن عامر، يلقب بـ (المسكين)، ودارم : بطن من تميم، كان شاعرًا مجيدًا سيدًا شريفًا، وكانت بينه وبين الفرزدق مهاجاة ثم تكافا، توفي سنة ٨٩ هـ .
انظر (معجم الأدباء) (١١ / ١٢٦) .

مَا ضَرّ لي جَارًا أُجَاوِرُهُ
ألا يَكونَ لِبَابِهِ سِترُ
نَاري ونَارُ الجَارِ واحِدةٌ
وإليهِ قَبلِي تُتْرَكُ القِدْرُ
أَعمى إذا ما جَارتي بَرَزَتْ
حتى يُوَارِي جَارتي خِدْرُ
وتَصَمُّ عَما كَانَ بَينَهما
أُذُنِي، وما في سمعها وَقْرُ [1]

وقوله تعالى: ﴿ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ [البقرة: ١٨] القراءة بفتح الياء وكسر الجيم في هذه الآية [2]، وكل رجوع لازم / من فعل العباد. (٦/

والياء فيه أبدًا مفتوحة، والجيم مكسورة نحو قوله تعالى في آل عمران. ﴿ وَاكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٢]، وفي الأعراف ﴿ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الأعراف: ١٦٨]، وفي طه ﴿ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴾ [طه: ٩١]، وفي الزخرف ﴿ وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الزخرف: ٤٨] [3]، وكل ما كان بخلاف ذلك، أو على

---

(١) انظر (الشعر والشعراء) (١ / ٥٤٥) و (أمالي المرتضى) (١ / ٤٤) و (خزانة الأدب) (٣ / ٢٧) و(معجم الأدباء) (١١ / ٢٣) و (الأغاني) (٢٠، ٤١).
وقد ذكر البغدادي في (خزانة الأدب) أنهم اختلفوا في نسبة الشعر وإلى قائله

(٢) انظر (البدور الزاهرة) (٢٣).

(٣) قال إمام المفسرين محمد بن جرير الطبري رحمه الله:
وقوله: ﴿ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ [البقرة: ١٨] إخبار من الله جل ثناؤه عن هؤلاء المنافقين الذين بعثهم الله باشترائهم الضلالة بالهدى، وصممهم عن سماع الخير والحق، وبكهم عن القيل بهما، وعماهم عن إبصارهم أنهم لا يرجعون إلى الإقلاع عن ضلالتهم ولا ثيوبون على الإنابة من نفاقهم، فأيس المؤمنين من أن يبصر هؤلاء رشدًا، ويقولوا حقًا، أو يسمعوا داعيًا إلى =

مجاز تضطرون أو تصرفون فالقراءة فيها ﴿ يَرْجِعُونَ ﴾ بضم الياء ورفع الجيم نحو قوله ﷻ في البقرة : ﴿ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [البقرة : ٢٨١]، وفي الأنعام ﴿ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ [الأنعام : ٣٦]، وفي يونس ﴿ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [يونس : ٥٦]، وفي القصص ﴿ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [القصص : ٨٨] .

قِسْ على هذا ما ورد عليك من هذا الباب .

قال الحسن بن يحيى بن نصر [1]، صاحب كتاب (النظم)، في قوله

= الهدى، أو أن يذكروا فيتوبوا من ضلالتهم، كما أيس من توبة كفار أهل الكتاب والمشركين وأحبارهم الذي وصفهم بأنه قد ختم على قلوبهم وعلى سمعهم وغشي على أبصارهم، وبمثل الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل .

وأورد عن قتادة قوله ﴿ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ : أي لا يتوبون ولا يذكرون .

وقولًا آخر عن أبي مالك وأبي صالح وابن عباس ومُرة وابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ ﴿ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ إلى الإسلام .

وقد روي عن ابن عباس قول يخالف معناه معنى هذا الخبر وهو ... ﴿ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ أي : فلا يرجعون إلى الهدى ولا إلى خير فلا يصيبون نجاة ما كانوا على ما هم عليه .

وقال ﷺ : وهذا تأويل ظاهر التلاوة بخلافه، وذلك أن الله جل ثناؤه أخبر عن القوم أنهم لا يرجعون عن اشترائهم الضلالة بالهدى إلى ابتغاء الهدى وإبصار الحق من غير حصر منه جل ذكره ذلك من حالهم على وقت دون وقت وحال دون حال .

وهذا الخبر الذي ذكرناه عن ابن عباس رضي الله عنهما ينبئ عن أن ذلك من صفتهم محصور على وقت وهو ما كانوا على أمرهم مقيمين، وأن لهم السبيل إلى الرجوع عنه، وذلك من التأويل دعوى باطلة لا دلالة عليها من ظاهر ولا من خبر تقوم بمثله الحجة فيسلم لها .

انظر (جامع البيان) (١ / ٢١٣- ٢١٤) .

(١) أبو الحسن يحيى بن نصر الجرجاني، له من التصانيف عدة منها في نظم القرآن في مجلدين .

انظر (تاريخ جرجان) (١ / ١٨٧) .

وكتاب (نظم القرآن) استفاد منه الثعلبي أيما استفادة، انظر تفسيره (١ / ٨٤) .

تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ [البقرة : ١٧] فوحد الفعل في قوله : ﴿ٱسْتَوْقَدَ﴾ وجمع في قوله : ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ [البقرة : ١٧] وهما جميعًا راجعان إلى (الذي) .

والعلة في ذلك أن في (الذي) لغتين : أحدهما :

(الذي) بياء مرسلة، والأخرى (واللذ) بحذف الياء، وجزم الذال .

قال الشاعر [١] :

فَظَلْتُ فِي شَرٍّ مِنَ اللَّذْ كِيدا
كاللَّذْ تَرَبَّي زُبْيَةٌ فاصْطِيدا [٢]

فمن قال : « الذي » بإثبات (الياء)، قال في التثنية : « اللذان »، وفي الجمع (الذين) بنصب النون على هجاء واحد .

ومن العرب من يقول على هجاءين : في الرفع (الواو)، وفي النصب والخفض (الياء) وهي قليلة .

ومن قال : (اللذ) بحذف الياء ووقف الذال، قال في التثنية : (اللذا) .

قال الأخطل [٣] :

---

(١) انظر (شرح أشعار الهذليين) (٢ / ٦٥١) .

(٢) (الزبية) هي : بئراً وحفرة تحفر للأسد ، وقد زباها ، وتزباها ، قال : ... ثم أورد بيت الشعر ليستشهد به ، ولم يعزه لقائل .
انظر (لسان العرب) مادة (زبى).

(٣) الأخطل هو : غياث بن غوث التغلبي النصراني، شاعر زمانه .
قيل للفرزدق : من أشعر الناس ؟
قال : كفاك بي إذا افتخرت، وبجرير إذا هجا، وبابن النصرانية إذا امتدح، وكان عبد الملك بن مروان يجزل عطاء الأخطل، ويفضله في الشعر على غيره . =

أبـنـي كـلـيـب إن عـمّـي الـلـذ
قتلا الملوك وفككا الأغلال [١]

وقال في الجميع بإرسال (الياء)، كما قال :

إن الـذي حـانـت بفلج دماؤهـم
هم القوم كل القوم يا أم خالد [٢]

وقال غيره بجمع بين اللغتين على مجاز :

قومي الـلّـذوا بعكاظ طـيروا شررًا
من روس قومك ضربًا بالمصاقيل [٣]

وقالوا : « إنه لما احتمل المعنيين جميعًا باللغتين حمله مرة على لغة وفي الثانية : على أخرى » .

وقالوا : « هذا شبيه بمن لأنه يكون واحدًا واثنين وجميعًا » .

= وقيل : إذا الأخطل قيده الأسقف وأهانه، فليم في صبره له، فقال : إنه الدين، إنه الدين . وقد حصّل أمولًا جزيلة من بني أمية، ومات قبل الفرزدق بسنوات .

ومن عيون شعره .

والـنـاس همهم الحـيـاة ولا أرى
طـول الحـيـاة غـير خـبـال
وإذا افـتـقـرت إلى الـذخـائـر لم تجد
ذخـرًا يـكـون كـصـالـح الأعـمـال

وللمزيد انظر: (الشعر والشعراء) (٣٩٣) و(طبقات ابن سلام) (١/ ٤٥١) و(الأغاني) (٧/ ١٦٩) و(سمط اللآلي) (٤٤) و(تاريخ ابن عساكر) (١٤/ ٧٣)، و(خزانة الأدب) (١/ ٤٥٩).

(١) انظر (ديوان الأخطل) (١ / ٨٠١) . .

(٢) تقدم ذكره .

(٣) البيت في (خزانة الأدب للبغدادي) ونسبه إلى أمية بن الإسكندر الكتاني . .

وقرأ الحسن : ﴿ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ ﴾ [الصافات : ١٦٣][1] .

ومثله قول الله تعالى : [﴿ وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٢] .

---

(١) قال إمام المفسرين رحمه الله :

وقد ذكر عن الحسن أنه قرأ: ﴿ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ ﴾ [الصافات:١٦٣] برفع اللام من ﴿صَالِ﴾. فإن كان أراد بذلك الجمع كما قال الشاعر .

إذا مـا حـاتـم وجـد ابـن عمي
مجـدنـا مـن تـكـلـم أجـمـعـيـنـا

فقال : أجميعنا، ولم يقل : تكلموا، أو كما يقال في الرجال : من هو إخوتك ؟

يذهب به إلى الإسم المجهول، ويخرج فعله على الجمع، فذلك وجه وإن كان غيره أفصح منه، وإن كان أراد بذلك واحدًا فهو عند أهل العربية لحن .

لأنه لحن عندهم أن يقال : هذا رام وقاض، إلا أن يكون سمع في ذلك من العرب بالغه مقلوبة، مثل قولهم : شاك السلاح، وشاكي السلاح وعاث، وعثًا، وعاق وعقًا، فيكون لغة، ولم أسمع أحدًا يذكر سماع ذلك من العرب .

انظر (جامع البيان في تأويل القرآن) (٢٣ / ١١٤) وأما قراءة الحسن رحمه الله تجدها في (القراءات الشاذة) (ص ١٢٨) .

قال الإمام القرطبي رحمه الله :

رُوي عن الحسن أنه قرأ : ﴿ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ ﴾ بضم اللام .

قال النحاس : وجماعة أهل التفسير يقولون : إنه لحن، لأنه لا يجوز : هذا قاضُ المدينة .

انظر (إعراب القرآن) (٣ / ٤٤٥- ٤٤٦) .

ومن أحسن ما قيل فيه ما سمعت علي بن سليمان يقوله، قال : هو محمول على المعنى، لأن معنى (من) جماعة : فالتقدير : صالون، فحذفت النون للإضافة، وحُذفت الواو لالتقاء الساكنين .

وقيل : أصله فاعل إلا أنه قلب من صال إلى صايل، وحذفت الياء وبقيت اللام مضمومة، فهو مثل ﴿ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ ﴾ [التوبة : ١٠٩] .

انظر (الجامع لأحكام القرآن) (١٨ / ١١٢- ١١٣) .

بجمع، وقال] [1] /: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ ﴾ (7/ [لقمان:٦].

قال الفرزدق [2] في الذئب :

تَعالَ فَإن عَاهَدتَني لا تَخُونَني
نكنْ مِثل مَنْ يا ذئْبُ يصطحبانِ [3]

قال أبو الحسن : ورأيت في بعض التفاسير أن قوله تعالى

---

(١) كتبت بهامش الأصل .

(٢) الفرزدق هو : همام بن غالب بن صعصعة بن ناحية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم، كان جده صعصعة بن ناحية عظيم القدر في الجاهلية، اشترى ثلاثين موءودة إلى أن جاء الله ﷻ بالإسلام، منهم بنت لقيس بن عاصم المنقري، ثم أتى النبي ﷺ وأسلم .
وأم صعصعة قفيرة بنت سكين، من عبد الله بن دارم، وكانت أمها أمةً وهبها كسرى لزرارة، فرهنها زرارة لهنك بنت يثربي بن عدس فوثب أخو زوجها، واسمه سكين بن حارثة بن زيد بن عبد الله بن دارم، على الأمة فأحبلها فولدت له قفيرة أم صعصعة، فكان جرير يعيب الفرزدق بها .
والعلاء بن قرظة الضبي، خال الفرزدق، وكان شاعرًا، وكان الفرزدق يقول : « إنما أتاني الشعر من قبل خالي »، وخالي الذي يقول :

إذا ما الدهر جر على أناس
حوادثه أناخ بآخرينا
فقل للشامتين بنا افيقوا
سيلقى الشامتون كما لقينا

توفي عام (١١٠ هـ) .
وللمزيد انظر : (الشعر والشعراء) (١ / ٤٧١) و (معجم الأدباء) (١٩ / ٢٩٧) رقم (١١٧).

(٣) انظر (ديوانه) (٢ / ٣٢٩) والكتاب (٢ / ٤١٦) و (المحرر الوجيز) (١ / ١٥٨) .
وأورده الطبري (١ / ٣٩٦) وقال : فإن قال قائل : وكيف قال : ﴿ فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ [البقرة : ٦٢] وإنما لفظ ﴿ مَنْ ﴾ لفظ واحد والفعل معه موحد ؟
قيل ﴿ مَنْ ﴾ وإن كان الذي يليه من الفعل موحدًا، فإن معنى الواحد والاثنين والجمع والتذكير والتأنيث، لانه في كل هذه الأحوال على هيئة واحدة وصورة واحدة لا يتغير . =

﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ [البقرة : ١٧] أُنزلت في أهل الكتاب الذين لا يعرفون الحق ولا يؤمنون، ﴿ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ ﴾ [البقرة : ١٧] أي في جهالات (١) .

قال عبد العزيز بن يحيى : ﴿ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ ﴾ أقول لم يمنعهم من كفرهم بالقهر منه لهم، وقد كان قادرًا على ذلك، ولكنه أراد أن يكونوا هم المختارين لأفعالهم المحمودة والمذمومة (٢) .

ثم ضرب لهم مثلًا آخر، فقال : ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ [البقرة : ١٩]،

= فالعرب توحد معه الفعل، وإن كان في معنى جمع للفظه، وتجمع أخرى معه الفعل لمعناه، كما قال جل ثناؤه : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [يونس : ٤٢- ٤٣] .

فجمع مرة مع ﴿ مَنْ ﴾ الفعل لمعناه، ووحد أخرى معه الفعل، لأنه في لفظ واحد .

كما قال الشاعر :

ألمـــا بـــسلـــمـى عـنـكـمـا إن عـرضـتـمـا
وقـــولا لهـــا عـــوجـــى عـــلـى مـــن تخلفوا

فقال : تخلفوا، فجمع وجعل ﴿ مَنْ ﴾ بمنزلة الذين، وقال الفرزدق : ..... فثني (يصطحبان) لمعنى ﴿ مَنْ ﴾ فكذلك قوله : ﴿ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ [البقرة : ٦٢] وحد (آمن وعمل صالحًا) للفظ ﴿ مَنْ ﴾ وجمع ذكرهم في قوله ﴿ فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ لمعناه، لأنه في معنى جمع .

وأما قوله : ﴿ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة : ٦٢] فإنه يعني به جل ذكره : ﴿ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾ فيما قدموا عليه من أهوال القيامة، ولا هم يحزنون على ما خلفوا وراءهم من الدنيا وعيشها عند معاينتهم ما أعد الله لهم من الثواب والنعيم المقيم عنده .

(١) لم أقف عليه .

(٢) لم أقف عليه .

قال ابن عباس رضي الله عنهما [١]، والحسن [٢]، والضحاك [٣]، وعطاء [٤]، وقتادة[٥] والشعبي [٦] رحمة الله عليهم : الصيب : المطر، وقالوا : ضرب الله تعالى للمنافقين مثلًا آخر، ليثبت عليهم الحجة، فجعل مثلهم ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ أو ﴿ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾، وهو المطر يصيب البلاد، فتحيى به .

قال المؤرِّخ : الصيب : المطر، وأنشد :

سَيبك في القومِ حين تذكرهُ
كَصَيبٍ بَاتَ ليلةَ هَطْلُ

السيب : العطاء .

قال أبو عبيدة : تقول العرب : صاب السهم يصوبُ، إذا ذهب في انحطاط، وصابت السماء تصوب، [إذا مطرت .

---

(١) أثر حسن : أخرجه الطبري (١ / ٢١٤) وابن المنذر وابن أبي حاتم والصابوني في (المائتين) كما في (الدر المنثور) للسيوطي .

(٢) انظر (تفسير القرآن العظيم) لابن أبي حاتم (١ / ٥٤) .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في (تفسير القرآن العظيم) (١ / ٥٤) عن الضحاك قوله : « هو السحاب» والإسناد ضعيف، فيه جويبر وهو ضعيف .

وأخرجه الطبري (١ / ٢١٥) عن الضحاك عن ابن عباس قوله : الصيب : المطر، ولعل ذكر ابن عباس مقحم في الإسناد، والله أعلم .

(٤) أخرجه الطبري (١ / ٢١٥) .

(٥) انظر المصدر السابق .

(٦) لم أقف عليه .

قال علقمة بن عَبَدَةَ [١]] [٢] :

فلا تفسدي بيني وبين ابن مَعمَر [٣]
سقَتك روايَـا المُـزن حين تصوبُ [٤]

والمثل ضرب للنفاق، فقال ﴿ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ﴾ [البقرة : ١٩]

---

(١) هو : علقمة بن عبدة الملقب بالفحل؛ ذكره ابن سلام (١ / ١٣٩) في الطبقة الرابعة من طبقات فحول الجاهلية.

(٢) كتبت بهامش الأصل .

(٣) كذا بالمخطوط، وفي المصادر الأخرى، بين مغمَّر ...
و (غمر) في اللسان: صبي مغَمَّر: لم يجرب الأمور و (المغمّر) من الرجال إذا استجهله الناس

(٤) البيت في (ديوانه) (ص ٣٤) ونقله أهل التفسير منهم (الطبري) (١ / ٢١٤) (المصنف) (١ / ٨٠) ابن عطية (١ / ١٨٩) والقرطبي (١ / ٣٢٦) .
قال الإمام الطبري رحمه الله : « وتأويل ذلك : مثل استضاءة المنافقين بضوء إقرارهم بالإسلام مع استسرارهم الكفر، مثل استضاءة موقد نار بضوء ناره على ما وصف جل ثناؤه من صفته، أو كمثل مطر مظلم ودقه تحدر من السماء تحمله مزنة ظلماء في ليلة مظلمة، وذلك هو الظلمات التي أخبر الله جل ثناؤه فيه .
فإن قال لنا قائل : أخبرنا عن هذين المثلين، أهما مثلان للمنافقين، أو أحدهما ؟
فإن يكونا مثلين للمنافقين فكيف قيل ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ ﴾ [البقرة : ١٩] و ﴿ أَوْ ﴾ تأتي بمعنى الشك في الكلام، ولم يقل : وكصيب بالواو التي تلحق المثل بالمثل الأول ؟
أو يكون مثل القوم أحدهما، فما وجه ذكر الآخر بـ ﴿ أَوْ ﴾ وقد علمت أن ﴿ أَوْ ﴾ إذا كانت في الكلام فإنما تدخل في على وجه الشك من الخبر فيما أخبر عنه، كقول القائل : لقيني أخوك أو أبوك .
وإنما لقيه أحدهما، ولكنه جهل عين الذي لقيه منهما، مع علمه أن أحدهما قد لقيه، وغير جائز فيه الله جل ثناؤه أن يضاف إليه الشك في شيء أو عزوب علم شيء عنه فيما أخبر أو ترك الخبر عنه .
قيل له : إن الأمر في ذلك بخلاف الذي ذهب إليه، و ﴿ أَوْ ﴾ وإن كانت في بعض الكلام تأتي بمعنى الشك، فإنها قد تأتي دالة على مثل ما تدل عليه الواو إما بسابق من الكلام قبلها، وإما بما يأتي بعدها كقول توبة بن الحمير : =

فشبه الظلمات بكفرهم، والبرق إذا أضاء لهم بإيمانهم، والرعد ما أنالهم في القرآن من التخويف .

قال أبو الحسن : ورأيت في بعض التفاسير : أن الرعد، إنما ذُكر مثلًا لهم لخوفهم من القتال حين دعوا إليه [١]؛ كما قال تعالى : ﴿ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ

=

وقد زعمت ليلى بأني فاجر
لنفسي تقاها أو عليها فجورها

ومعلوم أن ذلك من توبة على غير وجه الشك فيما قال، ولكن لما كانت ﴿ أَوْ ﴾ في هذا الموضع دالة على مثل الذي كانت تدل عليه الواو لو كانت مكانها، وضعها موضعها .

وكذلك قول جرير :

نال الخلافة وكانت له قدرا
كما أتى ربه موسى على قدر

وكما قال الآخر :

فلو كان البكاء يرد شيء
بكيت على جبير أو عناق
على المرأين مضيا جميعًا
لشأنهما بحزن واشتياق

فقد دل بقوله : « على المرأين إذ مضيا جميعًا » أن بكاءه الذي أراد أن يُبكيه لم يرد أن يقصد به أحدهما دون الآخر، بل أراد أن يبكيهما جميعًا، فكذلك ذلك في قوله الله جل ثناؤه : ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ [البقرة : ١٩] لما كان معلومًا أن ﴿ أَوْ ﴾ دالة في ذلك على مثل الذي كانت تدل عليه الواو لو كانت مكانها كان سواء نطق فيه بـ ﴿ أَوْ ﴾ أو بالواو .

وكذلك وجه حذف المثل من قوله : ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ ﴾ لما كان قوله ﴿ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ [البقرة : ١٧] والأعلى أن معناه : كمثل صيب، حذف المثل واكتفى بدلالة ما معنى من الكلام في قوله : ﴿ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ على أن معناه : أو كمثل صيب، من إعادة ذكر المثل طلب الإيجاز والاختصار .

(جامع البيان) (١ / ٢١٤- ٢١٦)، وراجع كذلك (النكت والعيون) (١ / ٨٢- ٨٣) .

(١) هذا المعنى ذكره ابن عطية في (المحرر الوجيز) (١ / ١٩٢) .

عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [المنافقون : ٤] أي : يظنون أنهم أبدًا مغلوبون، ثم قال تعالى : ﴿ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة : ١٩] لم يرد يجعلونها حذرًا، فيكون الجعل هو الحذر، إنما هو كقولك : أعطيتك خوفًا وفَرَقًا .

وأنت لم تعطه الخوف والفرق، إنما أعطيته من أجل الخوف منه .

وكقوله : ﴿ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾ [الأنبياء : ٩٠] (١) .

والسماء : كل ما عَلاك فأظلك (٢)، قال الضحاك : « فيه ظلمات ابتلاء، ورعد، وتخويف (٣) » .

وروي أبو صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما : ثم ضرب مثلًا آخر للمنافقين وغيرهم من أهل الضلالات كلها إذا تركوا ما أمر الله به، وأخذوا بغيره، / فقال عز من قائل : ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ ﴾ (٤) [البقرة : ١٩] . (٧/ ب)

وهو المطر ينزل ليلًا إلى الأرض ﴿ فِيهِ ظُلُمَاتٌ ﴾ أي ذلك المطل ضلالات، و﴿ وَرَعْدٌ ﴾ تخويف ﴿ وَبَرْقٌ ﴾ طمع (٥) .

فمثل المطل مثل القرآن، كما أن المطر فيه حياة للناس، وكذلك القرآن فيه حياة لمن آمن به، ومثل الظلمات : مثل الكفر، ومثل الرعد ما خوفوا

(١) انظر (معاني القرآن) للفراء (١ / ١٧) .

(٢) (لسان العرب) مادة (سما) .

(٣) هذا ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما أخرجه الطبري (١ / ٢٢٢) عن معاوية بن صالح عن علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما يقول : ﴿ فِيهِ ظُلُمَاتٌ ﴾ يقول : ابتلاء، و ﴿ وَرَعْدٌ ﴾ يقول تخويف، وهذا إسناد ضعيف؛ تقدم الكلام عليه .

(٤) انظر المصدر السابق .

(٥) انظر المصدر السابق .

به من الوعيد في القرآن، ومثل البرق : مثل الإيمان، وهو النور الذي في القرآن [١] .

وقوله تعالى : ﴿ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ ﴾ [البقرة : ١٩] هم اليهود و المنافقون، كانوا إذا سمعوا القرآن يجعلون أصابعهم في أذانهم كيلا يسمعوه [٢] .

كما يجعل من يسمع الصواعق أصبعه في أذنيه من صوت الصواعق مخافة الموت [٣]، ﴿ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة : ١٩] يعني اليهود والمنافقين أحاط علمه بهم [٤] .

ثم قال تعالى : ﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ﴾ [البقرة : ٢٠] يقول : يذهب بأبصارهم من شدة نوره، كمثل الإيمان إذا تكلم به المنافق، مثل نور البرق، الذي كان يذهب بأبصارهم، كلما أضاء لهم مشوا فيه، يقول : كلما

---

(١) انظر (تفسير مقاتل ابن حيان) (١ / ٢٥) .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في (تفسيره) عن السدي بنحوه (١ / ٥٦) رقم (١٩٥) وانظر للمزيد (تفسير مجاهد) (١ / ٧٠) .

(٣) قال الإمام الطبري رحمه الله : « تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ﴾ [البقرة : ١٩] يعني بذلك يتقون وعيد الله الذي أنزله في كتابه على لسان رسوله ﷺ بما يبدونه بألسنتهم من ظاهر الإقرار، كما يتقي الخائف أصوات الصواعق بتغطية أذنيه وتصيير أصابعه فيهم حذرًا على نفسه منها » .
انظر (جامع البيان) (١ / ٢٢٤) .
وقال الإمام القرطبي رحمه الله : « قوله تعالى : ﴿ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم ﴾ جعلهم أصابعهم في آذانهم لئلا يسمعوا القرآن فيؤمنوا به، وبمحمد؛، وذلك عندهم كفر والكفر موتٌ » (الجامع لأحكام القرآن) (١/ ٣٣٠) .

(٤) لم أقف على قائله، إلا أن القرطبي رحمه الله قال : « وقيل : ﴿ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾، أي : عالم بهم، دليله ... » (١/ ٣٣٤) .

تكلموا بالإيمان مضوا فيه، فكان لهم نور يهتدون به في الضلالة، وإذا أظلم عليهم البرق فذهب ضوئه قاموا في الظلمة متحيرين لا يبصرون .

فكذلك المنافق إذا ترك الإيمان قام في الضلالة لا يُبصر الهدى ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم، بالبرق فلا يسمعون شيئًا ولا يبصرونه عقوبة لهم، إن الله على كل شيء قدير من العقوبة .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : وهذه الآية نزلت في قومٍ مَضوا، ومنهم من قد بقي إلى قيام الساعة [١] .

قال قتادة : البرق : الإسلام، والرعد : البلاء والفتنة [٢] .

قال أبو روق عن الضحاك : الصَيِّب : المطر [٣]، والظلمات : الفتن، والرعد: الوعيد، والبرق : الإيمان [٤] .

وروي شيبان عن قتادة : الصيب : المطر [٥]، والرعد : الوعيد .

﴿ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ﴾ [البقرة : ١٩] يقول : هم أجبن قوم لا يسمعون شيئًا إلا ظنوا أنهم هالكون فيه حَذرًا من الموت [٦] .

---

(١) لم أقف عليه .

(٢) أخرجه عبد بن حميد وابن جرير كما في (الدر المنثور) (١ / ٧٢) .

(٣) أخرج الطبري (١ / ٢٢٣) وابن أبي حاتم في (تفسيره) (١ / ٢٥٤)، الصيب : السحاب .

(٤) أخرج الطبري (١ / ٢٢٣) وابن أبي حاتم في (تفسيره) (١ / ٥٤) عن الضحاك : فيه ظلمات، أما الظلمة : فالضلالة، وزاد الطبري : والبرق : الإيمان وأخرج ابن أبي حاتم (١ / ٥٦) عنه: في قوله : ﴿ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ﴾ [البقرة : ١٩] فأما البرق : فالإيمان، عني بذلك أهل الكتاب .

(٥) أخرجه الطبري (١ / ٢١٥) .

(٦) أخرجه بمعناه الطبري (١ / ٢١٥) وعبد بن حميد كما في (الدر المنثور) (١ / ٧٢) .

ثم ضرب لهم مثلًا آخر فقال : ﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ ﴾ [البقرة : ٢٠] يقول هذا المنافق إذا كثر ماله وكثرت ماشيته / (٨/ وعُوفي في بدنه قال : لم يصبني منذ دخلت في الإسلام إلا خير .

﴿ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ﴾ [البقرة : ٢٠] يقول : إذا ذهبت أموالهم، وهلكت مواشيهم، وأصابهم البلاء قاموا متحيرين [١] .

قال مجاهد : ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ [البقرة : ١٩] المطر [٢] .

وقال في قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة : ١٩] أي : جامعهم [٣] .

قال مقاتل : ﴿ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم ﴾ [البقرة : ١٩] يقول : مثل المنافق إذا سمع القرآن ضَمّ على أذنيه كراهةً للقرآن، بمنزلة الذي يجعل أصبعيه في أذنيه من شدة الصاعقة، ﴿ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ﴾ [البقرة : ١٩] يعني مخافة الموت، يقول : كما يكره الموت من الصاعقة كذلك يكره المنافق وعيد القرآن .

قال علي بن الحسين بن واقد : ﴿ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ ﴾ هي النار التي تكون في السحاب، ﴿ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة : ١٩] يقول أحاط علمه بأعمالهم، نظيره ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ [آل عمران : ١٢٠].

وقال في قوله : ﴿ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ﴾ [البقرة : ٢٠] أي يذهب بأبصارهم،

---

(١) تقدم تخريجه .
(٢) أخرجه الطبري (١ / ٢١٥) .
(٣) أخرجه الطبري (١ / ٢٢٥) .

نظيره ﴿ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ [النور : ٤٣] .

وقال في الأنفال ﴿ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ ﴾ [الأنفال : ٢٦]، وفي القصص ﴿ وَقَالُوٓا۟ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ﴾ [القصص : ٥٧]، وفي الحج ﴿ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ ﴾ [الحج : ٣١]، وفي العنكبوت ﴿ وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾ [العنكبوت : ٦٧] .

وروي أبو الضحى عن ابن عباس قال : كان عُلماء التوراة يقرئونها، ولا يأخذون بما أمروا فيها، وكان يرون الناس أنهم على الحق، فضرب الله مثلهم، فقال : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ [البقرة : ١٧] .

قال ابن كيسان : ﴿ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ [البقرة : ١٨] أخبر عن المنافقين أنهم لا يرجعون إلى الإيمان، كما أخبر عن قادة المشركين فقال : ﴿ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [البقرة : ٦]، ثم رجع إلى ضرب الأمثال فقال : ﴿ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ [البقرة : ١٩]، يعني : مثلهم فيما تدعوهم إليه من الإسلام، والهدى ﴿ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ﴾ [البقرة : ١٩] فشبه الدين بالمطر، وشبه ما يكون فيه من الشدائد بالظلمات والرعد، وشبه غنيمته بالبرق الذي يكون في المطر .

ثم قال : ﴿ يَجْعَلُونَ / أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ ﴾ [البقرة : ١٩] (٨/ب) يعني: المنافقين، يقول : لا يسمعون إلى ما يبلغهم من الشدائد الكائنة في الإسلام.

ويكون ذكرها على أسماعهم كالصواعق، ﴿ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ﴾ أي : حذر القتل الذي فيه موتهم .

ثم قال : ﴿ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة : ١٩] أي بما يُسر الكافرون،

فيظهر الله تعالى سرائرهم للنبي ﷺ، ثم قال : ﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ﴾ [البقرة : ٢٠] فشبه البرق بالرخاء والغنيمة في الإسلام .

يقول : يكاد الرخاء في الإسلام يغلب عليهم لسرعتهم إلى كل غنيمة، ﴿ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم ﴾ [البقرة : ٢٠] يقول : كلما دعوا على رخاء وغنيمة مشوا فيه وأجابوا إليه ﴿ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ ﴾ [البقرة : ٢٠] يقول : إذا نزل بهم أهوال وشدائد قاموا، يعني : اعتلوا وقعدوا عن نصر النبي ﷺ ونصر الدين ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ﴾ [البقرة : ٢٠] يقول : لو شاء الله لأعمى أبصارهم، وأصم أسماعهم .

قال الحسن : ثم ضرب للمنافقين مثلًا آخر فقال : ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ يقول : فكما أن الحياة من المطر الذي فيه الرزق لا يوصل إليه غلا وبين ظهريه الرعد والبرق والظلمات، كذلك الإسلام لا يوصل إلى الحياة فيه إلا وبين ظهرية الزلازل والأهوال والشدائد .

فأما المؤمنون فيصبرون على ذلك، ويحتملونه لله ﷻ، وأما المنافقون فإنه إذا كانت مخافة من عدو فروا منها، فقاموا فيتبين نفاقهم .

وكما أن الرعد إذا جاء فُزع منه ومن أصواته، كذلك المنافقون يفزعون من الشدائد إذا جاءت في الإسلام حذر الموت لأنه لا نسبة لهم في الشهادة والجهاد.

﴿ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ من ورائهم يجزيهم بكفره نظيره ﴿ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴾ [البروج : ٢٠] .

وأما قوله ﷻ : ﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ﴾ [البقرة : ٢٠] فمن لم يتعلق من البرق إلا بالضوء كان ما يظلم عليه أكثر مما يضيء له فكذلك

المنافق إذا كان الرخاء في الإسلام يمضي عليه حتى يظن المؤمنون أنهم على الإيمان، فإذا جاءت شديدة ومخافة لم يمضوا / وظهر نفاقهم . (٩/أ

قال السُدِّي : ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ وهو المطر[١].

كان رجل من المنافقين من أهل المدينة ورجل آخر هربا من النبي ﷺ إلى المشركين فأصابهما من المطر الذي ذكر الله فيه رعد وبرق وصواعق، فلما أصابهما الصواعق جعلا أصابعهما في آذانهما من البرق حذر أن تدخل الصاعقة في مسامعهما فيقتلهما، فإذا المع البرق مشيا في ضوئه، وإذا لم يلمع لم يبصرا، فقاما في مكانهما لا يمشيان فجعلا يقولان : يا ليتنا قد أصبحنا فنأتي محمدًا فنضع أيدينا في يده .

فأصبحا فأتيا رسول الله ﷺ، فأسلما وحسن إسلامهما فضرب الله تعالى شانهما مثلًا للمنافقين الذين بالمدينة؛ لأن المنافقين كانوا إذا حضروا مجلس رسول لله ﷺ [جعلوا أصابعهم في أذانهم فرقًا من كلام النبي ﷺ][٢]، وأن ينزل فيهم شيء كما كان الرجلان يجعلان أصابعهم في آذانهم[٣] .

ثنا أبو القاسم الحسن إملاءً : قال : قال قتادة : هذا مثل آخر للمنافق

(١) تقدم الكلام عليه .

(٢) كتبت بهامش الأصل .

(٣) أثر حسن : أخرجه الطبري (١ / ٢١٩- ٢٢٠) عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك، وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ ، ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة : ١٩- ٢٠] أما الصيب : فالمطر، كان رجلان . . .

تنبيه : كتب بالهامش (أول الجزء الثاني) .

إذا رأي في الإسلام طمأنينة أو سلوةً من عيشٍ، قال : أنا معكم ومنكم، فإذا أصابته سنة حقق عندها، فانقطع به ولم يصبر على بلائها ولم يحتسب أجرها [١] .

قال قتادة : ﴿ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِم ﴾ « هذا في الآخرة على الصراط؛ شبه إعراضهم عن القرآن وشدة نبوتهم عن استماعه وكراهتهم له بالسّادّ أذنه من الصواعق ﴿ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ﴾ » .

قال عكرمة : الرعد، ملك يزجر السحاب كما يسوق راعي الإبل إبله [٢] .

قال مجاهد : الرعد، ملك يسبح بحمد الله [٣] .

والبرق : ملك يسوق السحاب [٤] .

قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : البرق : مخاريق من نار بأيدي ملائكة السحاب يزجرون بها السحاب [٥] .

قال أبو الدرداء : الرَّعدُ : التسبيح، والبرقُ : للخوفِ والطَّمعِ، والبردُ: عقوبةٌ، والصواعق: بالخطيئةِ، والجراد : رزق لقوم ورجز لآخرينَ، والبحر: بمكيال والجبال بميزان [٦] .

---

(١) تقدم تخريجه، وللمزيد على ما ذكرت : انظر (تفسير الثعلبي) (١ / ١٦٦) .
(٢) أخرجه الطبري في (جامع البيان) (١ / ٢١٧) .
(٣) المصدر السابق (١ / ٢١٧) .
(٤) المصدر السابق (١ / ٢١٨) البرق : ملك .
(٥) المصدر السابق (١ / ٢١٩) بنحوه، وابن أبي حاتم في (تفسيره) (١ / ٥٥) رقم (١٩٠) .
(٦) انظر (تفسير الثعلبي) (١ / ١٦٤) .

وسئل وهب بن منبه [١] عن الصاعقة ؟! فقال : ثلاثة ما أظن أن أحدًا يعلمهن إلا الله ﷻ : الرعد، والبرق، والغيث [٢] ./ (٩/ ب

---

(١) الإمام العلامة الإخباري القصصي، أبو عبدالله الأنباوي، وهب بن مُنَبِّه اليماني الذماري الصنعاني، أخو همام بن منبه، ومعقل بن منبه، وغيلان بن منبه .

مولده في زمن عثمان سنة أربع وثلاثين، ورحل وحج .

أخذ عن ابن عباس وأبي سعيد والنعمان بن بشير وجابر ﭫ وغيرهم، وروايته للمسند قليلة، وإنما غزارة علمه في الإسرائيليات، ومن صحائف أهل الكتاب .

قال أحمد : كان من أنباء فارس، له شرف، قال : وكل من كان من أهل اليمن له (ذي) هو شريف .

قال أحمد بن محمد بن الأزهر : سمعت مسلمة بن همام بن مسلمة بن همام يذكر عن أبنائه : أن همامًا ووهبًا وعبد الله ومعقلًا ومسلمة بنو منبه، أصلهم من خراسان، من هراة، فمنبه من أهل هراة، خرج أيام كسرى، وكسرى أخرجه من هراة، ثم إنه أسلم على عهد النبي ﷺ فحسُن إسلامه، ومسكنهم باليمن، وكان وهب بن منبه يختلف إلى هراة، ويتفقد أمر هَراة .

قال مسلم الزنجي : لبث وهب ابن منبه أربعين سنة لا يرقد على فراش، وعشرين سنة لم يجعل بين العتمة والصبح وضوءًا .

من عيون أقواله :

المؤمن يخالط ليعلم، ويسكت ليسلم، ويتكلم ليفهم، ويخلو ليغنم .

وقال : الأحمق إذا تكلم فضحه حُمقه، وإذا سكت فضحه عِيه، وإذا عمل أفسد، وإذا ترك أضاع، لا علمه يعنيه، ولا علم غيره ينفعه، تود أمه أنها ثكلته، وامرأته لوعدته ويتمنى جاره منه الوحدة، ويجد جليسه منه الوحشة .

مات سنة عشرٍ ومائة، وقيل : أربع عشرة ومائة في الحرم .

للمزيد انظر : (طبقات) ابن سعد (٥/ ٥٤٣)، و(طبقات خليفة) (٢٦٥٢)، و (وفيات الأعيان) (٦/ ٣٧)، و(تاريخ الإسلام) (٥/ ١٤)، و(السير) (٤/ ٥٤٤)، و(البداية والنهاية) (٩/ ٢٧٦).

(٢) أخرجه أبو الشيخ في (العظمة) .

قال أبو الجلد [١] : الرعدُ : الرِّيح، والبرقُ : الماء [٢] .

قال محمد بن إسحاق بن يسار [٣]: ﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ﴾[البقرة: ٢٠] لشدة ضوء الحق .

﴿ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ﴾ [البقرة : ٢٠] أي يعرفون الحق ويتكلمون به، فهم من قولهم في استقامةٍ، فإذا ارتكسُوا منه إلى الكفر قاموا متحيرين [٤] .

قال عطاء عن ابن عباس : ﴿ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة : ١٩] أحاط بقتل بني قُريظة وإجلاء بني النَّضير، كما قال تعالى في سورة الفتح :

(١) هو : أبو الجلد الجوني جيلان بن فروة ويقال : ابن أبي فروة الأسدي البصري، الجوني حي من الأزد كان ممن يقرأ كتب الأوائل، وكان من العباد .
له ترجمة في (الطبقات) لابن سعد، و (الجرح والتعديل)، و (الثقات) لابن حبان .

(٢) **أثر حسن** : أخرجه الطبري (١ / ٢١٨- ٢١٩) .

(٣) هو العلامة : محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار الحافظ الإخباري أبو بكر .
وقيل أبو عبد الله القرشي المطلبي مولاهم، المدني، صاحب السيرة النبوية .
وكان جده يسار من سبي عين التمر، في دولة خليفة رسول الله ﷺ .
ولد ابن إسحاق سنة ثمانين، ورأي أنس بن مالك بالمدينة، وسعيد بن المسيب أثنى عليه علماء عصره، وأطنبوا في الثناء عليه، مات ابن إسحاق سنة خمسين ومائة، وقيل إحدى وخمسين ومائة .
وللمزيد أنظر (طبقات ابن سعد) (٧ / ٣٢١)، (طبقات خليفة) (٢٧١) و(التاريخ الكبير) (١/ ٤٠)، و(مشاهير علماء الأمصار) (١٣٩- ١٤٠)، (وفيات الأعيان) (٤ / ٢٧٦) و(السير) (٧ / ٣٣) .

(٤) أخرجه ابن هشام في (السيرة) (٢ / ٧٦١) عن ابن إسحاق ، وقد استقاه ابن إسحاق عن ابن عباس رضي الله عنهما ، فقد أخرجه هو والطبري (١ / ١١٠) وابن أبي حاتم عن محمد بن أبي محمد بن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما ... به ، وإسناده ضعيف ، محمد بن إسحاق مدلس وقد عنعن .

﴿ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ﴾ [الفتح : ٢١] .

﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَـٰرَهُمْ ﴾ [البقرة : ٢٠] يريد يكاد الإيمان يدخل في قلوبهم، إذا قرئ عليه شيء من القرآن مما يحبون صدَّقوا، وإذا سمعوا من الشرائع ما يكرهون وقفوا عنه، وذلك قوله : ﴿ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ﴾ [البقرة : ٢٠].

قال أبو عبيدة: ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ ﴾ معناه : وكصيب، على معنى واو النسق.

وأنشد :

يُهينُون من حَقروا شَيئةُ
وإن كان فيهمُ يَفي أو يَبرّ [١]

وأنشد الفراء :

وقد زعمتْ سَلْمى بِأني فَاجِر
لنفسي تُقاها أو عليها فُجُورها [٢]

قال سيبويه : الصيب المطر الذي يصوب، وأنشد :

بصيبٍ راح يُروي الغُدُرا
تَفترُ عنه الأرض لما أنْ سرا

قال أبو الحسن : واختلفوا في تقدير (الصيب) من اللغة .

فقال البصريون : على وزن (فَيْعِل)، ولا يوجد هذا المثل إلا في المعتل نحو : سيد وطيب وميت .

---

(١) انظر (معاني القرآن) للأخفش (١ / ٣٤) وهو : لأخطل بن حماد بن الأخطل بن ربيعة بن النمر بن تولب . .

(٢) ذكره الطبري (١ / ٢١٦) وعزاه لـ (توبة بن الحُميِّر) . .

قال الفراء : ليس في الكلام (فَيْعِل)، إنما هو (فَيْعَل)، نحو : خَيْفَق، وصيْرَف وضَيْعَم [١] .

فأما (أو) فلها ثلاثة مواضع : تكون بمعنى : الشك، والتخيير، وتكون بمعنى الإباحة، وتكون بمعنى الواو .

كما قال تعالى : ﴿ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ [الصافات : ١٤٧].

و (أو) ها هنا للإباحة، لأن الله سبحانه لا يشك في شيء .

والسماء كل ما علاك وأظلك، وأصله : سما، لأنه من : سَمَا يَسمُو، فقُلِبَت الواو همزةً؛ لأن الألف لا تخلو من مدة، وتلك المدة كالحركة، والسماء : من أسماء الأجناس، تكون واحدة وجمعًا .

قال الله تعالى ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ ﴾ [فصلت : ١١]، ثم قال : ﴿ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ﴾ [البقرة : ٢٩]، ويقال لواحدتها، سماوة [٢] .

قال العجاج :/ (١٠)

طـــي الـــلـــيـــالي زُلـــفًـــا فـــزلـــفـــا

سَـــماوة الهِـــلال حتى احقوقفا [٣]

وقوله تعالى : ﴿ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ ﴾ تعود الهاء على الصيب، وتعود على السماء

---

(١) انظر مادة (حب) في قاموس اللغة .

(٢) انظر مادة (سما) في قاموس اللغة .

(٣) انظر (ديوان العجاج) (ص ٤٢٦)، وأورده المصنف (النكت والعيون) (٢ / ٥٠٩) سورة (هود) آية (١١٤)، وكذلك الطبري (١٢ / ١٣٥) .

وللمزيد راجع (مجاز القرآن) (١ / ٣٠٠) و (الكامل) للمبرد (١ / ١٢٩، ٣ / ٨٢٤) . .

إذا أردت بها السحاب، وتعود على الليل، وتعود على السماء نفسها على لغة من يُذكرها كما قال :

فلو رفع السماء إليه قومًا
لحقنا بالسماء مع السحاب [١]

وظلمات جمع : ظُلْمةَ، وضم اللام على الإتباع لضمة الظاء، وقرأ الأعمش بسكون اللام على أصل الكلام لأنها ساكنة في التوحيد كما قال :

أبَت ذِكر عوَّدن أحشاء قلبه
خُفُوقًا ورقْصَاتُ الهوى في المفاصل [٢]

فترك القاف في الجمع على سكونها في التوحيدِ، وقرأ أشهب العقيلي (ظُلَمات) بفتح اللام .

وذلك لما أراد تحريك اللام حركها إلى اخف الحركات كما قال الشاعر :

فلما رأوَيَا باديًا رُكباتنا
على موطنٍ لا نخلِطُ الجدَّ بالهزل [٣]

وأصل الرعد : من الصوت، وأصل البرق : من الضوء، والصواعق جمع صاعقة، وفيها لغة أخرى : صاقعة مقلوبة .

---

(١) البيت للفرزدق، وروايته في (ديوانه) (ص ٣٣)، وهو من شواهد الفراء في (معاني القرآن) وكذلك، (مجاز القرآن) لأبي عبيدة، والطبري (٢٩ / ١٤٧) والقرطبي (٢١ / ٣٤٢) .

(٢) البيت لذي الرومة، وهو في ديوانه (٤٠٤) .

(٣) انظر (معاني القرآن) للزجاج (١ / ٢٤١) .

ومن قوله تعالى «فيه ظلمات. تعود الهاء .....» إلى قوله ..... الجد بالهزل» نقلها الثعلبي في (التفسير) (١/ ١٦٣).

قال الخليل بن أحمد : الصَّاعقة والصَّعقة، أن يغشي على الإنسان من هول أو فزع، وقوله : ﴿ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ﴾ نصب على المصدر، وإن شئت بنزع الصفة .

وقرأ قتادة : (حِذَارَ المَوْتِ) [١] .

﴿ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة : ١٩] الإحاطة على وجهين : إحاطة علم، وإحاطة قدرة وهو أن يُحْدق بالشيء من جميع أكنافه، ومنه سمي الجدار حائطًا .

وكان أبو عمرو الكسائي يميلان الكافرين في حال الخفض والنصب، لكسرة الفاء والراء [٢] .

وقوله سبحانه ﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ ﴾ يعني : قَرُبَ ولم يفعل، ولا مصدر له من جنس صدره، والعرب تقول : كاد يفعل كذا بغير أن، فإذا شبهوه بعسى قالوا : كاد [أن يفعل، وأنشد] [٣] :

قد كاد من طول البلى أن يمحصا [٤]

وقوله سبحانه ﴿ يَخْطَفُ ﴾ أي يلتمع، والخطفة : استلاب الشيء واختلاسه[٥].

---

(١) نقل ابن سيد الناس في (إعراب القرآن) عن قتادة والضحاك بن مزاحم وابن أبي ليلى قراءتهم (حِذَارَ المَوْتِ)، وانظر كذلك (المحرر الوجيز) (١ / ١٩٢) .

(٢) انظر (تفسير الثعلبي) (١ / ١٦٤) .

(٣) كتبت بهامش الأصل .

(٤) انظر (ديوان رؤبة) (٠٩١) ، و (تأويل مشكل القرآن) (٤٣٥) ..

(٥) انظر قواميس اللغة، مادة (خطف)، وكذلك (جامع البيان) للطبري (١ / ٢٢٦) .

وفي حرف أُبَيّ : (يتخطَّف) [١] ومنه سمي الخُطَّاف [٢]، قال النابغة :

خطاطيفُ حُجنٍ في جبالِ مَينة
تمدّ بها أيدٍ إليك نوازِع [٣]

قرأت العامة/ وأهل العراق ﴿يَخْطَفُ﴾ بالتخفيف وفتح الطاء [٤]، وكذلك (١٠/ ﴿فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ﴾ [الحج : ٣١]، واختاره أبو عبيدة وأبو حاتم لقوله تعالى ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ [٥]﴾ [الصافات : ١٠] .

وقرأ الحسن (يَخطِّف) بكسر الطاء مع التشديد [٦] .

قال أبو عبيد : يريك (يختطف) ثم أدغم التاء في الطاء [٧]، وقرأ ابن أبي

---

(١) (المحرر الوجيز) (١ / ١٠٣) و (الكشاف) (١ / ٢١٩) .

(٢) (الجامع لأحكام القرآن) (١ / ٣٣٥) .

(٣) (معاني القرآن) (١ / ٩٠٢) و (إعراب القرآن) (١/ ٥٩١- ٦٩١) و (المحرر الوجيز) (١ / ٣٩١) ، و (المحتسب) (١ / ٢٦) .

(٤) (معاني القرآن) (١ / ١٨) .

(٥) (المحتسب) (١ / ٦٢) .

(٦) (معاني القرآن) للفراء (١ / ١٨) و (معاني القرآن) للأخفش (١ / ٢١٠) .

(٧) قال القرطبي رحمه الله : « وزعم سيبويه والكسائي أن من قرأ (يَخطِّفُ) بكسر الخاء والطاء، فالأصل عنده يَخْتَطِفُ، ثم أدغم التاء في الطاء، فالتقى ساكنان، فكُسرت الخاء لالتقاء الساكنين .

قال سيبويه : ومن فتح الخاء ألقى حركة التاء عليها، وقال الكسائي : ومن كسر الياء فلأن الألف في (اختطفَ) مكسورة .

فأما ما حكاه الفراء عن أهل المدينة من إسكان الخاء والإدغام، فلا يعرف ولا يجوز، لأنه جمع بين ساكنين، قاله النحاس وغيره » .

وللمزيد انظر (إعراب القرآن) (١ / ١٩٦) و (المحرر الوجيز) (١ / ٣) و (الكشاف) (١ / ٢١٩) .

إسحاق، (يُخطِّفُ) بنصب الفاء [١] .

قال الأخفش : منهم من قال بكسر الطاء من : خَطِفَ يَخْطَف، وهي قليلة رديئة لا تعرف .

ومن قرأ (يَخْطَف) فهي الجيدة، ومن قرأ يَخَطِّف (بكسر الخاء وثقّل) أراد يَختطفُ، ومنهم من كسر الياء والخاء والطاء فأتبع الكسرة الكسرة .

وأنشد :

تَدافَعَ السَّيلُ ولم يقتِل [٢]

قال الأصمعي : الخطف : استلاب الشيء، وأنشد :

خَـطَـفـتـهُ مَـنـيـةٌ فـتـردَّى وهُو في المُلك يأمُلُ التَّعميرا [٣]

وقوله سبحانه : ﴿ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم ﴾ (كل) حرف جملةٍ ضم إلى ما في الجزاء فصار أداة للتكرار، وهي منصوبة بالظرف، ومعنى : متى ما، وفي حرف عبد الله : ﴿ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَضَوْا فِيهِ ﴾ [٤]، وفي حرف أبيٍّ : ﴿ مروا فيه ﴾ [٥] .

وقوله سبحانه ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ ﴾ : (لو) حرف شك، يمنع الشك لوقوع غيره، وفيه معنى الجزاء، وليس يلي غَير الفعل، وكان

---

(١) (تفسير الثعلبي) (١ / ١٦٤) .

(٢) قاله الأخفش في كتابه (معاني القرآن) (١ / ٤٥- ٥٥) مع تغاير الألفاظ ، والبيت في كتابه (تدافعُ الشُيب) بضم الفاء والشين .

(٣) انظر (ديوان عدي بن زيد) (٤٦) ، وعند المصنف (في الملك) ، وفي (الإتقان) للسيوطي ، و(الدر المنثور) له كذلك ، وفي الديوان (في ذاك) .

(٤) أي عبد الله بن مسعود رضي الله عنه الصحابي المعروف المشهور، وأما عن قراءته فانظر : (المحرر الوجيز) (١/ ١٩٤) .

(٥) (المحرر الوجيز) (١/ ١٩٤) .

حمزة [١] يكسر الشين؛ لأنه من (شِئت) .

قال أبو عبيدة : ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَـٰرِهِمْ ﴾، ولم يقل بأسماعهم وأبصارهم، ومثله : ﴿ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴾ [إبراهيم:٤٣]، ولم يقل (طروفهم)، وقوله : ﴿ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا ﴾ [النساء : ٤]، ولم يقل (نفوسًا) .

ومما أشبهها من القرآن، فإن ذلك إنما كان لما استغنى بعلم المخاطب، ألا ترى أن العرب تقول : لهم عقلٌ أو بصر، قال الشاعر :

كلُوا فِي نِصفِ بَطنكُمُ تَعِيشُوا ... فَـإِن زمانَكُمُ زمـنٌ خَمِيصٌ

أراد : بطونكم، وقال جرير :

تَدعوكَ تيمٌ وتَيم في قُرى سَبَإٍ ... قَدْعَضَّ أعناقَهَا جلدالجوَامِيس [٢]

أراد : جلودها .

---

(١) هو : حمزة بن حبيب بن عُمارة بن إسماعيل الإمام القدوة شيخ القراء، أبو عمارة التيمي، مولاهم الكوفي الزيات، مولى عكرمة بن ربعي .
سبب تسميته بالزيات : كان يجلب الزيت من الكوفة إلى حلوان، ثم يجلب منها الجبن والجوز.
وكان إمامًا قيمًا لكتاب الله، قانتًا لله، ثخين الورع، رفيع الذكر عالمًا بالحديث والفرائض أصله فارسي.
قال النووي رحمه الله : « ما قرأ حمزة حرفًا إلا بأثر » .
وقال حسين الجعفي : « ربما عطش حمزة، فلا يستسقى كراهية أن يُصادف من قرأ عليه » .
قال الذهبي رحمه الله : « كره طائفة من العلماء قراءة حمزة لما فيها من السكت، وفرط المد، واتباع الرسم، والإضجاع، وأشياء، ثم استقر اليوم الاتفاق على قبولها، وبعضٌ كان حمزة لا يراه » .
توفي سنة ثمان وخمسين ومائة، وله ثمان وسبعون سنة .
وللمزيد انظر : (الطبقات الكبرى) لابن سعد (٦/ ٣٨٥)، و(التاريخ الكبير) (٣/ ٥٢)، و(وفيات الأعيان) (٢/ ٢١٦)، و(تاريخ الإسلام) (٦/ ١٧٤) و(السير) (٧/ ٩٠) .

(٢) انظر : (معاني القرآن) للفراء (١/ ٧٠٣) ، و(النكت والعيون) للمصنف (١/ ٣٨) ، و(جامع البيان) (١/ ٧٢٢) .

قال الحسن : ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَـٰرِهِمْ ﴾ عقوبة لهم حين أظهروا الإيمان، وأسروا الشرك .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ لا يعجزه شيء [١] .

قال الشعبي : / ولو شاء الله لأماتهم عند أول ذلةٍ كانت منهم، ولم (١١/ يُمتعهم في الدنيا بالنعم التي أنعم بها عليهم مع كفرهم .

ومنها قوله تعالى:﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا﴾ الآية [البقرة:٢٦].

قال أبو الحسن ﷺ : « إنَّ مخرج القول فيه على مجاز مفهوم، وله نظائر من القرآن، فمنها قوله تعالى : ﴿ وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ﴾ [الشورى:٢٦]، ﴿ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الأعراف : ١٢٩]، والعرب تقول : حييت الحياء حياء، واسْتحييتُ أستحيي استحياء، قال الشاعر :

ألا تحيونَ من تكثير قوم لعلات وأمكم رقوب [٢]

وربما خرج الاستحياء في [موضع الأنفة كما قال] [٣] :

وإني لأستحي أخي أن أرى له على من الحق الذي لا يرى ليا

فأما قوله ﴿ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا ﴾ فإن معناه : يبين، ومنه قوله سبحانه ﴿ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ﴾ [إبراهيم : ٢٥]، [النور : ٣٥]، ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ﴾ [الزمر : ٢٧]، [الروم : ٥٨] .

---

(١) انظر : (ديوانه) (١)، و(معاني القرآن) للفراء (١/ ٣٠٨)، و(جامع البيان) (١٤/ ١١٧) .

(٢) انظر (لسان العرب) مادة (حيي) . .

(٣) كتبت بهامش الأصل .

والضرب في اللغة على وجوه : فمنها التَبيين، ومنها النوع، تقول العرب: أخذ فُلان في ضَرب من الكلام، أي : نوع منه، ومنها السير، قال الله تعالى : ﴿ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ [المزمل : ٢٠]، وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ [النساء : ١٠١] .

قال الشاعر [١] :

لَحفظ المـــالِ أيـــسَرُ مِـــن بُغاه وَضرب فِي البلادِ بغيرِ زادِ [٢]

ومنها الرجل الخفيف اللحم، [قال طرفة] [٣] :

أنا الرجل الضربُ الذي تَعرفُونه خَشاشٌ كرأسِ الحيةِ المتوقدِ

ومنها الضرب المعروف باليد وغيرها، قال الله تعالى لأيوب؛ : ﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ ﴾ [ص : ٤٤]، والعرب تقول : ضَربْتُ الذِّكرَ عن فلان صفحًا: إذا لم تذكره .

ومنها الإلزام، نحو قوله تعالى : ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ ﴾ [آل عمران: ١١٢].

والأمثال في اللغة : الأشباه والنظائر والصفات، ويحتاج كل مثل لي ممثل

---

(١) هو : المتلمِس الضبعي، واسمه : جرير بن عبد المسيح الضبعي، الشاعر الجاهلي، وسمي المتلمس، ببيت قاله هو وطرفة في عمرو بن هند ملك الحيرة، فكتب إلى عامله له ولطرفة بن العبد كتابين، وأوهمهما أنه أمر لهما بجوائز، وكتب فيه يأمره بقتلهما، والقصة مشهورة عند العرب .

وأن المتلمس لما علم بما فيها رمى بها وهرب، فضربت العرب المثل بصحيفته بعد، ولما وافى طرفة بصحيفته قتل .

انظر (تاريخ الأدب العربي) و(معجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين) (ص : ٣١٨) .

(٢) انظر (ديوانه) (٢٧١) .

(٣) كتبت بهامش الأصل .

حتى [يتم، قال الشاعر][١] :

مَثَلُ الفَتَى مثلُ الهلال إذَا تَنقصُه اكتَتَامُهْ
حَتَّى إذَا خرَجَتْ جَوَارَحُهُ وعَادَلَهُ تَمَامُهْ
انسَلَّ مِنْ نُقصانِهِ عَنه فزايَلَهُ نِظَامُهْ

فذكر المثل والممثل جمعًا، قال كعب بن زهير :

كانت مَواعيدُ عَرقوب لها مثلاً وما مواعيده إلا الأَباطيل [٢]

فمن الأمثال ما يخرج على جهة الإطناب والإكثار، نحو قول زهير :

وما الحرب إلا ما علمتم وذُقتمُ وما هو عنها بالحديث المرجَّم/ (١١/ب)
مَتى تَبعثُوهَا تَبعثوها ذميمةً وتضر إذا ضريتموها فتضرَم
فتعرككُم عَـرْكَ الرَّحا بثفالهَا وتلقحُ كشافًا ثم تُنتج فَتُتْئِمَ
فتنتجْ لكم غلمانَ أشأمَ كُلهم كأحمر عادٍ ثم تُرْضع فَتَفْطِمَ
فَتغْلِل لكم مـالاً تُغِلُّ لأهلها قرىً بِالعراق من قفيزٍ ودرهمِ [٣]

ومن هذا النوع في كتاب الله تعالى : ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً ﴾ الآية [النحل : ١١٢]، [ومنه قوله تعالى : ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا ﴾ الآية [الزمر : ٢٩] [٤] .

ومنها ما يخرج على الإيجاز والاختصار، نحو قول العرب : وقع فلان في

---

(١) كتبت بهامش الأصل .
(٢) انظر (ديوانه) (بانت سعاد) (٨) ، و(جامع البيان) للطبري (١/ ٣٠٤) .
(٣) وهي من معلقاته .
(٤) كتبت بهامش الأصل .

سَلى جمل [١]، و رماه بثالثة الأثافي [٢]، وطلب الأبلق العقوق [٣]، وإن كنت ريحًا فقد لاقيت إعصارًا [٤].

ومن هذا النوع في كتاب الله تعالى : ﴿ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ﴾ [الأعراف : ١٧٦]، وقوله : ﴿كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ﴾ [العنكبوت : ٤١].

قال ابن عباس رضي الله عنه : « إن الله تبارك وتعالى لمَّا أنزل في كتابه ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا ﴾ الآية [الحج : ٧٣]، وذكر آلهة المشركين ووهنها، وضعفها فقال : ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ﴾ [العنكبوت : ٤١]، فأخبر أن آلهتهم لا تنفعهم في دفع ولا نفع ولا خير ولا ضير، كما أن بيت العنكبوت لا يغني عنهم شيئًا في حرٍ ولا قرٍ ولا مطرٍ.

قالت اليهود : وما هذا من ضرب الأمثال، فأنزل الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ ﴾ الآية [البقرة : ٢٦]، يقول : لا ينزل أن يضرب للحق مثلًا، يعني أن يصف للخلق شبهًا [٥].

---

(١) انظر (المستقصى) للزمخشري (٢/ ٣٧٧).

(٢) الأثافي هي : ثلاث قطع من الحجارة، توضع فينصب عليها القدر، والمعنى : رماه بالشر. انظر (المصدر السابق) (٢/ ١٠٢).

(٣) انظر (تاج العروس) (٢٥/ ٩) مادة (بلق).

(٤) انظر (المستقصى) (١/ ٣٧٣).

(٥) انظر (تفسير الثعلبي) (١/ ١٧٢)، و(أسباب النزول) للواحدي (ص : ٢٣)، و(معالم التنزيل) للبغوي (١/ ٧٦).

﴿ مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾، يعني : الذباب والعنكبوت . (١)

قال أبو عبيدة : أراد فما دونها (٢) .

﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ يعني : صدقوا، وهم أصحاب محمد ﷺ (٣)

﴿ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ﴾ يعني : القرآن، والمثل الحق من ربهم (٤)،

(١) أخرج الطبري (١/ ٢٤٦)، وعبد الرزاق في (تفسيره) (١/) وابن أبي حاتم (١/ ٦٩)، وعبد بن حميد، وابن المنذر كما في (الدر المنثور) (١/ ٨٨) عن قتادة قال : لما ذكر الله العنكبوت والذباب، قال المشركون : ما بال العنكبوت والذباب يذكران ؟!
فأنزل الله ﷻ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ [البقرة : ٢٦] .

(٢) انظر (مجاز القرآن) (١/ ٣٥) .
قال الإمام القرطبي رحمه الله : « وأما تأويل قوله : ﴿ فَمَا فَوْقَهَا ﴾ فهو : ما هو أعظم منها عندي لما ذكرنا قبل من قول قتادة وابن جريج أن البعوضة أضعف خلق الله، فإذا كانت أضعف خلق الله فهي نهاية في القلة والضعف .
وإذا كانت كذلك فلا شك أن ما فوق أضعف الأشياء لا يكون إلا أقوى منه، فقد يجب أن يكون المعنى على ما قالاه : فما فوقها العظم والكبر، إذا كانت البعوضة نهاية في الضعف والقلة.
وقيل في تأويل ﴿ فَمَا فَوْقَهَا ﴾ : في الصغر والقلة، كما يقال في الرجل بذكره الذاكر فيصفه باللؤم والشح، فيقول السامع : نعم، وفوق ذلك، يعني به : فوق الذي وصفت في الشح واللؤم .
وهذا قول خلاف تأويل أهل العلم الذين ترتضي معرفتهم بتأويل القراء، فقد تبين إذًا بما وصفنا أن معنى الكلام : إن الله لا يستحيي أن يصف شبهًا لما شبه به الذي هو ما بين البعوضة إلى ما فوق البعوضة، فأما تأويل الكلام لو رفعت البعوضة فغير جائز في « ما » إلا ما قلنا من أن تكون اسمًا لا صلة بمعنى التطويل .
نقلًا من (جامع البيان) (١/ ٢٤٨) .

(٣) انظر (جامع البيان) (١/ ٢٤٨) .

(٤) قال الربيع بن أنس : أن هذا المثل الحق من ربهم وأنه كلام الله ومن عند الله، وقال قتادة : أي يعلمون أنه كلام الرحمن وأنه الحق من الله . انظر المصدر السابق (١/ ٢٤٩) .

﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ يعني : اليهود، ﴿ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ﴾ أي شبهًا، يعني : البعُوضة، يقول الله تعالى : ﴿ يُضِلُّ بِهِۦ ﴾ يعني : بالمثل، ويقال بالقرآن ﴿ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ﴾ الآية، ﴿ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ : اليهود .[1]

قال مجاهد : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا ﴾ من الأمثال صغيرها وكبيرها، يؤمن بها المؤمنون ويعلمون أنها الحق، ويعرفها الكافرون فيكفرون بها [2]./ (١٢/أ

قال سعيد بن جبير : إن الله تعالى ﴿ لَا يَسْتَحْىِۦٓ ﴾، أي لا يمنعه الحياء .

قال مقاتل : «إن الله تعالى ذكر الذباب والعنكبوت في القرآن، فضحكت اليهود، وقالوا : ما يشبه هذا من الأمثال أن تضرب، وما أرد الله بذكر الذباب والعنكبوت ؟

فأنزل الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ ﴾ يعني : لا يستحي أن يضرب للحق صغيرًا أو كبيرًا مثلًا، أي : شبهًا، ﴿ بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾، فأما الذين آمنوا فيعلمون أن هذا المثل (هو الحق من ربهم)، ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ بالقرآن، يعني اليهود فيقولون : ﴿ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ﴾، إنما يقوله محمد من تلقاء نفسه، وليس من الله [3] » .

قال علي بن الحسين بن واقد : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ ﴾ أي : لا يَكُفه الحياء، نظيره في الأحزاب : ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ [الأحزاب : ٥٣]،

---

(١) انظر (تفسير القرآن العظيم) لابن كثير (١/ ٨٢) .

(٢) انظر (جامع البيان) (١/ ٢٤٦) .

(٣) انظر (تفسيره) (١/ ٩٤) .

أي لا يمنعه الحياء من قول الحق .

والمثل : الشبه، نظيره في النحل ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا ﴾ [النحل : ١١٢]، وفي الروم ﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا ﴾ [الروم : ٢٨]، وفي الزخرف : ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا ﴾ [الزخرف : ٥٧] .

قال الكسائي : ﴿ مَّا بَعُوضَةً ﴾ ما : صلة، ونظيره ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ ﴾ [النساء : ١٥٥] [المائدة : ١٣]، ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] .

قال الفراء : ﴿ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ﴾ أي ماذا أراد بالمثل، أليس يعرفه كل أحد [١] ؟

قال قتادة : إن الله لا يستحيي من الحق أن يذكر منه ما شاء ما قلَّ وما كثر [٢].

وروى معمر عنه، أن المشركين قالوا : ما بالهما، يذكران، فأنزل الله تعالى الآية [٣].

قال عطاء عن ابن عباس ﴿ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا ﴾ يعني : من المنافقين، ﴿ وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ﴾ من المؤمنين ﴿ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ يعني : الكاذبين من أهل النفاق [٤] .

قال الحسن : ﴿ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا ﴾ يعني من جَحَدهُ وكَفَرَ به

---

(١) انظر (معاني القرآن) للفراء (١/ ٢٣) .

(٢) أخرجه الطبري (١/ ٢٤٦) بلفظ : أي : إن الله لا يستحيي من الحق أن يذكر منه شيئًا ما قل منه أو كثر، إن الله لما ذكر في كتابه الذباب والعنكبوت ...

(٣) المصدر السابق .

(٤) أثر حسن، أخرجه الطبري (١/ ٢٤٩) .

﴿وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا﴾ من آمن وآخذ به [١] .

قال الحسين بن الفضل : ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ يعني الناقضين العهد [٢] .

قال ابن كيسان : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ﴾ الآية [البقرة : ٢٦]، هذا جواب المشركين، قالوا ما يصنع ربُّ محمدٍ بذكر الذباب والعنكبوت، وذلك حين ضربهما مثلا فما رضوا لأنفسهم من عبادة دون الله، فأجابهم الله تعالى، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا﴾ إذا كان المثل صوابًا، موافقًا لما مثله به، ﴿يُضِلُّ بِهِۦ﴾ يعني بالمثل، ﴿كَثِيرًا﴾ لأنهم ازدادوا كفرًا / حين (١٢/ب) مثل أربابهم في ضعفها بالذباب والعنكبوت، وشبههم في جهلهم بالأنعام، فازدادوا بذلك تكذيبًا وبعدًا، ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ لأن المؤمنين يزدادون به هدي، ويضل به من فسق عن أمر ربه .

قال أبو الحسن : قوله : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ﴾ جواب قوم أنكروا أمثال القرآن، وزعموا أن الله يستحي من ضرب الأمثال في الذباب والعنكبوت والبعوض، فردَّ عليهم وقال ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ﴾ فخرج الكلام على جواب لفظهم، كما قال تعالى : ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ [السجدة : ٣]، [الأحقاف : ٨]، فردَّ عليهم فقال : ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ﴾ [هود : ١٣] ولو دُعوا إلى الافتراء لما اعتاص عليهم، ولكن لما قالوا : ﴿ٱفْتَرَىٰهُ﴾ قبل « افتروا »، لأنَّ الحياء عارض، والله تعالى ليس بمحل للأعراض .

---

(١) عزاه ابن كثير في (تفسير القرآن العظيم) (١/ ٩٠) للسدي .

(٢) انظر ما قبله .

وروى محمد بن جرير الطبري : في كتابه عن بعض المفسرين، أنه أوَّل قول الله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ ﴾ أي لا يخشى، واعتبره يقول من تأوَّل قوله سبحانه: ﴿ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ ﴾ [الأحزاب : ٣٧]، أي : تستحييهم، وقال: لمَّا كان في الخشية والحياء طرف من العلم، جاز أن يوضع أحداهما موضع الآخر [١] .

وقرأه العامة : ﴿ يَسْتَحْيِۦٓ ﴾ بياءين؛ لأنه يستفعل، وإذا اعتلت العين واللام لم تعل العين [٢]، قال الراجز :

أَلِيسٌ يَسْتَحيي من الفِرَار

الأليس : الشجاع .

وروى ابن مجاهد عن ابن كثير وابن محيصن وشبل أنهم قرؤوا (يستحي) بياء واحدة [٣]، وهو من استخاف تميم بالإعلال، قال الراجز [٤] :

لا أستحي القُرَّاء أن أميسا [٥]

وقوله سبحانه : ﴿ مَّا بَعُوضَةً ﴾، فالبعوضة واحدة البعوض، و (ما) صلة، وهي منصوبة على البدل من المثل، قال الكسائي والفراء [٦]: هي نصب بانتزاع (بين) كما تقول : مُطرنا ما زبالة فالثعلبية وله عشرون

---

(١) (جامع البيان) (١/ ٢٤٧) .

(٢) انظر (المحرر الوجيز) (١/ ٣٦٢) .

(٣) انظر (القراءات الشاذة) لابن خالويه (ص : ٤) .

(٤) هو : رؤبة بن العجاج .

(٥) انظر (ديوانه) (٧٠) .

(٦) انظر (الوقف والابتداء) لابن الأنباري (١/ ٣٥٤)، و(معاني القرآن) للفراء (١/ ٢٢) .

ما ناقة فجملًا [١] .

قال الشاعر :

يا أحسن الناس ما قرنا إلى قدمٍ ومَا حبَال مُحبٍ وامق تَصل [٢]

[وروى عن رُؤبة بن العجاج أنه قرأ ﴿ بَعُوضَةً ﴾ رفعًا [٣]] [٤] وأصخر لها اسمًا يعني : الذي هو بعوضة، كما قال الشاعر :

لم أرَ مثل الفتيان في غير الأيام ينسون ما عواقبها [٥]

أي ما هو عَواقِبُها .

فأما قوله : ﴿ فَمَافَوْقَهَا ﴾ أي ما أعظم منها .

قال أبو عبيدة : فما دونها [٦] / ونظيره ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ﴾ [المؤمنون : ١٠٠]، (١٣/
﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ﴾ [الكهف : ٧٩]، أي : قُدَّامَهُم .

وقوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ فأجيب بالفاء لدخول معنى

---

(١) انظر (معاني القرآن) للفراء (١/ ٢٢) .

(٢) انظر (الوقف والابتداء) (١/ ٤٥٣) . .

(٣) انظر (المحتسب) (١/ ٦٤) .

(٤) كتبت بهامش الأصل .

(٥) انظر (ديوان عدي بن زيد) (٥٤) ، و(معاني القرآن) للفراء (١/ ٥٤٢) ، و(أمالي ابن الشجري) (١/ ١١١) .

تنويه: وقع في (الحماسة البصرية) (٤/ ٦٧٣)، و(إيضاح الوقف والابتداء) (١/ ٣٥٦) (غبن) بالغين المعجمة، فالباء الموحدة التحتية، فالنون الموحدة من فوق، وانظر ما سطره ابن الشجري في أماليه (١/ ١١١) حول هذه اللفظة.

(٦) انظر (مجاز القرآن) (١/ ٣٥) .

الجزاء فيه، كما قال [١] :

فـأمَّـا تمـيـمٌ تمـيـمُ بـن مـرٍّ فألفاهُم القوم روبى [٢] نِيَاما [٣]

وهي أداة رافعة للأسماء، قال أهل البصرة : ما بعدها مرفوع بالابتداء؛ لأنها لا تعمل شيئًا .

وقوله سبحانه : ﴿ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ﴾ ما : حرف استفهام، وذا إشارة، ومحلها رفع بالابتداء .

والمعنى : أي شيء أراد الله، وانتصابُ المثل مَثلًا .

قول سبحانه : ﴿ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ .

قال قتادة : فَسَقُوا فأضلهم الله على فسقهم [٤]، والفاسق : الخارج عن الطاعة[٥]، [قال الشاعر] [٦] :

يَهوِين فِي نجدٍ وغـورًا غائرًا فَواسقًا عن قَصدها جَوَائرا [٧]

وقرأ عبيد بن عمير : « يُضِلُّ بِهِ كَثِيرٌ وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرٌ وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الفَاسِقُون» فجعلهم فاعلين . [٨]

(١) هو : بشر بن أبي حازم الأسدي، شاعر جاهلي، له ترجمة انظرها في (الشعر والشعراء) (٢٢٧)، و(الخزانة) (٢/ ٢٦١) .

(٢) الروبى : الذين ثقل بهم النوم .

(٣) انظر (معاني القرآن) للأخفش (٥٨) ، و(أمالي ابن الشجري) (٣/ ١٣١) .

(٤) أخرجه الطبري (١/ ٢٥٠) .

(٥) انظر (المحرر الوجيز) (١/ ١١٢) .

(٦) كتبت بهامش الأصل .

(٧) انظر (ديوان رؤبة) (١٩٠) .

(٨) قال ابن عطية رحمه الله :

« وقراءة جمهور الأمة في هذه الآية « يُضِلُّ » بضم الياء فيهما، وروى عن إبراهيم بن أبي عبلة أنه قرأ « يَضِلُّ » بفتح الياء « كثيرٌ » بالرفع « ويهدي به كثيرٌ، وما يضل به إلا الفاسقون » بالرفع. =

ورُوِيَ عن ابن مسعود، وعطاء، والحسن، ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ﴾ على لفظ ما لم يسم فاعله (إلا الفاسقين) فانتصب [١].

قال ابن مجاهد : أسانيد هذه القراءة مُنكرةٌ جدًّا، فإن صَحَت فطريقُها من اللغة أن يضمُر لها اسمٌ، ويكون ما ظهر خبرًا له وتقديره : وما يضل به إلا أفسق الفاسقين كقول الشاعر :

وَلـو وَلـدت قُفَيرَة جـروُ كلب كسبَّ بِذلك الجـروِ الكلابَا

قال الأخفش : ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾ قالوا أعظم منها، وقالوا أصغر، كما يقال فلان صغير، فيقول : وفوق ذاك، أي أصغر من ذلك [٢]، وقوله تعالى : ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾ تكون ذا بمنزلة الذي، وتكون (ما) و(ذا) شيئًا واحدًا، كما قال : ﴿مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا۟ خَيْرًا﴾ [النحل : ٣٠] [٣].

قال الفراء [٤] : (ما بعوضة) نُصبتْ (ما)، وأردت : ما بين بعوضة، وإن شئت جعلت (ما) اسمًا تامًّا كما قال حسان :

فكفَى بِنَا فضلاً على مَن غيرنا حُـبُّ النبيِّ محمد إيانا [٥]

= قال أبو عمرو الداني : هذه قراءة القدرية، وابن أبي عبلة من ثقات الشاميين ومن أهل السنة، ولا تصح هذه القراءة عنه مع أنها مخالفة خط المصحف . (المحرر الوجيز) (١/ ٢٦٧) .

(١) وقال كذلك : وروى عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قرأ في الأولى « يُضل » بضم الياء، وفي الثانية « وما يَضِلُّ » بفتح الياء، « به إلا الفاسقون » وهذه القراءة متجهة لولا مخالفتها خط المصحف المجمعَ عليه .

المصدر السابق .

(٢) انظر (معاني القرآن) للأخفش (١/ ٥٩) .

(٣) المصدر السابق .

(٤) في (معاني القرآن) (١/ ٢١) .

(٥) المصدر السابق ، و(جامع البيان) للطبري (١/ ٨٤٢) .

فجعل (من) اسمًا تامًّا، وجعل (غيرنا) نعتًا له .

قال أبو عبيدة : سَأل يُونس بن حبيب رُؤبة بن العجاج عن هذه الآية فقرأها بالرفع (ما بعوضَةٌ)، ثم أنشد بيت النابغة :

قالت فيا ليتَ ما هذا الحمامُ لنا إلى حَمَامَتِنَا أو نِصفَه فَقَدى [١]

بالرفع فأعمل (غير) ولم يعمل (ليت) وهي لغة تميم يُعْمِلون آخر الأداتين وآخر الفعلين .

قال الحسين بن الفضل : / ضرب الله الأمثال رحمةً منه لخلقه، إذ شبه (١٣/
لهم الشيء بنظيره، ليقرب من فهمهم ويكون أثبت للحجة عليهم، ولا يقولوا كما قال قوم شعيب؛ : ﴿ مَانَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ ﴾ [هود : ٩١]، ولو شاء أن يُفهمَهُم من غير أن يضرب لهم المثل لفعل، ولكن يخاطبهم بلغتهم حتى إن عمى على أحد معرفة شيء، عند مخاطبته إياه ضرب لهُ المثل، وشبَّه له الشيء بنظيره .

وقد كان رسول الله ﷺ يفعل ذلك بأصحابه رضي الله عنهم، ويضرب لهم الأمثال، وكذلك الأنبياء عليهم السلام يضربون لقومهم الأمثال .

فالمثل : صفة، والمثل : مساواة الموصوف من جميع الجهات أو من بعض الجهات، يساويه فيكون مثله فيها .

وروى ابن مسعود أن النبي ﷺ خط خطًّا فقال : هذا ابن آدم، ثم خط خطًّا آخر فقال : هذا أمله، ثم خطًّا آخر، فقال : وهذا أجله، والموت يختلسه دون الأجل والأمل [٢] .

---

(١) انظر (ديوان النابغة) (٤٣) ، و(مجاز القرآن) (١/ ٥٣) .

(٢) حديث صحيح : أخرجه البخاري (٧/ ٦٤)، والترمذي (٢٤٥٤)، وابن ماجة (٤٢٣١) =

قال الحسين : وحدثنا هَوذةُ بن خَليفَة قال: حدثنا عوف عن الحسن، قال

= ، وأحمد (١/ ٨)، والدارمي (٢/ ٣٠٤)، وأبو يعلى في (مسنده) (٥٢٤٣)، وأبو نعيم في (الحلية) (٢/ ١١٦-١١٧)، من طرق عن يحيى القطان عن سفيان الثوري حدثني أبي عن أبي يعلى عن ربيع بن خُثيم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال : خط النبي ﷺ خطًا مربعًا، وخط خطًا في الوسط خارجًا منه، وخط خططًا صغارًا إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط، وقال :

هذا الإنسان، وهذا أجله محيط به أو قد أحاط به وهذا الذي هو خارج أمله، وهذه الخطط الصغار الأعراض، فإن أخطأه نهشه هذا، وإن أخطأه هذا نهشه هذا .

قال أبو عمرو : أما والد سفيان فهو : سعيد بن مسروق الثوري، وأبو يعلى هو : المنذر بن يعلى الثوري ومن الثوري فصاعدًا كوفيون .

قال الحافظ رحمه الله : قيل صفة الخط :

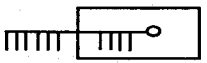

وقيل صفته :

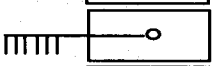

وقيل صفته :

وقيل صفته :

ورسمه ابن التين هكذا :

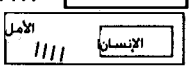

والأول المعتمد، وسياق الحديث يتنزل عليه، فالإشارة بقوله : هذا الإنسان » إلى النقطة الداخلة، وبقوله : « **وهذا أجله محيط به** » إلى المربع، وبقوله : « **وهذا الذي هو خارج أمله**» إلى الخط المستطيل المنفرد، وبقوله : « **وهذه إلى الخطوط** » وهي مذكورة على سبيل المثال لا أن المراد انحصارها في عدد معين، ويؤيده قوله في حديث أنس « **إذا جاءه الخط الأقرب** » فإنه أشار به إلى الخط المحيط به، ولا شك أن الذي يحيط به أقرب إليه من الخارج عنه، وقوله : « **خططًا** » بضم المعجمة والطاء الأولى : للأكثر، ويجوز فتح الطاء، وقوله : « **هذا إنسان** » مبتدأ وخبر، أي : هذا الخط هو الإنسان على التمثيل .

والأعراض : جمع : عرض بفتحتين، وهو ما ينتفع به في الدنيا في الخير والشر « نهشه » بالنون والشين المعجمة أي : أصابه .

والمراد بالأعراض الآفات العارضة له فإن سلم من هذا لم يسلم من هذا، وإن سلم من الجميع ولم تصبه آفة من مرض أو فقد مال أو غير ذلك، بغته الأجل .

وفي الحديث : إشارة إلى الحض على قصر الأمل والاستعداد لبغته الأجل، عبر بالنهش، =

رسول الله ﷺ : « مثل أمتي مثل المطر لا يُدري أوَّله خير أم آخره »[١] .

= وهو لدغ ذات السم مبالغة في الإصابة والإهلال .
قال أبو عمرو : وفي الباب عن أنس عند البخاري (٦٤١٨) وكذلك أخرجه الترمذي (٢٣٣٤) وابن ماجه (٤٢٣٢) وأحمد (٢/ ١٢٣)، وابن المبارك في (الزهد) (٢٥٢) .
وأبي سعيد عند أحمد (٣/ ١٨)، وأبو نعم في (الحلية) (٦/ ٣١١)، والبغوي في (شرح السنة) (٤٠٩١)، وبريدة عند الترمذي (٢٨٧١) وحسنه .

(١) الإسناد ضعيف، والمتن صحيح .
أخرجه أحمد (٣/ ١٤٤)، قال : حدثنا حسن بن موسى حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت وحميد ويونس عن الحسن أن رسول الله ﷺ قال : « ... الحديث »، **وهذا إسناد ضعيف** .
ثابت : هو البناني، وحميد : هو الطويل، ويونس : هو ابن عبيد، وعلته : معلوم أن الحسن تابعي معروف مشهور، بيد أنه لم يدرك زمن النبي ﷺ .
وقد رُويَ عن الحسن عن عمار بن ياسر رضي الله عنه أخرجه أحمد (٤/ ٣١٩)، **بإسناد ضعيف؛** الحسن لم يسمع من عمار بن ياسر .
ورُوِيَ عن الحسن عن أنس بن مالك، أخرجه ابن عدي في (الكامل) (٤/ ١٦٣٨)، **بإسناد ضعيف،** فيه : عبيد الملك بن تمام ضعيف .
ورُوِيَ كذلك عن الحسن عن عمران بن حصين، **بإسناد يحتمل التحسين** .
وللحديث شواهد منها : عن أنس، أخرجه الترمذي (٢٨٦٩)، وأحمد (٣/ ١٣٠) (٣/ ١٤٤)، والطيالسي (٢٠٢٣)، وابن عدي في (الكامل) (٣/ ٦٦٣)، والبيهقي في (الزهد الكبير) (٤٠٠)، **وإسناده حسن** .
وعن عبد الله بن عمر، أخرجه ابن الأعرابي في (المعجم) (١١٢٢)، وأبو نعيم في (الحلية) (٢/ ٢٣١) **بإسناد ضعيف،** فيه : عيس بن ميمون التيمي الرقاشي، ضعفه العلماء .
وعن عبد الله بن عمرو أخرجه الطبراني في (الكبير) وابن عبد البر في (التمهيد) (٢٠/ ٢٥٣)، **وإسناده ضعيف،** فيه : عبد الرحمن بن زياد الإفريقي، **وهو ضعيف** .
فبمجموع ما تقدم يصح الحديث، والله أعلم .
قال الإمام السندي رحمه الله : « **قوله : « مثل المطر »** أي : المطر كله خير، أوله ينبت وآخره يربي، كذلك هذه الأمة المرحومة المباركة كلها خير، ولم يرد الشك، وإنما أراد أنهم في كثرة الخير تشابه أمرهم وكاد لا يتميز أولهم من آخرهم؛ وهذا لا ينافي أن أولهم خير في الواقع كما جاء =

قال : ومعنى آخر في ضرب المثل أن الله تعالى ذمَّ من جحده وكفر به، فضرب لهم الأمثال السيئة، فقال تعالى : ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ﴾ [الجمعة : ٥]، وقال : ﴿ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ ﴾ [الأعراف : ١٧٦] .

ومعنى آخر في المثل : أن يكون امتحانًا لخلقه مع علم منه بهم قبل أن يخلقهم ليعذر إليهم، ويثبت الحجة عليهم في قبول أمره ونهيه وذلك مثل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا ﴾ الآية [البقرة : ٢٦] .

وسُئل سعيد بن جبير عن قوله : ﴿ مَّا بَعُوضَةً ﴾ .

فقيل : ما الفائدة في ذكر البعوضة ؟

تحيا ما جاعت، فإذا سمنت هلكت، كذلك ابن آدم إذا امتلأ من الدنيا رِيًّا هلك [١] .

قال النضر بن شميل : ﴿ مَّا بَعُوضَةً ﴾، هذا : (ما) التقدير، ونظيره في قصة هارون ﴿ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ ﴾ [القصص : ٧٦] .

ومنها قوله تعالى : ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ ﴾ [البقرة : ١٧١] .

هذا مثل ضربه الله تعالى لأهل الكفر فجعل مثلهم كمثل راعٍ بنعق

= « خير القرون قرني ... » الحديث .

قيل : الأولون أقاموا الدين والآخرين مهدوا قواعده .

وقيل : بل الآخرون أهل زمان عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام، فإنهم يعودون في الصلاح والخير إلى حال الأولين، والله تعالى أعلم .

(١) أخرجه الطبري (١/ ٢٤٥) عن الربيع بن أنس !!، وأخرجه ابن أبي حاتم (١/ ٦٨) عن الربيع عن أبي العالية .

(١٤ أي / يصوت بما لا يسمع ولا يعقل ولا يفهم معنى النداء، وهي الشاةُ والبعير والبقرة، غير أنها تسمع الصوت ولا تعقل إن قال : كُلي واشرَبي .

فكذلك الكافر لا يعقل الموعظة ولا يفهمها إلا أنه يسمع الصوت .

ويقول الله سبحانه ﴿ صُمٌّ ﴾ أي عن الخير فلا يسمعونه، خُرسٌ لا يتكلمون به، عُميٌ لا يبصرون الخير والهدى، فهم لا يعقلون أنه من الله .

قال ابن عباس [١] ومجاهد [٢] : أراد به البهائم .

قال ابن جريج، قلت لعطاء : ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ﴾، قال : البهيمة لا تعقل إلا أنها تسمع، فالكفار كذلك لا يعقلون وهم يسمعون . [٣]

قال أبو الحسن : هذا مثل ضُرب لعابدِ غير الله، من جَماد وموات فشُبه بمتكلم إليهم وهي لا تعقل، وفي الكلام اختصار، وتقديره : مثل وعظ الكافرين كمثل الراعي نعق بالغنم فلا تفهم الغنم عنه سوى الصوت .

قال الشاعر :

حَسبتَ بُغَامَ راحلتي عَنَاقًا وما هِي ويبَ غيرك بالعناق [٤]

---

(١) إسناده ضعيف : أخرجه الطبري (٢/ ٨٦)، وابن أبي حاتم (١/ ٢٨٢)، إسناده منقطع .

(٢) أخرجه الطبري (٢/ ٨٦) : قال ابن أبي حاتم : وروى عن أبي العالية ومجاهد وعكرمة وعطاء بن أبي رباح والحسن وقتادة وعطاء الخرساني والربيع بن أنس نحو ذلك . (١/ ٢٨٢) .

(٣) أخرجه الطبري (٢/ ٨٧) .

(٤) انظر (معاني القرآن) للفراء (١/ ١٦-٢٦) ، و(تفسير الثعلبي) (٢/ ١٤) .

قال العلامة أحمد شاكر رحمه الله: «البيت لذي الخرق الطهوي، من أبيات يقولها لذئب تبعه في طريقه، وهي أبيات ساخرة، جياد، والعناق: أنثى الماعز، البغام: صوت الظبية، أو الناقة واستعارة - هنا للمعز» انظر (حاشيته على جامع البيان) (٢/ ١٠٣).

يعني : حسبت بغام راحلتي بغام عناق .

وإن أجريت على الظاهر لم تحتج إلى الضمير، فيقول : ومثل الكافرين في قلة فهمهم كمثل الرعاة يكلمون البَهْم، والبَهْمُ لا تعقل شيئًا [١] .

وكان عبد الرحمن بن زيد بن أسلم يقول : هو الكافر يُنادي بما لا يسمع من جوابه إلا صوتًا كالصائح بين جبلين يجاوبه الصدى [٢] .

والنَعقُ والنَعيق صوت الراعي [والغراب، قال الشاعر] [٣] :

نَعقَ الغُرابُ ولات حينَ يعيق فتيَقنُوا عِـلـماً ببين رفيق

قال أبو عبيدة : النعيق، الصوت، وأنشد للأخطل :

فانعق بِضأنك يا جَرير فإنما منتك نفسك ضلةً وخسارًا [٤]

ويروى : منتك نفسك في الخلاء ضلالًا [٥] .

وقوله سبحانه : ﴿ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ﴾ ممدودان؛ لأن أصل الدعاء دعاو، وأصل « النداء » «نداي» والياء والواو لام من هذا البناء فقلبتا همزة بعد ألف ساكنة، وكذلك كل ممدود في نفسه فهذا علته .

وروى ابن الأنباري عن ثعلب بيتًا :/ (١٤/ب

إذا ما الشيخ صَـمَّ ولم يَعُوّج ولم يَـكُ سَمعُه إلا ندايا [٦]

قال الفراء : ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ ﴾ أضاف المثل إلى

---

(١) انظر (تفسير الثعلبي) (٢/ ٤٢) .

(٢) أخرجه الطبري (٢/ ٨٨)، وقال : والعرب تسمي ذلك الصدى .

(٣) كتبت بهامش الأصل .

(٤) انظر (مجاز القرآن) (١/ ٤٦)، والطبري (١/ ٩٨) .

(٥) انظر (مجاز القرآن) (١/ ٦٤)، و(تفسير الثعلبي) (٢/ ٤١) .

(٦) انظر (فحول الشعراء) (١/ ٣٣) .

الذين كفروا ثم شبههم بالراعي ولم يقل بالغنم [١] .

والمعنى والله أعلم : ومثل الذين كفروا كالبهائم التي لا تفهم مما يقول الراعي أكثر من الصوت . كذلك مثل الذين كفروا فيما يأتيهم من القرآن، وأضيف التشبيه إلى الراعي، والمعنى في المرعى، وهو ظاهر في كلام العرب أن يقولوا : « فلان يخافك كخوف الأسد » يعني : كخوفه الأسد لأن الأسد معُروف بأنه مخوف [٢] .

قال : وفيها وجه آخر، يُضيف المثل إلى الذين كفروا وداعيهم كمثل الناعق، كما تقول إذا لقيت فلانًا فسلَّم عليه تسليم الأمير، وإنما تريد كما تسلم على الأمير، قال الشاعر :

وليستُ مُسلمًا ما دمتُ حيًّا على زيدٍ بتسليم الأميرُ [٣]

وقوله سبحانه : ﴿ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ﴾ ثم قال : ﴿ صُمٌّۢ بُكْمٌ ﴾ فرفع وهو وجه الكلام لأنه خبر مستأنف يدلُّ عليه قوله : ﴿ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾، وهو كما تقول في الكلام : هو أصمٌ فلا يسمع، وهو أخرس فلا يتكلم، ولو نصب على الشتم على ما في قراءة أُبَيّ . صمًّا بكمًا عميًا، لجاز [٤] .

قال أبو عبيدة : نَعَقَ، ينعِقُ، وينعَقُ، والنعق : الصِّياح، وإنما الراعي الذي ينعقُ فوقع المعنى على المنعوق، وهو الغنم، فيكون المعنىْ : كالغنم التي لا تسمع، ينعقُ بها راعيها وهو من المقلوب، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ ﴾ [القصص : ٧٦]، وإنما العصبة تنوء بالمفاتيح، والعرب تقول :

---

(١) في (معاني القرآن) للفراء « كالغنم » .

(٢) انظر (معاني القرآن) للفراء (١/ ٩٩) .

(٣) المصدر السابق (١/ ١٠٠) و(جامع البيان) (٢/ ١٦٥) ، و(البيان والتبين) (٤/ ٥١) .

(٤) المصدر السابق .

أعرض الناقة على الحوض، ومعناه : أعرض الحوض على الناقة [١] .

قال الفراء : نَعَقَ يَنْعِقُ نَعِيقًا وَنُعَاقًا وَنَعْقًا .

قال الزجاج : معناه : مثلك يا محمد [٢] كمثل الناعق، والمنعوق به مما لا يسمع؛ لأن سمعهم لم ينفعهم فكانوا في تركهم [٣] / قبول ما يسمعون بمنزلة (١٥/ ز
من لم يسمع، والعرب تقول لمن يسمع ولا يعمل على ما يسمع كأنه أصم، كما قال :

أَصَمُّ عمَّا سَاءه سَمِيع [٤]

قال ابن عباس [٥] : هذا مثل ضربه الله لأهل الكفر، مثلهم مثل الراعي (ينعق) ينادي مالا تسمع، يعني لا يعقل، وهي الشاة والبعير والبقر، غير أنها تسمع الصوت ولا تعقل، والذي يَنعقُ الراعي (ما لا تسمع) وهي البهَائم ﴿إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً صُمٌّ﴾ عن الخير فلا يعقلون، خرس لا يتكلمون بخير، عميٌ لا يبصرون الهدى، فهم لا يعقلون أنه من الله .

قال مجاهد : البهائم تسمع ما يقال لها، ولا تعقل، والذي ينعق الراعي بما لا تسمع الصوت ولا تعقل ما يقال لها [٦] .

قال عوف عن الحسن : يُصوتُ بها ولا تعقل .

---

(١) انظر (مجاز القرآن) (١/ ٦٣) .

(٢) في (معاني القرآن) المطبوع (١/ ٢٤٢)، « مثلك يا محمد ومثلهم » .

(٣) في المطبوع : « شركهم وعدم قبول » .

(٤) انظر : (معاني القرآن) للزجاج (١/ ٢٤٢) ، وكذلك (تفسير الثعلبي) (٢/ ٢٤) .

(٥) أخرجه الطبري (٢/ ٨٦) بنحوه، وقد تقدم .

(٦) أخرجه انظر (معاني القرآن) للزجاج (١/ ٢٤٢)، و (تفسير الثعلبي) (٢/ ٤٢) .
وقد تقدم هذا كله فيما مضى، فالمؤلف يكرر الفقرة أكثر من مرة .

قال عكرمة : ﴿ يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ ﴾ مثل الكافر كمثل البهيمة التي لا تسمع الدعاء، والنداء والصوت [١] .

قال الأخفش : معناه : مثلك ومثل الذين كفروا كمثل الناعق والمنعوق به، فحذف الكلام ودل ما بقي على معناه، ومثل هذا في القرآن كثير، نحو قوله سبحانه : ﴿ وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ ﴾ [يوسف : ٨٢]، يعني أهل القرية وأصحاب العير [٢] .

وقال بعضهم : ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ يقول : مثلهم في دعائهم الآلهة كمثل الذي ينعق بالغنم، لأن آلهتهم لا تَسمع ولا تَعقل كما لا تعقل الغنم، ونظيرها في هذا القول : ﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ ﴾ [فاطر : ١٤] .

قال الحسن: «يقول مثلهم فيما قبلوا عن آبائهم، وفيما أتيتم به حيث لا يسمعونه ولا يعقلونه، كمثل راعي الغنم الذي ينعق بها، وإذا سمعت الصوت رفعت رؤوسها واستمعت إلى الصوت والدعاء والنداء ولا تعقل منها شيئًا، ثم تعود بعد إلى مراتعها لم تفقه ما ناداها به [٣] .

وأخبر الله تعالى أنهم ﴿ صُمٌّ ﴾ عن هذا الحديث، فلا يعقلونه، ﴿ بُكْمٌ ﴾ عنه فلا ينطقون به، ﴿ عُمْيٌ ﴾ عنه فلا يبصرونه، وهذا مثل قوله تعالى : ﴿ وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف : ١٩٨] .

قال عطاء : / هذا مثل البهيمة لا تعقل ما يقال لها إن أمرتها أو نهيتها غير (١٥/أ) أنها تسمع صوتك، فكذلك الكفار ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ ﴾ عن الخير لا تعقل عن

---

(١) أخرجه الطبري (١/ ٨٦)، عن من قول (مجاهد) !!

(٢) (معاني القرآن) له (١/ ٥٣) .

(٣) (تفسير الثعلبي) (٢/ ٤١) .

الله ثوابًا، ولا يخشون عقابًا، ﴿صُمٌّ﴾ عن الإيمان، ﴿بُكْمٌ﴾ بكم عن القرآن، ﴿عُمْىٌ﴾ عن معرفة المنان، ﴿لَا يَعْقِلُونَ﴾ شيئًا مما جئت به، ولا مما يراد بهم.

قال ابن كيسان: يقول: مثلك في دعائك إياهم كراع ينعق بما لا يسمع، وهي الشاءُ تسمع الدعاء فلا تعقل ما دعيت إليه، ﴿صُمٌّ﴾ وإن سمعوا نداءك، فهم عن بيانه بمنزلة الأصم الذي لا يسمع، ﴿بُكْمٌ﴾ منطقهم في سوء البيان وقلة الصواب، كالأخرس الذي لا يُبين ما يقول، ﴿عُمْىٌ﴾ نظرهم فيما تدعوهم إليه بالإعراض عنه والاستكبار بمنزلة الأعمى الذي لا يرى ما يتجلَّى له شيئًا، ولا يهتدون.

قال السدي: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ﴾ الآية [البقرة: ١٧١]، فكذلك رسول الله ﷺ يدعوا من لا يسمع ولا يعقل ما يقال له إلا أن يدعا فيأتي، أو ينادي فيذهب، ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ﴾ عن الهدى[١].

قال مقاتل: يعني مثل الكافر كمثل البهيمة إن أُمرت أن تأكل وتشرب سمعت الصوت ولا تدري ما يقال لها، كذلك الكافر يسمع الهدى والموعظة إذا دعى إليها ولا يعقل ولا يفهم[٢].

ومنها قوله جل ذكره: ﴿مَّثَلُ[٣] ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ﴾ [البقرة: ٢٦١].

إن شئت أضمرت في الأول اسمًا انتظم له آخره بلا ضمير، وإن شئت أضمرت في الآخر فاتسق لك أوله، وذلك أن تقول: مثل صدقات

---

(١) أخرجه الطبري (٢/ ٨٧).

(٢) انظر (تفسيره) (١/ ١٥٥).

(٣) في الأصل بزيادة «واو» وهذا خطأ.

﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ ﴾؛ لأن التشبيه وقع في المال بالمال، أو تقول : ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ﴾ زارع ﴿ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ ﴾ [البقرة : ٢٦١]، حتى يستقيم التشبيه في المنطق والزارع .

وقوله : ﴿أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ ﴾ من أدغم؛ فلأن التاء والسين مهموستان، ألا تراهما يتعاقبان [١] .

وأنشد أبو عمرو :/ (١٦/
يَـا لَـعَـنَ الله بني السَّيعلات عَمرُو بن ميمُون لئام النات [٢]

أراد لئامَ الناس، فحوَّل السين تاء، ومن أبرز فلأنهما من كلمتين وهو الأصل واللغة الفاشية [٣] .

و(سنابل) لا ينصرف لأنه بلغ أقصى مبالغ الأسماء، وقوله سبحانه : ﴿ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ﴾ ولم يقل (مائي)، كما تقول : عشرة نسوة؛ لأن (مائة) اسم ناقص زيدت الهاء فيه لنقصانه .

ورَوى الحضرمي عن بعضهم أنه قرأه : (مُئَةَ حَبَّةٍ) نصبًا على معنى : أنبتت مائة حبة، وكذلك : ﴿ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ﴾ [الملك : ٦]، أي : أعتدنا لهم عذاب جهنم .

وكان الأعمشي [٤] يترك همز (مائة) استخفافًا، والله يضاعف لمن يشاء

(١) انظر (البدور الزاهرة) .
(٢) انظر (تفسير الثعلبي) (١/ ٨٥٢) .
(٣) المصدر السابق .
(٤) بالأصل : (الأعشى)، ولعل الصواب ما أثبتناه، وهو : الإمام الحافظ الثبت المصنف، أبو حامد، أحمد بن حمدون بن أحمد بن عمارة النيسابوري الأعمشي لُقب ببغداد لحفظه حديث =

إلى ما لا يعلمه أحدٌ إلا هو .

(وضاعف)، و(ضعَّف) لغتان .

وقوله : ﴿ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ [مَآ أَنفَقُواْ][1] مَنًّا وَلَآ أَذًى﴾ [البقرة : ٢٦٢]، حث الله عباده على مكارم الأخلاق؛ فحظر عليهم المنَّ بالصنيعة، واختصّ به صفةً لنفسه، لأن من العباد تكدير وتصبير، ومن الله إفضال وإنعام . ألا تسمع إلى قول طرفة :

وإن كانت النعمى عليهم جزوا بها ... وإن أنعموا لا كدروها ولا كدّوا

قال أبو الحسن : أنشدنا أبو الحسن عيسى بن زيد العقيلي، قال : أنشدنا [معاذ بن المثنى العنبري، عن أبيه محمود بن الحسن الورّاق][2] :

ما تم معروفك عند امرئ كلفته للعُرف إعظامَكا

إن من البر فلا تُكْذَبَنْ إكرامُ من أظهر إكرامكا

والمنُّ للمنعم نقص فلا تستفسدن بالمن إنعامكا

والعزُّ في الجود وبخلُ الفتى مذلةُ أحببتَ إعلامَكا

= الأعمش واعتنائه به .

كان من كبار الحفاظ، قال أبو أحمد الحافظ : حضرت ابن خزيمة يسأل أبا حامد الأعمشي : كم روى الأعمش عن أبي صالح، عن أبي سعيد ؟

فأخذ أبو حامد يسرد الترجمة، حتى فرغ منها، وأبو بكر يتعجب منه .

مات أبو حامد في ربيع الأول سنة إحدى وعشرين وثلاث مائة، وقد قارب التسعين .

وللمزيد انظر : (الوافي بالوفيات) (٦/ ٣٦١)، و(النجوم الزاهرة) (٣/ ٢٤١)، و(السيرة) (١٤/ ٥٥٣) .

(١) ساقطة من الأصل .

(٢) كتبت بهامش الأصل.

[وقال آخر][1] :

أفسدت بالمنّ ما أوليت من نعم ليس الكريم إذا أسدى بمنَّان[2]

قال أبو الحسن : أنشدنا أبو نصر منصور بن عبد الله بهراء :

يـرُبُّ الـذي يأتي من الخير إنَّه إذا فعل المعروف زاد وتمَّما/[3] (١٦)

قال أبو الحسن : سمعت الفقيه أبا علي زاهر بن أحمد بن حسن يقول : سمعت أبا ذر الكراطيسي يقول : سأل رجل ابن شُبْرُمَة أن يكتب رُقعة إلى بعض الأغنياء ليعطيه شيئًا، فأعطاه مئتي درهم وأنشأ يقول :

ومـا شيء بأثقل وهـو خـفَ على الأعنَاقِ مِن مَنِ الرجالِ
ولا تَـفـرحُ بـمالٍ تـشتريـهِ بوجهكَ إنَـه بالوجهِ غالِ

قال أبو القاسم : أنشدنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن رُميح الزيدي لمحمود الوراق :

أحـسَـنُ مِـن كـل حَـسَـن
في كـل وقـتٍ وزَمـن
صـنـيـعـة مـربـوبـة
خـالـيـةً مـن المـنـن[4]

[قال أبو الحسن][5]: سمعت منصور بن عبد الله الأصبهاني يقول: سمعت

---

(١) كتبت بهامش الأصل .

(٢) انظر (تفسير الطبري) (٣/ ١١٣) .

(٣) انظر (تاج العروس) (٢/ ٢٦٤) ، و(لسان العرب) (١/ ١٠٤) .

(٤) أورده القرطبي في (الجامع لأحكام القرآن) (٤/ ٠٣٣) بدون نسبة ، وذكره ابن حبان في (روضة العقلاء) (١/ ٧٥٢) ونسبه لمحمد بن عبد الهادي البغدادي .

(٥) كتبت بهامش الأصل .

أبا القسم بن لبح الإسكندراني يقول: سمعت أبا جعفر الملطي يقول: سمعت علي بن موسى الرضا يقول: قال جعفر بن محمد الصادق عليهم السلام[١]: لا يتم المعروف إلا بثلاث: تعجيله، وتَصغيره، وترك المنّ به. فإنك إذا عجَّلته فقد هنَّأته، وإذا صغّرته فقد عظمته، وإذا تركت المن به [فقد أتممته، ثم أنشأ يقول][٢]:

يَـــرُبُّ مـعـروفـه ويُكمله وإنـــما الـعُـرف بالربابات

قال أبو الحسن: وأصل المنة: (النعمة)، و(منّ عليه) إذا أنعم عليه، (يَمُنُّ مَنًّا وَمِنَّة، ومنينًا) كقولك رمى رميًا.

و(الصدقة): اسم من اسم العطايا، وهو ما يخرجه الإنسان من غير رجوع فيه ولا انتظار ثواب عليه.

قال الكسائي: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ﴾ ضربها مثلًا في النماء والزكاة، أي ينمي عمله كما ينمي هذا.

قال أبو الحسن: قال الكلبي: أمر الله المؤمنين بالصدقة ورَغبهُم فيها قبل أن تنزل الزكاة المفروضة، فقال: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ﴾ أي يتصدقون، ﴿أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: في طاعة الله.

﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ﴾ يقول: أخرجت سبع سنابل، في كل سنبلة مائة حبة كما أن الله يضاعف له من صدقته ما شاء/ سبعًا إلى سبعين إلى (١٧/ سبعمائة ضعف إلى ما شاء الله من الأضعاف، ﴿يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ لمن يتقبله

---

(١) الأثر أورده المصنف في (أدب الدنيا والدين) (١٨٧)، وكذلك القرطبي في (الجامع لأحكام القرآن) (٤/ ٣٦٢)، ونسبه إلى العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه.

(٢) كتبت بهامش الأصل.

منه ما بين سبعمائة ضعف إلى ألفي ألف إلى ما شاء الله من الأضعاف .

﴿ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ ﴾ لتلك الأضعاف، ﴿عَلِيمٌ﴾ بما ينفقون من الصدقة وما لووا منها، ثم نزلت الفرائض فنَسخَت ما أُمروا من الصدقة .

ثم قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ في طاعة الله، ﴿ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى﴾ على المعطي، نزلت هذه الآية في عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفَّان رضي الله عنهما، أما عبد الرحمن فإنه جاء إلى رسول الله ﷺ بأربعة آلاف درهم صدقة، وقال: كانت عندي ثمانية آلاف، فأمسكت لنفسي وعيالي أربعة آلاف وأقرضتُ ربي ﷻ أربعةَ آلاف، فقال له رسول الله ﷺ: « **بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أعطيت** »[1] .

---

(١) حديث ضعيف، أخرجه الطبري (١٠/ ٢٠٣)، قال: حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمر قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ وله قصة طويلة ...

وهذا إسناد ضعيف تقدم الكلام عليه .

ثم أخرجه (١٠/ ٢٠٤) قال: حدثني المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال الأنماطي، قال ثنا أبو عوانة عن عمر بن أبي سلمة عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: « **تصدقوا ...** » الحديث .

وهذا إسناد ضعيف أيضًا، أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف لم يدرك النبي ﷺ .

ثم أخرجه كذلك (١٠/ ٢٠٦) قال: حدثني المثنى قال ثنا محمد بن رجاء أبو سهل العباداني، قال ثنا عامر ابن يساف اليمامي عن يحيى بن أبي كثير اليمامي قال جاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم .. الحديث .

وهذا إسناد ضعيف، يحيى بن أبي كثير، يدلس ويرسل .

وقد أخرجه كذلك (١٠/ ٢٠٦) قال: حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال ابن عباس: أمر النبي ﷺ المسلمين أن يجمعوا صدقاتهم .. الحديث .

وهذا إسناد ضعيف، ابن جريج مدلس، وقد عنعن .

وله طريق آخر عن أبي هريرة، أخرجه البزار، (٢٢١٦) (كشف الأستار) فقال: حدثنا =

وأما عثمان فقال : « عليَّ جهازُ من لا جهاز له » في غزوة تبوك؛ جهز المسلمين بألف دابة [١] وتصدق برومة [٢] ركِيَّة له [٣] على المسلمين فنزلت

= طالوت ابن عباد حدثنا أبو عوانة عن عمر بن أبي سلمة عن أبيه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « **تصدقوا فإني أريد أن أبعث بعثًا** ... » الحديث .

وقال : لم نسمع أحدًا أسنده من حديث عمر بن أبي سلمة إلا طالوت بن عباد، وفيه عمر بن أبي سلمة، وعمر تركه شعبة، وضعفه غيره .

وقال : وحدثناه عن أبي كامل عن أبي عوانة عن عمر بن أبي سلمة عن أبيه .. مرسلًا .

قال الحافظ في (الفتح) (٨/ ١٨٣) : وكذلك أخرجه عبد بن حميد عن يونس بن محمد عن أبي عوانة .

وأخرجه ابن أبي حاتم والطبري وابن مردويه من طرق أخرى عن أبي عوانة مرسلًا، وذكره ابن إسحاق في المغازي بغير إسناد، وأخرجه الطبري من طريق يحيى بن أبي كثير، ومن طريق سعيد عن قتادة وابن أبي حاتم من طريق الحكم بن أبان عن عكرمة والمعنى واحد ...

ثم ساق طرق الطبري المتقدم الكلام عليها .

قال أبو عمرو : وأزيد على الحافظ، فقد ذكره الواحدي في (أسباب النزول) (ص : ٨٧)، فقال: قال الكلبي : نزلت في عثمان بن عفان، عبد الرحمن بن عوف، فأما عبد الرحمن بن عوف فإنه جاء إلى النبي ﷺ .. الحديث .

قال أبو عمرو، والكلبي هو محمد بن السائب، متهم بالكذب .

وإن يعجب، فعجب ما صنعه، محقق (الجامع لأحكام القرآن) طبعة الرسالة (٤/ ٣١٨)، حيث قال : ذكره البغوي في (تفسيره) (١/ ٢٤٩-٢٥٠) وعزاه للكلبي، ولم يكلف نفسه بالبحث !

فائدة : ذكر المصنف الحديث وقصته في كتابه (النكت والعيون) (٢/ ٨٠) تحت سورة التوبة آية ٨٠ .

(١) هذا الخبر أخرجه الترمذي (٣٤٨٥)، وأحمد (٥/ ٦٣) وابن أبي عاصم في (السنة) (١٢٧٩) والحاكم (٣/ ٣٢) وصححه وأقره الذهبي، والبيهقي في (الدلائل) (٥/ ٢١٥) .

(٢) « رُومة » بضم الراء، وسكون الواو، بئر عظيم، شمالي مسجد القبلتين بوادي العقيق ماؤه عذب في غاية العذوبة، وكان رومة ليهودي يبيع للمسلمين ماءها، فاشتراها منه عثمان بعشرين ألف درهم .

والعامة الآن تسميها بئر الجنة لترتب دخول الجنة لعثمان بن عفان رضي الله عنه على شرائها، والحديث عند ابن أبي شيبة في (المصنف) (٧/ ٤٨٦) وابن أبي عاصم في (السنة) (١٣٠٣) وهو صحيح.

(٣) أي : البئر .

فيهما هذه الآية[١].

﴿ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾ فيما يستقبلون من العذاب ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على ما خلَّفوا.

﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ﴾ : يقول كلام حسن يدعوا الرجل لأخيه بظهر الغيب، ﴿ وَمَغْفِرَةٌ ﴾ : تجاوز عن مظلمة، ﴿ خَيْرٌ ﴾ ثوابًا عند الله ﴿ مِّن صَدَقَةٍ ﴾ يعطيها إياه ثم ﴿ يَتْبَعُهَآ أَذًى ﴾، يعني المن، ﴿ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ ﴾ عن صدقة العباد، ﴿ حَلِيمٌ ﴾ حين يعجل عليهم بالعقوبة.

قال الضحاك: المن: مايُمَنّ به، والأذى: الذي يُعيِّره ويعيبه ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ يعني هذه حسنة ومغفرة تجاوز منه، مثل مايتجاوز عن أخيه إذا استطال عليه، وعن زوجته وغلمانه، ﴿ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ﴾ يريد عيبه وتعييره، ﴿وَٱللَّهُ غَنِىٌّ﴾ عن صدقاتكم، ﴿ حَلِيمٌ ﴾ عن عقابكم./ (١٧/

قال قتادة: علم الله سبحانه أن ناسًا يمنون بعطاياهم[٢] فكره ذلك لهم، وقدَّم فيه فقال: ﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ﴾ [البقرة: ٢٦٣][٣].

قال الزجَّاج: ﴿ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ ﴾، أي جواد لا ينقصه ما يتفضل به من الصدقة ﴿ عَلِيمٌ ﴾ حيث يضعه[٤].

ومنها قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

---

(١) أورده الواحدي في (أسباب النزول) (ص: ٨٧)، وقال: قال الكلبي: نزلت في عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما ....، وذكر الحديث بطوله، والكلبي لم يدرك زمن الصحابة ﷺ، وهو متروك كذلك، كما تقدم.

(٢) عند الطبري « بعطيتهم ».

(٣) أخرجه الطبري (٤/ ٦٥).

(٤) انظر (معاني القرآن) له (٣٥١٨).

قال قتادة : هذا مثل ضربه الله لأعمال الكفار يوم القيامة، لا يقدرون على شيء مما كسبوا، كما ترك هذا الوابل الصفا صَلدًا نقيًّا ليس عليه بشيء [١] .

قال مقاتل بن حَيَّان : ﴿ لَا تُبْطِلُوا صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ ﴾ هو الرجل يمن بصدقته، ويُؤذي الذي يتصدق عليه، فهو بمنزلة ﴿ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾، يعني به المنافق .

فضرب الله لتلك الصدقة عمل المنافق مثلًا، وضرب الله لهما مثلًا أيضًا فقال: مثلهم ﴿ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ ﴾ يعني الحجر ﴿ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ ﴾ يعني المطر الشديد، ﴿ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ﴾، يعني المطر ترك الحجر نقيًّا من التراب .

﴿ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ﴾ يعني بذلك نفقاتهم أنهم لا يؤجرون عليها ولا تنفعهم يوم القيامة ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ .

قال ابن عباس «الصفوان» الحجر [٢]، ﴿ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ﴾ ليس عليه شيء [٣] .

ورُوى عن الكلبي نحو هذا إلا أنه جعل بدل المنافق المشرك وقال : ﴿ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ﴾ نقيًّا أجرد .

قال أبو صالح : كذلك المنافق يُنفق ماله رئاء الناس، لا يقدر منه على

---

(١) أخرجه الطبري (٤/ ٦٩) .

(٢) **إسناده ضعيف :**

أخرجه الطبري (١/ ٧٠) قال : حدثني المثنى قال : ثنا أبو صالح، قال ثنى معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما .. الحديث، وهذا إسناد ضعيف منقطع .

(٣) أخرجه الطبري (١/ ٧٠-٧١) من أكثر من طريق، ولكن لا تخلو من مقال .

شيء يوم القيامة، ولا يبقى له إلا كما يبقى التراب على الصفا إذا أصابه المطر الشديد.

قال مقاتل: كل صدقة يَمُنّ صاحبها على المُعطي فإنه يُبطلها المنّ فضَرب الله مثله كمثل الذي ينفق ماله رئاء الناس، فهذا مشرك أنفق ماله في غير إيمان وأبطل بشركه صدقته، كما أبطل المَن صدقة المؤمن.

ثم ضرب مثلًا آخر فقال: ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾ / يعني الصفا عليه (١٨/ أ) تراب فكذلك المشرك الذي ينفق ماله في غير إيمان أو ينفق رئاء الناس، ومثله صدقة المؤمن إذا من بها، وذلك قوله: ﴿لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا﴾ أي على ثواب ما أنفقوا يوم القيامة كما لم يبق على الصفا شيء من التراب[1].

قال عطاء: ﴿لَا تُبْطِلُوا صَدَقَٰتِكُم﴾ تعني: أجوركم وثواب أعمالكم ﴿كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ كالذي يتصدق ولا يرجو لها ثوابًا ولا يخشى من منعها عقابًا، فمثله كمثل صفوان كُبِسَ عليه التراب، فلا يرى أحد بياض الصفا لكثرة ما عليه من التراب، فأصابه مطر جودٍ فغسله فلم يبق عليه شيء، فكذلك ثواب المرائي إذا قَدِمَ على ربه لم يجد شيئًا.

قال الزجاج: ﴿لَا تُبْطِلُوا صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ﴾ إن الذي يمن كأنه إنما يقصد به في الأذى أن يوبِّخ المعطي فأعلم الله تعالى أن المن والأذى يبطلان الصدقة كما تبطل نفقة المرائي الذي يعطي ولا يريد بذلك العطاء ما عند الله، وإنما يعطي ليُوهم أنه مؤمن، فأعلم الله تعالى أن المنّ والأذى يبطلان الصدقة كما يبطل نفاق المنافق عطاءه.

---

(١) انظر (تفسير مقاتل) (١/ ٢٢٠).

قال [١] : والصفوان : الحجر الأملس، وكذلك الصفا، والوابل المطر العظيم القطر، فإذا أصاب الحجر لم يُبق عليه شيئًا، فكذلك نفقة المنافق والمنان والمؤذي، ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي لا يجعلهم بكفرهم مهتدين » [٢] .

وتعالى لا يجعل جزاءهم على كفرهم أن يهديهم .

قال قطرب : الصَّلد : الصَّلب، وهو الأخلق الأملس، وأنشد :

برَّاق أصلادِ الجبين الأجلة [٣]

قال الحسين بن الفضل : ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ خاص في المراد، يعني هداية الثواب والتوفيق والكرامة؛ لأنه لا يستحقها بكفره كما يستحقها المؤمن بإيمانه، فأما هداية التصريف، والبيان فقد يناله لسابق علمه ووعده وقوله: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾ [الليل : ١٢] .

قال أبو الحسن رحمه الله : ... [٤]/ (١٨/ب)

غيرها في سنتين :

---

(١) أي الزجاج .

(٢) انظر (معاني القرآن) للزجاج (١/ ٣٤٧) .

(٣) قال الإمام الطبري رحمه الله :

قوله ﴿فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا﴾ يقول : فترك الوابل الصفوان صلدًا، والصلد من الحجارة : الصلب الذي لا شيء عليه من نبات ولا غيره، وهو من الأرضين : ما لا ينبت فيه شيء وكذلك من الرؤس كما قال رؤبة :

لما رأتني خلق المموه ... براق أصلاد الجبين الجلة

(جامع البيان) (٤/ ٦٨) والبت في ديوانه (١٦٥) .

(٤) لعل هنا سقط ما يقرب من صفحة، والله أعلم .

قال عكرمة : حملَتْ في السنة مرتين، فإن لم يصبها الغزير من المطر أصابها الطلّ، وهو أضعف المطر يَبُلُّ وجه الأرض [١] .

قال مُقاتل بن حَيّان : الطّلُ، الرذاذ من المطر مثل النّدى، وهذا مثل المؤمن لا ينفق ماله رياءًا ولا سمعة، ولا يمنّ على المعطي .

قال مجاهد : ﴿ بِرَبْوَةٍ ﴾ المكان الظاهر المستوي [٢] .

قال قتادة : بنشر من الأرض، والطل الطشّ، وهذا مثل ضربه الله لعمل المؤمن [٣] .

قال زيد بن أسلم : هي أرض مصر إذا أصابها مطر أضعفتْ، وإن أصابها وابل أخرجت نباتها [٤] .

قال الحسن : هي الأرض المستوية التي لا تعلو فوق الماء [٥] .

قال قتادة : الطل : الندى .

قال الكلبي : ﴿ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ﴾ يتصدقون طلب مرضاة الله وتثبيتًا من أنفسهم، تصديقًا .

قال أبو جعفر : ﴿ فَآتَتْ أُكُلَهَا ﴾ بالتثقيل، وكذلك كل شيء في القرآن: « الأُكل، السُحت، والرُّعب، والعُسر، واليُسر، والعُمر، والنُكر » .

وكان نافع يخففهن كلهن إلا «العُمر» و«إلى شيء نكر»، فإنه كان يثقلهما .

---

(١) انظر (تفسير الثعلبي) (٢/ ٢٦٤) .

(٢) أخرجه الطبري (٤/ ٧٤) .

(٣) المصدر السابق .

(٤) أخرجه عبد بن حميد وابن أبي حاتم كما في (الدر المنثور) (١/ ٦٠٢) .

(٥) أخرجه الطبري (٤/ ٧٥) .

وكان أبو عمرو يثقلها ما لم تأت الإضافة إلى حرفين، مثل قوله: ﴿ فَتَانَتْ أُكُلَهَا ﴾ و«رسلنا ورسلهم» فإنه كان يخففها .

وكان الكسائي يُثَقِّلُ كلها المضاف وغير المضاف .

قال الأخفش : الأكل ما تأكل، والأكل الفعل [١] .

قال الكسائي : «وطل» أي أصابها طل .

قال المؤرج : «الوابل» الشديد العظام القطر، يقال : وَبَلت، تَبِل .

قال الشاعر :

أنا الجـواد ابن الجـواد ابن سبل إن ديَّمواجادواوإن جادواوبل [٢]

يريد أنه يزيد عليهم في كل حال .

قرأ أبو عبيدة : كل مكان مرتفع ربوة .

ومنها قوله تعالى: ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ ﴾ [البقرة : ٢٦٦] إلى قوله تعالى: ﴿فَٱحْتَرَقَتْ ﴾ .

عطف بالماضي على المستقبل [٣]، وإنما يجوز هذا في وددت لأن العرب

---

(١) انظر (معاني القرآن) له (١/ ٢٠٠) .

(٢) انظر (لسان العرب) مادة « سيل » .ف

(٣) قال إمام المفسرين الطبري رحمه الله :

فإن قال قائل، وكيف قيل : ﴿ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ ﴾ وهو فعل ماضي فعطف به على قوله ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ ﴾ ؟

قيل : إن ذلك قيل : كذلك، لأن قوله : ﴿ أَيَوَدُّ ﴾ يصلح أن يوضع فيه « لو » مكان « أن » فلما صلحت بـ « لو » و« أن » ومعناهما جميعًا الاستقبال، استجازت العرب أن يردوا « فعل » بتأويل « لو » على « يفعل » مع « أن » فلذلك قال : فأصابها، وهو في مذهبه بمنزلة « لو » إذا ضارعت « إن » في معنى الجزاء، فوضعت في مواضعها . =

تلفظ بها مرة بأن ومرة بلو، فتقول :

وددت لو تذهب عنا ووددت أن تذهب عنا، و « لو » تضارع « أن » في المعنى / يقول الله تعالى : ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا﴾ [الروم:٥١]. (١٩)

فأجاب « إن » بجواب « لو »؛ لأن معناها الاستقبال [١] .

والإعصار : الريح الشديدة، وفي مثل : « إن كنت ريحًا فقد لاقيت إعصارًا »، وهذا مثل ضُرب للمانّ بصدقته في بُطلان ثوابها، فينفق نَادِمًا كندم الشيخ ذي العيال والأطفال في احتياج ضيعته المعدة ثُمُرها لولده .

قال ابن عباس : هذا مثل من أعطى الدنيا والقوة والشباب فلم يعمل حتى انزوت عنه .

قال عُبيد بن عُمير : سأل عُمَر بن الخطاب رضي الله عنه أصحاب رسول الله ﷺ : فيما ترون هذه الآية نزلت ؟

فقالوا : الله أعلم .

= وأجيبت « إن » بجواب « لو » و« لو » بجواب « إن » فكأنه قيل : أيود أحدكم لو كانت له جنة من نخيل وأعناب، تجري من تحتها الأنهار، له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر .

فإن قيل : وكيف قيل هاهنا، وله ذرية ضعفاء ؟، وقال في النساء ﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا﴾ [النساء : ٩] .

قيل : لأن « فعيلا » يجمع عليّ فعلاء، و« فعال »، فيقال : رجل كريم وقوم كرام وكرماء، ورجل طريف، من قوم ظرفاء وطراف .

وأما الإعصار : فإنه الريح العاصف، تهب من الأرض إلى السماء كأنها عمود، تجمع أعاصير، ومنه قول يزيد بن مفرغ الحميدي .

أنـاس أجـارونـا فـكـان جـوارهـم ... أعـاصـيـر مـن سـوء الـعـراق المنذر

(جامع البيان) (٣/ ٨٠) .

(١) انظر (تفسير الثعلبي) (١/ ٢٦٥) .

فغضب عمر فقال : قولوا : « نعلم » أو « لا نعلم » .

فقال ابن عباس : في نفسي منها شيء !

فقال عمر : قل يا ابن أخي ولا تحقر نفسك .

فقال ابن عباس : ضرب مثل لعملٍ .

قال : لأي عمل ؟

قال : لرجل غني يعمل الحسنات ثم بعث الله تعالى إليه الشيطان، فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله كلها [١]، فوقع ذلك على قلب عمر وأعجبه [٢] .

قال مجاهد : ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ ﴾ مثل المفرّط في طاعة الله حتى يموت، يقول : أيودّ أحدكم أن تكون له دنيا لا يعمل فيها بطاعة الله، كمثل هذا الذي له جناتٌ من نخيل وأعناب فاحترقت بعد موته، فمثله كمثل هذا حين احترقت جنته وهو كبير لا يُغني عنها شيئًا، وأولاده صغار لا يغنون عنها شيئًا، كذلك المفرّط كلُّ شيءٍ عليه حسرة [٣] .

قال أبو الحسن : فعلى هذا التفسير كأن «الجنة» ضُربت مثلًا للدنيا والعُمر والمال والصحة والفراغ، ﴿ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾، وقوله : ﴿وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ﴾ كأنه ضرب مثلًا للموت، كما أن الكبير لا يقدر على إصلاح جنته كذلك الميّت لا يقدر على إصلاح عمله بعد الموت، وقوله سبحانه : ﴿ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ ﴾ كأنه ضرب مثلًا لعمله الذي هو حسرة عليه

(١) في الأصل « ماله » .

(٢) أثر صحيح، أخرجه البخاري (٤٥٣٨)، والطبري (٣/ ٧٨) .

(٣) أخرجه الطبري (٣/ ٧٧) .

كما أن الذرية للضعفاء كلٌّ على هذا الكبير .

وأما مذهب عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكأن الجنة ضربت مثلًا لأعماله الصالحة في أول عمره ﴿فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ أنواع عمله، ﴿وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ﴾ صار على آخر عمره ./ (١٩/

﴿فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ﴾ ضرب مثلًا لمعاصيه في آخر عمره التي أفسدت صالح عمله، كما أحرقت النار هذه الجنة .

قال قتادة : هذا رجل كبرت سنه، وكثر عياله، ثم أحرقت جنته على ذلك أحوج ما كان إليها، أيود أحدكم أن يضلَّ عمله يوم القيامة أحوج ما كان إليه .

قال الربيع بن أنس : ﴿فَٱحْتَرَقَتْ﴾ يقول : ذهبت أحوج ما كان إليها حين كبر سنه، وضعَّفه عن الكسب، ﴿وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ﴾ لا ينفعونه، فأصابت جنته ريح فيها سموم .

قال الحسن : صِرّ [١]، وبَرد [٢] .

قال الكلبي : هذا مثل ضربه الله للكافر، كرجل غرس بستانًا وأكثر فيه من الثمر، وكانت معيشته ومعيشة عياله من ذلك البستان فأصابه الكبر، وله ذرية ضعفاء، أي عجزة عن الحيلة، و﴿فَأَصَابَهَآ﴾ يعني الجنة : ﴿إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ﴾ فاحترقت الجنة، فلم تكن عنده قوةٌ فيغرس مثل بُستانه، ولم يُقدّم خَيرًا فيعود عليه كما لم يجد هذا الكبير عند ولده خيرًا، فيعود على أبيهم، فكذلك الكافر إذا ارد إلى الله تعالى يوم القيامة لا كَرَّة له فيستَعتبُ، كما أنه

---

(١) في الأصل « صير » والتصحيح من « جامع البيان » .

(٢) أخرجه الطبري (٣/ ٨٢) .

ليس عند هذا الكبير قوة غرس بستانه، وحرم أجره أفقر ما كان إليه كما حُرِمَ هذا نفعُ بُستانه أحوج ما كان إليه حين كبر سنه .

قال الله تعالى : ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة : ٢٦٦]، في أمثال الله فتعتبرون .

قال القتيبي : هذا مثل ضربه الله للمنافقين والمرائين بأعمالهم، يقول : يردون يوم القيامة على أعمال قد محقها الله، وأبطلها، ووكلهم في ثوابها إلى من عملوا لا أحوج ما كانوا إلى أعمالهم، وقد ضرب لهم مثلًا في هذا المعنى بعينه فقال : ﴿كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة : ٢٦٤]، ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾ [البقرة : ٢٦٤] .. ثم ضرب مثلًا للمخلصين : ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ الآية [1] [آية : ٢٦٥] .

قال الفراء : جمعت العرب بين « لو » و« أن » جميعًا، قال الله تعالى: ﴿وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ﴾ [آل عمران : ٣٠]، وهذا مثل العرب جمع/ بين «إن» و«ما» الجحد؛ يقولون ما إن رأينا مثله . (٢٠/أ)

وكذلك قالوا : وددت أن يكون، وددت لو يكون .

قال الأخفش : ﴿وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ﴾ وفي موضع آخر : ﴿ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا﴾ [النساء : ٩]، وكلٌّ سواء؛ لأنك تقول : ظريف وظراف، وظرفاء، وفي حرف عبد الله : (وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضِعَافٌ) [2] .

قال مقاتل : كما أن الشيخ لم تكن له قوة من كبره أن يدفع عن جنته، ولم تستطيع ذريته الصغار ذلك، ولم تكن للشيخ قوة أن يغرس مثل جنته، ولا

(١) انظر (تأويل مشكل القرآن) (٣٢٤) .

(٢) انظر (معاني القرآن) للأخفش (١/ ٢٠١) .

لذريته أن يعودُوا على أبيهم .

كذلك الكافر إذا لقي ربَّه غدًا لا يجد خيرًا، ولا يدفع عن نفسه عذاب الله[١].

قال الحسن : هذا مثل قَلّ والله من يَعقله من الناس، شيخ حين كبر سنه، وضعف جسمه، وكثر عياله، أفقر ما كان إلى جنته، وإن أحدكم والله أفقرُ ما يكون إلى عمله إذا انقطعت الدنيا عنه ومضت حال بالها .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : ﴿فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ﴾ نار السموم الحارة التي تقتل، ثم قرأ ﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾ [الحجر : ٢٧][٢] .

قال ابن جريج : هذا مثل ضرب للعمل، أن الإنسان يعمل عملًا صالحًا؛ فيكون مثلًا للجنة، ثم يُسيء في آخر عمره، ويتمادى في الإساة حتى يموت على ذلك؛ فيكون الإعصارُ الذي فيه النَّار المحرقة مثلًا لإساءته التي مات عليها .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : وكانت الجنةُ عَيشه وعيش وَلدهُ فأُحرقت؛ فلم يقدر أن يدفع عن جنته ولا ذريته من أجل صغرهم حتى احترقت، فهذا مثل الكافر يلقى ربه أفقر ما كان إليه، ولا يجد عنده شيئًا، ولا يدفع عن نفسه[٣] .

قال الزجاج : هذا مثل ضربه الله لهم وللآخرة، وأعلمهم أن حاجتهم إلى الأعمال الصالحة كحاجة هذا الكبير الذي له ذرية ضُعفاء فاحترقت

---

(١) انظر (تفسير مقاتل) (١/ ٢٢١) .

(٢) أثر صحيح، أخرجه الطبري (٣/ ٨١) .

(٣) إسناده ضعيف : أخرجه الطبري (٣/ ٧٨) وابن جريج تقدم حاله .

جنته؛ فانقطع؛ فكذلك من لم يكن له في الآخرة عمل صالح يدخله الجنة فحسرته في الآخرة كحسرة الكبير المنقطع به في الدنيا [١] .

والإعصار : الريح الشديدة التي تنبت في الأرض/ كالعمود في الهواء، (٢١/ ب وهي التي يُسميها الناس الزوبعة، ولا يقال لها إعصار حتى تهب .

﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْآيَٰتِ ﴾ في الصدقة وجميع ما سلف ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ .

ومنها قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم ﴾ الآية [البقرة : ٢٦٧] .

قال أبو الحسن رحمه الله : هذا دليل على وجوب الزكاة في التجارة والزرع على العموم إلا ما خَصته الدلالة، وهو مثل مختص يقول : لو كان لكم الحق عند أحد ما كنتم ترضون عنه بدُون حَقكم، إلا على إغماض وتجويز، كذلك الزكاة حق الله عليك فلا تَبْخسُوهُ حَقَّه .

وقوله : «منه» الهاء عائدة على المال المكتسب المحترث، وإنما ذكر للتبعيض في «من» و﴿تُنفِقُونَ﴾ حال للفعل، أي منفقين له .

وقوله : ﴿وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ﴾ يعني الردئ، ويقال : الحرام .

والتيمم : القصد للشيء، يقال : تيممته وتأممته وأممته : إذا قصدته .

قال الأعشى :

تَيَمَّمتُ قَيسًا وكم دُونه ... على الأرضِ من مَهمة ذي شَزَنْ [٢]

---

(١) انظر (معاني القرآن) له (١/ ٣٤٨) .

(٢) أورده الطبري (٣/ ٤٨) وعزاه لـ « ميمون بن قيس الأعشى » وهو في ديوانه (٧٠٢) .

وقرأ ابن كثير (ولا تَّيمَّموا) بتشديد التاء، رد الساقط وأدغم، لأنه في الأصل تاءان، تاء المخاطبة وتاء الفعل، وذلك في نيف وثلاثين موضعًا من القرآن، مثل قوله : ﴿ وَلَا تَنَابَزُوا ﴾ [الحجرات : ١١]، ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى ٱلْإِثْمِ﴾ [المائدة : ٢].

وقرأ ابن عباس وابن جندب : (ولا تُيَمَّموا) بضم التاء يعني : لا تُوجهوا[١].

قال مقاتل بن حيان : لَمَّا حثهم رسول الله ﷺ على الصدقة جاء شيخ بحشفٍ من تمر فوضعه في المسجد، فأمر به رسول الله ﷺ فعلَّق حتى جعل كل من ينظر إليه يقول : بئس ما فعل هذا الرجل، ونزلت ﴿ وَلَا تَيَمَّمُوا ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ ﴾.

قوله سبحانه : ﴿وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ﴾ الهاء تعود إلى المال، ويقال إلى ذكر الحق المختصر، وكذلك الثانية من قوله ﴿إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ﴾ و«أن» في محل النصب ينزع الخافض.

وذكر الفراء[٢] أنه جزاء وإنما نصب لوقوع إلا عليه/، وتأويله : إن (٢٢
أغمضتم بعض الإغماض أخذتموه ومثله في القرآن : ﴿إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة : ٢٢٩]، ﴿إِلَّآ أَن يَعْفُونَ ﴾ [البقرة : ٢٣٧]، ﴿وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ [البقرة : ١٨٤]، كل هذا جزاء.

وقرأ الزهري : (إلا أن تَغْمُضُوا) بفتح التاء وضم الميم[٣].

وعن الحسن : بفتح التاء وكسر الميم.

---

(١) انظر (المحتسب) (١/ ١٣٨).
(٢) انظر (معاني القرآن) للفراء (١/ ١٧٨).
(٣) نظر (المحتسب) (١/ ١٣٩).

تقول العرب : غَمَض يَغْمُض وَيغْمضُ، والإغماض : غض البصر، والمراد ها هنا الترخيص والتجويز ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ عن وصول شيء من صدقاتكم إليه، ومعنى الغناء غناؤه، الذي به يَستغنى عن العباد.

وقيل: غني عن صدقاتكم الخبيثة الممنون بها .

وقرأ قتادة (**إلا أن تُغمضوا**) وقرأ أبو مجلز : (**تُغْمَضوا**) بفتح الميم على المجهول [١]، يقال : إلا أن تُهضَم لكم .

قال الكسائي : وفي حرف عبد الله ولا تأمَّموا بالألف .

وقال المؤرج : ﴿إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ﴾ ترخصوا فيه لأنفسكم مثل إغماض العين .

قال القتبي : مثل هذا أن يصرف الرجل بصره عن الشيء ويغمضه، فَسُمى الترخص إغماضًا على الاستعارة، ومنه قول الناس للبائع : أَغْمِض وَغَمِّض، يُريدون لا تستقص، وكن كأنك لا تبصر [٢] .

قال ابن عباس رضي الله عنه : ﴿أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ يقول : تصدقوا من أطيب أموالكم، ﴿وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ﴾ لو كان لأحدكم على أحدٍ حق لجاءكم بحق دون حقكم لم تأخذوه بحساب الجيِّد حتى تَنْقصُوه فذلك قوله : ﴿إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ﴾ فكيف ترضون لي مالًا ترضون لأنفسكم وحقي عليكم من أطيب أموالكم [٣] .

---

(١) انظر (المحتسب) (١/ ١٣٩) .

(٢) انظر (تأويل مشكل القرآن) (١٤١) .

(٣) إسناده ضعيف، أخرجه الطبري (٣/ ٨٧) بإسناد ضعيف، علي بن أبي طلحة لم يسمع عن ابن عباس رضي الله عنهما .

قال السدي رحمه الله : هذا مثل للمرائي، يُنفق ماله يُرائي الناس فيذهب ماله عنه، فإذا كان يوم القيامة واحتاج إلى نفقته وَجَدها قد أحرقَها الرياء، كما أنفق هذا الرجل على جنته حتى كبر وكثر عياله واحتاج إلى جنته جاءت ريح فيها سموم فأحرقتها، فلم يجد شيئًا فكذلك المنفق رياءً .

قال الحسن رحمه الله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ ﴾ هذا من الذهب والفضة، ﴿وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ﴾/ هذا من الثمر (٢٢ والحبوب.

قال البراء بن عازب رضي الله عنه : نزلت في الأنصار، كانوا إذا كان وقت جداد النخل وأزهى البُسر، يعلقونه على حبل بين اسطوانتين في المسجد فيأكل فقراء المهاجرين، فكان يعمد بعضهم فيدخل القِنوُ الحَشَفَ فيعلِّق، فنزلت بفعل ذلك ﴿ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ ﴾ ولو أهدي لكم ما قبلتموه ﴿إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ﴾ على استحياء من صاحبه [١] .

قال مجاهد رحمه الله : ﴿أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ ﴾ يعني التجارة [٢]، ﴿وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم ﴾ من ثمر النخل [٣] .

كانوا يتصدقون بحَشَفه وشِرَاره، فنهوا عن ذلك، وأمروا أن يتصدقوا

---

(١) صحيح : أخرجه الترمذي (٢٩٨٧)، وابن ماجة (١٨٢٢)، والحاكم (٢/ ٣١٣)، والطبري (٢/ ٨٤) .

قوله : « الحشف » : بفتح الحاء المهملة والشين المعجمة، هو أردأ التمر أو الضعيف لا نوى له أو اليابس الفاسد .

وللمزيد : انظر (النكت والعيون) للمصنف (١/ ٣٤٣) .

(٢) أخرجه الطبري (٣/ ٨٣) .

(٣) المصدر السابق (٣/ ٨٤) .

بطيّبه[١]، ﴿إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِ﴾ يقول لا تأخذونه من غرمائكم، ولا في بيوعكم إلا بزيادة على الكيل الطيب، وهذا غير جائز[٢].

قال قتادة رحمه الله: كان الرجل يكون له الحيطان من النخل فيعمد إلى حشفها وأرداها فيتصدق به، فعاب الله تعالى عليهم، فقال: ﴿وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ﴾ يعني بآخذي هذا الرديء بسعر الطيب إلا أن يُهضم لكم منه[٣].

قال عبد الله بن مغفَّل رحمه الله: ليس في أموالكم خبيث، يقول: لا تنفقوا من رذالة أموالكم، الحشف أو الدرهم القسيّ، ﴿وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ﴾ يقول: لو كان لكم على رجلٍ حق لم تأخذوا منه درهما قسيًّا ولا حشفًا إلا أن تجاوزوا له عنه فتغمضوا فيه[٤].

قال الحسن رحمه الله: يقول، لو وجدتموه يُباع في السوق لم تشتروه حتى يهضم لكم من الثمن.[٥]

قال ابن سيرين: ﴿وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ﴾ ذاك في الزكاة والدرهم الزيف، وهو أحب إليّ من الثمرة[٦].

قال أبو الحسن: وقول عبد الله بن مغفَّل أعجب إليّ وهو أشبه بظاهر العربية، لقوله سبحانه ﴿إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِ﴾ فجعل الإغماض للآخذين، ومن فسَّره على أنكم لا تأخذون الرديء بسعر الجيد إلا أن يُهضم لكم منه لم

(١) المصدر نفسه (٣/ ٨٦).
(٢) المصدر السابق (٣/ ٨٧) وفيه « إلا بزيادة على الطيب في الكيل ».
(٣) أخرجه الطبري (٣/ ٨٦).
(٤) انظر (غريب الحديث) (٣/ ٢٣٣)للخطابي، وتفسيره لكلمة (القسي).
(٥) أخرجه الطبري (٣/ ٨٨).
(٦) المصدر السابق (٣/ ٩٠).

يُؤدِّ معناه كما ينبغي؛ لأن الرجل ربما أخذ أردًا من حقه بطيبة نفسه، من غير أن يُهضَم له فيه، وربما أخذ الرديء بحساب الجيد، وقد قال تعالى: ﴿وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ﴾؛ فكيف يكون هذا؟

قال عطاء: علَّق إنسان حَشَفًا في الأقناء التي كان تُعلَق في المسجد، فقال النبي ﷺ/ من علق هذا؛ فنزلت ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾ (١). (٢٣/

وروى أبو صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ يقول إن لله في أموالكم حقًّا، فأنفقوا من طيبات ما كسبتم من الذهب والفضة، ومما أخرجنا لكم من الأرض، ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾، يقول: إن كان لأحدكم على أحدٍ حق فأعطاه دون حقِّه لم يأخذه منه، إلا أن يغمض فيه (٢).

قال مقاتل: بلغنا أن النبي ﷺ أمر بالصدقة، فانطلق أناس من أصحابه إلى الحشف من التمر، والزوان من الطعام، فجاءوا به إلى النبي ﷺ، فأبرزه النبي ﷺ إلى الناس، فأنزل الله تعالى هذه الآية (٣).

قال ابن مسعود رضي الله عنه: من طيبات ما كسبتم ﴿وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ﴾ بقابليه: إلا أن تهضموا من حقكم، فكذلك الله لا يترحم عليكم، ولا تستكملون الأجر إلا أن يتغمدكم برحمته.

قال البراء بن عازب رضي الله عنه: ﴿إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ﴾ إلا أن تروا وأنكم

(١) إسناده ضعيف، أخرجه الطبري (٣/ ٨٦)، وعطاء لم يدرك زمن النبي ﷺ.

(٢) إسناده ضعيف، أخرجه الطبري (٣/ ٨٧) عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما، وهذا إسناد ضعيف منقطع.

(٣) انظر (تفسير مقاتل) (١/ ٢٢٢) ومعلوم أنه بينه وبين زمن النبي ﷺ مفاوز تنقطع فيها أعناق الإبل.

قد نقصتم، والإغماض أن تغمض وتعلم أنه دون حقك [١].

قال الضحاك: يقول: لا ترضوا لله ما لا ترضون لأنفسكم [٢].

وقال رجل لأبي هريرة رضي الله عنه: إن فلانًا يتصدق اليوم بمالٍ، فقال أبو هريرة: لدرهمٌ طيبٌ أحبُّ إليَّ من كل ما تصدق به، ألم يسمع الله يقول: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾ [٣].

وروى ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إن الله قسم بينكم أخلاقكم، كما قسم أرزاقكم، لا يكسب عبد مالًا من حرام فيتصدق به فيقبل منه ولا ينفق منه فيبارك له فيه، ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار، وإن الله لا يمحو السيئ بالسيئ، ولكن يمحو السيء بأحسن منه، وإن الخبيث لا يمحو الخبيث**» [٤].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه الطبري (٣/ ٨٨).

(٣) أخرجه عبد بن حميد وابن المنذر كما في (الدر المنثور) (١/ ٦١٣).

(٤) **إسناده ضعيف**، أخرجه أحمد (١/ ٣٨٧)، والبخاري في (التاريخ الكبير) (٤/ ٣١٣) والبزار (٣٥٦٢ زوائد) والحاكم في (المستدرك) (٢/ ٤٤٧) والبيهقي في (الشعب) (٥٥٢٤) والبغوي في (شرح السنة) (٢٠٣٠)، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ١٦٦) من طرق عن أبان بن إسحاق عن الصباح بن محمد عن مُرَّة الهمداني عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ... به.

والحديث صححه الحاكم ووافقه الذهبي!!

وقال البزار: أبان كوفي، والصَبَّاح ليس بالمشهور، وإنما ذكرناه مع علته لأنا لم نحفظه عن النبي ﷺ إلا بهذا الإسناد.

قال أبو عمرو: والصباح هو: ابن محمد بن أبي حازم البجلي، قال العقيلي: في حديث وهم، ويرفع الموقوف.

وقال الذهبي الذي وافق الحاكم في تصحيحه الحديث: رفع حديثين هما من قول عبد الله.

قال أبو عمرو: وحديث الباب أحدهما. =

قال أبو أمامة بن سهل بن حنيف : كان ناس من يتلومون شرَّ ثمارهم في الصدقة، فأنزل الله تعالى : ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾ فنهى رسول الله ﷺ عن لونين من التمر : عن الجُعْرُور وعن الجِسُّو، وهما من أردى التمر/ (١) . /٢٣)

وروى إسماعيل بن عبيد بن رفاعة عن أبيه، قال : خرج رسول الله ﷺ إلى الناس، فقال : «**يا معشر التجّار، إن الله بعث التجار يوم القيامة فُجّارًا إلا من اتّقى وبرّ وصدق**» (٢) .

وقال قيس بن أبي غرزة الغفاري : كُنَّا على عهد رسول الله ﷺ بالمدينة

= **والصحيح الوقف**، فقد أخرجه مختصرًا ابن المبارك في (الزهد) (١١٣٤) والطبراني في (الكبير) (٨٩٩٠)، وأبو نعيم في (الحلية) (٤/ ١٦٥) من طرق عن محمد بن طلحة عن زبيد عن مرة عن عبد الله .. موقوفًا .

قال الدارقطني في (العلل) (٥/ ٢٧١) والصحيح موقوف .

(١) **صحيح** : أخرجه النسائي (٥/ ٣٢)، وأبو داود (١٦٠٧)، والحاكم (١/ ٥٥٩) وابن خزيمة في (صحيحه) (٤/ ٣٩) .

(٢) **إسناده ضعيف** :

أخرجه الترمذي (١٢١٠)، وابن ماجه (٢١٤٦)، وابن حبان (١١/ ٢٧٦)، والحاكم (٢/ ٨)، والبيهقي في (السنن الكبرى) (٥/ ٢٦٦)؛ بإسناد ضعيف؛ فيه : إسماعيل بن عُبيد ويقال : ابن عُبيد الله بن رفاعة العجلان الزرقي : قال الحافظ : « روى عن أبيه عن جده حديث : « **إن التجار يُبعثون فجّارًا إلا من اتقى الله** » .

قال فيه البخاري في (التاريخ) : لم يرو عنه غير ابن خُثيم .

وقال الحافظان الذهبي وابن حجر : « مقبول، على شرطها » .

وله شاهد : أخرجه الطبراني في (الكبير) (١٢/ ٦٨) رقم (١٢٤٩٩)، عن عَبدان بن أحمد، ثنا عمرو بن عثمان الحمصي، ثنا الحارث بن عبيدة، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم، عن سعيد بن جُبير، عن ابن عباس، أن رسول الله ﷺ ... الحديث .

قال الهيثمي في (المجمع) (٤/ ٧٢)، وفيه الحارث بن عبيدة : وهو ضعيف » .

نشتري الأوساق ونجلس عليها، ونسمي أنفسنا السماسرة، فسمّانا رسول الله ﷺ باسم هو خير منه، فقال : « **يا معشر التجار، إن هذا البيع يحضره اللغو والكذب؛ فشوبوه بالصدقة** » [1] .

---

(١) حديث صحيح :

أخرجه أبو داود (٣٣٢٧)، والنسائي في (المجتبى) (٧/ ١٤-١٥)، والترمذي بنحوه (١٢٠٨)، وأحمد (٤/ ٦)، والحاكم (٢/ ٥)، والبيهقي في (السنن الكبرى) (٥/ ٦٥)، والطبراني في (الكبير) (١٨/ ٩١٥)، وفي (الصغير) (١٣٠)، وفي (الكبرى) (٤٧٤٠)، من طرق عن جامع ابن أبي راشد وعاصم، عن أبي وائل، عن قيس رضي الله عنه ... الحديث .

قال الترمذي : حديث حسن صحيح، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي .

وفي الباب عن البراء بن عازب رضي الله عنه :

عند ابن أبي شيبة (٧/ ٢١)، والطحاوي في (مشكل الآثار) (١٢/ ٢٠)، والبيهقي في (الشعب) (٤٨٤٨) .

وكذلك عن رفاعة :

عند الترمذي (١٢١٠)، والطحاوي في (شرح مشكل الآثار) (٢٠٨٣) .

قوله : السماسرة بفتح السين الأولى، وكسر الثانية : جمع سِمسار بكسر السن، وهو : القيم بأمر البيع، والحافظ له .

الحلف بفتح حاء مهملة، وكسر لام : اليمين الكاذبة .

فشوبوه بضم الشين : أمر من الشَّوب، بمعنى : الخلط .

أمرهم بذلك ليكون كفارة لما يجري بينهم من الكذب وغيره .

والمراد بها صدقة غير معينة حسب تضاعيف الآثام .

سورة آل عمران

قال تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران : ٥٩] .

ومنها في سورة آل عمران، قوله تعالى : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ .. ﴾ الآية [آل عمران : ٥٩] .

قوله : ﴿خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾ : من صلة آدم على الانقطاع والتفسير، وذلك أنه فسر أمر آدم حين ضرب به المثل، وتأويله : كمثل رجل خلقه من تراب .

ومثله : ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ﴾ [الجمعة : ٥]؛ أي : كمثل حمار يحلم أسفارًا .

والصلاتُ إنما تكون في النكراتِ والأسماء التي هي غير مؤقتة؛ كالمعارف بالألف واللام، وإنما هو : كرجل خلقه من تراب، وإني لا أمر إلا بالرجل، تقول ذلك تريد : بالذي يقول ذلك .

وفي الآية دليل على جواز التمثيل، ورد الشيء إلى نظيره في القياس، وإن قل التشابه بينهما .

وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾، ليس بجواب (قال)؛ لأنك لا تقول: قلت لزيد قم فيقوم، ولكنك تقول : قلت لزيد قم فقام .

وإنما هو خبر عن خلق آدم لما أراد خلقه، كيف خاطبه، وكيف كان؛ كقوله: ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [النحل : ٤٠] .

وإن قلت : تم الكلام عند قوله : (كن)، ثم ابتدأ يخبره عن كون غيره إذا

أمر؛ فيكون كل مأمور كما كان آدم؛ لكان وجهًا [١] .

قال أبو الحسن : شَبَّهَ الله عيسى بآدم عليه السلام بحرف التشبيه، وهو الكاف، ولم يشبه به إلا لوفاق بينهما، فنظرنا فإذا عيسى شبيه آدم في خمس عشرة خصلة :

من التكوين؛ كانا بعد أن لم يكونا ./ (٢٤/أ)

وفي العناصر؛ وذلك لأن آدم خلق من التراب، وهو أحد العناصر التي ركب الله عليها الدنيا والخلق، ثم قال له (كن)، وخلق عيسى عليه السلام من الريح، وهو العنصر الثاني، (كن) .

(١) قال الإمام الطبري رحمه الله :

« فإن قال قائل : فكيف قال : ﴿ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ ﴾ وآدم معرفة، والمعارف لا توصل ؟

قيل : إن قوله : ﴿ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ﴾ غير صلة لآدم، وإنما هو بيان عن أمر على وجه التفسير عن المثل الذي ضربه، وكيف كان .

وأما قوله : ﴿ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾؛ فإنما قال : ﴿ فَيَكُونُ ﴾ وقد ابتدأ الخبر عن خلق آدم، وذلك خبر عن أمر قد تقضّى .

وقد أخبر الخبر عنه مخرج الخبر عما قد مضى، فقال جل ثناؤه : ﴿ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾؛ لأنه بمعنى الإعلام من الله نبيه أن تكون فيه الأشياء بقوله : ﴿ كُن ﴾، ثم قال : ﴿ فَيَكُونُ ﴾ خبر مبتدأ، وقد تناهى الخبر عن أمر آدم عند قوله : ﴿ كُن ﴾ .

فتأويل الكلام إذن : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن ﴾، واعلم يا محمد أن ما قال له ربك : كن، فهو كائن .

فلما كان في قوله : ﴿ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ دلالة على أن الكلام يراد به إعلام نبي الله ﷺ وسائر خلقه أنه كائن ما كونه ابتداء من غير أصل ولا أول ولا عنصر، استغنى بدلالة الكلام عن المعنى .

وقيل : ﴿ فَيَكُونُ ﴾، فعطف بالمستقبل على الماضي على ذلك المعنى، وقد قال أهل العربية : فيكون على الابتداء، ومعناه : كن فكان؛ فكأنه قال : فإذا هو كائن » .

انظر (جامع البيان) (٣/ ٣٢١) .

وتساويا في فقدان الأب .

وتساويا في العبودية .

وتساويا في النبوة؛ ألا ترى أن عيسى عليه السلام قال: ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ [مريم: ٣٠].

وتساويا في المحنة؛ وذلك أن آدم عليه السلام قاسى من إبليس ما قاسى، وعانى عيسى عليه السلام من اليهود ما عانى .

وكان آدم عليه السلام يأكل ويشرب وكذلك عيسى عليه السلام؛ بيانه قوله سبحانه لعيسى ابن مريم: ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ [المائدة : ٧٥] .

قال القتيبي : أخبر عن الحدث بألطف ما يكون من الكناية والخبر، وتساويا في الفقر والفاقة إلى الله تعالى، وتساويا في الصورة، وتساويا في التركيب والتأليف، وتساويا في الأجزاء والأبعاض، وتساويا في الرفع إلى السماء والإنزال؛ وذلك أن آدم رفع إلى الجنة ثم أهبط إلى الأرض، ورفع عيسى عليه السلام إلى السماء الرابعة ثم ينزل إلى الأرض؛ فيقتل الخنازير، ويخرب البيع، ويكسر الصليب، ونزوله من أشراط الساعة [١] .

وسُئل الحسين بن الفضل : هل تجد في كتاب الله تعالى نزول عيسى، قال: «نعم؛ قوله تعالى : ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾ [آل عمران: ٤٦] فلا خلاف بين الجميع أن عيسى رُفع وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، ولم يدخل في حد الكهولية، وأنه إذا نزل يكون كهلًا » [٢] .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : « ينزل على جبل ببيت المقدس يُقال له : أفيق، عليه

(١) أحاديث نزول المسيح؛ أحاديث متواترة، وتجدها مجموعة في كتابي : (الصحيح من كتب السنة في العقيدة)، يسر الله إتمامه على خير .

(٢) انظر تفسير الثعلبي (٣/ ٨٢) .

ثوبان معصفران وبيده حَربة؛ فينزله الملائكة في مسجد بيت القدس والناس يصلون العصر، فينادى : جاء عيسى، فيتأخر الإمام ليتقدم عيسى عليه السلام فيصلي بالناس، فيضع عيسى يده على ظهر الإمام فيقدمه، ويصلي خلفه العصر على شريعة محمد ﷺ، وناهيك به شرفًا للنبي ﷺ (١) .

وتساويا في الخلقة؛ لأنهما خلقا بلا أطوار؛ وبيانه : ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح : ١٤]، وتساويا في الإلهام؛ حين قال آدم عليه السلام لما عطس : الحمد لله، وقال عيسى عليه السلام لما خرج من بطن أمه : ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ [مريم : ٣٠]، وتساويا/ في العلم؛ بيانه : ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة : ٣١]، (٢٤/ب) وقوله لعيسى عليه السلام: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [آل عمران : ٤٨]، وتساويا في نفخ الروح فيهما؛ بيانه: ﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [ص: ٧١-٧٢]، وقال في عيسى عليه السلام : ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ [التحريم: ١٢]، وتساويا في الموت؛ بيانه : ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]، ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن : ٢٦]؛ فهذه كلها فائدة الكاف، وهي رد على النصارى الذين ﴿قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ [المائدة : ٧٣]، ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة : ١٧] .

قال أبو الحسن : وبلغني أن بعض العلماء أُسر بالروم، فقال لهم : لم تعبدون عيسى عليه السلام ؟

قالوا : لأنه كان يحيي الموتى، قال : فحزقيا النبي أولى بالعبادة؛ لأن عيسى أحيى أربعة أنفس على ما نطقت به الأخبار، وأحيى الله تعالى بدعاء حزقيا

---

(١) انظر المصدر السابق؛ بإضافة إلى (قصة المسيح الدجال ونزول عيسى؛ وقتله إياه) لشيخنا الألباني رحمه الله .

ثمانية آلاف؛ بيانه : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ ﴾ [البقرة : ٢٤٣] .

قالوا : لأنه كان يُبرئ الأكمه والأبرص، قال : فجرجيس أولى به؛ لأنه طبخ وأُحرق ثم حيي بإذن الله تعالى [١] .

وسأل بعض النصارى أبا بكر محمد بن عمر الوراق : ثم جَاز أن يتخذ الله إبراهيم خليلًا، ولم يجز أن يتخذ عيسى ابنًا ؟

فقال : لأن الابن متجانس، والخليل ليس بمتجانس؛ تفسيره : أن الابن يجب أن يكون من جنس الأب، ولا جنس لله؛ لأنَّه مُجنِّسُ الأجناس، والمحبة تقع على غير الجنس، كالإنسان يحب ثوبًا أو دابةً أو ضيعةً، ولا يجوز أن يتخذ دابة أو ضيعة ابنًا؛ فأسلم النصراني .

قال الزجاج : « (عيسى) اسمٌ عُدِّلَ عن لفظ الأعجمية إلى هذا البناء، وهو غير مصروف في المعرفة؛ لاجتماع العجمة والتعريف فيه، ومثاله من الكلام (فِعْلَى)، ويكون اشتقاقه من شيئين : من (العِيس) : وهي الإبل البيض، أو من (العَوْس) : وهي السياسة؛ فقلبت الواو ياءً لانكسار ما قبلها، وهو معدول عن أيشوع بلسان السريانية [٢] .

ويُروي في التفسير : أن قومًا من نصارى نجران أتوا النبي ﷺ؛ فقالوا له : إنك سببت صاحبنا.

قال : ومن صاحبكم ؟ قالوا : عيسى/ ، قال : وكيف سببتُه ؟ قال : قلت (٢٥
إنه عبد، قال : وما ذلك بعار على أخي ولا نقيصة، وهو عبد وأنا عبد، قالوا :

---

(١) انظر : (هداية الحيارى) لشيخ الإسلام ابن القيم .

(٢) انظر (معاني القرآن) للزجاج (١/ ٤١٩-٤٢٠) .

فأرنا مثله، فأنزل الله تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران: ٥٩] (١).

قال مقاتل (٢): « ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ ﴾، وذلك أن وفد نجران من النصارى قدموا على النبي ﷺ المدينة؛ السيد، والعاقب، والأسقف وهو الرأس، والحارث، وزيد، وقيس، وخويلد، وخالد، وعمرو؛ فقال السيد والعاقب: يا محمد، لم تشتم صاحبنا وتعيبه وتسميه عبدًا.

قال: أجل؛ هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول.

قالوا: فأرنا في العباد مثله يُحيي الموتى ويُبرئ الأكمه والأبرص، ويخلق من الطين طيرًا وكل آدمي له أب، وعيسى لا أب له، فتابعنا أن عيسى من الله فتابعك؛ فإما أن تجعل عيسى ولدًا، وإما أن تجعله إلهًا.

فقال النبي ﷺ: «**معاذ الله أن يكون له ولد أو معه إله**»، فقالا: فإنا نسأل عن أشياء، فقال: «**لا أخبركم حتى تسلموا وتبايعوني**».

قالا: إنا أسلمنا قبلك، قال: « **إنكما لم تسلما، وإنما حجزكما عن الإسلام ثلاثة: أكلكما لحم الخنزير، وشربكما الخمر، وقولكما لله ولد** »، فغضبا عند ذلك وقالا: هو أب عيسى؛ ائتنا بمثل، فأنزل الله تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ ﴾ الآية، فقالا: ليس كما تقول، ليس هذا بمثل؛ فأنزل الله: ﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ ﴾ [آل عمران: ٦١] (٣).

---

(١) إسناده ضعيف:

أخرجه الطبري (٣/ ٣٢٠) بإسناد ضعيف، وأورده الواحدي في (أسباب النزول) (١٠٤) بدون إسناد.

(٢) انظر تفسيره (١/ ٢٧٩).

(٣) أخرجه الطبري (٢/ ٣٢٠)، عن ابن عباس نحوه، وإسناده ضعيف.

قال الكلبي [١] : « قدم أربعة عشر من نجران على رسول الله ﷺ، فقرأ رسول الله ﷺ هذه الآيات في أمر عيسى، فقالوا : لا نعرف ما تقول، فنزل: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، يقول : بالقرآن والملاعنة، ونزل : ﴿ فَمَنۡ حَآجَّكَ فِيهِ ﴾، أي : جادلك في أمر عيسى من بعدما جاءك من العلم في القرآن، ﴿ فَقُلۡ تَعَالَوۡاْ ﴾ الآية [آل عمران: ٦١] .

روى أبو ظبيان، عن ابن عباس رضي الله عنهما : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ ﴾ [آل عمران:٥٩]، يعني أن عيسى كآدم .

وروى أبو روق، عن الضحاك، قال : قدم وفد نجران على رسول الله ﷺ / (٢٥ المدينة، وهم يقولون : إن الله ثالث ثلاثة؛ أب وأم وابن، وهم اثنا عشر رجلًا من أشرافهم في ستين راكبًا، فأنزل الله سبحانه : ﴿ الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ [آل عمران : ١-٢]، أي : ليس كما يقولون ثالث ثلاثة .

﴿ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾ الذي لا يموت ولا يزول، وليس بلحم ودم، وعيسى لحم ودم، قُضي عليه بالموت وزال عن مكانه الذي كان به، حتى بلغ قوله : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ ﴾، حتى يعرفوا أنه يخلق في بطن أمه من غير أب، كذلك خلق آدم من غير أب وأم [٢] .

قال تعالى: ﴿ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَثَلِ رِيحٖ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتۡ حَرۡثَ قَوۡمٖ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَأَهۡلَكَتۡهُۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنۡ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران:١١٧] .

---

(١) تقدم ذكر حاله .

(٢) انظر : (جامع البيان) للطبري، و (أسباب النزول) للواحدي .

ومنها قوله تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [آل عمران: ١١٧]، يقول: مثل نفقاتهم في بطلانها وتلاشيها كاصطلام حرث أصابه ريح باردة فأحرقته واجتاحته، فالمثل الأول واقع على ذهاب النفقة لا على النفقة، والثاني صلة كقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]؛ لأنك إذا قلت: مثل زيد كعمرو، فإنك شبهت زيدًا بشبيه عمرو لا بعمرو نفسه، قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ﴾ [الفتح: ٢٩].

قال أبو الحسن: ورأيت في بعض التفاسير إنه في ذكر أصحاب ضروان حيث يقول في سورة ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ﴾: ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾ [القلم: ١٧]، وضروان ضيعة على فرسخين من صنعاء.

قال مقاتل: «ثم ذكر نفقة سفلة اليهود من الطعام والشراب على رؤسائهم كعب وأصحابه، فضرب الله مثلًا لنفقاتهم، فقال: ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ وهم سفلة اليهود، ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾ برد شديد، ﴿أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ﴾ ولم تبق منه شيئًا، كذلك أهلك الله نفقة سفلة اليهود، ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ١١٧]»[1].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «﴿فِيهَا صِرٌّ﴾ السموم الحارة التي تقتل، وخلق الله منها الجان،»، ثم قرأ: ﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ﴾ [الحجر: ٢٧][2].

قال قتادة: «﴿فِيهَا صِرٌّ﴾ برد شديد».

قال ابن كيسان: «(الصِّرّ) ريح فيها صوت ونار»[3].

---

(١) انظر تفسير الثعلبي (٣/ ١٣٣).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) انظر تفسير الثعلبي (٣/ ١٣٣).

قال مجاهد: «﴿ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ نفقة التكاثر في الدنيا».

قال يمان بن رئاب/ : « يعني أبا سفيان بن حرب؛ نفقاته في بدر على (٢٦
عداوة رسول الله ﷺ »[١].

قال الكلبي : « ﴿ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ ﴾ من الأموال، ﴿ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ في غير طاعة الله، ﴿ كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ ﴾ برد، ﴿ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ﴾ بمنع حق الله منه، ﴿ فَأَهْلَكَتْهُ ﴾؛ يقول : فأحرقته، فلم ينتفعوا منها بشيء، كذلك من أنفق ماله في غير طاعة الله؛ لا ينفعه في الآخرة كما لا ينفقع هذا زرعه في الدنيا » .

قال المبرد : «﴿ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ ﴾ أي: قل لهم يا محمد: مثل ما ينفقون».

(١) المصدر السابق .

سورة الأعراف

قال تعالى: ﴿ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴾ [الأعراف : ٥٨] ..

ومنها الأعراف قوله تعالى: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ﴾ الآية [الأعراف: ٥٨]، يعني المكان الطيب الزاكي من الأرض، ﴿يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ﴾ يعني ريعه في غير كد ولا عناء، ﴿وَٱلَّذِى خَبُثَ﴾ يعني الأرض السبخة لا يخرج ريعها إلا في كد وعناء ومشقة، كذلك المؤمن والكافر ضرب الله مَثَلَهُما، فمثل المؤمن كمثل الأرض الزكية؛ تخرج ريعها في غير كدٍ وعناء، ومثل الكافر كالأرض السبخة لا تخرج ريعها إلا في كل مشقة؛ كذلك الكافر لا يعمل عَمَله إلا في كد وشدة لغير الله.

﴿ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ﴾ يُبين الله آيات القرآن، ﴿لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴾ [الأعراف : ٥٨]، أي يؤمنون .

قال مجاهد : هذا مثل آدم وذريته كلهم، منهم الخبيث والطيب [١] .

قال المبرد : النكد : القليل .

قال ثعلب : النكد : الرديء، ويقال لكل ما يُتشاءم به نكد [وناكد .

قال الشاعر [٢]] [٣] :

فـأعـط مـا أعـطـيـتـه طيبًا ... لا خير في المنكود ولا الناكد

---

(١) أخرجه الطبري (٨/ ٢٢٠) .

(٢) هو : أعشى همدان .

(٣) كتبت بهامش الأصل .

والنكد في الفعل [١]، قال الشاعر [٢]:

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى عـدوًا له ما من صداقته بدُّ

قال تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ ۖ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف:١٧-١٧٦]

قال أبو الحسن: ومنها في الأعراف: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا ﴾ إلى قوله: ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٥-١٧٦].

قال أبو الحسن رحمه الله: اختُلف الناس في المعني بقوله: ﴿ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا﴾

فقال ابن عباس [٣]، وابن مسعود [٤]، ومقاتل، ووهب بن منبه، وعطاء،

(١) كلمة لم أستطع قراءتها، ولعل ما أثبته هو الصواب، والله أعلم.

(٢) ديوان المتنبي (١/ ٩٣).

(٣) أثر صحيح:

أخرجه الطبري (٩/ ١٢٩)، حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عمران بن عيينة، عن حصين، عن عمران بن الحارث، عن ابن عباس، قال: هو بلعم بن باعرا.

ثم أخرجه من طريق آخر: حدثني الحارث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا إسرائيل، عن مغيرة، عن مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: هو بلعم.

وهذا إسناده ثقات.

وأخرجه أيضًا، قال: حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: هو بلعم.

وهذا إسناد ضعيف؛ لكن بمجموع هذه الطرق يرتقي الأثر إلى الحسن.

(٤) إسناده صحيح: =

والضحاك، وعبد الكريم بن أبي المخارق : هو بلعام بن باعور .

(٢٦/ب) واختلفوا في اسم أبيه :/

فقال ابن عباس رضي الله عنهما، والكلبي (باعوراء)، وقال ابن مسعود ومجاهد (بلعام بن أبره)، قال عطاء : (باعر)، قال أبو العالية : هو (بلعم) بلا ألف .

قال ابن عباس رضي الله عنهما هو من مدينة الجبّارين [١]، قال مقاتل : هو من مدينة (بلقاء)؛ سميت بلقاء لأن ملكها كان يُسمى (بالقا) [٢] .

قال عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وزيد بن أسماء، وسعيد بن المسيب : هو أمية بن الصلت[٣] .

قال يمان بن رئاب : نزلت في راهب بن صيفي [٤] .

وروى أبو الجوزاء عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال : نزلت في البسوس [٥] .

قال عكرمة : نزلت في اليهود والنصارى ومن آتاه الله آياته وكتابه فانسلخ منها .

واختلفوا في القصة حسب اختلافهم في مَن نَزلت فيه الآية .

= أخرجه الطبري (٩/ ١٢٨)، والفريابي وعبد الرزاق وعبد بن حميد والنسائي وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ والطبراني وابن مردويه .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم، وابن المنذر، كما في (الدر المنثور) للسيوطي (٣/ ٢٦٦) .

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٧٤) .

(٣) أثر صحيح :

أخرجه الطبري (٩/ ١٣٠، ١٣١)، وعبد بن حميد والنسائي وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ والطبراني وابن مردويه، كما في (الدر المنثور) (٣/ ٢٦٦) .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم، كما في (الدر المنثور)، عن ابن عباس، قال : هو صيفي بن الراهب .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم وأبو الشيخ، كما في (الدر المنثور) .

فقال الذين قالوا إنها نولت في (بلعام) أن موسى عليه السلام؛ أراد أن يغزو ملكًا، فقال الملك لبلعام : إن موسى رجل حديد ومعه جند كثير، فإن ظهر علينا أهلكنا فادع الله أن يردعه عنا، فقال : إن فعلت ذلك ذهبت دنياي وآخرتي، فلم يزالوا به حتى دعا عليهم، قالوا : فوقع موسى عليه السلام وبنو إسرائيل في التيه بدعائه، فلما انقضت المحنة، قال موسى عليه السلام : يا رب، بأي ذنب وقعنا في التيه ؟!

قال : بدعاء (بلعام) .

قال : فكما سمعت دعاءه علي فاسمع دعائي عليه، فدعا موسى فسلخه الله مما كان عليه ونزع منه معرفته، فخرجت من صدره كحمامة بيضاء؛ فذلك قوله: ﴿ فَٱنسَلَخَ مِنْهَا ﴾ (١) .

قال مقاتل : هو (بلعام بن باعور بن مأرب بن لوط) (٢)، قال له ملك (بلقاء): ادع الله على موسى، فقال : إنه من أهل ديني، لا أدعو عليه، فنحت خشبة ليصلبه، فلما رأى ذلك خرج على أتان له ليدعو عليه، فلما عاين عسكرهم قامت به الأتان فوقف فضربها، فقالت : لم تضربني وهذه نار قد منعتني أن أمشي، فرجع فأخبر الملك، فقال : لتدعون عليه أو لأصلبنك، فدعا على موسى بالاسم الأعظم أن لا يدخل المدينة فاستجيب منه، وبلغ ذلك موسى عليه السلام،/ فدعا الله أن ينزع منه الاسم الأعظم (٣) . /(٢٧)

وقال وهب بن منبه نحو هذه القصة، وزاد فيها أن (بالق) ملك

---

(١) أخرجه الطبري (٩/ ١٢٨) .

(٢) انظر (تفسير مقاتل) (٢/ ٧٤)، وفيه (بلعام بن باعور بن ماث بن حراز بن أزر) .

(٣) المصدر السابق (٢/ ٧٥) .

(البلقاء) أرسل إلى (بلعام) يسأله أن يقدم عليه، فأبى وكانت له امرأة أشب منه، وكان يحبها، فحملته على القدوم عليه، فركب الأتان فأبت أن تتقدم فضربها، فكلمته، فقالت : إني مأمورة فلا تظلمني، انظر أمامك فنظر، فإذا بملك قد قطع الطريق عليه، فخر ساجدًا حتى انكشف عنه الملك، فانطلق لوجهه حتى قدم على القوم، فقرّب قربانًا، فتقبل الله منه وأعلمه أن موسى خيرتي، فانصرف وهو يصلي على موسى، فما زالوا به حتى فتنوه، فذلك قوله تعالى : ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا ﴾ .

والآيات أولهن : الدعاء على موسى، فعزم الله له على الرشد [حتى أبى][1]، والآية الثانية : كلام الأتان، والثالثة : مقام الملك، والرابعة : تقبل القربان، والخامسة: إعلام الله إياه خبر موسى عليه السلام وقومه، فانسلخ من هذا كله وتركه عيانًا.

ومن قال : إنها نزلت في أمية بن أبي الصلت، قال : كان ابتداء أمره أنه كان قرأ الكتب، وعلم أن الله تعالى مرسل رسولًا في ذلك الوقت وظن أنه يكون ذلك الرسول، فلما أُرسل رسول الله ﷺ حسده، وكان قصد بعض الملوك، فلما رجع مر على قتلى بدر، فسأل عنهم، فقيل : قتلهم محمد .

فقال : لو كان نبيًا ما قتل أقرباءه، فلما مات أمية أتت أخته الفارعة رسول الله ﷺ، فسألها عن وفاة أخيها، فقالت : بينما هو راقد أتاه آتيان، فقعد أحدهما عند رأسه والآخر عند رجله، فقال الذي عند رجله للذي عند رأسه : أوعى ؟

قال : وعى .

قال : أزكي ؟ قال : أبى .

---

(١) كتبت بهامش الأصل.

قالت : فقلت له : أريد بك خير فصرف عنك، فلما أفاق، قال :

كل عيش وإنِ تطاول دهـرًا ... صـائـرٌ مـرةً إلى أن يَـزُولا
ليتني كنتُ قبلَ ما قد بدا لي ... في قلال الجبال أرعى الوعولا/ (٢٧/
إن يـوم الحسـاب يـوم عظيم ... شاب فيه الصغير يومًا ثقيلاً [١]

ثم قال لها رسول الله ﷺ أنشديني شعر أخيك قصيدته :

لك الحمد والنعماء والفضل ربنا ... ولا شيء أعلى منك جدًا وأمجدُ
مليك على عرش السماء مهيمن ... لعزته تعنو الوجوه وتَسّجِدُ
عليه حجاب النور والنور حوله ... وأنهـار نـور حوله تَتَوقَّدُ
فـلا بـصر يسمو إلـيـه بطرفه ... ودون حجاب النور خلق مُؤَيَّدُ

ملائكة أقدامهم تحت أرضه ... وأعناقهم فوق السماوات صَعَّدُ
قِيامٌ على الأقـدام عَانُون تحته ... فرائصهم من شدةِ الخوفِ تَرعدُ
وسبطٌ صفوفٌ يَنظرُون ورَاءه ... مصيخون للأسماعِ للوحي رَكدُ
أمينَاهُ روحُ القدسِ جِبريل فيهم ... وميكال ذوالروح القوي المسَدَّدُ [٢]

وهذه قصيدة حتى أتت على آخرها، وأنشدته قصيدته الأخرى :

يُوقَفُ الناسُ للحسابِ جميعًا ... فَشقي معذّب وسعيدُ [٣]

---

(١) إسناده ضعيف مرسل :

أخرجه ابن عساكر في (تاريخ دمشق) (٩/ ٤٣٢) ؛ عن إسحاق بن بشر ، عن محمد بن إسحاق، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، وعن عثمان بن عبد الرحمن ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب .. به .

وهذا إسناد ضعيف مرسل .

والأبيات في ديوانه (٥٤-٣٥٤) . .

(٢) انظر المصدر السابق ، و (البداية والنهاية) للحافظ ابن كثير (٢/ ٨٤٢-٩٤٢) .

(٣) انظر ديوانه (٩٧٣) ، و (نهاية الإرب) (٣/ ٢٧٢) ، و (تفسير الثعلبي) (٤/ ٦٠٣) .

ثم أنشدته قصيدته التي يقول فيها :

عند ذي العرش يعرضون عليه ... يعلم الجهر والسرار الخَفيّا
يـوم يـأتي الرحمن وهـو رحيم ... إنـــه كـــان وعـــدُه مـأتيًـا
يـوم نأتيه مثل مـا قـال فـردًا ... ثـم لابـد راشـــدًا أو غويًّا
أسَعيدًا سَـعـادةً كنت أرجو ... أو مُهانًا مما اكتسبت شقيًا
أو تـؤاخـذ بـما اجـترمـت فإني ... سوف ألقى من العذاب فَريًا
رب إن تعفُ فالمعافاة ظني ... أو تعاقب فلم تعاقب بريًّا] (١)

فقال لها رسول الله ﷺ : « آمن لسانه وكفر قلبه » (٢) .

وقال عمرو بن الشريد [عن أبيه] (٣) صاحب رسول الله ﷺ : كنت مع رسول الله ﷺ في بعض المغازي، فقال لي : هل تروي من شعر أمية بن أبي الصلت ؟

قلت : نعم، فأردفني فركبت الناقة، فجعلت أنشده وهو يقول : «هيه»، حتى أنشدته أكثر من مائة بيتٍ، فقال : « آمن لسانه وكفر قلبه » (٤) .

---

(١) كتبت بهامش الأصل .

(٢) انظر ما تقدم من المصادر، و (تفسير الثعلبي) (٤/ ٣٠٧) .

(٣) في الأصل عمرو بن الشريد فقط، ولعل هناك سقط؛ فإن عمرو بن الشريد تابعي، وأبوه صحابي .

(٤) حديث صحيح، دون المقطع الأخير :
أخرجه البخاري في (الأدب المفرد) (٧٩٩)، ومسلم (٢٢٥٥)، والحميدي (٨٠٩)، وابن حبان (٥٧٨٢)، والطبراني (٧/ ٣١٥) رقم (٧٢٣٨)، والبيهقي (١٠/ ٢٢٦، ٢٢٧) عن سفيان بن عيينة .
وأخرجه أحمد (٤/ ٣٨٩) عن زكريا بن إسحاق .
وأخرجه الطبراني (٧/ ٣١٥) رقم (٧٢٣٩) عن روح بن القاسم . =

ومن قال إنها نزلت في البسوس .

قال سعيد بن المسيب : كان رجل أعطي ثلاث دعوات مُستجابات وكانت له امرأة يقال لها : البسوس، وكان له منها ولد، فقالت له : اجعل لي منها ولو دعوة واحدة، فقال : لك منها واحدة، فما تريدين ؟ قالت : ادع الله أن يجعلني أجمل امرأة في بني إسرائيل، فدعا لها فجعلت أجمل امرأة في بني إسرائيل، فلما علمت أنه ليس فيهم مثلها رغبت عنه فغضب الرجل ودعا عليها فصارت كلبة نَبَّاحة، فذهب فيها دعوتان، فجاء/ بنوها، وقالوا (٢٨
: ليس لنا على هذا قرار، قد صارت أمنا كلبةً نَبّاحةً والناس يعيروننا بها، ادع الله أن يردها إلى الحال التي كانت عليها .

فدعا فعادت كما كانت، فذهب الدعوات الثلاث فيها [١]، وهي الآيات، فهي البسوس .

وقال شداد بن أوس : سُئل عبادة بن الصامت عن هذه الآية، فقال : يُقال أنها نزلت في بلعام، ويقال في أمية، وليس كذلك، ولكن الله تعالى آتى قُريشًا آياته فانسلخوا منها ولم يقبلوا، فضرب الله لهم مثل القوم قبلهم؛ آتاهم الله آياته فلم يقبلوها؛ فأهلكهم الله، فحذر هؤلاء أن يكونوا مثلهم [٢] .

ومن قال أنها نزلت في راهب بن صيفي، قال سعيد بن المسيب : كان أبو عامر بن النعمان الراهب، الذي سماه رسول الله ﷺ الفاسق، ترهب في الجاهلية، ولبس المسوح، فقدم المدينة، فقال لرسول الله ﷺ : ما هذا الذي جئت به ؟

= جميعًا عن إبراهيم بن ميسرة، عن عمرو بن الشريد، عن أبيه ن قال : ردفت رسول الله ﷺ ... الحديث، دون المقطع الأخير .

(١) تقدم تخريجه .

(٢) انظر (الجامع لأحكام القرآن) للقرطبي (٩/ ٣٨٥) .

قال : «**جئت بالحنيفية دين إبراهيم**»، قال : أنا عليها، فقال النبي ﷺ : «**لست عليها، ولكنك أدخلت فيها من ليس منها**»، فقال أبو عامر : أمات الله الكاذب طريدًا وحيدًا، فخرج إلى الشام وأرسل إلى المنافقين : استعدوا القوة والسلاح، وابنوا لي مسجدًا؛ فإني ذاهب إلى قيصر وآت بجند نخرج محمدًا وأصحابه من المدينة، فذلك قوله : ﴿ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ ﴾ [التوبة : ١٠٧]، يعني انتظارًا لمجيئه، فمات بالشام طريدًا وحيدًا، واستجاب الله دعاء الرسول فيه .

قال عمرو بن دينار : سُئل عكرمة عن هذه الآية، فقال : « هذا وهذا »، يريد أنها ليست في خاصة [١] .

قال قتادة : هذا مثل لمن عرض عليه الهدى فلا يقبله [٢] .

قال الحسن : هو المنافق دُعي إلى الحق أو لم يدع، وعظ أو لم يوعظ؛ كالكلب يلهث طرد أو ترك [٣] .

قال ابن كيسان : نزلت في منافقي أهل الكتاب الذين كانوا يعرفون النبي ﷺ كما يعرفون أبناءهم [٤] .

---

(١) انظر : (تفسير الثعلبي) (٤/ ٣٠٨) .

(٢) أخرجه الطبري (٩/ ١٣٩) .

(٣) المصدر السابق .

(٤) انظر : (تفسير الثعلبي) (٤/ ٣٠٨) .

قال إمام المفسرين الطبري رحمه الله :

«وأولى التأويلين في ذلك بالصواب تأويل من قال : إنما هو مثل لتركه العمل بآيات الله التي آتاها إياه، وأن معناه : سواء وعظ أو لم يوعظ في أنه لا يترك ما هو عليه من خلافه أمر ربه، كما سواء حمل على الكلب وطرد أو ترك فلم يطرد في أنه لا يدع اللهث في كلتا حالتيه . =

واختلفوا في الآيات التي أوتي، فقال مجاهد : أوتي النبوة [١]، وقال : كان نبيًا في زمن موسى فحمله قومه [٢] ./ (٢٨/ ب

وروى منصور عن مجاهد، قال : هذا مثل الذي يقرأ القرآن ولا ينتفع بما فيه، فأتبعه الشيطان، أي : اقتصه وغره [٣] .

= وإنما قلنا ذلك أولى التأويلين بالصواب لدلالة قوله تعالى : ﴿ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا ﴾، فجعل ذلك مثل المكذبين بآياته، وقد علمنا أن اللهاث ليس في خلقة كل مكذب كتب عليه ترك الإنابة من تكذيب بآيات الله، وأن ذلك إنما هو مثل ضرب الله لهم، فكان معلومًا بذلك أنه للذي وصف الله صفته في هذه الآية، كما هو لسائر المكذبين بآيات الله مثل».
(جامع البيان) (٩/ ١٣٩) .

(١) قال المصنف رحمه الله : وفي الآيات التي أوتيها ثلاثة أقوال :
أحدها : أنه اسم الله الأعظم، الذي تجاب به الدعوات، قاله السدي وابن زيد .
والثاني : أنها كتاب من كتب الله، قاله ابن عباس .
والثالث : أنه أوتي النبوة فرشاه قومه على أن يسكت، ففعل وتركهم على ما هم عليه، قاله مجاهد .
وهو غير صحيح؛ لأن الله لا يصطفي لنبوته إلا من يعلم أنه لا يخرج عن طاعته إلى معصيته .
انظر : (النكت والعيون) (٢/ ٢٧٩) .
وقال ابن عطية رحمه الله : « وهذا قول مردود لا يصح عن مجاهد » .
انظر : (المحرر الوجيز) (٢/ ٤٧٦) .

(٢) انظر : (تفسير الثعلبي) (٤/ ٣٠٨) .
تنبيه : ترقيم الأصل (٢٧)، وبعده (٢٩)؛ فلعل هذا تصحيف أو سقط، والله أعلم .

(٣) قال الإمام الطبري رحمه الله :
« والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن الله تعالى ذكره أمر نبيه ﷺ أن يتلو على قومه خبر رجل كان الله آتاه حججه وأدلته، وهي الآيات .
وقد دللنا على أن معنى الآيات الأدلة والأعلام فيما مضى، بما أغنى عن إعادته، وجائز أن يكون الذي كان آتاه ذلك (بلعم)، وجائز أن يكون أمية .
وكذلك الآيات إن كانت بمعنى الحجة التي هي بعض كتب الله التي أنزلها على بعض =

وتبع واتّبع واحد .

قرأ طلحة بن مصرّف : ﴿ فاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ ﴾ بالتشديد، وروي عن أبي عمرو مثله، قال الأخفش : ﴿ أتبعه ﴾ : صار معه، واتّبعه : أخذ في إثره أدركه أو لم يدركه.

قال ابن كيسان : مثله كمثل الكلب؛ لأن الكلب أذل ما يكون إذا لهث، ومثل هذا الذي يكفر كالكلب؛ ﴿ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا ﴾ لا يضرونك شيئًا، ﴿ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ ﴾ يعني بين لهم ما أنبأتك فيهم، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف : ١٧٦] .

وروى شيبان عن قتادة، يقول : اقرأ عليهم القرآن لعلهم يتفكرون في أمثال القرآن فيؤمنوا .

قوله سبحانه : ﴿ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا ﴾ [الأعراف: ١٧٧]، نصب على التمييز والحال، أي ساء المثل مثلًا، فقوله ﴿ مَثَلًا ﴾ حال من المثل المضمر، كما قال جرير :

= أنبيائه فتعلمها الذي ذكره الله في هذه الآية، وعناه بها، فجائز أن يكون الذي كان أوتيها (بلعم)، وجائز أن يكون أمية؛ لأن أمية كان فيما يقال : قد قرأ من كتب أهل الكتاب .

وإن كانت بمعنى كتاب أنزله الله على من أمر نبي الله عليه الصلاة والسلام أن يتلو على قومه نبأه أو بمعنى اسم الله الأعظم أو بمعنى النبوة، فغير جائز أن يكون معنيًا به أمية؛ لأن أمية لا تختلف الأمة في أنه لم يكن أوتي شيئًا من ذلك .

ولا خبر بأي ذلك المراد وأي الرجلين المعني، يوجب الحجة ولا في العقل دلالة على أن ذلك المعني به من أي .

فالصواب أن يقال فيه ما قال الله، ويقر بظاهر التنزيل على ما جاء به الوحي من الله .

وأما قوله: ﴿فَٱنسَلَخَ مِنْهَا ﴾؛ فإنه يعني خرج من الآيات التي كان الله آتاها إياه، فتبرأ منها.

فنعم الزاد زاد أبيك زاد [١]

هذا إن جعلت ساء من فعل المثل، ورفعت القوم بدلًا من المضمر فيه، وإن حوّلت فعله إلى القوم ورفعتهم به كان انتصابه على التمييز، يريد ساء مثل القوم، فلما حولته إليهم خرج المثل مفسرًا كما تقول : قرّبه عينا، وضاق به ذرعًا، ومتى ما سقط التنوين من المميز انخفض بالإضافة، ويدلك عليه قراءة عاصم الجحدري والأعمش : (ساء مثل القوم) [٢] .

قال الكلبي : بئس المثل ضرب للقوم ﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا ﴾ بمحمد والقرآن، ﴿وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴾ يضرون، ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ ﴾ لدينه؛ ﴿فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ﴾، ﴿وَمَن يُضْلِلْ ﴾ عن دينه، ﴿فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴾ [الأعراف : ١٧٨] الذين خسروا الدنيا والآخرة .

قال ابن كيسان : من يتولى الله أمره وتنبيهه وإرشاده، فهو المهتدي، ومن يضلل يتولى الله ذمه؛ ﴿ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴾، قال أبو حاتم : يريد ساء مثلًا مثل القوم، فحذف، وأقام (القوم) مقامه، فرفعهم وكذلك، ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ [يوسف : ٨٢]، يريد أهل القرية، فحذف الأهل، وأقام القرية مقامها/ في الإعراب . (٢٩

قال أبو حاتم : وقرأ ﴿ ٱلْمُهْتَدِى ﴾ بالياء في هذا الموضع وفي جميع القرآن أبو جعفر ونافع، وكذلك نقرؤه بالياء في الوصل والوقف، بخبر الحذف في رؤوس الآي خاصة .

(١) انظر (تفسير الثعلبي) (٤/ ٩٠٣) ، والبيت في شرح ديوان جرير (٥٣١) .

(٢) انظر (إعراب القرآن) للنحاس (٢/ ١٦٤)، وقراءة عاصم الجحدري في القراءات الشاذة (ص : ٤٧) .

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٧٩] .

ومنها في الأعراف أيضًا قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ﴾ [الأعراف : ١٧٩] .

هذه اللام تُسمى لام العاقبة، كقوله : ﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾ [القصص : ٨] فأخبر الله تعالى عما خلقهم له بعدما علم كفرهم .

البدو [تنشد هذا البيت] (١) :

أموالنا لذوي الميراث نجمعها ودورنا لخراب الدهر نبنيها (٢)

وقال آخر :

ألا كل مولد فللموت يولد ولستُ أرى حيًا بحي يخلد (٣)

وقال أبو العتاهية :

لـدوا للموت وابنوا للخراب فكلكم يصير إلى الـتراب (٤)

وروي عن سعيد بن جبير أنه قال : هم أولاد الزنا، والله أعلم (٥) .

قال الكلبي : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ ﴾ أي : خلقنا لجهنم خلقًا كثيرًا من

---

(١) كتبت بهامش الأصل .

(٢) البيت في ديوان علي بن أبي طالب رضي الله عنه (٣٢١) ، شرح د/ يوسف فرحات ، وانظر (تفسير الثعلبي) (٤/ ٠١٣) .

(٣) البيت لأبي العتاهية ، وهو في ديوانه (٨٢١) .

(٤) انظر ديوانه (٦٤) .

(٥) أخرجه الطبري (٩/ ١٤١) .

الجن والإنس، ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا ﴾ أي : لا يعقلون بها الخير والهدى، ﴿ وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا ﴾ الهدى، ﴿ وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ﴾ الخير والهدى، ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ ﴾ شبههم بالأنعام في المأكل والمشرب لا يعقلون شيئًا، ثم قال : ﴿ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾ من الأنعام؛ لأن الأنعام مطيعة لله، والكافر غير مُطيع لله، ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾ عن أمر الآخرة، وما فيها من العذاب .

وقال مقاتل : ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾ الآية : يقول : ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم؛ فمن ثم لم تفقه قلوبهم ولم تبصر أعينهم ولم تسمع آذانهم، ثم ضرب لهم مثلًا، فقال : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ ﴾ يأكلون ويشربون ولا يلتفتون إلى الآخرة، كما تأكل الأنعام وتشرب ولا هم لها إلا الأكل والشرب، فهي لا تسمع ولا تعقل، كذلك الكافر، ثم قال يعني به كفار مكة : ﴿ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾ يعني أخطأ طريقًا من الأنعام، ثم قال : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾/ ؛ (٢٩) لأن الأنعام تعرف ربها وتذكره، وهم لا يذكرونه ولا يعرفونه [١] .

قال عطاء : ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا ﴾ يريد لا ترجو ثوابًا ولا تخشى عقابًا، ﴿ وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا ﴾ سبيل الهدى، ﴿ وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ﴾ مواعظ الله والقرآن، ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ ﴾ يريد البقر والإبل والغنم، ﴿ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾ يريد أن الأنعام تعرف ربها وتحذر الموت وليس عليها حساب، ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾ عما أعد الله لأوليائه من الثواب، وما أعد الله لأعدائه من العقاب .

(١) انظر (تفسير مقاتل) (٢/ ٧٦) .

سورة يونس

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٢٤].

ومنها في سورة يونس قوله جل ذكره: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ الآية [يونس:٢٤].

قال ابن عباس: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ في بقائها وفنائها ﴿كَمَآءٍ﴾ وهو المطر، ﴿أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ﴾ فأنبتت ما يأكل الناس والأنعام، فأما ما يأكل الناس فالبر وأشباهه، وما تأكل الأنعام فالحشيش وأشباهه، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾ زينتها من النبات وكان ذلك زينة الأرض، ﴿وَٱزَّيَّنَتْ﴾ تعني بنباتها وحرثها، ﴿وَظَنَّ أَهْلُهَآ﴾ أهل الزرع والثمار، ﴿أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ﴾ يعني على الغلة وأنها ستتم لهم، ﴿أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا﴾ أي عذابنا، ﴿فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا﴾ كحصيد السيف، ﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَ﴾ تَعْمُر؛ كذلك مثل الدنيا وما فيها لا يبقى كما يبقى هذا الزرعُ، ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ القرآن، ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في الدنيا والآخرة[1].

قال قتادة: ﴿وَٱزَّيَّنَتْ﴾ أنبتت وحسُنت[2]، ﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَ﴾ تنعم بالأمس، وقال: ﴿زُخْرُفَهَا﴾ بهجتها[3].

---

(١) أخرجه الطبري (٩/ ١١٤-١١٥)، عن عطاء، عن ابن عباس رضي الله عنهما بنحوه، وإسناده ضعيف منقطع.

(٢) أخرجه الطبري (٩/ ١١٥)، وعبد الرزاق، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ؛ كما في (الدر المنثور) (٢/ ٥٤٥).

(٣) المصدر السابق.

قال الضحاك : حُسنها .

قال أبو العالية : جَمَالُها .

﴿ وَٱزَّيَّنَتْ ﴾ تزينت، ﴿ وَظَنَّ أَهْلُهَآ ﴾ يعني أرباب الأرض، ﴿أَنَّهُمْ قَـٰدِرُونَ عَلَيْهَآ﴾ على الأرض وعلى مَنفعتها، ﴿فَجَعَلْنَـٰهَا حَصِيدًا ﴾ يعني المحصود حُطامًا هشيمًا، ﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَ ﴾ تكن بالأمس .

قرأ عاصم وأبو عمرو وحمزة والكسائي (وازَّيَّنت)/ مُشَدَّدةُ الزاي، (٣٠
وذكره أبو حاتم عن مجاهد وأهل المدينة واختاره أبو عبيد وابو حاتم، وتصديقها في قراءة ابن مسعود (وتزيَّنت) .

قال أبو عُبيد : وكذلك أصلها في العربية إلا أنها كتبت على الإدغام، فجرت القراءة عليها .

وقال أبو عُبيد : ورُويت عن أبي العالية وأبي حازم والأعرج (وأزْيَنت) مقطوعة الألف ساكنة الزاي، وكذلك ذكر أبو حاتم عن الشعبي والحسن وجماعة.

وقال عوف بن أبي جميلة : كان أشياخنا يقرؤونها : (وازّيأنت)، كقولنا : «ادهأم الفرس»، وكذلك قرأ الضحاك على وزن : احْمارَّت [١] .

قال أبو حاتم : وذكر لي أن مروان بن الحكم قرأ على المنبر : ﴿ فَجَعَلْنَـٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ﴾، وما كان الله ليهلكها إلا بذنوب أهلها [٢] .

ثم قال : قد قرأها، وما هي في المصحف، فقال عباس بن عبد الله بن

---

(١) ينظر : القراءات الشاذة (ص : ٥٦)، و(المحتسب) (١/ ٣١١)، و(المحرر الوجيز) (٣/ ١١٤)، و (الدر المصون) (٦/ ١٧٨-١٧٩) .

(٢) هذه القراءة أنكرها الإمام ابن كثير رحمه الله في (تفسير القرآن العظيم)، وقال : « هذه قراءة غريبة، وكأنها زيادة للتفسير » .

عباس: كان ابنٍ عباس يقرؤها هكذا، فأرسل مروان إلى ابن عباس فسأله، فقال : أقرأنيها أبيّ هكذا .

قال الأخفش : ﴿ وَٱزَّيَّنَتْ ﴾ يريد تزينت؛ فأدغم التاء في الزاي لقرب المخرجين، فلما سكن أولها زيد فيها ألف [١] .

قال أبو عبيدة : (الحصيد) : المستأصل .

قال قطرب : قرأ أبو العالية (وأزينت)؛ فقطع الألف، أي : أتت بالزينة، كقولهم : أحمد، وآدم، وأذكرت المرأة وآنثت .

[وقالت امرأة من العرب] [٢] :

ومـــا أبـــالي أن أكـــون محمقه إذا رأيـــت خصيه معلقه

﴿ فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا ﴾، أي : مجذوذة مستأصلة من الأرض، ﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ﴾، والقراءة بالتاء لتأنيث الأرض، وقرأها قتادة بالياء : ذهب إلى الزخرف.

ولّما قرأ قتادة هذه الآية، قال : « إي والله، لمن تشبث بالدنيا وقرب، توشك الدنيا أن تلفظه وتفضي منه وتفارقه، أعجب ما تكون إليه » [٣] .

(١) انظر معاني القرآن للأخفش (١/ ٣٤٧٢) .

(٢) كتبت بهامش الأصل.

(٣) ينظر : (المحرر الوجيز) (٣/ ١١٤)، و (الدر المصون) (٦/ ١٧٨) .

سورة الرعد

قال تعالى: ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ [الرعد:١٧].

ومنها في سورة الرعد؛ قوله تعالى: ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾ [الرعد:١٧].

قال أبو الحسن رحمه الله :/ هذا مثل شاق صعب المسلك والمخرج؛ لغموضه، (٣٠
لأنه أمثال متداخلة بعضها في بعض، وأنا أشرحها بحيث يزول الشك عنها إن شاء الله .

قوله : ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الرعد : ١٦]؛ فإن أجابوك فقالوا: الله، وإلا فقل أنت : الله خالقها، قل لهم : ﴿ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ﴾ يعني من دون الله ﴿ أَوْلِيَآءَ ﴾ في العبادة، يعني الأصنام، ﴿ لَا يَمْلِكُونَ ﴾ لا يقدرون لأنفسهم، ﴿ نَفْعًا ﴾ خيرًا، ﴿ وَلَا ضَرًّا ﴾ سوءًا، ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴾ أي، لا يستوي المؤمن والكافر، ﴿ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ﴾ الكفر والإيمان، ﴿ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ﴾، فقالوا : هذا من خلق الله وهذا من خلق الأصنام، وهل كان هذا قط، ﴿ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ منشئه وموجده ومخترعه، ﴿ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾ فهر الخلق بالفناء والموت .

وهذا مثل ضربه الله لآلهتهم؛ فلما ضربه لهم سكتوا ولم يجيبوا، فقال الله تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾ [الرعد : ١٦]؛ قهر خلقه بالموت .

﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾؛ قال ابن عباس : هذا مثل ضربه الله للحق

والباطل، يقول : أنزل الحق من السماء ماء، فسالت أودية بقدرها .

يقول : احتملته القلوب بأهوائها [١]، واحتمل السيل زبدًا رابيًا، يقول: احتمل الهوى باطلًا كثيرًا، ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية، يقول: ومن جواهر الأرض : الذهب والفضة والصُفر وَالشبه التي تَلبسُ، وتتخذ منها الأواني لها خَبثٌ مثل زبد الماء، فكما لا يُنتفع بالزبد والخبث كذلك لا ينتفع بالباطل، وكما ينتفع بالحلو والماء الصافي تحت الزبد كذلك ينتفع بالحق، وأما الزبد فيذهب جفاء، أي : يذهب كما جاء وأما ما ينفع الناس من الماء فيمكث في الأرض، أي : يبقى فيها .

قال حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه :

ذهـب الكفر جفاء فاعلموا إنـما الكفر ضـلال يمحق

قال مقاتل بن سليمان [٢] : « ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا ﴾ الصغير على قد صغره، والكبير على قدر كبره،/ ﴿ فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ﴾، (٣١/أ) أي : عاليًا، ﴿ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ﴾ الذهب والفضة والرصاص والحديد والصُّفر والشبه، لها خبث مثل زبد الماء، لا ينتفع به، فمثل الأودية مثل القلوب، ومثل السيل مثل الأهواء، ومثل الحلي الذي يبقى في الكير، والماء الصافي الذي يبقى في الأرض مثل الحق، ومثل الخبث الذي ينفيه الكير

---

(١) انظر : (النكت والعيون) للمصنف (٣/ ١٠٦)، وقد أنكر الإمام ابن عطية رحمه الله هذا القول، فقال في (المحرر الوجيز) (٣/ ٣٠٨) : « وهذا قول لا يصح والله أعلم عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ لأنه ينحو إلى أقوال أصحاب الرموز، ولا وجه لإخراج اللفظ عن مفهوم كلام العرب لغير علة تدعو لذلك » .

(٢) انظر : (تفسيره) (٢/ ٣٧٤) لكنه باختصار ! وما أدري أبه سقط ؟ أم المصنف ينقل بالمعنى ؟

مثل الباطل، فكما لا ينفع الزبد والخبث أهلهما في الدنيا، كذلك لا ينفع الباطل أهله في الآخرة، وكما ينفع الماء الصافي[١] من الجواهر في الكير أهلها في الدنيا، فكذلك الحق ينفع أهله في الآخرة، ﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ﴾ يابسًا لا يُنتفع به، ﴿ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ : يعني الماء الصافي يُشرب ويُستقى منه ونسقي الزروع والكروم والدواب .

قال المبرد : فيذهب جُفاء، أي : ملقى مطروحًا من قول العرب : أجفأت القدر : إذا رمت بزبدها، وجفأت الرجل إذا صرعته[٢] .

قال قتادة : هذه ثلاثة أمثال في مثل واحد، فقوله : ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا ﴾ الصغير منها والكبير، فشبه نزول القرآن بالماء ينزل من السماء، وشبه القلوب بالأودية والأنهار، فذو العلم على قدر علمه، وذو الجهل على قدر جهله؛ فهذا مثل .

ثم شبه وساوس الشيطان ومخايل النفس والخطرات الفاسدة بالزبد يعلو الماء، فما يقع في النفس من الوهم والفُضول فمن ذاتها لا من ذات الحق، يقول : فكما يذهب الزبد باطلًا ويبقى صفو الماء، كذلك تذهب مخايل النفس ووساوس الشيطان ويبقى الحق كما هو، فهذا مثل ثان .

والمثل الثالث : قوله ﴿ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ ﴾ له خبث مثل زبد الماء فكذلك يذهب خبث الجواهر وتبقى خلاصتها وصفوتها كذلك يذهب الجهل والوهم ويبقى العلم والفهم، فهذا المثل الثالث[٣] .

(١) في الأصل كلمتان لم أستطع قراءتهما .

(٢) انظر مادة (برد) في القواميس .

(٣) ذكره المصنف في (النكت والعيون) (٣/ ١٠٦) بدون عزو، وأخرجه الطبري (١٣/ ١٤٠) عن قتادة .

[قال السدي : هذا] [١] في الشك واليقين، فقال في الشك ما قيل في الخبث/ والزبد، ويقال في اليقين ما قيل في الحلي والماء الصافي . (٣١/ب

قال القتيبي : يقول : إذا ظهر الباطل على الحق في بعض الأحوال، فإن الله تعالى سيمحقه ويبطله، ويجعل العاقبة للحق وأهله، ومثل ذلك مطرٌ جَود أسال الأودية بقدرها الصغير والكبير .

قوله : ﴿ فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ﴾ على الماء، ﴿ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ﴾ يعني الفلز وجواهر الأرض التي تدخل الكير ويوقد عليها النار، لها خبث يعلوها كزبد الماء .

أما الزبد فيلقيه الماء فيتعلق بالشجر وجنبات الوادي، كذلك خبث الفلز يقذفه الكير، فهذا مثل الباطل، وأما الماء الصافي الذي ينفع أهله، فهو مثل للحق [٢] .

وقرأ رؤبة بن العجاج : (جفالًا) من قول العرب : جفلت الريح السحاب: إذا ذهبت فيه، وأجفل الظليم عدوه : إذا أسرع فهو إجفيل، وهذا غريب في الأفعال، ونظيره : أصلت السيف فهو إصليت : إذا مضى، قال الشاعر :

كأنني سيف به إصليت

وقوله سبحانه : ﴿ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ﴾ [الرعد: ١٧-١٨] يعني للذين قاموا على الإيمان .

وقوله : ﴿ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ يعني : الشهادة .

---

(١) كتبت بهامش الأصل، ثم نضد مكانها .

(٢) انظر : تأويل مشكل القرآن (٣٢٦) .

قال أبو الحسن : واختلفت الناس في الآية؛ فمنهم من يجعل الذين استجابوا من صلة ما مضى من الآية، وتقديره : كذلك يضرب الله الأمثال للمستجيبين لربهم .

وقال آخرون : تم الكلام عند قوله : ﴿ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ ثم استأنف، فقال : ﴿ لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ﴾ يعني الثواب في الجنة .

وهذا القول أعجب إليّ، ونظيره : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ ويؤيد هذا قوله في عقبه : ﴿ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ إذا رأوا ثواب المستجيبين ﴿ وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ﴾ أي لاشتروا به أنفسهم، ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ ﴾ يعني شدة الحساب، ﴿ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ﴾ مصيرهم إليها، ﴿ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾/ يعني الفراش فرشوا (٢٢ لأنفسهم .

قال الحسن : ﴿ لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾، يعني : الجنة للمسلمين[1] .

﴿ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ ﴾ يعني : الكفار، ﴿ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ ﴾ ضعفه، ﴿ مَعَهُۥ ﴾ ليفتدوا به، ليفادوا به أنفسهم، ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ ﴾ شدة الحساب في الآخرة .

فهذا ما حفظنا من أقوال المفسرين في الآية، ولم يشرحوها متقصاة، وأنا بحمد الله أشرحها بحيث لا مُستزاد إن شاء الله .

فيقول سبحانه : ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا ﴾، أي : سال في كل واد من السيل بقدر سعته، والرابي : العالي، ﴿ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ﴾، يعني : أهل الحق والباطل، ويُقال : محكم القرآن ومتشابهه،

(١) أورده المصنف في (النكت والعيون) (٢/ ٤٣٢)، ولم يعزه للحسن رحمه الله .

ويقال الحقائق والمجازات .

وفي هذه الآية مثلان مَثَّل الله بهما ثلاثة أشياء :

القرآن والنبي والعلم؛ فأما مثل القرآن : فإن الله تعالى ضرب مثل : نزول جبريل؛ بالقرآن بنزول الملائكة بالمطر، وشَبَّه القرآن بالمطر، فقال : ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾ يعني أنزل الملائكة من السماء بالماء كذلك أنزل جبريل بالقرآن، وذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ الآية .

﴿ فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا ﴾ أي : في كل واد بقدرِ سعته، شَبه الوادي بالقلب، يعني : وانتفع واتعظ كل قلب بقدر عقله والمعرفة به، وبقدر تفكره واستدلاله، والاحتجاج إلى نفعه، والحِسبةُ في استماعه، فكما أن كل واد زادتْ سعته زاد الماء فيه، كذلك كل قلب زاد عقله وفكرته ومعرفته وحسبته زاد الانتفاع بالقرآن ولمواعظه .

﴿ فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ﴾ معناه أن السيل يعلوه، كذلك القرآن فيه آيات متشابهات ظاهرها خلاف باطنها، وكما أن الزبد على السيل ظاهر مخالف ظاهره خلاف باطنه، كذلك ظاهر آيات القرآن خلاف باطنها، وهي المتشابهات، ومثل المتشابه مثل السيل الذي على رأسه الزبد [1]، وكما أن الماء/ كان تحت الزبد وإن علاه الزبد ظاهرًا، كذلك باطن القرآن والمتشابه (٣٢/ب) نافعه، وإن كان ظاهره خلاف ذلك، وكما أن من اكتفى بالزبد الظاهر على

---

(١) انظر : (النكت والعيون) (٣/١٠٦)، و (الجامع لأحكام القرآن) (١٢/ ٥٠)؛ فقد أشار لبعض ما سطره المصنف .

بيد أن ما يدندن إليه المصنف إشارة إلى تفسير القرآن بالباطن مما قد يخل بالمعنى، ومن ثم التكلف الزائد من أجل إتمام المعنى، وهذا قد نهى الشرع عنه كما هو معلوم .

فلو اكتفى بما ورد عن النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم وتلاميذهم رحمة الله عليهم لكفى .

الماء لا يَصل إليه من نفع الماء شيء، ويبقى العطش فيه، فيهلك، كذلك من اتبع ظاهر القرآن لا يصل إليه نفعه ومواعظه، وتبقى الضلالة فيه فيهلك، وكما أن من اعتبر بالزبد الظاهر ولا يعتبر بالماء الباطن تحت الزبد، لا يصل إلى نفع الماء والزبد حائل بين الماء وطالبه، كذلك المتشابهات حائلة بين القرآن ومستمعه، وإنما ضرب الله هذا المثل ليعلم العباد أن القرآن يدل على الامتحان، وأن الاعتبار بباطنه واجب [١].

وقوله : ﴿ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ﴾ هي الجواهر [٢].

معناه : أن القرآن أُنزل من السماء كالجواهر التي أخرجت من الأرض، فكما أن الذهب والفضة كامنان في الجوهر، والخبث والنخالة حائلان بينهما وبين طالبهما، كذلك دلائل بعض آي القرآن وأحكامه باطنه وظاهره حائل بينهما وبين طالبهما، وإذا أُدخل النار استخرج الذهب والفضة من الخبث والنخالة، كذلك إذا تفكر في القرآن ونظر بالتدبر استخرج الحجج والمنافع منه، وكما أن الناظر الجاهل بالجواهر ينظر إلى ظاهر الجواهر فلا يشتريها بثمنها، كذلك الناظر الجاهل بالقرآن ينظر إلى ظاهر بعض آي القرآن فلا تنفعه، وكما أن الذهب والفضة لا يستخرجان من الجواهر إلا بعد الامتحان الشديد، كذلك لا يستنبط علم بعض القرآن إلا بنظر ثاقب وفكرة لطيفة .

وقوله سبحانه : ﴿ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ﴾ يعني : يُبين الله

---

(١) ليس كذلك، وقد ذم أهل العلم من سلك هذا المسلك ذمًا شديدًا، وإذا أردت المزيد فعليك بـ (مجموع الفتاوى) لشيخ الإسلام رحمه الله (١٣/ ٢٣٢-٢٦٩)، فقد أفاد وأجاد، فدونك البحر فاغترف لكن على مهل حتى تنتفع، والله الهادي إلى سواء السبيل .

(٢) قال المصنف في (النكت والعيون) : « الذهب والفضة المعنى واحد » .

الاعتبار بباطن آي القرآن، والاعتبار بظاهرها : ﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾، يعني : أن ظاهر بعض آي القرآن يقرأ كما هو فيترك، ويعتبر بباطنها لينتفع بحقائقها، ﴿ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ يصفُ الله الأمثال للذين أجابوا الله فيما/ دعاهم إليه من التصديق لكتابه، (٣٣/
والبحث عن أحكامه[1].

وأما مثل النبي ﷺ في هذه الآية، قال الله تعالى : شبه إرسال محمد ﷺ بإرسال المطر، فكما أن الله تعالى أنزل المطر بالملائكة كذلك أرسل محمدًا ﷺ إلى الخلق بإرسال جبريل عليه السلام إليه .

وشبه المطر بالنبي ﷺ فكما أن الأرض ميتة إذا منع المطر عنها، فإذا مطرت صارت حية، كذلك أهل الأرض أموات في الديانة في حال فقدان الرسل فإذا أرسل إليهم الرسل صاروا أحياء، وكما أن أهل الأرض لا يصلون إلى نفع الأرض إلا بالغيث، فكذلك لا يصلون إلى صلاح أنفسهم في الديانة والشريعة إلا بالرسل .

قوله تعالى : ﴿ فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا ﴾ أي بقدر سعتها، فشبه الوادي بالناس، يعني فانتفع به وبمواعظه كل إنسان بقدر همته والنظر إلى دلائله، وكما أن الماء يزيد في الوادي بزيادة الوادي في السعة، كذلك نفع النبي ﷺ يزيد في الناس لزيادة هممهم، وكما أن الوادي إذا كان غير واسع لا يجري فيه كثير من الماء كذلك الإنسان إذا لم تكن له همة وحاجة يصل إليه نفع النبي ﷺ .

وقوله تعالى : ﴿ فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ﴾ معناه أن السيل ظاهره زبد غير نافعٍ وباطنه ماء نافع، كذلك النبي ﷺ ظاهره صورة الإنسان غير دال

(١) انظر ما تقدم على (التفسير بالباطن) .

على صِدقه ونبوته، ودلائله أول شيء على صدقه ونبوته، وكما أن الماء صاف تحت الزبد وإن كان ظاهره غير ما كذلك احتجاجه ودلائله أدل شيء على صدقه وإن كانت صورته لا تدل.

وإنما ضرب الله هذا المثل ليُعلم أن صُورَة الرسل غير دالة على صدقهم في قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي ٱلنَّارِ﴾ الآية،/ شبه الجواهر بالنبي ﷺ، (٣٣/ب) وشبه الأحجار بالخلق، ومعناه أن النبي ﷺ فيما بين الخلق كالجواهر فيما بين الأحجار، وكما أن الذهب والفضة كامنان في الأحجار، والخبث والنخالة حائلة بينها وبين طالبها؛ لأن ظاهرهما غير ذهب وفضة، كذلك دلائل النبي ﷺ باطنة في أحواله وصورته حائلة بينها وبين طالبها، فإذا أدخل الجواهر في النار استخرج الذهب والفضة منها، كذلك إذا اعتبر بدلائله عرف بها صدقه ونبوته، وكما أن الناظر الجاهل بأمر الجواهر إذا اعتبر بظاهرها لم يشترها بثمنها كذلك الناظر الجاهل بأمر النبوة ينظر إلى صورة النبي ﷺ وجدها وهي لا تدل، فيمتنع عن قبوله والإقرار به.

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ﴾ يعني: الاعتبار بصورة محمد ﷺ وظاهره والاعتبار بدلائله واحتجاجه.

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً﴾ يعني أن ظاهر صورة النبي ﷺ لا يعتبر به ويعتبر بباطنه، وهو احتجاجه ودلائله، وكما أن الماء باق نفعه في الأرض لا يضره الزبد فوقه كذلك دلائل محمد ﷺ نافعة لمن اعتبر بها؛ لأنها توجب صدقه ونبوته، ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ للذين استجابوا لله فيما دعاهم إليه من التصديق بمحمد ﷺ والاعتبار بدلائله.

وأما مثل العلم في هذه الآية؛ فإن الله تعالى شبه المطر النازل من السماء

بالعلم الذي يعلم عباده، فكما أن المطر لا ينزل إلا من السماء كذلك العلم لا يحدث في الأرض إلا بوحي من السماء، وكما أن المطر به صلاح الأرض كذلك العلم به صلاح الخلق، وكما أن الزرع لا ينبت إذا فقد المطر كذلك الخيرات/ لا توجد مع فقد العلم، وكما أن المطر لا يُطلب إلا من السماء، (٣٤/ كذلك العلم لا يكون إلا من قِبل الخالق، وكما أن في نزول المطر إفراغًا من الرعد والبرق، وفرجًا من الراحة والفرج، كذلك في العلم مخافة ورغبة بالوعد والوعيد، وكما أن المطر بعضه أنفع من بعض كذلك العلوم بعضها أنفع من بعض، وكما أن المطر إذا كان في غير أوانه لا ينفع كذلك العلم إذا طلب من غير أهله لا ينفع .

قوله تعالى : ﴿ فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا ﴾ يعني فاحتمل كل إنسان بقدر طلبته وعنايته، وكمال أن جري الماء في الوادي لا ينفعه إذا لم يبق الماء فيه، كذلك جري العلم على لسان العالم لا ينفعه إذا لم يعمل به .

قوله سبحانه : ﴿ فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ﴾، معناه أن الزبد يعلو الماء فيحول بينه وبين وارده، كذلك شهوات النفوس تحول بين العلم وطالبه، وكما أن من اكتفى بالزبد الكدر ولا يبحث عن الماء الصافي لا يصل إلى نفع الماء، كذلك من اكتفى بظاهر ما سمع من العلوم ولا يبحث عن حقائقها لا يصل إليه من نفع العلم شيء، وإنما ضرب الله هذا المثل لِيُعلم الناس كيفية طلب العلم .

قوله سبحانه : ﴿ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ ﴾ الآية، معناه أن العلم والحكمة يُطلبان من أهلهما كما أن الذهب والفضة يطلبان من حجارة الجوهر، شبه العلم بالذهب والفضة، وشبه العلماء بالجواهر فكما أن في الذهب والفضة

تفاوتًا بعضهما أنقى من بعض كذلك في العلماء تفاوت، بعضهم أكثر علمًا وأصفى، وكما أن في إخراج الذهب والفضة من الأحجار مشقة، كذلك العلم والحكمة في طلبهما تعب ومشقة، وكما أن الجواهر تستخرج المنافع منها بامتحانها/ وإحراقها، كذلك تستخرج العلوم بالسؤال، وكما أن الذهب (٣٤
والفضة أفضل من سائر الجواهر، كذلك علم التفسير والدين والشريعة أفضل من سائر العلوم.

﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ﴾ يعني الاحتجاج والدلائل والقصص والأخبار.

﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً﴾ يعني: أن طلب الأحاديث والأقاصيص والأسمار يترك ويطلب أحكامها؛ لأن نفعها أعم وأكثر، وكما أن الماء نفعه باقٍ وزبده كذلك علم الدلائل باقٍ، وطلب الأقاصيص ذاهب.

﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ﴾ كذلك يعني فيما ندبهم إليه من طلب العلوم والدلائل والذين لم يستجيبوا له فيما دعاهم إليه[1]

(١) انظر ما تقدم على مسألة (تفسير القرآن بالباطن).

«سورة إبراهيم»

قال تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴾ [إبراهيم:١٨]

ومنها في سورة إبراهيم؛ قوله تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ﴾ [إبراهيم: ١٨] الآية.

قال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس [١]: هذا مثل ضربه الله للذين كفروا، يقول: صفة أعمال الذين كفروا في الآخرة كرماد اشتدت به الريح فذرته في يوم عاصف شديد ريحها، ﴿ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ﴾ من هذا الرماد الذي ذرته الريح، ذلك هو الضلال البعيد: الخطأ الطويل [٢].

قال الضحاك: شبه الله أعمال الكفار بالرماد الذي أصابته الريح.

قال أبو عبيدة: العاصف والقاصف: الريح الشديدة.

قال الفراء: أضاف المثل إلى الكافرين، والمثل للأعمال دونهم، ومجازه: مثل أعمال الذين كفروا بربهم كرماد، ونظيره: ﴿ ٱلَّذِىٓ [أَعْطَىٰ] [٣] كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ﴾ [طه: ٥٠]، معناه: أحسن خلق كل شيء ومنه قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ﴾ [الزمر: ٦٠] معناه:

---

(١) أورده المصنف بمعناه في (النكت والعيون) (٣/ ١٢٨) بدون عزو.

(٢) إسناده ضعيف:

إسناد المصنف فيه الكلبي، وتقدم ذكر حاله، وأخرجه الطبري (١٣/ ٢٠٢) وإسناده ضعيف منقطع.

(٣) بالأصل (أحسن)، وهذا خطأ فاحش.

ويوم القيامة ترى وجوه الذين كفروا مسودة، قال : وإن شئت جعلت المثل صلة فقلت : الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد [١] .

قال سيبويه [٢] : فيه/ إضمار : (ومما نقص عليك مثل الذين كفروا (٣٥ بربهم)، ثم ابتدأ وقال : (أعمالهم كرماد) .

قال أبو الحسن : والحاصل من الآية أن الكافر لا ينتفع بعمله كما أن الرماد الذي ذرته الريح لا ينتفع به .

وقوله : ﴿ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ﴾ والعاصف : ليس من نعت اليوم، ولكنه وصف اليوم به للجوار، قال الفراء والقتيبي : إن شئت قلت في يوم ذي عصوف، وإن شئت قلت : في يوم عاصف الريح [٣] .

قال أبو حاتم سهل بن محمد : هذا من كلام العرب، قال الله تعالى: ﴿ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ [سبأ : ٣٣]، والليل والنهار لا يمكران، وقال: ﴿ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ﴾ [يونس : ٦٧]، وإنما يمكر ويبصر فيه، والعرب تقول: يوم ماطر ومغيم، وليل فلان نائم، ونهاره صائم، وهذه الأفعال إنما تكون في النهار والليل؛ فأضيفت للمجاورة إليهما، قال الشاعر :

يومين غيمين ويومًا شمسًا [٤]

يعني أن الغيم والشمس في اليوم، وكذلك يُضيف العرب الشجاعة والجبن والفجور إلى اليوم، قال الشاعر :

---

(١) انظر معاني القرآن للفراء (٢/ ٧٢) .

(٢) الكلام بمعناه لا بمبناه، انظر (الكتاب) (١/ ١٤٣) .

(٣) انظر : معاني القرآن للفراء (٢/ ٧٣) .

(٤) البيت في (معاني القرآن) بدون نسبة .

ولما رأيـتُ القوم تترى أثائجًا علمتُ بأن اليوم أحمس فاجر [١]

ومعناه : مفجور فيه، والأثائج : الجماعات .

وقوله سبحانه : ﴿ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ﴾؛ لأن كسبهم في غير إيمان، ﴿ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴾ الخطأ الطويل .

قال أبو عبيد عن الكسائي : إنما ارتفعت الأعمال بالخير الذي بعدها، وهو قوله تعالى : ﴿ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ ﴾ فصارت رفعًا بالاستئناف ولم تنخفض بمثل .

ومنها قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً ﴾ [إبراهيم: ٢٤] الآية .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : يقول : ألم تخبر كيف يبين الله مثلًا ﴿ كَلِمَةً طَيِّبَةً ﴾ هي شهادة أن لا إله إلا الله، نظيره : ﴿ وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾ [الحج : ٢٤]، و ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾ [فاطر ١٠]، ﴿ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴾، وهو المؤمن، ﴿ أَصْلُهَا ثَابِتٌ ﴾ يعني أن/ المعرفة ثابتة في قلب (٣٥/ب) المؤمن، كما أن أصل الشجرة ثابت في الأرض [٢] .

﴿ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ يعني أغصان الشجرة عالية في السماء، وهو الهواء، كذلك الشهادة يرفعها العمل الصالح .

﴿ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ ﴾ يعني المؤمن لا يخلو وقتًا من خير، كما أن

---

(١) البيت في (تأويل مشكل القرآن) (٩٦٢) لوعلة الجرمي .

(٢) إسناده ضعيف :

أخرجه الطبري (١٣/ ٢٠٨) بإسناد ضعيف مرسل .

تنبيه : المصنف روى ما قاله ابن عباس رضي الله عنهما بمعناه، وقد زاد فيه بعض الكلمات .

النخلة لا تخلو حينًا من نفع، وهو قول النبي ﷺ : « **عجبًا لأمر المؤمن، وإن أمره كله خير؛ إن أصابه ما يحب حمد الله فكان له خير، وإن أصابه ما يكره صبر فكان له خير، وليس أحد كله خير إلا المؤمن** » (١) .

قال مقاتل : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً ﴾ وهي كلمة الإخلاص، شهادة ألا إله إلا الله، ﴿ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴾ يعني النخلة، ومعنى ﴿ طَيِّبَةٍ ﴾ حسنة، فكما أنه ليست كلمة أفضل من كلمة الإخلاص، كذلك ليست ثمرة أفضل من الرطب ولا أطيب منها، وكما أن النخلة ﴿ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا ﴾ غصنها، ﴿ فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ كذلك الإخلاص ثابت في قلب المؤمن، والشهادة تصعد إلى السماء (٢) .

وروى ابن عمر أن النبي ﷺ قال ذات يوم لأصحابه : « **إن الله ضرب مثل المؤمن كشجرة، فأخبروني ما هي ؟** »، فوقع الناس في شجر البوادي .

قال ابن عمر : وكنت صبيًا فوقع في قلبي أنها النخلة، فهِبتُ رسول الله ﷺ أن أقولها، فوصفت ذلك لأبي، فقال : « يا بني، لو كنت قلتها كانت أحب إلي من حمر النعم ».

فقال رسول الله ﷺ : « **هي النخلة** » (٣) .

---

(١) **حديث صحيح :**
خرجته وشرحته في كتابي (بذل الجهد في جمع ما صح من كتب الزهد) .

(٢) انظر : (تفسير مقاتل) (٢/ ٤٠٤) .

(٣) **حديث صحيح :**
أخرجه البخاري (٦١، ٦٢، ٧٣)، وفي (الأدب المفرد) (٣٦٠)، ومسلم (١/ ٢٨)، والنسائي في (الكبرى) (١١٢٦١)، والترمذي (٢٨٦٧)، وأحمد (٢/ ٦١، ١١٥، ١٢٣، ١٥٧)، والحميدي (٦٧٦)، وعبد بن حميد (٧٩٢)، والدارمي (٢٨٢)، وابن حبان (٢٤٣)، =

قال أبو الحسن : اختلف الناس في العلة التي شبه الله المؤمن بالنخلة؛ فمن قائل : إن العلة التي فيه تسوية حال المؤمن والنخلة في قطع الناس، وذلك أن كل شجرة سوى النخلة إذا قطع رأسها تشعبت الغصون من جوانبها، والنخلة إذا قطع رأسها ذهبت أصلًا .

ومن قائل : إن النخلة تساوت حالها مع المؤمن في الإلقاح، وبيان ذلك الخبر المروي أن النبي ﷺ/ قال ذات يوم لأصحابه : « **أكرموا عمتكم** (٣٦/ **النخلة** »، [قالوا: يا رسول الله، ومن عمتنا ؟][1]، قال : « **النخلة** » .

قالوا : وكيف ؟

قال : « **ألا ترونها لا تحمل حتى تلقح** »[2] .

= والطبراني (١٢/ ٤١٠) رقم (١٣٥١٣)، من طرق عن عبد الله بن دينار، أنه سمع عبد الله بن عمر يقول: قال رسول الله ﷺ : « **إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنها مثل المسلم، فحدثوني ما هي ؟** »، فوقع الناس في شجر البوادي، قال عبد الله : ووقع في نفسي أنها النخلة، فاستحييت، ثم قالوا : حدثنا ما هي يا رسول الله .

قال : فقال : « **هي النخلة** » .

قال : فذكرت ذلك لعمر، قال : لأن تكون قلت : هي النخلة، أحب إلي من كذا وكذا، لفظ مسلم .

(١) كتبت بهامش الأصل، ثم نضد مكانها.

(٢) **حديث موضوع :**

أخرجه أبو يعلى (٤٥٥)، والعقيلي في (الضعفاء) (٤/ ٢٥٦)، وابن حبان في (المجروحين) (٣/ ٤٤)، والرامهرمزي (٣٥١)، وابن عدي (٦/ ٢٤٢٤)، وابن الجوزي في (الموضوعات) (٦/ ١٢٣)، وأبو نعيم في (الحلية) (١/ ١٨٣-١٨٤)، من طريق مسرور بن سعيد عن الأوزاعي، عن عروة بن رويم، عن علي رضي الله عنه، قال : قال رسول الله ﷺ : « **أكرموا عمتكم النخلة؛ فإنها خلقت من فضلة طين آدم، وليس من الشجر شجرة أكرم على الله من شجرة ولدت تحتها مريم بنت عمران؛ فأطعموا نسائكم الولد الرطب، فإن لم يكن رطبًا فتمرًا**». =

قال أبو الحسن : وذلك الإلقاح يسمى التأبير، ومنه قوله ﷺ : « خير المال سكة مأبورة »، يعني : الملقحة، « ومُهْرةٌ مأمورةٌ » يعني الكثيرة النتاج [١] .

= وهذا حديث موضوع .

قال أبو نعيم : غريب من حديث الأوزاعي، عن عروة، تفرد به مسرور بن سعيد .

وقال العقيلي : حديث غير محفوظ، ولا يعرف إلا به .

وقال ابن الجوزي : هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ، أما حديث علي تفرد به مسرور.

قال ابن عدي : مسرور غير معروف، وهو منكر الحديث .

قال ابن حبان : يروي عن الأوزاعي المناكير التي لا يجوز الاحتجاج بمن يرويها، ومنها هذا الحديث .

قال أبو عمرو : وله شاهد عن ابن عمر رضي الله عنهما .

أخرجه ابن عدي (٢/ ٥٧٨)، وابن الجوزي في (الموضوعات)، عن جعفر بن أحمد بن علي الغافلي، حدثنا أبو صالح كاتب الليث، حدثنا وكيع، عن الأعمش، عن مجاهد، عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ، قال : « أحسنوا إلى عمتكم النخلة؛ فإن الله تعالى خلق آدم ففضل من طينتها فخلق منها النخلة » .

قال ابن عدي : وهذا الحديث موضوع ولا شك أن جعفر وضعه .

وقال ابن الجوزي : لا يصح، وجعفر وضاع .

وأقره الحافظ في (اللسان) .

قال أبو عمرو : أما المقطع الأخير فلم أقف عليه، وما وقفت عليه، إنما كلام من يشرح الحديث، فيذكر أن النخلة لا تحمل حتى تلقح، ولم يذكروا أنه من حديث النبي ﷺ، انظر (تفسير البغوي) (٣/ ٣٣)، والقرطبي (١٢/ ١٣٤) .

(١) حديث ضعيف :

أخرجه البخاري في (التاريخ الكبير) (١/ ٤٣٩)، وابن سعد (٧/ ٧٩)، وأحمد (٣/ ٤٦٨)، والطبراني في (الكبير) (٦٤٣٧١)، والبيهقي في (السنن الكبرى) (١٠/ ٦٤)، والبغوي في (شرح السنة) (٢٦٤٧)، عن روح، حدثنا أبو نعامة العدوي، عن مسلم بن بُديل، عن إياس بن زهير، عن سويد بن هُبيرة، عن النبي ﷺ : « خير مال المرء له : مهرة مأمورة، أو سكة مأبورة » . =

ومن قائل : إن النخل من فضل تربة آدم لذلك شبهت بالمؤمن، ورووا عن النبي ﷺ أنه قال : « **النخل من فضل تربة آدم** » (١) .

ومن قائل أنها ساوت المؤمن في كثرة المنافع .

قال أبو بكر الوراق محمد بن عمر : سمّي الله المؤمن في هذه الآية شجرة

= **وهذا إسناد ضعيف .**

إياس بن زهير : لم يذكروا في الرواة عنه غير مسلم بن بديل، ولم يوثقه سوى ابن حبان .

والإسناد مرسل .

وقال أبو حاتم : سُويد بن هبيرة العدوي البصري : تابعي ليست له صحبة، وغلط روح بن عبادة، فروى عن أبي نعامة، عن إياس بن زهير، عن سويد بن هبيرة، قال : سمعت النبي ﷺ، انظر : (الجرح والتعديل) (٤/ ٢٣٣) .

وقال الحافظ : لم يقل سمعت النبي ﷺ إلا روح بن عبادة، عن أبي نعامة، عن مسلم، وقد رواه مروان بن معاوية، عن أبي نعامة ... فقال : رفع الحديث .

غريب الحديث :

قال الإمام السندي رحمه الله :

« قوله : (مهرة مأمورة) ولد الفرس، مأمورة : كثيرة النسل والنتاج بأمر كوني، كثيرة النتاج، أي بأمر التكوين، لا بأمر التكليف، فكانت .

أو سكة هي الطريقة المصطفة من النخل، مأبورة : ملقحة .

(١) حديث ضعيف جدًا :

أخرجه المحاملي في (الثالث من الأمالي) (٣٨/ ٢)، وعنه ابن عساكر (٢/ ٣٠٩/ ٢)، عن الحاكم بن عبد الله الكلبي أبي سالم من أهل قزوين، عن يحيى بن سعيد البحراني من أهل غطيف، عن أبي هارون العبدي، عن أبي سعيد الخدري، قال : سألنا رسول الله ﷺ : من ماذا خلقت النخلة ؟

فقال : خلقت النخلة والرمان والعنب من فضل طينة آدم عليه السلام .

وهذا إسناد ضعيف جدًا .

أبو هارون العبدي اسمه : عمارة بن جوين، وهو متروك، ومنهم من كذبه، كما في (التقريب).

وللمزيد انظر (الضعيفة) (٢٦٢) .

ولها عرق وساق وغصون، فعرقها المعرفة في القلب، وساقها الطاعة، ولها غضون ثمانية لكل غصن منها ثمرة، فغصن منها لبيانه؛ وثمرته صدق المقالات، وغصن منها عينه؛ وثمرته النظر بالعبرات، وغصن منها أذنه؛ وثمرته استماع العظات، وغصن منها يداه؛ وثمرته الزكوات والصدقات، وغصن منها رجلاه؛ وثمرته الجمعة والجماعات، وغصن منها قلبه؛ وثمرته ترك الهوى والشهوات، وغصن منها بطنه؛ وثمره أكل الطيبات والحلالات، وغصن منها فرجه؛ وثمره ترك الريب والخبيثات .

وقال بسام بن عبد الله العراقي : المؤمن شجرة، ولها أربعة غصون : الغضن الأول ينتهي إلى إخلاص العمل، والغصن الثاني ينتهي إلى ارتقاب الأجل، والغصن الثالث ينتهي إلى أقصر الأمل، والغصن الرابع ينتهي إلى تدارك الخلل.

قال أبو الحسن : لا شيء أشبه بالمؤمن من النخلة؛ لذلك شبهه الله بها؛ فللنخلة من حين تطلع إلى أن ترطب عشر أحوال، وعشرة أسماء؛ فأول حمل النخلة الطلع، وذلك أول ما يبدو، فإذا انشق فهو الضحك والإغريض، فإذا صلب فهو البلح،/ فإذا عظم فهو البسر، ثم هو السياب، فإذا لانت فهي (٣٦/
الثعدة، فإذا احمرت فهي الزهو، فإذا بلغ الإرطاب نصفها فهي مجزعة، فإذا بلغ ثلثيها فهي حلقانة، فإذا عمها الإرطاب فهي منتسبة، ولا يتم إرطابها ما لم تحل بها هذه الأحوال [١] .

وكذلك المؤمن له عشرة أحوال من حيث يتوب إلى أن يصل إلى الله تعالى؛ فأول أحوال المؤمن التوبة، ثم الصلاح، ثم الاجتهاد، ثم الخوف، ثم

---

(١) انظر : (القاموس المحيط)، و (الوسيط) للواحدي (٣/ ٣٠) .

الرجاء، ثم الإرادة، ثم المحبة، ثم الرضا، ثم المعرفة، ثم يصل إلى الله ﷻ، كما أن الرطبة إذا صارت منسبة تمت أحوالها وصلحت للأكل .

واختلف الناس في (الحين)؛ فقال الحسن[١]، ومقاتل، ومجاهد[٢]، وقتادة[٣]، هو من ستة أشهر إلى سبعة .

قال سعيد بن جبير : من حين تطلع إلى أن ترطب، فهي ستة أشهر [٤] .

قال سعيد بن المسيب : الحين شهران من وقت تصرم إلى أن تطلع [٥] .

قال قتادة في رواية معمر : وهي تؤكل في الشتاء والصيف [٦] .

قال عكرمة : الحين حينان، حين يُعرف وحين لا يُعرف؛ فأما الذي يُعرف، فقوله سبحانه : ﴿تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾، وأما الذي لا يُعرف فقوله سبحانه : ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍ﴾ [ص : ٨٨] [٧] .

وروى مسروق عن ابن مسعود، قال : الحين غدوة وعشية، وهو قوله تعالى: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ [الروم : ١٧]، قال الضحاك: ﴿تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾ كل ساعة [٨]، وروى ليث عن مجاهد : كل حين كل سنة[٩] .

---

(١) أخرجه الطبري (١٣/ ٢١٤) .

(٢) أخرجه الطبري (١٣/ ٢١٤)، بلفظ : كل سنة .

(٣) المصدر السابق .

(٤) أخرجه الطبري (١٣/ ٢١٣) .

(٥) أخرجه الطبري (١٣/ ٢١٥) .

(٦) أخرجه الطبري (١٣/ ٢١٥) .

(٧) أخرجه الطبري (١٣/ ٢١٤) بإسناده، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما .

(٨) المصدر السابق (١٣/ ٢١٣) .

(٩) أخرجه الطبري (١٣/ ٢١٤) عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد .

قال ابن كيسان : الحين على وجوه؛ فمنها أربعون سنة، قال الله تعالى : ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ ﴾ [الإنسان : ١] .

يعني أتى على آدم أربعون سنة كان مطروحًا بين مكة والطائف لا يدري ما اسمه ولا ما يراد به [١] .

واختلف الفقهاء [٢] في قول الرجل لامرأته : والله لا أكلمك حينًا، حسب الاختلاف في كمية الحين وأكثرهم على ستة أشهر .

قوله سبحانه/ : ﴿ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ﴾ يعني يبين لهم الأشكال (٣٧ والأشباه، ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ يتعظون .

قوله سبحانه : ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾، قال أنس بن مالك رضي الله عنه : يعني : الشريان [٣]، وهي الحنظل [٤]، فكما أنها أخبث

(١) قال الإمام الطبري رحمه الله :

« وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال : عني بالحين في هذا الموضع غدوة وعشية، وكل ساعة؛ لأن الله تعالى ذكره ضرب ما تؤتي هذه الشجرة كل حين من الأكل لعمل المؤمن وكلامه مثلًا .

ولا شك أن المؤمن يرتفع له إلى الله في كل يوم صالح من العمل والقول، لا في كل سنة أو في كل ستة أشهر، أو في كل شهرين، فإذا كان ذلك كذلك، فلا شك أن المثل لا يكون خلافًا للممثل به في المعنى، وإذا كان ذلك كذلك بينا صحة ما قلنا .

فإن قال قائل : فأي نخلة تؤتي في كل وقت أكلًا صيفًا وشتاء ؟

قيل : أما في الشتاء؛ فإن الطلع من أكلها، وأما في الصيف فالبلح والبسر والرطب والتمر، وذلك كله من أكلها » .

(٢) انظر (الجامع لأحكام القرآن) (١/ ٤٧٧-٤٨٠)، وانظر (النكت والعيون) للمصنف (٣/ ١٣٣) .

(٣) في الأصل : الشريانة، وما أثبتناه من (جامع البيان) للطبري .

(٤) أثر صحيح : =

الأشجار كذلك الشرك أخبث الكلمات، وكما أنها لا تنفع ولا يجدي، بهذا كذلك الشرك لا ينفع صاحبه .

وقوله تعالى : ﴿ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ ﴾؛ قال ابن عباس: اقتلعت [١]، قال الضحاك : استؤصلت، قال السدي : انتزعت، قال المؤرج : أخذت حُشها وهي نفسها، وأنشد للبيد :

واجُتثت كلهاهم عَشية هزمهم حي بمنعرج المسيل مقيم [٢]

وروى أبو الجوزاء عن ابن عباس [٣]، قال : الشجرة الخبيثة الكافر، ﴿مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾ أي من أصل في الأرض، وكذلك الشرك لا أصل له.

قال الربيع بن أنس : ﴿ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾، أي : ليس لها أصل في الأرض كما أن الكافر ليس لعمله أصل يرفع إلى السماء [٤] .

= أخرجه الطبري (١٣/ ٢١٦)، والبخاري في (التاريخ الكبير) (٤/ ٢١٦)، وابن مردويه كما في (الدر المنثور) (٤/ ١٤٦) .

(١) انظر : (الجامع لأحكام القرآن) (١٢/ ١٣٧)، و (النكت والعيون) للمصنف (٣/ ١٣٤) .

(٢) في ديوانه ، انظر : (شرح ديوان لبيد) (٦٣١) .

(٣) أخرجه الطبري (١٣/ ٢١٧) **بإسناد ضعيف منقطع**، وأورده المصنف في (النكت والعيون) (٣/ ١٣٥) بدون نسبة .

(٤) أخرجه الطبري (١٣/ ٢١٨) .

سورة النحـــل

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [النحل : ٥٨-٥٩] ..

ومنها في سورة النحل قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ ﴾ [النحل :٥٨] .

يعني: مغمومًا من الحزن، يتردد حزنه في جوفه: ﴿ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ ﴾، أي: على هوان، ﴿ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ﴾، وإنما ذكر هذه الكنايات؛ لأنها عائدة على (ما) في قوله: ﴿ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ﴾ ونظيره، ﴿ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ﴾ [الزخرف : ١٧] .

يقول الله جل ذكره : ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ [النحل : ٦٠]، يعني : الصفة العليا : شهادة أن لا إله إلا الله، وهو ﴿ ٱلْعَزِيزُ ﴾ المنيع بالنقمة، ﴿ ٱلْحَكِيمُ ﴾ في أمره .

﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ ﴾ يعني : البنات، ﴿ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ يعني : الذكور، ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ ﴾، أي : حقًّا، ويقال: نعم، ﴿ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴾ [النحل : ٦٢]، متروكون في النار .

قال سعيد بن جبير : مبعدون [١] .

---

(١) أخرجه الطبري (١٤/ ١٣٣)، وسعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم؛ كما في (الدر المنثور) (٤/ ٢٢٨)، وكذلك المصنف في (النكت والعيون) (٣/ ١٩٦) .

قال قتادة : معجلون إلى النار [١]، قال الفراء : مقدمون [٢]، ويقال : منسيون[٣].

قرأ نافع بكسر الراء : أي مسرفون [٤]، وقرأ أبو جعفر بالتشديد، أي : مضيعون [٥] ./ (٣٧/ ب

---

(١) أخرجه الطبري (١٤/ ١٣٣)، وعبد الرزاق، وابن المنذر؛ كما في (الدر المنثور) (٣/ ٢٢٨)، والمصنف في (النكت والعيون) (٣/ ١٩٦) .

(٢) ليس في المطبوع؛ فليستدرك، إنما نقله عنه الثعلبي (٦/ ٢٤) .

(٣) وهو قول سعيد بن جبير، ومجاهد، وداود بن أبي هند؛ كما عند الطبري .

فائدة : قال الإمام الطبري رحمه الله :

« وأولى الأقوال في ذلك بالصواب القول الذي اخترناه، وذلك أن الإفراط الذي هو بمعنى التقديم، إنما يقال فيمن قدم مقدمًا لإصلاح ما يقدم إليه إلى وقت ورود من قدمه عليه، وليس بمقدم من قدم إلى النار من أهلها لإصلاح شيء فيها لوارد يرد عليها فيها فيوافقه مصلحًا، وإنما يقدم من قدم إليه لعذاب يعجل له .

فإذا كان ذلك معنى الإفراط الذي هو تأويل التعجيل، ففسد أن يكون له وجه في النصحة، صح المعنى الآخر، وهو : الإفراط الذي بمعنى التخليف والترك، وذلك أن يحكى عن العرب ما أفرطت ورائي أحدًا : أي ما خلفته، وما فرطته : أي لم أخلفه » .

(جامع البيان) (١٣/ ١٣٤-١٣٥) .

(٤) أخرجه الطبري (١٤/ ١٣٥) .

(٥) المصدر السابق .

قال الإمام الطبري رحمه الله :

« والذي هو أولى القراءات في ذلك الصواب قراءة الذي ذكرنا قراءتهم من أهل العراق لموافقتها تأويل أهل التأويل الذي ذكرنا قبل، وخروج القراءات الآخر عن تأويلهم » .

قال أبو عمرو : قال الطبري رحمه الله عن قراءة أهل العراق، واختلفت القراءة في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء المصرين؛ الكوفة والبصرة، (وأنهم مُفرَطون) بتخفيف الراء وفتحها، على معنى ما لم يسم فاعله من أُفْرِط؛ فهو مُفْرَط .

قال ابن عباس : نزلت هذه الآية [١] في نَصارى نَجران، قالوا : عيسى ابن الله، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ ۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ ﴾ [النحل : ٧١]، يعني بالخدم والمال، ﴿ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ ﴾ يقول : لا يكون المملوك والمولى في المال شرعًا، وأنتم لا ترضون ذلك، ولا تجعلونه فيما بينكم وبين خدمكم؛ فكيف تشركون عبدي عيسى وتجعلونه لي، ولدًا والملائكة والأصنام [٢] .

ثم ضرب مثلًا آخر، فقال : ﴿ ضَرَبَ لَكُم ﴾ أي : وصف لكم، ﴿ مَّثَلًا مِّنْ [أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُم][٣] ﴾، يعني : الخدم، ﴿ مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَـٰكُمْ ﴾ [الروم : ٢٨] من المال والخدم، فأنتم وهم فيه شركاء ﴿ سَوَآءٌ ﴾ شرع، ﴿ تَخَافُونَهُمْ ﴾ أي تخافون لائمتهم إذا لم تشركوهم فيما رزقناكم ﴿ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ﴾، يقول : كخيفة لائمة آبائكم وأبنائكم وإخوانكم، قالوا: لا، قال : كيف ترضون أن تشركوا بي عبيدي، ولا ترضون أن تشاركوا عبيدكم وإماءكم فيما رزقناكم، قال : فسكتوا ولم يجيبوا يقول الله تعالى : ﴿ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [النحل : ٧١] أي يكفرون .

---

(١) يشير إلى قول الله جل وعلا : ﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ ۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ ۚ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [النحل : ٧١] .

(٢) إسناده ضعيف :

أخرجه الطبري (١٤/ ١٤٧-١٤٨)، وابن أبي حاتم كما في (الدر المنثور) (٤/ ٢٣٢-٢٣٣)، عن القاسم، ثنا الحسين، قال ثني الحجاج، عن ابن جريج، قال : قال ابن عباس رضي الله عنهما هذه الآية في شأن عيسى ابن مريم، يعني بذلك نفسه، إنما عيسى عبد، فيقول الله : والله ما تشركون عبيدكم في الذي لكم فتكونوا أنتم وهم سواء، فكيف ترضون لي بما لا ترضون لأنفسكم .

وهذا إسناد ضعيف منقطع؛ ابن جريج لم يدرك ابن عباس رضي الله عنهما .

(٣) كتبت بهامش الأصل .

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ ﴾ [النحل : ٧٣] أي : يقدر، وهم الأصنام، رزقًا من السماوات يعني المطر، ﴿ وَٱلْأَرْضِ ﴾ يعني البنات، ﴿شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ ذلك لو أرادوه، ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ يقول لا تجعلوا له أشباهًا وشركاء، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ ﴾ ضرب المثل، ﴿ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: ٧٤] ذلك .

قال قتادة: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ يعني الإخلاص [١]، قال القتيبي: المثل ها هنا يعني : الصفة، أي لا تجوز هذه الصفة إلا له، قال مقاتل [٢]: مثل السوء، شبه السوء، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ الشبه الأعلى، ويقال: ﴿مَثَلُ ٱلسَّوْءِ﴾ ما ضرب الله للأصنام وغيرها من الأمثال مثل العنكبوت والذباب وما ضاهاها، فهي مثل السوء؛ لأنها منوطة بالذباب والعنكبوت، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ نحو قوله ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الآية [النور : ٣٥]، وهو العزيز فلا يوجد مثله، الحكيم أحكم ضرب الأمثال .

قال الأخفش [٣] : جعل الشيء بدلًا من الرزق، وهو في معنى لا يملكون شيئًا قليلًا ولا كثيرًا ./ (٣٨/ أ

ومنها في هذه السورة أيضًا قوله تعالى : ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا ﴾ [النحل : ٧٥] الآية .

يعني : يُبين الله شبهًا، قال قتادة : مثل ضربه الله للكافر والمؤمن؛ فقوله : ﴿عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ ﴾ يعني الكافر، ﴿وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا

---

(١) أخرجه الطبري (١٤/ ١٣١) .

(٢) انظر (تفسيره) (٢/ ٤٧٤) .

(٣) انظر : (معاني القرآن) له (٢/ ٤١٨) .

حَسَنًا﴾ يعني المؤمن، ﴿فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا﴾ يبتغي به مرضاة الله تعالى [١].

قال ابن عباس: ﴿لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾، قال: ينفقه في طاعة الله، ﴿وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا﴾ يعني مالًا حلالًا، ﴿فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا﴾ خُفية وعَلانية، وهو المؤمن، ﴿هَلْ يَسْتَوُونَ﴾ في الطاعة والثواب، ثم حمد نفسه فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ضرب المثل.

ثم ضرب لهم مثلًا آخر لنفسه وللآلهة، فقال: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٧٦]، يعني: على نفقة في الطاعة، ﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ﴾، أي: عيال على أوليائه الذين يعبدونه، ﴿لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾ فهذا مثل آلهتهم، ﴿هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ وهو شهادة أن لا إله إلا الله، ﴿وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ يعني القائم بالإسلام، وهو الله تعالى يرزق الخلق ويحيي ويميت.

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يريد: ما غاب عن العباد، ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ﴾ كطرف البصر، ﴿أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ يقول: أسرع من الطرف؛ ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

قال مجاهد: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ الآية.

---

(١) أخرجه الطبري (١٤/ ١٥٤) حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس رضي الله عنهما .. الأثر.
وهذا إسناد ضعيف، كما تقدم.

هذا مثل إله الحق، وآلهة الباطل [١]، واختار القتيبي هذا القول، وقال: لأن المثل توسط كلامين كلاهما لله؛ أحدهما ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٧٣]، والآخر بعد انقضاء المثل ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٧٥][٢].

قال الكلبي: هذا مثل الأوثان: ﴿وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ﴾ يعني الله؛ يأمر بشهادة أن لا إله إلا الله، ﴿وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ أي: وهو يدلكم على صراط مستقيم،/ نظيره: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ (٣٨/ب) [النحل: ٩٠][٣].

قال مقاتل: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا﴾ وهو هشام بن عمرو بن الحارث بن ربيعة القرشي [٤]، كان رجلًا قليل الخير، يعادي رسول الله ﷺ، ﴿وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا﴾ يعني: المؤمن، ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ﴾ الآية، هو: أبو العيص بن أمية بن عبد شمس، ﴿لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ﴾، أي: ثقل على مولاه، ﴿أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ﴾ يعني: [عثمان بن عفان رضي الله عنه] [٥].

قال مقاتل بن حيان: ﴿أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ يعني الوثن، وروى ابن جريج عن عطاء: ﴿عَبْدًا مَّمْلُوكًا﴾ هو أبو جهل بن

---

(١) أخرجه الطبري (١٤/ ١٥٦).

(٢) انظر: (تأويل مشكل القرآن) (٣٨٥).

(٣) انظر: (تفسير الثعلبي) (٦/ ٣٢).

(٤) في الأصل (هاشم)، وما أثبتناه من (تفسير مقاتل) (٢/ ٤٧٨).

(٥) كتبت بهامش الأصل.

هشام، ﴿ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا ﴾ هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه [١].

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ ﴾ يعني: أُبيّ بن خلف الجمحي، ﴿ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ﴾ يعني: حمزة وعثمان بن مظعون رضي الله عنهما [٢].

﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ يعني: علم غيب السماوات وما غاب عن العباد، ﴿ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ في قرب كونها وسرعة قيامها ﴿ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ ﴾؛ قال ابن عباس: كرجوع الطرف، ﴿ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ﴾ بل هو أقرب؛ قال المبرد: وهو كلّ: ثقل، وأنشد:

أنت غاوٍ من غواة جهّل ... وعلى الأصحاب كل في السفر

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾ [النحل: ١١٢]..

ومنها قوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً ﴾ [النحل: ١١٢].

قال ابن عباس: يعني مكة [٣]، ﴿ ءَامِنَةً ﴾ من العدو أن يغزو أهلها، ﴿ مُّطْمَئِنَّةً ﴾ أهلها مقيمون بها، ﴿ يَأْتِيهَا رِزْقُهَا ﴾ يُحمل إليها رزق أهلها

---

(١) انظر: (تفسير الثعلبي) (٦/ ٣٢).

(٢) المصدر السابق.

(٣) إسناده ضعيف:

أخرجه الطبري (١٤/ ١٩١)، عن محمد بن سعد، ثني أبي، ثني عمي، ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس رضي الله عنهما .. الأثر.

وهذا إسناد ضعيف كما تقدم.

من كل الثمار والطعام، وهم مشركون، يعني : بمحمد ﷺ والإسلام، ﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ﴾ يقول : عاقبهم الله بالجوع سبع سنين، حتى أكلوا العظام المحرقة والجيف والكلاب، ﴿وَٱلْخَوْفِ﴾ بعث رسول الله ﷺ إليهم، ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ (١) .

(١) انظر : (النكت والعيون) للمصنف (٣/ ٢١٧)، و (الجامع لأحكام القرآن) (١٢/ ٤٥٢) .

سورة الإســـراء

قال تعالى: ﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾ [الإسراء : ٤٧] ..

ومنها في سورة بني إسرائيل قوله جل ذكره ﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ ﴾ الآية [الإسراء : ٤٧] .

قال ابن عباس : ﴿ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ ﴾ متناجون، إذ يقول أبو جهل إنك مجنون، ويقول النضر بن الحارث إنك/ كاهن، ويقول أبو لهب : تبًا لك، (٣٩ ويقول الوليد بن المغيرة : إنك ساحر، فهذا نجواهم بينهم، ﴿ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ يعني هؤلاء، ﴿ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾ أي مخدوعًا .

قال أبو عبيدة : يعنون رجلًا له سحر أي رئة [١]، قال الضحاك : أمر رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أن يتخذ طعامًا، فيدعو المشركين إليه، ففعل، فدخل عليهم رسول الله ﷺ فقال : « **قولوا : لا إله إلا الله، لتطيعكم العرب وتدين لكم العجم** »، فخرجوا، فقال النضر: ما أرى محمدًا يقول شيئًا إلا أنه يحرك شفتيه، وقال أبو جهل : هو مجنون، قال حويطب : هو كاهن، وقال زمعة : هو شاعر، وقال الوليد بن المغيرة: هو ساحر، فأنزل الله تعالى: ﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ ﴾ أي : متناجون [٢] .

---

(١) انظر (مجاز القرآن) (١/ ٣٨١) .

(٢) **إسناده ضعيف :**

الضحاك بن مزاحم لم يدرك النبي ﷺ، والحديث في (الوسيط) للواحدي (٣/ ١١١)، و (زاد المسير) لابن الجوزي (٥/ ٤٢)، وتفسير الرازي (٢٠/ ١٢٣) .

والنجوى : مصدر، ويكون اسمًا للجميع، فيقال : ناجيت نجوى، وقوم نجوى، كقولك : ركعت ركوعًا، وسجدت سجودًا، وقوم ركوع وسجود[١]، ﴿ إِن تَتَّبِعُونَ ﴾ أي ما تتبعون، ﴿ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾ أي : مخدوعًا، قال المبرد : يقال : رجل مسحور ومسحر أي ذو خوف [وسحر، قال لبيد][٢]:

فـإن تسألينا فيم نحن فإننا عصافير من هذا الأنام المسحر[٣]

﴿ انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ ﴾ حين سموك كاهنًا وساحرًا وشاعرًا ومجنونًا، ﴿ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾ أي لا يستطيعون أن يأتوا بحجة على ما قالوا[٤].

(١) انظر : (معاني القرآن) للزجاج (٣/ ٢٤٣)، وللنحاس (٤/ ١٦١).

(٢) كتبت بهامش الأصل.

(٣) البيت في ديوانه (ص : ٦٥).

(٤) انظر : (مجمع البيان) (١٥/ ١٥٧)، و (المحرر الوجيز) (٣/ ٤٦٢).

سورة الكهـــف

قال تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾ [الكهف : ٣٢] ..

ومنها في سورة الكهف قوله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ﴾ [الكهف:٣٢] الآية .

قال ابن عباس : يعني صف لهما شبهًا رجلين من أهل مكة من بني مخزوم أخوين؛ أحدهما مؤمنٌ؛ وهو أبو سلمة بن عبد الأسد بن عبد يا ليل، واسمه عبد الله، كان زوج أم سلمة قبل النبي ﷺ، والآخر كافر؛ وهو الأسود بن عبد الأسد بن عبد يا ليل، فضرب الله مثلهما في سورة : ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾/ [سورة الانشقاق]؛ فقال لأبي سلمة : ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ (٣٩) الآية [الانشقاق : ٧]، وقال للآخر : ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ الآية [الانشقاق : ١٠] [(١)] .

قال أنس قال رسول الله ﷺ : « **الحمد لله الذي جعل في أمتي أخوين كأخوي بني إسرائيل** » [(٢)] .

ثم ضرب مثلهما برجلين من بني إسرائيل أخوين أحدهما مؤمن، قال ابن عباس : « هو يهوذا »، والآخر كافر وهو قطروس [(٣)]، مات أبوهما فورث

---

(١) انظر (تفسير الثعلبي) (٦/ ١٦٩)، وقال القرطبي رحمه الله : « فقال الكلبي نزلت في أخوين ...، والكلبي متهم كما تقدم »، وعزاه للقشيري، انظر (الجامع لأحكام القرآن) (١٢/ ٢٦٩)، وانظر (النكت والعيون) للمصنف (٣/ ٣٠٦) .

(٢) **لم أقف عليه** .

(٣) انظر : (بحر العلوم) (٢/ ٢٩٨)، و (معاني القرآن) للزجاج (٣/ ٢٨٤)، و (المحرر الوجيز) (٣/ ٥١٥) . =

كل واحد من أبيه أربعة آلاف دينار، فأما المؤمن فأنفق ماله على الفقراء والمساكين، وأما الكافر فاتخذ العقد والضياع والبساتين، وافتقر المؤمن ورثت خاله، فأتى أخاه يتعرض لمعروفه، فقال له : أنا أخوك، فقال : إن كنت أخي، فأين مالك الذي ورثت من أبيك ؟

قال : أقرضته ربي .

قال : وأنت تؤمن بأنك تبعث وتجزي، هيهات ما أبعدك، فذلك قوله : ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ ﴾، يعني : قطروس، ﴿وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴾ يعني جعلنا حول الأعناب النخل ووسط الأعناب الزرع [١] .

﴿ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا ﴾ يعني : أعطت ثمرتها، ﴿وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ﴾ أي لم تنقص، ﴿ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا ﴾ يعني : شققنا وسطهما ﴿نَهَرًا ﴾، ﴿ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ ﴾ قال ابن عباس : يعني كان لقطروس مال [٢]، قال مجاهد: يعني الذهب والفضة [٣]، وقال قتادة : كانت له أموالًا كثيرة [٤]، ﴿فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ ﴾ يعني : لأخيه يهوذا، ﴿أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾ يعني خدمًا وحشمًا .

قال مقاتل : نزلت في أخوين؛ [مؤمن وكافر] [٥]، فاسم المؤمن يملخيا،

= قال ابن عطية : «واقتصرت على معناه لقلة صحته، ولأن في هذا ما يفي بفهم الآية » .

(١) انظر : (تفسير مقاتل) (٢/ ٥٨٤)، والثعلبي (٦/ ١٩٦) .

(٢) إسناده ضعيف :

أخرجه الطبري (١٤/ ٢٤٥)، بإسناد ضعيف، علي بن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس رضي الله عنهما .

(٣) أخرجه الطبري (١٤/ ٢٤٥) .

(٤) المصدر السابق .

(٥) كتبت بهامش الأصل.

والكافر قطروس [١]، قال وهب بن منبه : اسم الكافر قطفر [٢]، قال : وهما الأخوان اللذان وصفهما الله تعالى في سورة الصافات بقوله : ﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ ﴾ الآيات [الصافات : ٥١] .

قال أبو الحسن : قوله تعالى : ﴿ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا ﴾ وكان حقه أن يقول آتتا أكلها [٣]، ولكن المعنى : كلتا الجنتين آتت كل واحدة منها أكلها/ ، (٤٠) ونظيره : ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ ءَايَةً ﴾ [المؤمنون : ٥٠]، أي : جعلنا كل واحد منهما آية، قال الشاعر :

لا شيء أحسن من علم يزينه حلم ومن ناله قد فاز بالفرح

أي من نال كل واحد منهما، وقال الآخر :

لكل هم من الهموم سَعة والمسُى والصبح لا بقاء معه [٤]

أي مع كل واحد منهما .

قوله سبحانه : ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾، قال ابن عباس : يراجعه الكلام، قال أحمد ابن يحيى : (الحُوار) بضم الحاء : ولد الناقة، و (الحِوار) بالكسر : المجاوبة، تقول العرب : فلان حسن الجوار، يعني : حسن الجواب .

وقوله سبحانه : ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ﴾ يعني قطروس، ﴿وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾ بشركه وكفره، ﴿ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا ﴾ يعني : أن تهلك هذه الجنة، ﴿ وَمَآ أَظُنُّ السَّاعَةَ قَآئِمَةً ﴾ كائنة، ﴿ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي ﴾ أي صرفت

---

(١) انظر : (تفسيره) (٢/ ٥٨٤)، وفيه (فرطس) .

(٢) انظر : (تفسير الثعلبي) (٦/ ١٦٩) .

(٣) انظر : (معاني القرآن) للأخفش (٢/ ٤٣) .

(٤) البيت للأضبط بن قريع السعدي، شاعر جاهلي، انظر (الحماسة) (٢٨٨١٢) و(لسان العرب) مادة (مسا) .

إليه في المعاد، ﴿ لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴾ أي منزلًا ومرجعًا، نظيره في حم السجدة: ﴿ وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ﴾ [فصلت: ٥٠].

وفي سورة مريم حكاية عن العاص بن وائل: ﴿ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴾ [مريم: ٧٧] (١).

﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ ﴾ يعني يهوذا أو يملخيا، ﴿ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ ﴾ يجاوبه: ﴿ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴾، ﴿ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى ﴾؛ قرأ ابن كثير من القراء: ﴿ لكن هو الله ربي ﴾ (٢)؛ قال الكسائي: فيه تقديم وتأخير ومحاورة، لكن الله هو ربي (٣).

---

(١) يشير إلى ما أخرجه البخاري (٢٩٠١، ٢٢٧٥، ٢٤٢٥، ٤٧٣٥)، ومسلم (٢٧٩٥)، والترمذي (٣١٦٢)، وأحمد (٥/ ١١٠، ١١١)، والطيالسي (١٠٥٤)، وابن حبان (٥٠١٠)، والطبراني في (الكبير) (٤/ ٦٦) رقم (٣٦٥٠، ٤٧٣٥)، من طرق عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن خباب، قال: كان لي على العاص بن وائل دينٌ، فأتيته أتقاضاه، فقال لي: لن أقضيك حتى تكفر بمحمد، قال: فقلت له: إني لن أكفر بمحمد حتى تموت ثم تبعث!
قال: وإني لمبعوث من بعد الموت؟! فسوف أقضيك إذا رجعت إلى مال وولد.
قال: فنزلت هذه الآية: ﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴾ [مريم: ٧٧-٨٠].

(٢) لم أقف على مصدر قد عزا هذه القراءة لابن كثير، والذي وقفت عليه ما قاله الزجاج في (معاني القرآن) (٣/ ٢٨٦)، قال: «يقرأ (لَكِنْ هُوَ اللهُ رَبِّي) بسكون النون، ويجوز ولا أعلم أحدًا قرأ به».
وذكر ابن جني في (المحتسب) (٢/ ٢٩) أنها قراءة عيسى الثقفي، فلعل ما أورده المصنف إما من الوهم أو صُحِّف.

(٣) انظر: (تفسير الثعلبي) (٦/ ١٧١)، و (معاني القرآن) للزجاج (٣/ ٢٨٦)، و (السبعة) (ص: ٣٩١)، و (التيسير) (ص: ٢٤٣).

قال الفراء : من قرأ ﴿ لكنّا هو الله ربي ﴾ أصله لكن أنا هو الله ربي [١]، ﴿وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ يعني: هذه الجنة مما شاء الله، ويقال : قلت : ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن .

﴿ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤْتِيَنِ ﴾[٢] يعطيني ﴿خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ قال ابن عباس:يعني نارًا[٣]، قال مجاهد وقتادة : يعني عذابًا [٤]، قال الأخفش : الحسبان المرامي، واحدتها حسبانة [٥]، ﴿ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴾ أي : فتصير/ ترابًا، قال قتادة (٤٠/ : أي حصيدًا أملس لا نبات عليه [٦]، قال مجاهد : رملًا هائلًا أو ترابًا، ﴿ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا ﴾ أي داخلًا في الأرض لا تناله الأيدي والدلاء، يُقال : ماء غور وماءان غور ومياهٌ غور [٧]، ومنه قوله ﷻ : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا ﴾ [الملك : ٣٠] أي غائر، وكذلك ما كان من هذه الأسماء يوصف مصدره، كما يقال : رجل زور وفِطر وصوم، أي : زائر ومفطر وصائم [٨]، قال الشاعر :

---

(١) انظر : (معاني القرآن) له (٢/ ١٤٤) .

(٢) كذا بالأصل (يؤتيني)، وللمزيد انظر : (البدور الزاهرة) (٢٣٥١) .

(٣) عزاه السيوطي في (الدر المنثور) (٣/ ٤٠٦) للطستي، والأثر في (مسائل نافع بن الأزرق) (ص : ١٣٤) .

(٤) أخرجه الطبري (١٥/ ٢٤٨)، وعبد الرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم؛ كما في (الدر المنثور) (٣/ ٤٠٧) من قول قتادة .

(٥) انظر : (معاني القرآن) للأخفش (٢/ ٥٣٠)، (مجاز القرآن) لأبي عبيد (١/ ٤٠٣)، و (لسان العرب) مادة (حسب)؛ فقد عزاه إلى ثعلب .

(٦) أخرجه الطبري (١٥/ ٢٤٨) بلفظ : أي قد حصل فيها فلم يترك فيها شيء .

(٧) انظر : (النكت والعيون) للمصنف (٣/ ٣٠٧)، و (معاني القرآن) للفراء (٢/ ١٤٥) .

(٨) انظر : (تفسير غريب القرآن) لابن قتيبة (ص : ٢٦٧)، و (المحرر الوجيز)(٣/ ٥١٨) .

كأنهن فتيـــــات زور

أي : زائرات .

﴿ فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ ﴾ أي للماء ﴿ طَلَبًا ﴾ .

قال تعالى : ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ ﴾، قال الشيخ [١] : هذا من فُصيحات القرآن التي عجزت عنها العرب، والمعنى : أحاط الهلاك بثمره، ﴿ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ ﴾ أسفًا وندمًا، ﴿ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا ﴾ أي عليها، ونظيره : ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ ﴾ [طه : ٧١] أي عليها، قال الشاعر [٢] :

هم صلبوا العبدي في جذع نخلة فلاعطست شيبان إلا بأجدعا [٣]

يعني : على جذع نخلة، والأجدع الأنف المقطوع .

﴿ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾ أي ساقطة على سقوفها، ﴿ وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ﴾ يعني الكافر : ﴿ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴾ .

قال الله تعالى : ﴿ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ ﴾ أي جماعة، ﴿ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴾ أي منتقمًا من الله .

---

(١) أي : المصنف رحمة الله عليه وعلينا .

(٢) هو : قراد بن حنش الصاردي .

(٣) انظر (الحماسة البصرية) (١/ ٨٥٢) .

قوله : أجدعا ، الجدع : القطع ، وقيل : هو القطع البائن من الأنف والأذن والشفة واليد ونحوها، انظر : (لسان العرب) مادة (جدع) .

سورة النور

قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [النور: ٣٥]..

ومنها في سورة النور قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ الآية [النور:٣٥].

قال أبو الحسن: هذه آية صعبة المسلك، شَاقّ المخرج منها، وقد اختلف الناس في أصولها وفروعها، وتفسيرها وتأويلها، وقراءاتها وإعرابها، وأحكامها من وجوه [(١)]، ونحن نذكر فضلًا من كل وجه منها؛ ليكون أقرب إلى الفهم.

قال ابن عباس: معناه الله هادي أهل السموات والأرض [(٢)]، لا هادي

---

(١) وقد فصلها المصنف في (النكت والعيون) (٤/ ١٠١-١٠٦).

(٢) إسناده ضعيف:

أخرجه الطبري (١٨/ ١٤٤)، والبيهقي في (الأسماء والصفات) (١٣٧)، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، كما في (الدر المنثور) (٥/ ٨٧)، من طريق عبد الله بن صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس ﷺ ... الأثر.

قال الإمام شيخ الإسلام ابن القيم رحمه الله:

« أما حكاية ابن عباس أنه بمعنى: هاد، فعمدته على التفسير الذي رواه الناس عن عبد الله بن صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة الوالبي، عن ابن عباس ..، وفي ثبوت ألفاظه عن ابن عباس نظر؛ لأن الوالبي لم يسمعها من ابن عباس؛ فهو منقطع، وأحسن أحواله أن يكون منقولًا عن ابن عباس بالمعنى.

ولو صح ذلك عن ابن عباس؛ فليس مقصوده به نفي حقيقة النور عن الله، وأنه ليس =

فيهما غيره، فليس يهدي ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا بهدى منه .

قوله : ﴿ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ ﴾ أضاف نور قلب المؤمن إلى نفسه لشرفها وفضلها [1]/ ، كما أضاف كلمة المؤمن إلى نفسه لشرفها؛ فقال : ﴿ وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ﴾ [التوبة: ٤٠] . /(٤١)

والمشكاة : الكوة غير نافذة [2] .

وقوله : ﴿ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾ فيه تقديم وتأخير، ومجازه : مثل نور قلب المؤمن كمشكاة في زجاجة في مصباح، فالمشكاة نفس المؤمن، والزجاجة

= بنور، ولا نور له، كيف وابن عباس هو الذي سمع من النبي ﷺ قوله في صلة الليل : « **اللهم لك الحمد؛ أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن** » ؟!

وهو الذي قاله لعكرمة، لما سأله عن قوله : ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ [الأنعام : ١٠٣]، قال : « ويحك ذاك نور، إذا تجلى بنوره لم يدركه شيء » .

كيف ولفظ الآية والحديث ينبو عن تفسير النور بالهادي؛ لأن الهداية تختص بالحيران، وأما الأرض نفسها والسماء فلا توصف بهدى، والقرآن والحديث وأقوال الصحابة صريح بأنه نور السماوات والأرض .

ولكن عادة السلف أن يذكر أحدهم في تفسير اللفظة بعض معانيها ولازمًا من لوازمها أو الغاية المقصودة منها أو مثالًا ينبه السامع على نظيره، وهذا كثير في كلامهم لمن تأمله، فكونه سبحانه هاديًا لا ينفي كونه نورًا .

انظر : (مختصر الصواعق المرسلة) (ص : ٤٠٥)، وكذلك : (مجموع الفتاوى) لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (٦/ ٣٠٩-٣٩٢) .

(١) انظر : (جامع البيان) للطبري (١٨/ ١٤٦-١٤٧) .

(٢) ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ أخرجه الطبري (١٩/ ١٤٦-١٤٧)، والفريابي؛ كما في (الدر المنثور) (٥/ ٨٦) .

وورد كذلك عن الحسن بن علي، وعبد الله بن عمر رضي الله عنهم جميعًا، انظر (جامع البيان).

قلبه، والمصباح المعرفة في قلبه، وكما أن المشكاة نور، والزجاجة أنور منها؛ والزجاجة نور والمصباح أنور منها، فكذلك نفس المؤمن نور، وقلبه أنور منها، وقلبه نور والمعرفة أنور منها .

وقوله تعالى : ﴿ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ ﴾ قال ابن عباس : يعني عظيماً [١]، قال أهل المعاني : نسب إلى الدر لبياضه، قال الشاعر زهير [٢] :

فانصاع كالكوكب الدري منصلتًا يفري الحزون ويفري البيد والأكما

قال قتادة : ﴿ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ ﴾ منير ضخم [٣] .

قال النضر بن شميل : سألت عنه الخليل؛ فقال : مضيء .

قرأ علي بن أبي طالب رضي الله عنه : ﴿ **الله نور السماوات والأرض** ﴾ منصوبة لأنها مفعولة .

وقرأ نصر بن عاصم : ﴿ **في زَجاجة** ﴾ [٤] بفتح الزاي، قال الأخفش فيها ثلاث لغات : زُجاجة، وزَجاجة وزِجاجة [٥] .

قرأ أهل المدينة وأهل مكة والحسن ﴿ **دُرِي** ﴾ مضمومة الدال غير مهموز، وكان أبو عمرو والكسائي يقرآنها بكسر الدال مع الهمز، وكان حمزة يقرأها مضمومة الدال مع الهمز، قال أبو حاتم : هذا منكر [٦]؛ لأنه

---

(١) أخرج ابن أبي حاتم (٨/ ٢٥٩٨)، عن قتادة، قال : « كوكب دري، قال : ضخم » .

(٢) ليس في ديوانه !

(٣) تقدم آنفًا .

(٤) انظر : (المحتسب) (٢/ ١٠٩) .

(٥) لم أقف عليه في كتابه، وهو عند الأخفش في (معاني القرآن) (٢/ ٢٥٢)، والزجاج كذلك (٤/ ٤٤)، وانظر : (المحتسب) (٢/ ١٠٩) .

(٦) انظر : (تفسير الثعلبي) (٧/ ١٠٢) .

ليس في كلام العرب فُعّيل، وقرأ سعيد بن المسيب وأبو رجاء العطاردي بفتح الدال والهمز [١]، قال أبو حاتم : هو خطأ أيضًا؛ لأنه ليس في كلام العرب فَعّيل .

واختار أبو عبيد وأبو حاتم القراءة الأولى؛ أعني قراءة أهل الحرمين، قال أبو عبيد : وإنما اخترنا هذه القراءة لعلل ثلاث : إحداها : ما جاء في التفسير : نُسب إلى الدر لبياضه، والثانية : الخبر عن النبي ﷺ : « **إن أهل الجنة ليتراءون أهل عليين كما ترون الكوكب الدري في أفق السماء، وإن أبا بكر وعمر منهم** [٢] **وأنعما**»، يعني : زادا على ذلك، والثالثة :/ إجماع أهل (٤١/ ر) الحرمين عليهما .

قال أبو عبيدة : ومن ضم وهمز؛ فإن النحويين قالوا : ليس في الكلام

---

(١) (المحتسب) (٢/ ١١٠) .

(٢) حديث صحيح :

أخرجه البخاري (٣٢٥٦)، ومسلم (٢٨٣١)، والترمذي (٢٥٥٦)، وابن حبان (٧٣٩٣)، وأحمد (٢/ ٣٣٥)، عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري الغابر من الأفق من المشرق أو المغرب؛ لتفاضل ما بينهم** » قالوا : يا رسول الله، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم، قال : « **بلى، والذي نفسي بيده، رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين** » .

وله شاهد عند مسلم (٢٨٣٠)، وأحمد (٥/ ٢٤٠)، وأبو يعلى في (مسنده) (٧٥٢٨)، والطبراني في (الكبير) (٦/ ١٣٧) رقم (٥٧٦٢)، (٦/ ١٨٥) رقم (٥٩٤٠)، (٦/ ٢٠٠) رقم (٥٩٩٨)، عن أبي حازم، عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **إن أهل الجنة ليتراءون الغرفة في الجنة كما تراءون الكوكب في السماء** » .

وأما قول المصنف : « وإن أبا بكر وعمر منهم »؛ فليس في لفظ الحديث، ولعل المصنف رحمه الله أخذها وفهمها من قوله ﷺ : « رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين » .. والله أعلم .

فعّيل[١]، قال أبو عبيد : وأنا أرى لها وجهًا، وذلك أنه فعّول لا فُعّيل، كما يقال : لآري الدابة [٢]، إذا رُدَّ إلى الفعل (فاعُول)؛ فاستثقلُوا التشديد مع كثرة الضمات، فرد بعضها إلى الكسرة .

وقوله : سبحانه ﴿ تُوقد ﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر بفتح التاء والتشديد، والنصب على معنى الماضي واختاره أبو عبيد وأبو حاتم، وقرأ ابن محيصن (تَوَقَّد) بالتاء المفتوحة مع التشديد والرفع على معنى تَتَوقد، نظيره : ﴿ نَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ [القدر : ٤] .

قال لبيد :

فالعين ساكنة على أطلائها عُوذًا تأجيل بالفضاء بهامها [٣]

العين : بَقر الوحش، والأطلاء : الأولاد، [وتأجل : تصير أجلًا إجلا[٤]، والبهائم جمع بهم [٥]][٦] .

---

(١)) معاني القرآن) للفراء (٢/ ٢٥٢)، وللزجاج (٤/ ٤٤) .

(٢) انظر : (لسان العرب) مادة (أ ر ى)، ومعناها : المكان الذي تحبس فيه الدابة .

(٣) انظر : (شرح ديوان لبيد) (٩٩٢) .

(٤) الإجل : قطع البقر الوحشي .

(٥) ما بين القوسين كتب بهامش الأصل. .

(٦) قال الإمام الطبري رحمه الله :

« وأولى الأقوال في ذلك الصواب قول من قال : ذلك مثل ضربه الله للقرآن في قلب أهل الإيمان به، فقال : مثل نور الله الذي أنار به لعباده سبيل الرشاد، الذي أنزله إليهم فآمنوا به وصدقوا بما فيه، في قلوب المؤمنين، مثل مشكاة، وهي عمود القنديل الذي فيه الفتيلة، وذلك هو نظير الكوة التي تكون في الحيطان التي لا منفذ لها، إنما جعل ذلك العمود مشكاة؛ لأنه غير نافذ، وهو أجوف مفتوح الأعلى، فهو كالكوة التي في الحائط التي لا تنفذ، ثم قال : ﴿ فِيهَا مِصۡبَاحٌ ﴾ وهو السراج، وجعل السراج وهو المصباح، مثلًا لما في قلب المؤمن والآيات المبينات، ثم قال: ﴿ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٖ ﴾ يعني أن السراج الذي في المشكاة في القنديل، =

= وهو الزجاجة، وذلك مثل القرآن، يقول: القرآن الذي في قلب المؤمن الذي أنار الله به قلبه في صدره، ثم مثل الصدر في خلوصه من الكفر بالله والشك فيه واستنارته بنور القرآن واستضاءته بآيات ربه المبينات ومواعظه فيها بالكوكب الدري، فقال: ﴿ ٱلزُّجَاجَةُ ﴾، وذلك صدر المؤمن الذي فيه قلبه ﴿ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ ﴾.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: (دُرِّيٌّ)، فقرأته عامة قراء الحجاز: (دُرِّيٌّ) بضم الدال وترك الهمزة، وقرأ بعض قراء البصرة والكوفة: (دِرِّيء) بكسر الدال وهمزة، وقرأ بعض قرّاء الكوفة (دُرِّيء) بضم الدال وهمزة، وكأن الذين ضموا داله وتركوا الهمزة وجهوا معناه إلى ما قاله أهل التفسير الذي ذكرنا عنهم من أن الزجاجة في صفائها وحسنها كالدرّ، وأنها منسوبة إليه لذلك من نعتها وصفتها.

ووجه الذين قرءوا ذلك بكسر داله وهمزه إلى أنه فعيل من درِّيء الكوكب: أي دُفع ورجم به الشيطان من قوله: (وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ): أي يدفع، والعرب تسمي الكواكب العظام التي لا تعرف أسماءها الدراري بغير همز.

وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يقول: هي الدرارئ بالهمز، من يدرأن. وأما الذين قرءوه بضمّ داله وهمزه، فإن كانوا أرادوا به درّوء مثل سبوح وقدوس من درأت، ثم استثقلوا كثرة الضمّات فيه، فصرفوا بعضها إلى الكسرة، فقالوا دِرِّيء، كما قيل: ﴿ وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴾ [مريم: ٨].

وهو فعول من عتوت عتوّا، ثم حوّلت بعض ضماتها إلى الكسر، فقيل: عتيًا، فهو مذهب، وإلا فلا أعرف لصحة قراءتهم ذلك كذلك وجها، وذلك أنه لا يُعرف في كلام العرب فعيل، وقد كان بعض أهل العربية يقول: هو لحن.

والذي هو أولى القراءات عندي في ذلك بالصواب، قراءة من قرأ (دُرِّيٌّ) بضمّ داله، وترك همزه، على النسبة إلى الدرّ، لأن أهل التأويل بتأويل ذلك جاءوا.

وقد ذكرنا أقوالهم في ذلك قبل، ففي ذلك مكتفى عن الاستشهاد على صحتها بغيره، فتأويل الكلام: ﴿ ٱلزُّجَاجَةُ ﴾: وهي صدر المؤمن، ﴿ كَأَنَّهَا ﴾: يعني كأن الزجاجة وذلك مثل لصدر المؤمن، ﴿ كَوْكَبٌ ﴾: يقول في صفائها وضيائها وحسنها. وإنما يصف صدره بالنقاء من كلّ ريب وشكّ في أسباب الإيمان بالله وبعده من دنس المعاصي، كالكوكب الذي يُشبه الدرّ في الصفاء والضياء والحسن.

واختلفوا أيضا في قراءة قوله: ﴿ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ﴾ فقرأ ذلك بعض المكيين =

وقرأ أهل الكوفة ﴿ توقَّد ﴾ بالتاء مع التخفيف والضم على معنى : توقد الزجاجة والمصباح، وقرأ شيبة ونافع ﴿ يُوقد ﴾ بالياء مع التخفيف والضم، قال الحسن : يعني توقد الزجاجة، قال ابن كيسان : سواء قُرأت بالياء والتاء؛ لأن الفعل إذا تقدم الاسم الذي لا يستحق التأنيث، فأنت فيه

= والمدنيين وبعض البصريين : ﴿ توقد من شجرة ﴾ بالتاء وفتحها وتشديد القاف وفتح الدال، وكأنهم وجهوا معنى ذلك إلى توقد المصباح من شجرة مباركة . وقرأه بعض عامة قرّاء المدنيين (يُوقَدُ) بالياء وتخفيف القاف ورفع الدال، بمعنى : يوقد المصباح، موقده من شجرة، ثم لم يسمّ فاعله. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة (تُوقَدُ) بضم التاء وتخفيف القاف ورفع الدال، بمعنى : يوقد الزجاجة موقدها من شجرة مباركة، ثم لما لم يسمّ فاعله، فقيل : توقد . وقرأه بعض أهل مكة (تَوَقَّدُ) بفتح التاء وتشديد القاف وضم الدال، بمعنى : تتوقد الزجاجة من شجرة، ثم أسقطت إحدى التاءين اكتفاء بالباقية من الذاهبة، وهذه القراءات متقاربات المعاني وإن اختلفت الألفاظ بها، وذلك أن الزجاجة إذا وصفت بالتوقد، أو بأنها تَوَقَّد، فمعلوم معنى ذلك، فإن المراد به تَوَقَّدَ فيها المصباح، أو يوقد فيها المصباح، ولكن وجَّهوا الخبر إلى أن وصفها بذلك أقرب في الكلام منها، وفهم السامعين معناه . والمراد منه، فإذا كان ذلك كذلك، فبأيّ القراءات قرأ القارئ فمصيب، غير أن أعجب القراءات إليّ أن أقرأ بها في ذلك (تَوَقَّدَ) بفتح التاء، وتشديد القاف وفتح الدال، بمعنى وصف المصباح بالتوقد؛ لأن التوقد والاتقاد لا شكّ أنهما من صفته دون الزجاجة، فمعنى الكلام إذن : كمشكاة فيها مصباح، المصباح من دهن شجرة مباركة، زيتونة، لا شرقية ولا غربية .

وقد ذكرنا بعض ما رُوي عن بعضهم من الاختلاف في ذلك فيما قد مضى، ونذكر باقي ما حضرنا مما لم نذكره قبل، فقال بعضهم : إنما قيل لهذه الشجرة : لا شرقية ولا غربية : أي ليست شرقية وحدها حتى لا تصيبها الشمس إذا غربت، وإنما لها نصيبها من الشمس بالغداة ما دامت بالجانب الذي يلي الشرق، ثم لا يكون لها نصيب منها إذا مالت إلى جانب الغرب، ولا هي غربية وحدها، فتصيبها الشمس بالعشيّ إذا مالت إلى جانب الغرب، ولا تصيبها بالغداة، ولكنها شرقية غربية، تطلع عليه الشمس بالغداة، وتغرب عليها، فيصيبها حرّ الشمس بالغداة والعشيّ، قالوا : إذا كانت كذلك، كان أجود لزيتها » .

انظر (جامع البيان) (١٨/ ١٤٩-١٥١) .

بالخيار إن شئت أنثت وإن شئت ذكرت [١] .

قال الحسن : (تُوقد من شجرة) إنها ليست من شجر الدنيا ولو كانت من شجر الدنيا لكانت شرقية أو غربية [٢] .

قال عطاء : توقد من شجرة مباركة زيتونة، قال النبي ﷺ : « **بارك فيها سبعون نبيًا** » [٣] .

قال ابن عباس : المشكاة : الكوة غير النافذة [٤]، وكذلك قال السدي، والحسن [٥]، والضحاك [٦]، وأبو إسحاق السبيعي [٧]، وابن عمر [٨] .

قال أبو موسى الأشعري : المشكاة : القائم في وسط القنديل، وبه قال علي ابن أبي طلحة، قال مجاهد : هي حدائد القنديل، قال أبي بن كعب : هي

---

(١) انظر ما تقدم .

(٢) تفسير الثعلبي (٧/ ١٠٤) .

(٣) لم أقف عليه فيما تحت يدي من مصادر، أما وقفت عليه هو نقل العلماء هذا المقطع، ومسبوق بـ (قيل) .. وهذا ما صنعه صاحب (تحفة الأحوذي) (٥/ ٤٧٥) وغيره .

(٤) أخرجه الطبري (١٨/ ١٤٦)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٥٦٩) بإسناد ضعيف، شمر بن عطية لم يدرك عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

وأخرجه الطبري كذلك (١٨/ ١٤٨)، بإسناد ضعيف فيه مجاهيل .

(٥) أخرجه عبد بن حميد كما في (الدر المنثور) (٥/ ٨٩).

(٦) أخرجه الطبري (١٨/ ٢٤٨)، وعبد بن حميد كما في (الدر المنثور) (٥/ ٨٨) .

(٧) أخرجه الطبري (١٨/ ١٤٩)، عنه، عن سعيد بن عياض، قال : الكوة .

(٨) إسناده ضعيف :

أخرجه الطبري (١٨/ ١٤٩)، بإسناد ضعيف، شمر بن عطية لم يدرك عبد الله بن عمر رضي الله عنهما بيد أن الطبراني وابن عدي وابن مردويه وابن عساكر أخرجوا عنه، كما في (الدر المنثور) (٥/ ٨٨)، في قوله : ﴿كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾، قال : المشكاة جوف محمد ﷺ، والزجاجة : قلبه .

صدر المؤمن [١] .

قال أهل النظر : المعنى بذلك الإيمان والمؤمن، والقول والعمل، والمصباح الإيمان، والزجاجة القلب، والمشكاة الصدر .

وقال قوم : إنما جعله في كوة؛ لأن ذلك أجمع لضوئه، وأحرَى أن يُرى من بعد، وإذا كان في فضاء تفرق شعاعه فعلًا تارة وانخفض أخرى ./ (٤٢)

قال عبد العزيز بن يحيى : عني بالمشكاة صدر المؤمن وبالزجاجة قلبه، وبالمصباح القرآن والإيمان، وقال : هذا مثل ضربه الله للمؤمن .

قال أبو العالية : مثل المؤمن الذي جعل الله الإيمان والقرآن في صدره كمشكاة [٢] .

وقال عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه : المشكاة : القنديل، ثم العمود الذي فيه الفتيل [٣] .

وروى شيبان عن قتادة : المشكاة الصفر الذي في جوف القنديل [٤] .

وقال سعيد بن المسيب : المشكاة : الحديد الذي يعلق به القنديل [٥] .

---

(١) إسناده حسن :
أخرجه الطبري (١٨/ ١٤٨)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٥٩٥)، وعبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه والحاكم وصححه، كما في (الدر المنثور) (٥/ ٨٧) .

(٢) تقدم تخريجه عنه عن أبي بن كعب رضي الله عنه .

(٣) أخرجه الطبري (١٨/ ١٤٩)، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد .

(٤) أخرجه الطبري (١٨/ ١٤٩) عن ابن أبي نجيح، عنه ..، ورواية شيبان عن ابن أبي حاتم (١٨/ ٢٥٩٥) .
قوله : الصفر، هو : النحاس .

(٥) أخرجه الطبري (١٨/ ١٤٩) من قول مجاهد .

قال أبو الحسن : وأولى الأقاويل بالصواب قول من قال : ذلك مثل ضربه الله للقرآن في قلب أهل الإيمان، أي مثل نوره الذي أنار الله تعالى لعباده سبيل الرشاد، والذي أنزله إليهم فآمنوا به مثل المشكاة، وهي عمود القنديل الذي فيه الفتيلة، وذلك هو الكوة التي تكون في الحيطان التي لا منفذ لها، وإنما جعل ذلك العمود مشكاة لأنه غير نافذ وهو جوف مفتوح الأعلى، وهو كالكوة التي في حائط لا منفذ له .

وقوله : ﴿ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾ وهو السراج [١]، وجعله مثلًا لما في قلب المؤمن من القرآن والآيات والبينات، ثم قال : ﴿ ٱلْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ﴾ يعني : أن السراج الذي في المشكاة في القنديل وهو الزجاجة، وذلك مثل القرآن، يقول : القرآن في قلب هذا المؤمن الذي أنار الله به قلبه في صدره، قال أكثر المفسرين هو السراج.

قال الحسن وقتادة : هو نور الله في قلب المؤمن [٢] .

قال السدي : هو النور والإيمان والقرآن [٣] .

في تفسير الدمياطي : المصباح قلب النبي ﷺ شبهه بالمصباح في الضياء والنور لما فيه من النبوة والحكمة .

وقال قوم : الزجاجة القرآن، والمصباح القرآن، وقال قوم : هو النور الذي نوّر الله به قلب المؤمن .

---

(١) انظر : (جامع البيان) للطبري، وقد تقدم آنفًا ما نص عليه إمام المفسرين من الراجح من الأقوال في الآية، فراجعه إن شئت .

(٢) أخرجه عبد الرزاق وعبد بن حميد، كما في (الدر المنثور) (٥/ ٨٩) .

(٣) أخره ابن أبي حاتم (٨/ ٢٥٩١) .

قال أبو الحسن : وأولى الأقاويل بالصواب قول من قال هو القرآن الذي نور الله به قلب المؤمن [١] .

وقوله تعالى : ﴿ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ﴾، قال أبي بن كعب والحسن (٤٢/ والسدي: الزجاجة قلب المؤمن لما فيه من القرآن والإيمان [٢] .

وفي تفسير الدمياطي : الزجاجة صدر النبي ﷺ جعله كالزجاجة في الصفاء والنقاء .

قال مجاهد : الزجاجة القنديل [٣] .

وقال قوم : إنما قال : ﴿ فِى زُجَاجَةٍ ﴾؛ لأن السراج إذا كان في زجاجة بيضاء صافية كان أضوأ أو أنور من أن يكون في صفر أو خزفة .

وقال قوم : إنما قال ذلك لأن النار في الزجاجة أبين منه في كل شيء [٤].

قال أبو الحسن : وأولى الأقاويل بالصواب قول من قال : الزجاجة صدر المؤمن الذي فيه قلبه [٥] .

وقوله : ﴿ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ ﴾ قال أُبي بن كعب : هو المضيء، قال الحسن: ذو ضوء، قال قتادة : هو المنير، قال ابن عباس : هو العظيم مثل الزهرة، قال الضحاك : الذي يُضيء بالليل ويهتدي به الناس في البر والبحر [٦] .

---

(١) انظر ما تقدم من ترجيح الإمام الطبري .
(٢) تقدم آنفًا .
(٣) تقدم آنفًا .
(٤) انظر : (معاني القرآن) للزجاج (٤/ ٤٤) .
(٥) تقدم نقلًا عن الطبري في الراجح من المعنى في الآية .
(٦) تقدم آنفًا .

قال الفراء : نسب إلى الدر لبياضه، قال سعيد بن جبير : هو الأبيض .

وقد ذكرنا القراءات فيها [١]، وأولاها بالصواب قراءة من قرأ بالضم وترك الهمز، على النسبة إلى الدر؛ لأن التأويل بذلك جاء، أي : كأن الزجاجة وهي صدر المؤمن كوكب في الصفاء والنقاوة والحسن، وإنما يصف صدره بالنقاوة من كل ريب وشك في أسباب الإيمان بالله، وبعده من دنس المعاصي كالكوكب الذي يشبه الدر في الصفاء والضياء والحسن [٢] .

وقوله : ﴿ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ ﴾ قال ابن عباس : هي التي بارك فيها سبعون نبيًا [٣] .

وعنه في رواية أخرى [٤] هي شجرة وسط الشجر ليست من الشرق ولا من الغرب .

قال زيد بن أسلم : هي شامية [٥]، قال الحسن : والله لو كانت من شجر الأرض لكانت شرقية أو غربية، ولكنها مثل ضربه الله لنوره [٦] .

وقد ذكرنا اللغات والقراءة في (تَوقد) وأولاها بالصواب (تُوقد) بضم التاء والتخفيف .

فمن قرأها بالتاء فهو للزجاجة ومن قرأها بالياء فهو للمصباح [٧] .

---

(١) انظر : (النكت والعيون) للمصنف (٤/ ١٠٣) .

(٢) انظر ما رجحه الطبري فيما تقدم .

(٣) تقدم تخريجه .

(٤) أخرجه الطبري (١٨/ ١٤٢)، وأخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٠٠)، عن سعيد بن جبير .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٠٢) بلفظ (الشام) .

(٦) تقدم تخريجه، وأزيد : فقد أخرجه كذلك ابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٠-٢٦٠٢) .

(٧) تقدم ما رجحه الطبري رحمه الله .

وقوله تعالى : ﴿ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ﴾، قال أُبيّ بن كعب : كزيتونة التفت بها الشجر في خضراء ناعمة، لا يصيبها الشجر على أي حال كانت لا إذا طلعت ولا إذا غربت [١] .

قال ابن عباس : هي شجرة وسط الشجر/ لا تعد من المشرق ولا من (٤٣
المغرب، يريد أن الشمس لا تُصيبها فزيتها أضوأ [٢] .

والمعنى أن نور محمد ﷺ استنار من نور إبراهيم؛، وشبه إبراهيم بزيتونة لا شرقية ولا غربية، أي لم يكن يهوديًا ولا نصرانيًا .

قال سعيد بن جبير : إذا طلعت الشمس أضاءتها، وإذا غربت أضاءتها، وهو أجود لزيتها [٣] .

قال مجاهد : هي التي في الشمس من حين تطلع إلى أن تغرب ليس لها ظل، وذلك أضوأ لزيته .

قال عكرمة : مصحرة، لا تظلها شجرة، ثم قال : ألم تروا إلى الوحش ما أخلدها [٤] .

قال أبو الحسن : أخبر أنها شجرة بارزة من خلال الآكام والجبال، متعالية عن أودية المضار والتلال، شامخة لشعاع الشمس غير كامنة؛ فهي ﴿ لَّا شَرْقِيَّةٍ ﴾ غير غربية، ﴿ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ﴾ غير شرقية، بل هي شرقية غربية تصيبها الشمس إذا شرقت، وتصيبها إذا غربت، فهي في ضياء من جانب

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٥٩٩) .
(٢) تقدم تخريجه .
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٠١) .
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٠٠)

المغرب وفي نور من جانب المشرق، وذلك أضوأ لزيتها، فكذلك العارف بربه ﷻ منسلخ من التباس التخاليط، متنزه عن اعوجاج الأغاليط، راغب في الحور، ناهض إلى معالي الأمور، مستقيمة أحواله، معتدلة أقواله، زاده تقواه ومجلسه [(١)]، ورغبته أخراه، وبغيضه دنياه، وحبيبه مولاه .

قال أبو العالية : هي التي تنبت في فلاة من الأرض، لا يُظلها شجر ولا جبل ولا بنيان .

قال قتادة : هي التي لا يفيء عليها ظل شرق ولا ظل غرب .

وقال قوم : إنها خرجت من طور سيناء، فهي كريمة على ربها، منع منها الشمس كما منعها من أصحاب الكهف، فقال : ﴿ تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ﴾ الآية [الكهف : ١٧]، قال زيد بن أسلم : هي شامية، والشام ليست بشرق ولا غرب[(٢)] .

وقوله تعالى : ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ ﴾ [النور : ٣٦]، قال ابن عباس: هي المساجد، أمر الله تعالى أن تبني [(٣)] .

قال الحسن : يعني تعظم وتوقر [(٤)]، ﴿ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ ﴾ كما قال

---

(١) كلمة مطموسة بالأصل .

(٢) تقدم تخريج هذه الآثار .

(٣) إسناده ضعيف :

أخرجه الطبري (١٨/ ١٥٤)، من طريقين؛ الأول فيه : علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ﷺ، وهذا إسناد منقطع .

والثاني من طريق : محمد بن سعد عن أبيه عن عمه عن أبي عن أبيه عن ابن عباس ﷺ، وهذا إسناد ضعيف كما تقدم .

(٤) أخرجه الطبري (١٨/ ١٥٥) .

تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ ﴾ [الجن : ١٨]، وقال النبي ﷺ للرجل الذي نشد الناقة في المسجد : « أيها الناشد غيرك الواجد،/ إنما بُنيت هذه المساجد (٤٣/ ب) لذكر الله وقراءة القرآن » [١] .

قال عكرمة : هي البيوت كلها [٢] .

قال الربيع بن أنس والسدي : هي بيوت رسول الله ﷺ وحجر أزواجه .

قال مجاهد : ترفع تعظم [٣] .

قال أبو العالية : تطهر .

قال الربيع بن أنس : تُطيب، قال سعيد بن جبير : تصان أن تعمل فيها بالمعاصي، ﴿ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ ﴾ أي : يوحد .

قال الضحاك : أن ترفع : أي يُصلى فيه .

قال الحسين بن الفضل : في الآية تقديم وتأخير وليس يريد ضرب الله الأمثال في هذه البيوت، وإنما هو رد على المشكاة والمصباح [٤] .

قوله سبحانه : ﴿ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ﴾ أي يُسبح رجال، وقال قوم : في البيوت رجال، وقرأ عاصم بفتح الباء، وهو يريد هذا القول، مجازه : يسبَّح له فيها بالغدو والآصال، والمسبحون رجال، ويقال

---

(١) حديث صحيح : وقد خرجته أثناء تحقيقي لـ (التوحيد) لابن خزيمة (١٣٠٢)، فانظره غير مأمور .

(٢) أخرجه الطبري (١٨/ ١٥٤)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٠٥)، و(النكت والعيون) للمصنف (٤/ ١٠٦) .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٠٥) .

(٤) كتبت بهامش الأصل (أول الجزء السادس) .

لمثل هذا (التفسير) [١] .

وقوله سبحانه : ﴿لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ قال ابن حيان : أي لا تشغلهم .

قال أبو الحسن : قوله (بالغدو والآصال) : وحد وجمع كل ما مضى من أشكاله في قوله : ﴿ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام : ١] و ﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ﴾ [البقرة : ١٧]، والآصال : جمع الأصيل، وهو بعد العصر إلى جنح الليل، قال أبو نعامة :

قـربـًا مـربـط الـنـعـامـة مني ... في السرى بالغدو والآصال [٢]

وقوله سبحانه : ﴿عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ قال ابن عباس : يعني عن الصلاة [٣] ، قال ابن حيان : لم يكونوا يرجعون إلى بيع وشراء وتجارة، قال مجاهد : هم التجار الذين إذا سمعوا المؤذن يقيم الصلاة تركوا بياعاتهم وتجاراتهم واشتغلوا بآداء الفرائض [٤]، قال عكرمة : هم أهل الصُّفة وذووهم، قال الحين : حضروا الصلاة فإذا فرغوا عادوا إلى تجاراتهم .

وقوله سبحانه : ﴿وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ يعني إدامتها، ﴿وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ﴾ إعطاؤها، ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾ يعني تتحير فيه وتحزن، نظيره : ﴿وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾ [الأحزاب : ١٠]، ﴿إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى / ٱلْحَنَاجِرِ (٤٤/أ) كَٰظِمِينَ﴾ [غافر : ٨]، وقوله : ﴿تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾

---

(١) انظر (جامع البيان) للطبري .

(٢) الآصال : هو الوقت بين العصر وقبل المغرب ، انظر : (لسان العرب) (١/ ٦٥١) ، و (الأغاني) (٥/ ٣٥) .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٠٨) .

(٤) انظر : (جامع البيان) للطبري (٨/ ١٤٦) بنحوه .

يعني حالًا بعد حال متحيرين، قال الضحاك : تشخص إلى الداعي الذي يدعوهم من قبورهم، قال عبد العزيز بن يحيى : يعني أن القلوب خائفة راجية .

وقوله سبحانه : ﴿ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ ﴾ قال أهل المعاني : إنما ضرب الأمثال وبيّن الأشكال، ليعتبروا بها ويعرفوا ما في ضمنها، ﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ ﴾ وهو لام (كي)، قال أبو حاتم : مجازه ليجزيهم الله، كأنه يقول : والله ليجزينهم، فأدخل نون التوكيد كقوله : ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ﴾ [آل عمران : ١٨٦] وما ضاهاها .

قوله سبحانه : ﴿ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ قال ابن عباس : يعني بغير قوت ولا (هندانٍ) [1]، قال مجاهد : يعني بغير قلة؛ لأن ما دخله الحساب كان قليلًا .

قال أبو العالية : يعني يرزقهم كثيرًا، قال الحسين بن الفضل : ﴿ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ من غير أن يحاسبه أحد، قال الضحاك : ﴿ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ في الدنيا، ولا يحاسبه في العقبى .

وروى الربيع بن أنس عن أبي العالية : هذا مثل المؤمن : ذكر الله في الآية نور قلبه .

وفي مصحف أُبي رضي الله عنه : (مثل نور من آمن) .

قال أبو الحسن : قد ذكرنا أقوال المفسرين في الآية، وبقيت لأهل المعاني أقوال؛ قال سيبويه : من همز قوله : (دريء) فهو من درأ، يدرأ : أي دفع شعاعه أبصارهم .

قال ثعلب : هو من درأ، أي دفع من قوله سبحانه : ﴿ وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ ﴾

(١) لم أستطع قراءة هذه الكلمة، وكتبتها كما هي .

[النور : ٨]، والمعنى أن الملائكة يدفعون الشياطين إذا رجموا .

قال الدريدي في كتاب (الجمهرة)، هو من [درأ يدرأ إذا بسط، وأنشد][1]:

تقول إذا درأت لها وضيني أهـــذا دينـــه أبـــدًا ودِيـــني

أي : بسطت .

قال قطرب: هو من ظهوره، أي هو أظهر من جميع الكواكب، تقول العرب: درأ البعير، إذا ظهرت غدته، وأنشد :

يا أيها الدارئ كالمنكوف [2]

قال المبرد : دُري ودِرى، كقولك : سُخري وسِخرى .

فأما قوله : ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾/ فاختلفوا فيه، فقال قوم : نور المؤمن، ونور (٤٤/ب صدره، ونور قلبه .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما : نور المشكاة ونور الزجاجة ونور المصباح [3] .

قال أبيّ بن كعب رضي الله عنه : كلام المؤمن نور، وعمله نور، ومدخله نور، ومخرجه نور، ومصيره إلى النور يوم القيامة [4] .

قال السدي : نور النار ونور الزيت، إذا اجتمعا أضاءا، كذلك نور الإيمان ونور القرآن إذا اجتمعا [5] .

قال الحسن : الزيت الذي كاد يُضيء من نوره إذا نظرت إليه من غير أن

---

(١) ما بين القوسين كتب بهامش الأصل.

(٢) البيت في (لسان العرب) (٤/ ٦١٣) منسوب إلى رؤبة .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٠٣) .

(٤) المصدر السابق .

(٥) المصدر السابق .

تمسه النار، فإذا مسته نار ازداد ضوءًا؛ كذلك المؤمن يزداد إيمانًا ونورًا إلى نور، وهذا مثل ضربه الله للقرآن .

قال عبد العزيز بن يحيى : نُور المشكاة، ونور الزجاجة، ونور المصباح، ونور المؤمن، ونور صدره، ونور قلبه، ونور استدلاله .

قال الحُسين بن الفضل زيادةً على ما قال عبد العزيز : نور نفس المؤمن وقلبه ومعرفته، ونور الشجرة ونور الثمرة ونور الدهن، ونور الشمس ونور القمر ونور الكواكب، ونور إبراهيم ونور إسماعيل ونور محمد ﷺ ونور الأنبياء صلوات الله عليهم والعلماء والمؤمنين في القلب نور، ونور الرب يتخذه نور على النور دلائل على الصمد .

وقوله سبحانه : ﴿ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾ يعني إلى نوره، ونظيره: ﴿ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴾ [الزلزلة : ٥] أي إليها، وقوله : ﴿ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ﴾ [آل عمران : ١٦٧] أي إلى الكفر وإلى الإيمان؛ قال الأعشى :

لـبـيـتـك إذ بـعـضـهـم بيته ... من الشر ما فيه من مستكن [٢]

أي : إلى بيتك .

(١) انظر : (ديوان الأعشى) (ص : ٩٩١) ، وهو في مدح قيس بن معديكرب .

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴾ [النور : ٣٩] ..

ومنها في هذه السورة قوله ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ ﴾ [النور:٣٩].

قال ابن عباس : هذا مثل الكافر ضربه الله لعمله فجعله في الآخرة كسراب بقاع من الأرض، يحسبه العطشان ماء إذا رآه من بعيد .

فإذا أراد شربه لم يجده شيئًا، فكذلك الكافر يوم القيامة يغتر بعمله ويحسبُ أنه على شيء حتى إذا جاءه لم يجد عمله شيئًا إلا كما وجد العطشان/ السراب، (٤٥/أ) وقدم على الله، ﴿فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ﴾ عمله .

قال مجاهد : إتيانه إياه موته [١] .

(١) أخرجه الطبري (١٨/ ١٤٩)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٦١٠) بنحوه .

سورة الـــروم

قال تعالى: ﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الروم : ٢٨] .

ومنها في سورة الروم قوله تعالى : ﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ [الروم:٢٨] .

يعني : بَيَّن لكم فانظروا واعتبروا، هل تشركون عبيدكم ومواليكم فيما تملكونه حتى يكونوا مثلكم في الحكم سواء تخافونهم أن يقاسموكم كما يخاف الرجل أخاه وأباه وابنه في المال الذي بينهم، يقول : فإذا كرهتم هذه الحال لأنفسكم مع عبيدكم فلم تشركون عبيدي معي، وهذا حجاج على عبدة الملائكة وعيسى وعُزير .

قال مقاتل : تخافون الأحرار أن يرثوكم [١]، وقال : نزلت في مشركي قريش: يا أيها الأحرار، هل يفعلون مثل هذا عبيدكم ؟ [٢] .

قال قتادة : هذا مثل ضربه الله لمن عدل به شيئًا من خلقه، يقول : فهل يشرك أحدكم عبده في فراشه وزوجه، فكما كرهتم هذا لأنفسكم فكذلك لا تعدلوا بي شيئًا من خلقي [٣] .

قال القتيبي : يقول : هل لكم من عبيدكم يحكمون كحكمكم ويأمرون كأمركم، ﴿ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ﴾ هو كالرجل له شريك في ماله فلا يستبد بشيء دون شريكه، ﴿ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ أمر الله، ويقال : يعقلون عن الله، ويقال : تعلمون الأمثال .

---

(١) انظر : (تفسيره) (٣/ ٤١٢) .

(٢) المصدر السابق .

(٣) أخرجه عبد الرزاق، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، كما في (الدر المنثور) (٤/ ٢٩٨) .

سورة يـــس

قال تعالى:﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾ [يس:١٣].

ومنها في سورة يس قوله تعالى: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا﴾ الآية [يس:١٣].

أجمع أهل التفسير على أن القرية أنطاكية [١]، واختلفوا في المرسلين، فقال محمد بن إسحاق بن يسار: كانوا عَبدة الأوثان فأرسل إليهم عيسى عليه السلام رسولين أحدهما تاروص والآخر ماروص.

قال مقاتل ين سليمان: أحدهما تُومَان والآخر ماروص [٢].

قال وهب بن منبه: أحدهما يُوحنا والآخر يونس.

قال ابن عباس ومقاتل: وجّه عيسى عليه السلام/ رسولين، فلما قربا من المدينة (٤٥/ب) رأيا شيخًا يرعى غُنيمات له، فقال لهما: من أنتما؟

قالا: رسولا عيسى؛ يدعوكم من عبادة الأوثان إلى عبادة الله عز وجل.

قال: أمعكما آية؟ قالا: نعم، نحن نشفي المرضى، ونبرئ الأكمه والأبرص.

فقال لي ابن صاحب فراش منذ سنين، قالا: وأين هو؟ فأراهما الابن، فمسحاه فقام في الوقت وشفاه الله، ففشا الخبر في البلدة وشفى الله على يديهما كثيرًا من الناس، فرفع الخبر إلى ملكهم شلاحين فدعاهما، وقال لهما: من أنتما؟ قالا: رسولا عيسى عليه السلام.

---

(١) انظر: (جامع البيان) للطبري، و (الدر المنثور) للسيوطي، تحت الآية.

(٢) في (تفسيره): تومان ويوبس.

قال : وما آيتكما ؟ قالا نشفي المرضى ونبرئ الأكمه والأبرص .

قال : ففيم جئتما ؟ قالا : جئنا ندعوك من عبادة ما لا يسمع ولا يُبصر إلى عبادة من يسمع ويبصر .

قال شلاحين : أولنا إله سوى آلهتنا ؟ قالا : نعم، من أوجدك وآلهتك .

قال : قوما حتى أنظر في أمركما، فأخذهما الناس فضربوهما في السوق، وكان اسم الشيخ الذي ذهب بهما إلى منزله حبيب بن إسرائيل النجار، وكان آمن بالنبي ﷺ؛ لأن الأنبياء لم يؤمن بهم أحد إلا بعد الدعوة، وآمن بالنبي ﷺ تبع الأكبر ملك اليمن، وورقة بن نوفل، وزيد بن عمر بن نفيل وغيرهم .

قال مقاتل : فلما أخذوا الرسولين وضربوهما بعث عيسى رسولًا ثالثًا؛ قال محمد بن إسحاق : اسمه شمعون الصفا، وكان من الحواريين .

قال مقاتل : اسمه شمعان، وهو الذي قال الله تعالى : ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ أي قوينا [١] .

فجاء حبيب النجار من أقصى المدينة، وهو قوله : ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ﴾ يعني حبيبًا، ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ يعني الرسل الثلاثة، وقال للرسولين : أوتسألان أجرًا على ما جئتما به ؟ قالا : لا والله، فذلك قوله حكاية عنهم/ : ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم (٤٦) مُّهْتَدُونَ﴾، قالوا له : أتعبد غير إلهنا ؟ قال: ﴿وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ مصنوعة لا تعقل ولا تسمع ولا تبصر، ﴿إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ﴾ الآية، فخرقوا خرقًا في حلقه فعلقوه

(١) انظر : (تفسير مقاتل) (٣/ ١٥٧٧)، وعنده (شمعون) بدلًا من (شمعان) .

في سور المدينة، وقبره في سوق أنطاكية، فأوجب الله له الجنة، ﴿ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَ ﴾ الآية [١] .

﴿ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ ﴾ [يس:٧٧].

ومنها في هذه السورة أيضًا قوله جل ذكره : ﴿ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلۡإِنسَٰنُ ﴾ الآيات [يس : ٧٧] .

قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني : أُبيّ بن خلف بن حُذَافة السهمي، وذلك أنه أتى أبا جهل وعُتبة وشيبة والوليد بن المغيرة، والعاص [٢] بن وائل السهمي، فقال لهم : ألا ترون إلى ما يقوله محمد ؟ قالوا : وما يقول ؟

قال : يقول أَنّ الله يبعث الأموات، وأخذ عَظمًا باليًا، فقال : واللات والعزى لأسرن إليه ولأخصمنه، فأتى النبي ﷺ وبيده ذلك العظم، فقال : يا محمد، أترى الله يحيي هذا بعدما رَمَّ ؟ قال : نعم، ويبعثك ويدخلك النار، فأنزل الله : ﴿ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ ﴾[٣] أي جدل ظاهر.

---

(١) انظر : (تفسير الثعلبي) (٨/ ١٢٤) .

(٢) بالأصل (أبا العاص) بزيادة (أبا)، وهذا تصحيف .

(٣) أخرجه ابن مردويه؛ كما في (الدر المنثور) للسيوطي (٥/ ٥٠٧) .

قال أبو عمرو : وقد اختلف أهل التفسير في سبب نزول الآية، فقد ورد أن سبب نزولها عبد الله بن أبي، وكذلك : العاص بن وائل وأمية بن خلف .

قال الإمام ابن كثير متعقبًا :

« وعلى كل تقدير سواء كانت هذه الآيات قد نزلت في أبي بن خلف أو العاص بن وائل أو فيهما، فهي عامة في كل من أنكر البعث، والألف واللام في قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلۡإِنسَٰنُ ﴾ للجنس؛ يعم كل منكر للبعث، ﴿ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ ﴾، أي : أولم يستدل من أنكر البعث بالبدء على الإعادة فإن الله ابتدأ خلق الإنسان من سلالة من ماء مهين، فخلقه من شيء حقير ضعيف مهين، كما قال ﷻ : ﴿ أَلَمۡ نَخۡلُقكُّم مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ۝٢٠ فَجَعَلۡنَٰهُ فِي قَرَارٖ مَّكِينٍ ۝٢١ إِلَىٰ قَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ﴾ [المرسلات : ٢٠-٢٢] .

=

سمعت أبا زكريا يحيى بن محمد بن عبد الله العنبري، سمعت أبا العباس أحمد بن محمد بن الأزهر السجزي، سمعت سهل بن محمد يقول : الخصم في الحق، والخصيم في الباطل، واحتج بقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴾ [النساء : ١٠٥] .

﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ﴾ يعني : ابتداء أمره، ﴿ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴾ أي بال، وكان حقه أن يقول رميمة، وإنما ذكر لأنه معزول عن فاعله، وكل ما عزل بخس حظه من الإعراب، ونظيره : ﴿ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴾ [مريم : ٢٨] أي باغية [(١)] .

﴿ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ وكانت ماء، ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ ثم عظم نفسه واحتج على المشركين بقوله جل ذكره : ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا ﴾ [يس : ٨٠]، قال الأخفش : الشجر جمع شجرة، إنما قال الأخضر/ وكان حقه (الخضر) لأنه رده إلى اللفظ، ونظيره : (٤٦/ ﴿ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ﴾ [المزمل : ١٨] والسماء مؤنثة .

قال ابن عباس : هما شجرتان؛ يقال لأحدهما المرخ وهي ذكر، والأخرى العقار وهي أنثى، فمن أراد منهما النار قطع منهما مثل السواكين وهما خضراوان فسحق المرخ على العقار، فخرجت منهما نار بإذن الله تعالى [(٢)]، فذلك قوله تعالى : ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴾ أي تقدحون، ﴿ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ

= وقال تعالى : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ ﴾ [الإنسان : ٢]، أي : من نطفة من أخلاط متفرقة، فالذي خلقه من هذه النطفة الضعيفة، أليس بقادر على إعادته بعد موته » . تفسير القرآن العظيم، تحت الآية .

(١) انظر : (تفسير الثعلبي) (٨/ ١٣٧) .

(٢) المصدر السابق، و (تفسير القرآن العظيم) لابن كثير؛ فقد عزاه له .

شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴾ [الواقعة : ٧١-٧٢] يعني الخالقون .

يعني المرخ والعقار، تقول العرب [١] : كل شجر فيه نار، واستمجد المرخ والعقار، يعني النار أكثر فيهما من الأشجار الأخر، وقد أجمع الناس على أن كل شجر فيه نار، إلا العناب [٢]، قال الأعشى يمدح قيس بن معديكرب :

زنـــداك خـير زنـــاد الملـوك خالط منهن مرخ عفارًا [٣]

(١) (لسان العرب) مادة (مرخ)، و (جمرة الأمثال) (٢/ ٩٢)، و (مجمع الأمثال) (٢/ ٧٤)، و (المستقصي) (٢/ ١٨٣)، و (الكشاف) (٣/ ٣٣٢) .

(٢) قال ابن كثير : قال الحكماء : في كل شجر نار إلا الغاب .

(٣) (ديوانه) (٤٨) .

سورة الزمـــر

قال تعالى :﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [الزمر:٢٧]

ومنها في سورة الزمر قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ﴾ [الزمر : ٢٧]، أي بينا في كل شبه من العلوم، ﴿ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ فيتعظون ويعتبرون .

﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ ﴾ روى عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما : قال : غير مختلف [١] .

قال عثمان بن عفان رضي الله عنه : غير ذي عوج : غير متضاد، وقال بكر بن عبد الله المزني : ﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ ﴾ غير ذي لحن .

قال السدي : غير مخلوق [٢] .

قال الحسين بن الفضل : غير محدث، قال عبد العزيز بن يحيى : غير متفاوت، ﴿ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ قال الضحاك : لعلهم يتقون الكفر والشرك، قال السدي : لعلهم يتقون التكذيب بالقرآن [٣] .

---

(١) إسناده ضعيف :

علي بن أبي طلحة لم يدرك ابن عباس رضي الله عنهما، وأخرجه الآجري في (الشريعة) (١٧٢)، والبيهقي في (الأسماء والصفات) (٥٢٤)، واللالكائي في (شرح أصول الاعتقاد) (٣٥٤، ٣٥٥)، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله : ﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ ﴾ قال : غير مختلف .

وهذا إسناد ضعيف كما تقدم .

(٢) انظر : (النكت والعيون) للمصنف (٥/ ١٢٤) .

(٣) انظر : (المحرر الوجيز) لابن عطية (١٢/ ٥٣٠) .

قوله تعالى : ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما : مثلًا شبهًا، ومتشاكسون مختلفون، وهي الأصنام التي كانوا يعبدونها؛ كلهم يدّعيها ويزعم أنه أولى بها [١] .

قال كيسان : زعموا أنهم هم الذين ابتدأوها ونحتوها وصنعوها .

قال مجاهد : هذا مثل آلهة السوء وإله الحق، قال قتادة : هو المشرك ينازعه الشيطان [٢]،/ قال الكسائي [٣] : ضرب الله مثلًا رجلًا ترجمة للمثل (٤٧/ وتفسير له، وإن شئت نصبته بنزع الخافض، فقلت : ضرب الله مثلًا لرجل فيه شركاء ورجل سلمًا لرجل .

قال ابن عباس: هو المؤمن، سلّم دينه لله وحده، هل يستويان في الطاعة مثلا[٤].

قال قتادة : ﴿ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ ﴾ ، هو المؤمن المخلص؛ أخلص الدعوة والعبادة[٥] .

قال الضحاك : ﴿ مُتَشَٰكِسُونَ ﴾: متشاحون ورجلًا سلمًا لرجل : أي خالصًا، هذا مثل من يعبد آلهة شتى، ومن يعبد الله وحده .

قال مقاتل : وذلك أن المشركين دعوا رسول الله ﷺ إلى ملة آبائهم

---

(١) إسناده ضعيف :

أخرجه الطبري (٢٤/ ٢١٦-٢١٧)، عن محمد بن سعد، ثني أبي .. إلى ابن عباس رضي الله عنهما بنحوه، وهذا إسناد ضعيف، تكلمنا عليه من قبل .

(٢) المصدر السابق (٢٤/ ٢١٦) .

(٣) انظر : (تفسير الثعلبي) (٨/ ٢٣٣) .

(٤) تقدم آنفًا .

(٥) أخرجه الطبري (٢٤/ ٢١٦)، وأورده المصنف في (النكت والعيون) (٥/ ١٢٤) ولم يعزه .

وعبادة اللات والعزى، فضرب الله تعالى لهم ولآلهتهم مثلًا، فقال عز من قائل : ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ ﴾ أي متنازعون، ﴿ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ ﴾ لا شركة لأحد فيه، ﴿ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ﴾ أي هل يستوي عبد يشرك فيه نفر مختلفون يملكونه جميعًا مع عبد لا شركة لأحد فيه، هل يستويان في الشبه؟

قال مقاتل بن حيان : فخصمهم الله بهذا فقال : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ توحيد ربهم [١] .

قال المؤرج : ﴿ مُتَشَٰكِسُونَ ﴾ أي متماسكون، يقال : شاكسني فلان وماكسني[٢]، قال الفراء في قوله : ﴿ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ﴾ : ولم يقل مثلين؛ لأنهما ضربا مثلًا واحدًا، ومثله : ﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً ﴾ [المؤمنون : ٥٠]، ولم يقل آيتين لأن شأنهما واحد [٣] .

قال أبو الحسن : وأصل الشكاسة سوء الخلق، يقال : رجل شكس، شرس ضرس خبس، إذا كان يخالف الناس وينازعهم، أنشدني أبو سعيد [أحمد بن محمد بن رميح] [٤] :

أراك موافقًا حينًا وحينًا ... تكون مخالفًا شكسًا أبيًّا
فأحيانًا تكون أخًا وخلا ... وأحيانًا تصادف أجنبيًّا

قال ابن عباس : متشاكسون مخالفون، وقرأ (ورجلًا سالمًا) بالألف وبه

---

(١) انظر : (تفسير مقاتل) (٣/ ٦٧٦-٦٧٧) .
(٢) (تفسير الثعلبي) (٨/ ٢٣٣) .
(٣) (معاني القرآن) للفراء (٢/ ٤١٩) .
(٤) ما بين القوسين كتب بهامش الأصل.

قرأ الحسن وابن كثير وأبو عمرو وفسروه خالصًا، واختاره أبو عبيد [١]،/ (٤٧/ب وقال : إنما اخترناه لصحة التفسير فيه، ذلك أن السلم الخالص، وهو ضد المشرك، والسلم ضد المحارب ولا موضع للحرب هاهنا [٢] .

وقرأ سعيد بن جبير : (ورجلًا سلِمًا) بسكون اللام وكسر السين .

(١) انظر : (السبعة) (ص : ٥٦٢)، و (التيسير) (ص : ١٨٩)، و (النشر) (٢/ ٣٦٢) .

(٢) (الجامع لأحكام القرآن) للقرطبي (١٨/ ٢٧٤)، و (تفسير الثعلبي) (٨/ ٢٣٣)، و(المحرر الوجيز) (٤/ ٥٣٠) .

سورة الزخرف

قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾ [الزخرف: ٥٧]..

ومنها في الزخرف قوله تعالى:﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾ الآية [الزخرف:٥٧].

قال مقاتل [١] : كان العاص بن وائل، والحارث بن قيس، وعدي بن قيس قعدوا في المسجد فأتاهم النبي ﷺ فقرأ عليهم : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ الآية [الأنبياء : ٩٨]، ثم قام عنهم فخاضوا في أمر الآلهة، فأتاهم عبد الله بن الزبعري، فقال لهم : فيم أنتم ؟ فقصوا عليه القصة .

فقال : والله لئن لقيته لأخصمنه، فدخل رسول الله ﷺ، فقال له عبد الله : من عنيت بقولك : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ أعنيتنا وآلهتنا، أم كل عابد يعبد من دون الله شيئًا ؟

فقال النبي ﷺ : « عنيتكم وإياهم » .

فقال : خصمتك ورب الكعبة، أليست النصارى يعبدون عيسى وأمه، وكثير من الناس يعبدون الملائكة فإن كان عيسى وأمه والملائكة في النار فقد رضينا أن نكون معهم؛ فأنزل الله ﷻ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ [الأنبياء : ١٠١] [٢]، يعني عيسى وعزيرًا

---

(١) (تفسيره) (٣/ ٧٩٨-٧٩٩).

(٢) حسن :

أخرجه أحمد (١/ ٣١٧-٣١٨)، وابن حبان (٧/ ٦٨)، عن شيبان بن عبد الرحمن، عن عاصم، =

والملائكة.

و (إنّ) ها هنا بمعنى (إلا)، وقوله: ﴿مُبْعَدُونَ﴾ أي عن النار، وأنزل الله: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾، أي لما ذكر حين ذُكرت الآلهة [١].

﴿إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾، قال ابن عباس وسعيد بن جبير وعكرمة وعاصم الجحدري والأعمش وحمزة وأبو عمرو: ﴿يَصِدُّونَ﴾ بكسر الصاد، واختاره أبو عبيد وأبو حاتم [٢].

وقرأ إبراهيم النخعي والكسائي ويحيى بن وثاب الضم [٣]، ورووا عن علي كرم الله وجهه قال الفراء: من كسر أراد الضجيج والصياح، ومن ضم أراد يُعرضُون عن الإيمان والاعتبار [٤].

قال ابن عباس ومجاهد: ﴿يَصِدُّونَ﴾ يضجون [٥]، قالت قريش: إنما يريد محمد ﷺ أن يعبد كما عبد قوم عيسى عيسى، قال الضحاك: ﴿يَصِدُّونَ﴾ يعجون [٦]،/ قال قتادة: يجزعون [٧]، قال سعيا ٤٨/أ

= عن أبي رزين، عن أبي يحيى مولى ابن عقيل، عن ابن عباس .. بنحوه.
وأخرجه الواحدي في (أسباب النزول) (ص: ٣٠٥) رقم (١٠١)، والطبراني في (الكبير) (١٢/ ١٥٣) رقم (١٢٧٣٩)، والحاكم (٢/ ٣٨٥) وصححه، ووافقه الذهبي، عن عاصم به.
وانظر كذلك (النكت والعيون) للمصنف (٥/ ٢٣٣).

(١) انظر: (تفسير مقاتل) (٣/ ٧٩٨).

(٢) انظر: (السبعة) (ص: ٥٨٧)، و(التيسير) (ص: ١٩٧)، و(جامع البيان) للطبري (٢٥/ ٨٧-٨٨).

(٣) (الجامع لأحكام القرآن) (١٩/ ٦٦).

(٤) هذا القول ليس في المطبوع، ولعل الكلمة (القراء) بالقاف، والله أعلم.

(٥) أخرجه الطبري (٢٥/ ٨٨)، والمصنف في (النكت والعيون) (٥/ ٢٣٣).

(٦) أخرجه الطبري (٢٥/ ٨٩) (يضجون).

(٧) المصدر السابق، و(النكت والعيون) (٥/ ٢٣٣).

المسيب: يصيحون [١]، قال محمد بن كعب : يضجرون [٢]، قال أبو حاتم : ﴿ يَصِدُّونَ ﴾ يعرضون، ويصدون يلفظون .

قال الكسائي : هما واحد، وهما لغتان، ونظيرهما من الكلام يعرشون ويعرشون، ويعتلون ويعتلون، وَدَرَّتِ الشاةُ تَدِرُّ وتَدُرُّ [٣] .

﴿ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَ ﴾ يعني : عيسى [٤] على الاستفهام، كان حكمًا منهم بأن آلهتهم خير من عيسى، قال الله تعالى : ﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢا ﴾ أي ما أرادوا بضربهم هذا المثل إلا مخاصمتك، قال أهل المعاني : ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا ﴾ أي لما جعل خلق عيسى بلا أب دلالة على ابتداء الخلق، وعلى هذا القول كان ضرب المثل من الله تعالى [٥]، ﴿ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ﴾ جَدِلون بالباطل، ﴿ إِنۡ هُوَ إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ ﴾ أي ما عيسى إلا عبد أنعمنا عليه بالنبوة، ﴿ وَجَعَلۡنَٰهُ مَثَلٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾ حيث كَوَّنَّاه بلا أب .

﴿ وَلَوۡ نَشَآءُ لَجَعَلۡنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةٗ ﴾ الآية، قال ابن عباس رضي الله عنهما : فيكونون خلفًا منكم [٦]، قال مجاهد : يعمرون الأرض كما تعمرون [٧]، قال الضحاك: يكونون بدلًا منكم، قال الحسن : يخلف بعضكم عن بعض .

---

(١) أخرجه عبد بن حميد، كما في (الدر المنثور) (٦/ ٧٢٨)، قوله : (يضجون) .

(٢) (تفسير الثعلبي) (٨/ ٣٤٠) .

(٣) المصدر السابق .

(٤) ورد عن السدي وابن زيد كما في (جامع البيان) (٢٥/ ٨٩) .

(٥) كلمة لم أستطع قراءتها .

(٦) إسناده ضعيف :

أخرجه الطبري (٢٥/ ٩١)، وإسناده ضعيف؛ علي بن أبي طلحة لم يدرك ابن عباس رضي الله عنهما .

(٧) أخرجه الطبري (٢٥/ ٩١)، وأورده المصنف عنه في (النكت والعيون) (٥/ ٢٣٥) .

ثم أخبر عن نزول عيسى، فقال : وإنه لعلم للساعة، يعني نزول عيسى من أشراط الساعة .

واختار أبو عبيد وأبو حاتم كسر العين وسكون اللام، وقرأ ابن عباس وأبو هريرة وقتادة ومالك بن دينار (لَعَلَم) بفتح العين واللام [١]، يعنون نزول عيسى أمارة وعلامة، ودلالة على قرب الساعة .

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما : إن عيسى ينزل ببيت المقدس والناس في صلاة العصر، والإمام يؤتم بهم فينزل فيتأخر الإمام فيقدمه عيسى؛ ويصلي معه صلاة العصر على هذه الشريعة [٢] .

قال مقاتل : ينزل على ثَنِيّة، وهي جبل صغير بالأرض المقدسة يقال له: أفيق وعليه ممصرتان دهين شعر رأسه/ وبيده حربة، وهي التي يقتل بها (٤٨/ ب) الدجال [٣]، قال السدي : ينزل عيسى فيقتل الخنازير، ويخرب البيع والكنائس، ويقتل النصارى إلا من آمن به .

---

(١) انظر : (القراءات الشاذة) (ص : ١٣٥-١٣٦)، و (المحرر الوجيز) (٥/ ٦١) .

قال الإمام الطبري رحمه الله :

« واجتمعت قراء الأمصار في قراءة، قوله : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ ﴾ على كسر العين من العلم، وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما ما ذكرت عنه في فتحها، وعن قتادة والضحاك .

والصواب من القراءة في ذلك الكسر في العين، لإجماع الحجة من القراء عليه، وقد ذكر أن ذلك في قراءة أبي، ﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ ﴾؛ فذلك مصحح قراءة الذين قرءوا بكسر العين من قوله : ﴿ لَعِلْمٌ ﴾ » .

(جامع البيان) (٢٥/ ٩٣) .

(٢) إسناده صعيف :

تقدم الكلام عليه، أما نزول عيسى؛ فانظره في كتابنا (الصحيح من كتب السنة في العقيدة)، باب (نزول عيسى؛)، يسر الله إتمامه على خير .

(٣) انظر : (تفسيره) (٣٠/ ٨٠٠) .

سورة الفتح

قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩]..

ومنها في سورة الفتح قوله جل ذكره: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ﴾ إلى آخر السورة [الفتح: ٢٩].

وهذا من الجواب المفصول، وابتداءه ما حكى الله عن المشركين: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا﴾ [الرعد: ٤٣]؛ فرد الله تعالى قولهم بقوله: ﴿يس ۝١ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [يس: ١-٣]، وبقوله في القصص: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨]، وبقوله في الأحزاب: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا﴾ [الأحزاب: ٤٥]، وبقوله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ﴾؛ فهذه أجوبة متفرقة في سور مختلفة لابتداءٍ واحدٍ.

ومعنى (محمد) من أكثر حمده؛ لأن التفعيل تكثير الفعل، نحو قوله: ﴿وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ﴾ [يوسف: ٢٣]، ﴿وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ [إبراهيم: ٦][1]، فاسمه كرامة، واسم سائر الأنبياء علامة، وفيه يقول العباس بن عبد المطلب:

ألم تر أن الله فضل أحمدًا ... ببرهانه والله أعلا وأمجدا
وشق له من اسمه لمحله ... فذو العرش محمود [وهذا محمد][2]

---

(١) في الأصل: (أبنائهم)، وهذا وهم واضح جلي.

(٢) هذا البيت لحسان بن ثابت رضي الله عنه، وهو في (ديوانه) (١/ ٦٠٣).

قال ابن عباس : اسمه في السماء (أحمد) وفي الأرض (محمد)، وأما (أحمد)؛ فإن الحسين بن الفضل، قال : الأنبياء كلهم حامدون ونبينا ﷺ أحمد منهم، أي أكثر حمدًا كما يقول رجل عالم، وهذا أعلم منه .

قال أبو حاتم : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ﴾ ابتداء وخبره : ذلك مثلهم، وإن جعلت قوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ ابتداء كان الخبر قوله : ﴿ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ ﴾ (١)، قال ابن عباس رضي الله عنهما : ﴿ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ ﴾، أي : فيهم الغلظة والعنف على الكفار، ﴿ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾، متوادون (٢)، قال قتادة : يرحم بعضهم بعضًا (٣)، قال السدي: يتعاطفون فيما بنهم بالبر والصلة .

﴿ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا ﴾، أي : تراهم حراصًا على الصلوات ليلًا ونهارًا، ﴿ يَبْتَغُونَ ﴾ : يطلبون، ﴿ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ﴾، ﴿ سِيمَاهُمْ ﴾ أي : علامتهم، قال ابن عباس رضي الله عنهما : يعني أثر السهر والصُفرة في الوجه (٤)، قال الحسن : يحسبهم مرضى وما هم مرضى (٥)، قال مجاهد : هي الخشوع والتواضع (٦)، قال عكرمة : هي ما أخذت الجبهة من التراب (٧) ./ (٤٩/أ)

(١) انظر : (الجامع لأحكام القرآن) للقرطبي (١٩/ ٣٤٠) .
(٢) (الوسيط) للواحدي (٤/ ١٤٦) .
(٣) أخرجه الطبري (٢٦/ ١١٢) .
(٤) أخرجه ابن نصر وابن المنذر؛ كما في (الدر المنثور) (٦/ ٨٢)، عن مجاهد .
(٥) انظر : (الجامع لأحكام القرآن) للقرطبي (١٩/ ٣٤٣) .
(٦) أخرجه الطبري (٢٦/ ١١٣) .
(٧) المصدر السابق (٢٦/ ١١٤) .
قال الإمام الطبري رحمه الله :
« وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : إن الله تعالى ذكره أخبرنا أن سيما هؤلاء القوم الذين وصف صفتهم في وجوههم من أثر السجود، ولم يخص ذلك على وقت دون وقت، وإذا كان ذلك كذلك، فذلك على كل الأوقات . =

قال أبو العالية : يسجدون على التراب لا على الأثواب، قال أنس بن مالك رضي الله عنه : يعرفون يوم القيامة غُرًّا محجلين، قال عطاء : استنارت وجوههم من طول ما صلوا، قال الربيع بن أنس : حَسَنت وجوههم من كَثرة الصلاة، واحتج بحديث النبي ﷺ : « **من كثر صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار** » (١) .

= فكان سيماهم الذي كانوا يعرفون به في الدنيا أثر الإسلام، وذلك خشوعه وهديه وزهده وسمته، وآثار أداء فرائضه وتطوعه، وفي الآخرة ما أخبر أنهم يعرفون به، وذلك الغرة في الوجه والتحجيل في الأيدي والأرجل من أثر الوضوء، وبياض الوجوه من أثر السجود » . (جامع البيان) (٢٦/ ١١٤) .

(١) حديث موضوع :

أخرجه ابن ماجه (١٣٣٣)، والأصبهاني في (تاريخ أصبهان) (١/ ٣٥٨)، والعقيلي في (الضعفاء) (١/ ١٩٣) ترجمة (٢٢١)، وابن حبان في (المجروحين) (١/ ٣٣)، والخطيب في (تاريخ بغداد) (١/ ٣٤١)، (١٣/ ٣٨)، وابن الجوزي في (الموضوعات) (٢/ ١٠٩-١١٠)، من طرق عن ثابت بن موسى الزاهد، حدثنا شريك، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر رضي الله عنه مرفوعًا ... الحديث .

وهذا حديث موضوع .

قال ابن أبي حاتم : « سمعت أبي يقول : كتبت عن ثابت بن موسى عن شريك عن الأعمش عن أبي شفيان عن جابر عن النبي ﷺ ... الحديث .

قال أبي : فذكرته لابن نمير، فقال : الشيخ لا بأس به، والحديث منكر .

قال أبي : الحديث موضوع » العلل (١/ ٥٩٢) رقم (٦٩١).

وقال العقيلي : « باطل ليس له أصل، ولا يتابعه عليه ثقة » .

وقال ابن الجوزي رحمه الله بعدما ساق روايات مختلفة وشواهد للحديث : « هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ .

فأما رواية جابر ففي الطريق الأول منها عبد الحميد بن بحر؛ قال ابن حبان: يسرق الحديث ويحدث عن الثقاة بما ليس من حديثهم، لا يصح الاحتجاج به بحال .

وفى الطرق البواقي ضعاف ومجاهيل كذابون؛ فمن الضعاف محمد بن أيوب، =

= ومن المجاهيل محمد بن ضرار وأبوه، ومن الكذابين العدوي .

وأما حديث أنس ففيه عثمان بن دينار؛ قال العقيلي : تروى عنه ابنته حكامة أحاديث بواطيل ليس لها أصل، قال : وهذا الحديث باطل لا أصل له .

قال ابن عدى : هذا الحديث لا يعرف إلا بثابت، وقد سرقه منه جماعة من الضعفاء منهم عبد الحميد بن عبد الله بن شبرمة وإسحاق بن بشر الكاهلي وموسى بن محمد أبو الطامر المقدسي.

قال: وبان [ورواه] بعض الضعاف عن رحمويه وكذب؛ فإن رحمويه نفسه [قال] : بلغني عن محمد بن عبد الله بن نمير أنه ذكر له الحديث عن ثابت فقال: باطل شُبه على ثابت، وذلك أن شريكًا كان مزّاحًا وكان ثابت رجلًا صالحًا، فيشتبه أن يكون ثابت دخل على شريك وهو يقول حدثنا الأعمش عن أبى سفيان عن جابر عن النبي ﷺ فالتفت فرأى ثابتًا فقال يمازحه: « **من صلى بالليل حسن وجهه بالنهار** »، فظن ثابت لغفلته أن هذا الكلام الذي قال شريك هو من الإسناد » .

قال أبو عمرو : أما القول ببطلانه فلا نخالف فيه، ولكن الأولى أن يحكم عليه بالوضع، كما نص على ذلك إمام الجرح والتعديل فيما نقله عنه ابنه عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي .

وأزيد على ذلك : قال الحافظ السيوطي رحمه الله في كتابه (أعذب المناهل)؛ فيما نقله عنه المناوي في (فيض القدر) (٦/ ٢٨٢، ٢٨٣) رقم (٨٩٨٩) : « ومن العجب العجاب أن المؤلف أي السيوطي قال في كتابه (أعذب المناهل) أن الحُفاظ حكموا على هذا الحديث بالوضع، وأطبقوا على أنه موضوع، وهذه عبارته؛ فكيف يورده في كتاب ادعى أنه صانه عما تفرد به وضاع ؟!

قال أبو عمرو: وعلة الحديث هو ثابت بن موسى، وقد وسموه بالوضع من أجل ذاك الحديث.

وللحديث قصة قصها الحاكم رحمه الله في (المدخل) (ص : ٢٧)، فقال :

« دخل ثابت بن موسى الزاهد على شريك بن عبد الله القاضي، والمستملي بين يديه وشريك يقول : ثنا الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : ... ولم يذر المتن .

فلما نظر إلى ثابت قال : « من كثر صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار »، وإنما أراد بذلك ثابت ابن موسى لزهده وورعه، فظن ثابت بن موسى أنه روى الحديث مرفوعًا بهذا الإسناد .

وكان ثابت بن موسى يحدث به عن شريك، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر، وليس لهذا الحديث أصل إلا من هذا الوجه، وعن قوم من المجروحين سرقوه من ثابت بن موسى، ورووه عن شريك . =

= قال أبو عمرو : وقد اتفق أهل الحديث على أنه لم يتعمد الكذب، إنما هي غفلة، ومع هذا وذاك قد حكم أهل الشأن على الحديث بالوضع، كما تقدم آنفًا .

وانظر كذلك : (التقييد والإيضاح) (ص : ١١٠)، و (فتح المغيث) (١/ ١٣٤) .

وقد سبكه الحافظ العراقي في ألفيته نموذجًا لمن وضع الحديث على غفلةٍ وسهوٍ، فقال ﷺ في (فتح المغيث) (١/ ٣٠) أبيات (٢٣٦-٢٣٨) ط. السنة :

والواضعونَ بَعضهم قد صَنعا ... من عِند نفسه وبعضٌ وضَعا

كـــلامَ بعض الحكـما في المسند ... وفـيـه نـــوعٌ وضـعـه لم يُقصد

نحو حديثِ ثابتٍ من كثرْتَ ... صَـلاتَـه الحـديـثَ وهـلـةً سَرتْ

ولعل قائلًا يقول : وهل يحكم على الحديث بالوضع وليس في إسناده كذاب أو متهم ؟!

أقول : نعم، ولا يعرف ذاك إلا أهل الشأن، وإليك أمثلة على ما قلت مما نص عليه أئمتنا رحمة الله علينا وعليهم بالحكم بالوضع مع نصهم أن ليس في الإسناد من اتُّهم، أو كان من الكذابين الوضاعين.

* قال ابن أبي حاتم : « سألت أبي عن حديث رواه بقية، عن أبي سفيان الأنماري، عن يحيى بن سعيد الأنصاري، عن سعيد بن المسيب، عن عثمان ﷺ أن النبي ﷺ توضأ وخلل لحيته .

فقال : هذا حديث موضوع، وأبو سفيان الأنماري مجهول » العلل (١/ ٢٨٧) رقم (١٨٠) .

وقال : « وسألت أبي عن حديث؛ رواه بشر بن المنذر الرملي، عن محمد بن مسلم الطائفي، عن عمرو بن دينار، عن جابر بن عبد الله، عن النبي ﷺ، قال : « **العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة** »، قيل : وما بره يا رسول الله ؟ قال : « **إطعام الطعام، وطيب الكلام** » .

فسمعت أبي يقول : هذا حديث منكر، شبه الموضوع، وبشر بن المنذر كان صدوقا » (العلل) (١/ ٦٢٩) رقم (٨٩٢)، وانظر كذلك (المعجم الأوسط) للطبراني (٨/ ٢٠٣) .

* وقال : « وسألت أبي عن حديث؛ رواه عبد الكريم بن عبد الكريم الناجي، عن الحسن بن مسلم، عن الحسين بن واقد، عن ابن بريدة، عن أبيه، عن النبي ﷺ، قال : « **من حبس العنب أيام القطاف ليبيع من يهودي، أو نصراني، كان له من الله مقت** » .

قال أبي : هذا حديث كذب باطل .

قلت : تعرف عبد الكريم هذا ؟ قال : لا .

قلت : فتعرف الحسن بن مسلم ؟ قال : لا، ولكن تدل روايتهم على الكذب » (العلل) (٢/ ٦١) رقم (١١٦٥)، و (المجروحين) (١/ ٢٨٦)، و (المعجم الأوسط) (٥/ ٢٩٤) . =

= * وقال : « وسألت أبي عن حديث؛ رواه عبيد بن إسحاق، عن سنان بن هارون، عن حميد، عن أنس، قال : قالت أم حبيبة : يا رسول الله، المرأة منا يكون لها زوجان في الدنيا، ثم تموت، فتدخل الجنة هي وزوجاها، لأيهما تكون، للأول أو للآخر ؟ قال : « **تخير أحسنهما خُلقًا كان معها في الدنيا، فيكون زوجها في الجنة** »، قالت أم حبيبة : ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة .

قال أبي : هذا حديث موضوع لا أصل له، وسنان عندنا مستور » (العلل) (٢/ ١٠١-١٠٢) رقم (١٢٥٢)، و (مكارم الأخلاق) للخرائطي (ص : ٣٧)، و (المعجم الكبير) (٢٣/ ٢٢٢).

* وقال : « وسمعت أبي، وحدثنا : عن يحيى بن عثمان بن صالح المصري، عن أبيه، عن ابن لهيعة، عن أبي عشانة حَيّ بن يؤمن، عن عقبة بن عامر الجهني، قال : قال رسول الله ﷺ : « **لو كان فيكم موسى وعصيتموني دخلتم النار** » .

قال أبي: هذا حديث كذب، قال أبو محمد: أبو عشانة ثقة» (العلل)(٢/ ٤٣٥)رقم (١٩٤٥).

وما تقدم قطرة من يَمّ مما حكم عليه إمام الجرح والتعديل على أحاديث بالوضع وليس في الإسناد كذاب ولا متهم، ولا يقتصر الأمر على أبي حاتم الرازي رحمه الله، وإليك أمثلة عن غيره.

* قال الإمام ابن الجوزي : « أنبأنا عبد الوهاب بن المبارك، أنبأنا محمد بن المظفر، أنبأنا العتيقي، أنبأنا يوسف بن أحمد، حدثنا على بن عبد العزيز، حدثنا عارم، حدثنا حماد بن سلمة، عن على بن زيد، عن زيد ابن عياض، عن عيسى بن حطان الرقاشي، عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: « **أولاد الزنا يحشرون يوم القيامة في صورة الخنازير** » .

هذا حديث موضوع لا أصل له .

قال العقيلى : لا يحفظ من وجه يثبت .

قال المصنف ابن الجوزي قلت : وزيد بن عياض قد طعن فيه أيوب السختياني، وعلى بن زيد قال فيه أحمد ويحيى: ليس بشيء » (الموضوعات) (٣/ ١٠٩) .

وحال زيد : قال الذهبي : تكلم فيه أيوب السختياني، وقد ذكر ابن أبي حاتم زيدًا مختصرًا ولم يضعفه .

* وقال أيضًا : « أنبأنا أبو منصور القزاز، أنبأنا أبو بكر أحمد بن على الخطيب، حدثنى عبد العزيز بن على، حدثنا أبو القاسم الحسين بن أحمد بن محمد بن دينار الوراق، حدثنا محمد بن العباس بن سهيل، حدثنا أبو بكر بن زنجويه، عن عبد الله بن بكر السهمى، عن حميد عن أنس، قال : قال رسول الله ﷺ : « **لو اغتسل اللوطي بماء البحار لم يجئ يوم القيامة إلا جنبًا**». =

= قال الخطيب : الرجال المذكورون في إسناد هذا الحديث كلهم ثقاة غير أبي سهيل وهو الذي ضعفه » (الموضوعات) (٣/ ١١٢) .

* وقال : « أنبأنا ابن الحصين، أنبأنا ابن المذهب، أنبأنا أحمد بن جعفر، حدثنا عبد الله بن أحمد، حدثني أبي، حدثنا موسى بن داود، حدثنا محمد بن جابر، عن عمرو بن مرة، عن أبي البختري، عن حذيفة قال: كنا مع النبي ﷺ في جنازة، فلما انتهينا إلى القبر قعد على شقته فجعل يردد بصره، ثم قال: **«يضغط المؤمن فيه ضغطة تزول منها حمائله ويملأ على الكافر نارًا»**.

هذا حديث لا يصح .

قال يحيى : محمد بن جابر ليس بشيء، وقال أحمد : لا يحدث عنه إلا من هو شر منه » (الموضوعات) (٣/ ٢٣١) .

* قال : « حُدثت عن علي بن محمد بن عبد الحميد، أنبأنا أحمد بن علي بن لال، حدثنا أبو الحسن علي بن محمد بن عامر النهاوندي، حدثنا بكر بن سهل، حدثنا محمد بن أبي السري، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا عتبة بن ضمرة بن حبيب بن صهيب، عن أبيه، قال : قال رسول الله ﷺ : « **فتانو القبر أربعة: منكر ونكير وناكور، وسيدهم دومان** » .

هذا حديث موضوع لا أصل له، وهو مقطوع لأن ضمرة من التابعين، وقد روى لنا عن ضمرة نفسه ... » وساق بإسناده، (الموضوعات) (٣/ ٢٣٤-٢٣٥) .

* وهذا مثال آخر وبه أختم :

قال الحاكم : « حدثنا أبو العباس أحمد بن سعيد المعداني ببخارى، ثنا عبد الله بن محمود، ثنا عبدان بن سيار، ثنا أحمد بن عبد الله البرقي، ثنا يزيد بن يزيد البلوي، ثنا أبو إسحاق الفزاري، عن الأوزاعي، عن مكحول، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال : كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فنزلنا منزلًا، فإذا رجل في الوادي يقول : اللهم اجعلني من أمة محمد المرحومة المغفور المثاب لها .

قال : فأشرفت على الوادي؛ فإذا رجل طوله أكثر من ثلاثمائة ذراع، فقال لي : من أنت ؟

قال : قلت : أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ، قال : أين هو ؟

قلت : هو ذا يسمع كلامك، قال : فأته واقرئه مني السلام، وقل له : أخوك إلياس يقرئك السلام، فأتيت النبي ﷺ فأخبرته فجاء حتى لقيه فعانقه وسلم عليه، ثم قعدا يتحدثان .

فقال له : يا رسول الله، إني إنما آكل في كل سنة يومًا، وهذا يوم فطري، فآكل أنا وأنت، فنزلت عليهما من السماء عليها خبز وحوت وكرفس فأكلا وأطعماني، وصلينا العصر، ثم ودعه =

وسئل جعفر بن محمد : ما بال المتهجدين أحسن الناس وجوهًا ؟ قال : لأنهم خلوا بالله فكساهم من نوره .

وروى خصيف عن عكرمة : ﴿ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ يعني أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، ﴿ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ ﴾ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، [﴿ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾] [1] عثمان ابن عفان رضي الله عنه ، ﴿ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا ﴾ علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ﴿ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ﴾ طلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم [2] .

﴿ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ ﴾ قال مجاهد : مثلهم في التوراة والإنجيل والفرقان واحد [3] .

= ثم رأيته مر على السحاب نحو السماء » .

قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

فتعقبه الذهبي قائلًا : بل موضوع، قبح الله من وضعه، وما كنت أحسب ولا أجوِّز أن الجهل يبلغ بالحاكم إلى أن يصحح هذا وإسناده .

وقال في (الميزان) (٤/ ٤٤١) : « فما استحيى الحاكم من الله يصحح مثل هذا ؟ » .

قال أبو عمرو : وإذا أردت المزيد تجده في كتابي (النكت على المراسيل) ابن أبي حاتم، يسر الله إتمامه على خير، والحمد لله رب العالمين .

عود على بدء، أما من جهة حديث الباب؛ قال الحافظ في (الكاف الشاف) (ص : ١٥٤) :

« اتفق أئمة الحديث وابن عدي والدارقطني والعقيلي وابن حبان والحاكم على أنه من قول شريك، قاله لثابت لما دخل .

وقال ابن عدي : سرقه جماعة من ثابت كعبد الله بن شبرمة الشريكي وعبد الحميد بن بحر وغيرهما » .

(١) كتبت بهامش الأصل .

(٢) هذا من التفسير بالباطن وقد تقدم الكلام عليه .

(٣) أخرجه الطبري (٢٦/ ١١٦) .

قال الضحاك : هما مثلان؛ أحدهما إلى قوله : ﴿مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾، والثاني قوله: ﴿كَزَرْعٍ﴾ إلى قوله : ﴿ٱلزُّرَّاعَ﴾ (١) .

قال أبو حاتم والقتبي : هما على ما قال الضحاك، والمثل هاهنا يعني الصفة(٢).

وقوله : ﴿كَزَرْعٍ﴾ قال قتادة : هو بعث النبي ﷺ وأصحابه، وذلك أن الله تعالى ذكرهم في الإنجيل، قوم يخرجون وينبتون نبات الزرع، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر (٣) .

قال مجاهد : ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾ وهو ما ينبت بجنب الجنة .

قال الضحاك : هو ما ينبت بجنب الحقلة (٤)، فينمو ويتم (٥) .

قال عطاء : ﴿أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾ جوانبه، قال الكسائي : طرفه .

قال مقاتل : هو نبت واحد .

فأما ﴿شَطْـَٔهُۥ﴾ فما يخرج بعده (٦)، قال الفراء : شطؤ الزرع أن ينبت سبعًا وثمانيًا وعشرًا (٧)، قال الأخفش : شطؤ الزرع فراخه ن يقال : أشطأ الزرع إذا أفرخ (٨)، قال القتيبي : هذا مثل ضربه الله تعالى للنبي ﷺ وأصحابه إذا

(١) أخرجه الطبري (٢٦/ ١١٥) .
(٢) انظر : (تأويل مشكل القرآن) لابن قتيبة (٨٣) .
(٣) أخرجه الطبري (٢٦/ ١١٥) .
(٤) أي : الحقل، (القاموس) مادة (حقل) .
(٥) أخرجه الطبري (٢٦/ ١١٥)، من قول مجاهد .
(٦) (تفسير مقاتل) (٤/ ٧٨) بالمعنى .
(٧) انظر : (معاني القرآن) (٣/ ٦٩) .
(٨) انظر : (تفسير الثعلبي) (٩/ ٦٦) .

خرج وحده فآزره [١] .

قال مقاتل : فأعانه [٢]، قال الأخفش : جعل له أزرًا [٣]،/ قال المؤرج : (٤٩/ب قوّاه، قال الخليل بن أحمد : ساواه حتى صار مثل أمته .

قوله : ﴿ فَٱسْتَغْلَظَ ﴾ أي غلظ، وهو سين الفعل لا سين السؤال .

قوله : ﴿ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ﴾ قال عكرمة : الكفار الزراع، سمّوا كفارًا لأنهم يكفرون البذر تحت الأرض أي يسترونه، قال الحسن وأجاز: ﴿ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ﴾ وهو قول عمر رضي الله عنه يوم أسلم : لا يعبد الله بعد هذا اليوم سرًّا، قال عكرمة : كزرع وهو محمد ﷺ، ﴿ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ ﴾ بأبي بكر، ﴿ فَـَٔازَرَهُۥ ﴾ بعمر، ﴿ فَٱسْتَغْلَظَ ﴾ يعني بعثمان، ﴿ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ ﴾ يعني علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين [٤] .

قال أبو الحسن : وسألني بعض الملحدة في دار السلطان في مجلس غاص بأهله : ألستم تقولون أن محمدًا كان أفضل الخلق وأشرفهم ؟

قلت : بلى .

قال : فلم شبهه الله بأضعف شيء في الدنيا، هلا شبهه بالنخل وشجر الجوز والأشجار الباسقات ؟

فكان من جوابي : أنه ﷺ لم يكن بشيء أشبه مما شبهه الله به، وذلك أن

---

(١) انظر (القرطين) لابن مطرف (٢/ ١٣٥) .

(٢) (تفسيره) (٤/ ٧٨) .

(٣) (معاني القرآن) له (٢/ ٥٢١) .

(٤) أخرجه ابن مردويه والقلظي وأحمد بن محمد الزهري في (فضائل الخلفاء الأربعة)، والشيرازي في (الألقاب) عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ كما في (الدر المنثور) للسيوطي (٦/ ٨٣) .

الزرع إذا كان خامة غضة كان بغاية الضعف، والشمس عدوه إذا احتمت والبرد عدوه، والريح العاصفة عدوه، وكثرة الماء عدوه، وكثرة الرمكال والسرجين عدوه، فجعله الله مع ضعفه وكثرة أعدائه أعز الأشياء وغذاء النفوس والأشباح .

كذلك كان حال رسول الله ﷺ في أشد أمره، كان يتيماً قليل الأعوان، وأهل الأرض جميعًا له أعداء، وأهل بلده له أعداء، وكذلك أعمامه وأخواله؛ فجعله الله في ضعفه وقلة أنصاره أشرف خلقه وأفضلهم، وجعله غذاء القلوب والأرواح، فهل شيء في الدنيا يشبه بشيء أحسن من هذا التشبيه [1] ؟

قال عبد العزيز بن يحيى : المثلان جميعًا في النبي ﷺ والعشرة من أصحابه الذين بايعوه تحت الشجرة، والمثل الأول إلى قوله : ﴿ ٱلتَّوْرَىٰةِ ﴾، ثم ذكر/ (٥٠) أن مثلهم في الإنجيل كزرع إلى آخره .

قوله سبحانه : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ .

قال الكلبي : الطاعات فيما بينهم وبين ربهم، قال عثمان بن عفان : أخلصوا العمل لله .

قال علي بن أبي طالب : أدوا الفرائض .

---

(١) قال المصنف رحمه الله :

« ووجه المثل بهذا الزرع الذي أخرج شطأه هو أن النبي ﷺ حين بدأ بالدعاء إلى دينه كان ضعيفًا، فأجابه الواحد بعد الواحد حتى كثر جمعه وقوي أمره .

كالزرع يبدو بعد البذر ضعيفًا فيقوى حالًا بعد حال، حتى يغلظ ساقه وأفراخه؛ فكان هذا من أصح مثل وأوضح بيان، والله أعلم » .

قال سهل بن عبد الله : أقاموا على السنة والجماعة .

قال أبو العالية : ﴿ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ أحبوا المذكورين في المثلين يعني النبي ﷺ وأصحابه، فعرض قوله على الحسن البصري فارتضاه واستصوبه.

وفي ظاهر الآية دليل على أن من أبغض الصحابة لم يأمن من الكفر [١]، لقوله: ﴿ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ﴾؛ أنشدنا أبو بكر محمد بن المنذر الضرير، قال: أنشدنا أبو سلمة المؤدب، وأنشدنا أبو منصور مهلهل [بن علي العنزي، قال: أنشدني أبي فيهم] [٢] :

يا صاح إن كنت أحببتَ النبيَّ فلا ... تُبغضْ أخَاه أبا بكرٍ فقَد نَصَرَهْ
إني بحَبِّ أبي بكر أديُـن به ... كما بحبِّ أبي حفصٍ فلن أذرهُ
وحبُّ عثمان ذي النورين يا سَكني ... فَرضٌ وحبٌ علي قَاتِلِ الكفَرهْ
أكرِمْ بِطلحةَ شيخًا والزبيرَ معه ... فَكلهم طـائـعٌ لله قـد شَـكَـرَهْ

---

(١) قال الإمام ابن كثير رحمه الله :

« ومن هذه الآية انتزع الإمام مالك رحمه الله، في رواية عنه بتكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة، قال : لأنهم يغيظونهم، ومن غاظ الصحابة فهو كافر لهذه الآية، ووافقه طائفة من العلماء على ذلك، والأحاديث في فضائل الصحابة والنهي عن التعرض لهم بمساءة كثيرة، ويكفيهم ثناء الله عليهم، ورضاه عنهم .

ثم قال : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم ﴾ (من) هذه لبيان الجنس، ﴿ مَّغْفِرَةً ﴾ أي: لذنوبهم، ﴿ وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ أي: ثوابا جزيلًا ورزقًا كريمًا، ووعد الله حق وصدق، لا يخلف ولا يبدل، وكل من اقتفى أثر الصحابة فهو في حكمهم، ولهم الفضل والسبق والكمال الذي لا يلحقهم فيه أحد من هذه الأمة، رضي الله عنهم وأرضاهم، وجعل جنات الفردوس مأواهم، وقد فعل » (تفسير القرآن العظيم) (٤/ ٢٦٦٠) .

(٢) كتبت بهامش الأصل .

واذكر سعيدًا وسعدًا في فعالهما ... قد عظَّم الله في أصحابه خَطَرهْ
واذكر فعَال ابن عوف والتقي أبا ... عبيدةَ ذا النهى واعرف له أَثَرَهْ
مَـدُّوا إلى أحمدَ بالسَّمع أيديهُمْ ... فبايعوه على نصح لدى الشَّجَرهْ
إن النَّبيَّ رسـولَ الله بَشرَهم ... بجنة هيئتْ للسادة الـبررَهْ
السادة القادةُ الغرُّ الكرامُ ألمْ ... تسمعْ بفضلهمُ والله قد ذَكَـرهْ
صلى الإلهُ على روحِ النَّبي ولا ... صلى الإلهُ على من يُبغِضُ العَشَرهْ

سورة الحشـــر

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [الحشر: ١١]..

ومنها في سورة الحشر قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ﴾ الآية [الحشر: ١١].

[يعني بني قريظة [(١)]، ﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ﴾ هؤلاء قوم منافقون من الأوس تكلموا بالإيمان، وأسروا النفاق، فقالوا لبني قريظة حين حاصرهم رسول الله ﷺ: ﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ﴾ يعني من حصنكم كما أخرج][(٢)] بنو النضير، ﴿لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا﴾ يعنون محمدًا، ﴿وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ﴾ الآية، ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا۟﴾ من حصنهم ﴿لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ﴾ الآية، ﴿لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ﴾ منهزمين، ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾. / (٥٠/ب

ثم قال للمؤمنين: ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ يعني من بني النضير.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ أن الله خلقهم، ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ﴾ أي في مدائن محصنة، ﴿أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ﴾ ولا يصحرون لكم فرقًا منكم، ﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ﴾ تظنهم جميعًا

---

(١) أخرج ابن أبي حاتم، كما في (الدر المنثور) (٦/ ٢٩٥)، عن السدي، قال: قد أسلم ناس من أهل قريظة، وكان منهم منافقون، وكانوا يقولون لأهل النضير: لئن أخرجتم لنخرجن معكم، فنزلت فيهم هذه الآية: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ﴾ الآية.

(٢) كتبت بهامش الأصل.

على أمر واحد، ﴿ وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ﴾ مختلفة، ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾ أمر الله .

ثم ضرب لهم مثلًا آخر؛ فقال : ﴿ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ ﴾ يقول : كأهل النضير كانوا قبل بني قريظة ذاقوا وبال أمرهم، ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ للجميع.

قال مجاهد : نزلت في عبد الله بن أبي، ورفاعة بن التابوت، وعبد الله بن نبتل، وأوس بن قيظي، يقولون لإخوانهم يعني : بني النضير [١] .

قال مقاتل : كل هؤلاء من الأنصار يقولون لإخوانهم اليهود حيي بن أخطب وجدي بن أخطب، ودونهما [٢] .

قال ابن عباس : ﴿ قَرِيبًا ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ ﴾ والقريب هاهنا سنتان، قال الحسن : ﴿ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ أبو جهل وأصحابه كان أمرهم وتكذيبهم للنبي ﷺ قريبًا، فأهلكهم الله واستأصلهم .

قال قتادة : هم كفار قريش، قال السدي : هم أهل بدر [٣] .

---

(١) أخرجه عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر؛ كما في (الدر المنثور) (٦/ ٢٩٥) .

(٢) (تفسير مقاتل) (٤/ ٢٨٠) .

قال الإمام الطبري رحمه الله :

« وأولى الأقوال بالصواب إن يقال : إن الله ﷻ مثل هؤلاء الكفار من أهل الكتاب مما هو مذيقهم من نكاله بالذين من قبلهم من مكذبي رسوله ﷺ، الذين أهلكهم بسخطه، وأمر بني قينقاع ووقعة بدر كانا قبل، جلاء بني النضير، وكل أولئك قد ذاقوا وبال أمرهم، ولم يخصص الله ﷻ منهم بعضًا في تمثيل هؤلاء بهم دون بعض، وكل ذائق وبال أمره، فمن قربت مدته منهم قبلهم، فهم ممثلون بهم فيما عنوا به من المثل » (جامع البيان) (٢٩/ ٥٢) .

(٣) انظر : (تفسير ابن كثير) (٤/ ٢٨٤٤) .

ثم ضرب لهم مثلًا آخر فقال: ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ﴾ هو الراهب، ﴿ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ ﴾ قال له الشيطان: ﴿ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ ﴾؛ فكذلك منافقو الأوس الذين أمروا بني قريظة بالامتناع في حصنهم فخذلوهم كما خذل الشيطان الإنسان، ﴿ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ ﴾ يعني الشيطان والراهب أنهما في النار.

قال ابن عباس: كان من حديث الراهب أن إبليس أتى امرأة من أهل بيت الشرف، فدخل جوفها فخنقها ولها أربعة أخوة، فأتى كل واحد منهم في منامه، فقال: إن في مكان كذا راهبًا يشفي الله على يديه المجنون والمريض، فانطلقوا بأختكم إليه، يدعو لها فيشفيها الله، فلما أصبحوا حدث بعضهم بعضًا/ بما رأى في منامه، وذهبوا إلى الراهب، فذكروا له أمرها، (٥١/أ) فأمرهم بتركها عنده فتركوها، ومضوا، فأتاها الشيطان وصرعها وخنقها، ثم كشف عنها ثوبها، فرآها الراهب ولم ير مثلها قط، ثم وسوس الراهب، وقال: أترك مثل هذه؟ قال: ما أصنع؟ قال: قع عليها فقد علمت سعة رحمة الله، ثم تتوب وتستغفر، فيتوب الله عليك، فلم يزل به حتى اقتضها ووقع عليها.

ثم قال له الشيطان: بئس ما صنعت، فكيف تصنع بإخوتها إذا ظهروا عليها، جاءوا بها عذراء فاقتضضتها، اقتلها ثم ادفنها في هذا الرمل، فقتلها ودفنها.

ثم أتى إخوتها في صورة رجل، فقال: بئس ما صنعتم، عمدتم إلى أخبث الناس وشرهم فدفعتم إليه أختكم، والله قد اقتضها وقتلها ودفنها في الرمل، فقالوا له: أين أختنا؟

قال : بينما أنا في صلاتي انسلت فذهبت، فتمثل لهم الشيطان في صورة رجل، فقال : اطلبوها في هذا الرمل، فطلبوها فاستخرجوها، وقالوا للراهب : أقتلتها يا عدو الله ؟

قال : ما قتلتها، ولكن ذهب بها، فذهبوا به إلى مَلِكهم فسأله فأنكر قتلها، فوسوس الشيطان للراهب، فقال : قتلتها ثم تنكر، أقر لهم بالقتل فيكون توبة لك، فأقر للملك بالقتل فأمر بصلبه، فأتاه الشيطان عيانًا وهو مصلوب، فقال له: ويحك، أنا صنعت بك ما صنعت، وأنا أنجيك منهم اليوم، قال : وكيف تصنع ؟ قال : آخذ بأبصارهم، فاسجد لي سجدة على الخشبة، فسجد له على الخشبة سجدتين، فلما سجد قال له : هذا الذي أردت منك، ﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾، فذلك قوله : ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾ الآية، فقال وهب بن منبه : [كان الراهبِ] [1] (برصيصا) وكان عبد الله أربعمائة سنة [2] .

قال مقاتل :/ فكذلك صنع المنافقين ببني النضير؛ غروهم ثم تبرءوا (٥١ منهم، حتى أهلكهم الله، فكان عاقبة الراهب والشيطان النار، فكذلك عاقبة اليهود والمنافقين [3] .

---

(١) كتبت بهامش الأصل .

(٢) إسناده ضعيف :

أخرجه الطبري (٢٩/ ٥٢) عن محمد بن سعد بإسناده، وهذا إسناد ضعيف تكلمنا عليه من قبل .= وأخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٤٨) (١٨٨٦٠)، والبغوي في (معالم التنزيل) (٤/ ٣٢٢-٣٢٤)، من طريق عطية العوفي عنه، والإسناد ضعيف كذلك، وانظر كذلك : (النكت والعيون) للمصنف (٥/ ٥٠٩) .

(٣) (تفسيره) (٤/ ٢٨١) .

قرأت العامة : ﴿ فَكَانَ عَـٰقِبَتَهُمَآ ﴾ بالنصب، واختاره أبو عبيد وأبو حاتم على خبر كان وجعلا ﴿ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ ﴾ اسم كان، وقرأ الحسن (**فكان عاقبتُهما**) رفعًا، وجعل خبره أنهما في النار [1] .

(١) انظر : (إعراب القرآن) للنحاس (٤/ ٤٠١)، و (معاني القرآن) للفراء (٣/ ١٤٦)، و (القراءات الشاذة) (ص : ١٥٤) .

سورة الجمعـــة

قال تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [الجمعة:٥] ..

ومنها في سورة الجمعة قوله جل ذكره : ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ﴾ الآية [الجمعة : ٥] .

قال ابن عباس : هم اليهود [١]، أمروا أن يعملوا بما في التوراة، ثم لم يعملوا، والأسفار : الكتب، والواحد : سِفْر بكسر السين، لا يدري الحمار ما عليه كما لا يدري اليهود ما حمّلوا .

قال الضحاك : يقول في صفة اليهود، قال مقاتل : يعني اليهود أمروا أن يأخذوا بحقوق التوراة، فلم يعملوا بها ولم يأخذوا بحقها، كمثل الحمار يحمل كتبًا، ولا يدري ما عليها، كذلك اليهود أعطوا التوراة فلم يقوموا بما فيها، وروى حبان عن الكلبي : حمّلوا التوراة فقرؤها فلم يعملوا بها؛ فضرب الله مثلهم كمثل الحمار يحمل الكتاب ولا يدري ما هو .

قال أبو رَوق : كلفوا العمل بما في التوراة ثم لم يعملوا بها [٢] .

قال أبو الحسن رحمه الله : الأسفار : جمع سفر، وهي الكتب، والسافر : الكاتب، والجمع سفرة .

ومنه وقوله تعالى : ﴿ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴾ [عبس : ١٥]، وهم الملائكة الذين

---

(١) أخرجه عبد بن حميد وابن المنذر، من طريق الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وهذا إسناد ضعيف، الكلبي تقدم ذكر حاله .

(٢) في (تفسيره) (٤/ ٣٢٥) .

كتبوا القرآن في بيت العزة في السماء السادسة .

قال مقاتل : بيت العزة في السماء الدنيا، فأملى جبريل عليهم القرآن فكتبوه[١].

تقول العرب : كتبت الكتاب وسَفَرته وخططته ونمقته وزبرته ودبرته : إذا كتبته .

أنشدنا أبو بكر محمد بن المنذر الضرير، قال أنشدنا أبو محمد القُشاني المؤدب، قال : أنشدنا أبو سعيد الضرير لشاعر يهجو قومًا :

زوامل للأشعار لا علم عندهم بجيدها إلا كعلم الأباعر

لعمرك ما يدري المطي إذا غدا بأسفاره أوراح ما في الغرائر[٢]/ (٥٢/ب)

(١) (تفسير مقاتل) (٤/ ٥٩١) .

(٢) وبهذا ينتهي تحقيق كتاب «أمثال القرآن» للإمام الماوردي رحمه الله، فما كان من صواب فالمنة لله وحده، وإن كانت الأخرى فمني ومن الشيطان، والله ورسوله براء، وأستغفر ربي منه، وأسأله أن يتقبل عملي، ويجعله له خالصًا، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وكتبه أبو عمرو الأثري عفا الله عنه

نسخة كاملة وبها زيادات

الأَمْثَالُ فِى القُرْآنِ الكَرِيمِ

تأليف

شَيخُ الإِسْلام

مُحَمَّدُ بْنِ أبي بَكرِ الذَرعِيّ الدِمَشقِيّ

المعروف بابن قَيِّم الجُوزِيةِ

رَحِمَهُ اللهُ

ضَبَطَهُ حقَّقَهُ وخَرَّجَ أحَاديثه وَعَلَّقَ عَلَيْهِ

أَبُو عَمرُو الأَثَرِيّ

عَفَا اللّه عَنهُ

ترجمة الإمام المؤلف

أبو عبد الله، ابن قيم الجوزية رحمه الله:

هو الإمام العلامة القدوة، المفسر المجتهد المطلق، المحقق الأصولي النحوي، صاحب التصانيف النافعة والأقوال الجامعة المانعة والمواعظ الجامعة، وصاحب القلم السيال والذهن الوقاد.

شمس الدين أبو عبد الله، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد ابن حريز، الزرعي الدمشقي الحنبلي، المشهور بـ ابن قيم الجوزية.

سبب تسميته بلقب (ابن قيم الجوزية):

وسبب هذا اللقب أن أباه رحمه الله كان قيماً [1] للمدرسة التي أنشأها محيي الدين أبو المحاسن يوسف بن عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي [2].

مولده:

---

(١) القيم: هو الذي ينتقد أحوال الطلبة ويتفقد الشيوخ الموكلين بالدروس العلمية بتلك المدرسة.

(٢) فُرِغ من بنائها سنة (٦٥٢ هـ)، وممن درس فيها من العلماء: ابن النجا، والجمال المرداوي، وابن قاضي الجبل، والبرهان ابن مفلح، وغيرهم.
وأَمّ بها ابن القيم، ووصفها الحافظ ابن كثير بأنها من أحسن المدارس، وقد احترقت سنة (٨٢٠ هـ) على ما ذكره ابن القاضي شهبة، ثم أعاد عمارتها شمس الدين النابلسي.
وكانت في أول سوق البزورية بدمشق المسمى قديماً سوق القمح، وقد اختلس جيرانها معظمها، وبقي منها بقية صارت محكمة سنة (١٣٢٧ هـ).
ثم أُقفلت مدة إلى أن افتتحتها جمعية الإسعاف الخيري، وجعلتها مدرسة لتعليم الأطفال، وقد احترقت أول الثورة السُورية، ولم تزل كذلك حتى أعمرت حوانيت، وجعل فوقها مسجد صغير تقام فيه بعض الصلوات.

ولد ابن القيم سنة: إحدى وتسعين وستمائة هجرية، في بيت علم وفضل.

شيوخه:

سمع من الشهاب النابلسي العابر، والقاضي تقي الدين سليمان، وفاطمة بنت جوهر، وعيسى المطعم، وأبو بكر بن عبد الدايم، وابن الشيرازي، وإسماعيل بن مكتوم .

وقرأ العربية على ابن أبي الفتح، والمجد التونسي .

وقرأ الفقه على الجد الحيراني، وابن تيمية .

ودرس بالصدرية، وكان لأبيه في الفرائض يد فأخذ عنه .

وقرأ الأصول على الصفي الهندي، وابن تيمية .

تأثره بشيخه شيخ الإسلام ابن تيمية:

القارئ لكتب ابن القيم يجده متأثرًا جدًّا بشيخه ابن تيمية ؛ ولذلك نورد بعض ما يدل على ذلك من أقوال العلماء من أقرانه وغيرهم .

قال ابن كثير رحمه الله: « لمَّا عاد الشيخ تقي الدين ابن تيمية إلى أن مات الشيخ سنة ثنتي عشرة وسبعمائة لازمه إلى أن مات الشيخ ؛ فأخذ عنه علمًا جمًّا » .

ثم قال رحمه الله: « وقد كان متصديًا للإفتاء بمسألة الطلاق التي اختارها الشيخ تقي الدين ابن تيمية، وجرت بسببها فصول يطول بسطها مع قاضي القضاة تقي الدين السبكي وغيره » .

وقال ابن العماد الحنبلي رحمه الله: « لازم الشيخ تقي الدين، وأخذ عنه » .

وقال الحافظ شمس الدين الداودي رحمه الله: « لزم الشيخ الإمام تقي الدين ابن تيمية، وأخذ عنه الفقه والفرائض والأصلين » .

وقال ابن حجر رحمه الله: « غلب عليه حُب ابن تيمية، حتى كان لا يخرج عن شيء من أقواله ؛ بل ينتصر له في جميع ذلك، وهو الذي هَذّب كتبه، ونشر علومه».

قال أبو عمرو: وكانت هذه الملازمة منذ عودته من مصر سنة (٧١٢ هـ)، إلى وفاته سنة (٧٢٨ هـ)، وهو إذ ذاك في ريعان شبابه، وذروة قوته، واكتمال مداركه؛ فنهل من فيض علمه الواسع، واستمع إلى آرائه الناضجة السديدة، وغلب عليه حبه ؛ حتى كان يأخذ بأكثر اجتهاداته، وينتصر لها، ويتوسع في التدليل على صحتها، وضعف ما يخالفها .

وأهم ما استفاده منه: دعوته إلى الأخذ بكتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ الصحيحة، والاعتصام بهما، وفهمهما على النحو الذي فهمه السلف الصالح، وطرح ما يخالفهما، وتجديد ما درسَ من معالم الدين الصحيح، وتنقيته مما ابتدعه المسلمون من مناهج زائفة من تلقاء أنفسهم خلال القرون السابقة ؛ قرون الانحطاط والجمود والتقليد الأعمى، وتحذير المسلمين مما تسرب إلى الفكر الإسلامي من خرافات التصوف، ومنطق اليونان، وزهد الهند .

تلاميذه:

أخذ عنه من العلماء جم غفير ؛ منهم: الإمام الحافظ ابن رجب الحنبلي

المتوفَّى سنة (٧٩٥ هـ)، والعلامة المفسر بن كثير المتوفَّى سنة (٧٧٤ هـ)، وعميد المحدثين والحفاظ بن عبد الهادي المتوفَّى سنة (٧٤٤ هـ)، ومنهم شمس الدين محمد بن عبد القادر النابلسي المتوفَّى سنة (٧٩٧ هـ)، وولده إبراهيم؛ تفقه بأبيه وشارك بالعربية وسمع وقرأ واستغل بالعلم، وولده شرف الدين عبد الله، وغيرهم كثير.

عبادته وزهده وأخلاقه:

قال ابن رجب رحمه الله: « كان رحمه الله ذا عبادة وتهجد، وطول صلاة إلى الغاية القصوى، ولَهْج بالذكر، وشغف بالمحبة والإنابة والاستغفار والافتقار إلى الله والانكسار له والانطراح بين يدي عتبة عبوديته، لم أشاهد مثله في ذلك، وحَجَّ مرات كثيرة، وجاور بمكة، وكان أهل مكة يذكرون عنه شدة عبادته وكثرة الطواف أمرًا يتعجب منه ».

قال ابن كثير رحمه الله: « وكان حسن القراءة والخلق، كثير التودد، لا يحسد أحدًا ولا يؤذيه ولا يستعتبه، ولا يحقد على أحد، وكنت من أصحب الناس له وأحب الناس إليه، وكان له طريقة في الصلاة يطيلها جدًّا ويمد ركوعها وسجودها، ويلومه كثير من أصحابه في بعض الأحيان فلا يرجع ولا ينزع عن ذلك؛ رحمه الله ».

أقوال العلماء فيه:

قال الحافظ الذهبي رحمه الله: « عُنِي بالحديث وبعض رجاله، وكان يشتغل في الفقه ويجيد تقريره، وبالنحو ويدريه، وفي الأصلين، وتصدر للاشتغال ونشر العلم ».

وقال الحافظ ابن رجب رحمه الله: « كان عارفًا بالتفسير؛ لا يجارى فيه،

وبأصول الدين ؛ وإليه فيهما المنتهى، وبالحديث ومعانيه وفقهه ودقائق الاستنباط منه ؛ لا يُلحق في ذلك، وبالفقه وأصوله، وبالعربية ؛ وله فيه اليد الطولى، وبعلم الكلام، وبكلام أهل التصوف وإشاراتهم ودقائقهم .

وكان رحمه الله ذا عبادة وتهجد، وطول صلاة إلى الغاية القصوى، وتَأَلُّهٍ ولَهْجٍ بالذكر، وشغف بالمحبة والإنابة والافتقار إلى الله تعالى والانكسار له والاطِّراح بين يديه على عتبة عبوديته ؛ لم أشاهد مثله في ذلك، ولا رأيت أوسع منه علمًا، ولا أعرف بمعاني القرآن والسنة وحقائق الإيمان أوليس هو بالمعصوم، ولكن لم أر في معناه مثله » .

قال الحافظ ابن كثير ﷺ: « برع في علوم متعددة ؛ لا سيَّما علم التفسير والحديث والأصلين، ولمَّا عاد ابن تيمية من مصر سنة (٧١٢ هـ) لازمه إلى أن مات ؛ فأخذ عنه علمًا جمًّا، مع ما سلف له من الاشتغال ؛ فصار فريدًا في بابه في فنون كثيرة، مع كثرة الطلب ليلًا ونهارًا، وكثرة الابتهال، وكان حسن القراءة والخلق، كثير التودد، لا يحسد أحدًا ولا يؤذيه، ولا يحقد على أحد، ولا أعرف في هذا العالم في زماننا أكثر عبادة منه » .

وقال ابن نصر الدمشقي ﷺ: « وكان ذا فنون من العلوم ؛ وخاصة التفسير والأصول من المنطوق والمفهوم » .

وقال القاضي برهان الدين الزرعي ﷺ: « ما تحت أديم السماء أوسع منه علمًا ؛ درس بالصدرية، وأمَّ بالجوزية، وكتب بخطه ما لا يوصف كثرة، وصنَّف تصانيف كثيرة جدًّا في أنواع العلوم، وكان شديد المحبة للعلم وكتابته، ومطالعته وتصنيفه، واقتناء كتبه، واقتنى من الكتب ما لم يحصل لغيره » .

وقال ابن حجر رحمه الله: « كان جريء الجنان، واسع العلم، عارفًا بالخلاف ومذاهب السلف » .

محنتـــه:

العلماء كثير ما يبتلَوا، وإذا فتشنا وجدنا أن عماد ذلك هم المبتدعة ؛ فهم في كل مكان وزمان أصحاب طامات .

قال الذهبي رحمه الله: « **وحُبِس مدة ؛ لإنكار شد الرحال إلى قبر الخليل** » .

قال ابن رجب رحمه الله: « وقد امتحن مرة، أو ذي مرات » .

وقال ابن حجر رحمه الله: « واعتقل مع ابن تيمية بالقلعة بعد أن أهين، وطيف به على جمل ؛ مضروبًا بالدرة، فلما مات أُفرِج عنه، وامتُحِن مرة أخرى بسبب فتاوى ابن تيمية، وكان ينال من علماء عصره وينالون منه » .

وقال رحمه الله: « وجرت له محن مع القضاة منها في ربيع الأول ؛ طلبه السبكي بسبب فتواه بجواز المسابقة بغير محلل ؛ فأنكر عليه وآل الأمر إلى أن رجع عما كان يفتي به من ذلك » .

أقوالـــه:

القارئ لكتب ابن القيم يجده عالم بالقلوب، وعارفًا بأسباب الذنوب .

وأنقل لك أخي القارئ بعض كلماته من بطون كتبه ؛ لتعلم صدق ما قلت:

« الذنوب جراحات، ورُبَّ جُرح جاء مقتل » [الفوائد: ٦٦] .

« إذا اشتد قرب الملك من العبد تكلم على لسانه، وألقى على لسانه

القول السديد، وإذا بعد منه وقرب الشيطان من العبد تكلم على لسانه قول الزور والفحش ؛ حتى يُرى الرجل يتكلم على لسان الملك، والرجل يتكلم على لسان الشيطان » [الداء والدواء: ١١١] .

« صاحب السنة حيُّ القلب مستنيره، وصاحب البدعة ميت القلب مظلمة» [اجتماع الجيوش الإسلامية: ٤] .

« ومن أراد السفر فعليه بمرافقة الأموات الذين هم في العالم أحياء ؛ فإنه يبلغ بمارفقتهم إلى قصده، وليحذر من مرافقة الأحياء الذين هم في الناس أموات ؛ فإنهم يقطعون عليه طريقه، فليس لهذا السالك أنفع من تلك المرافقة، وأوفق له من هذه المفارقة ؛ فقد قال بعض السلف: شتان بن أقوام موتى تحيا القلوب بذكرهم، وبين أقوام أحياء تموت القلوب بمخالطتهم، فما على العبد أضر من عشائره وأبناء جنسه، فنظره قاصر، وهمته واقفة عند التشبه بهم، ومباهاتهم والسلوك أين سلكوا، حتى لو دخلوا جحر ضب لأحب أن يدخله معهم » [الرسالة التبوكية: ٨٢] .

« الناس قسمان ؛ عِلْيَةٌ وسِفْلَةٌ ؛ فالعلية من عرف الطريق إلى ربه، وسلكها قاصدًا الوصول إليه ؛ وهذا هو الكريم على ربه، والسفلة من لم يعرف الطريق إلى ربه، ولم يتعرفها ؛ فهذا هو اللئيم الذي قال فيه: ﴿ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ﴾ [الحج: ١٨] » [طريق الهجرتين: ١٦٨] .

« للعبد ستر بينه وبين الله، وستر بينه وبين الناس ؛ فمن هتك الستر الذي بينه وبين الله هتك الله الست الذي بينه وبين الناس » [الفوائد: ٥٥، ٥٦] .

* * * * *

مؤلفات شيخ الإسلام ابن القيم رحمه الله

مؤلفاته في العلوم الإسلامية:

ألف في الفقه والأصول: «أعلام الموقعين عن رب العالمين» في ثلاث أجزاء. «والطرق الحكمية في السياسة الشرعية»، «والصلاة وأحكام تاركها».

وفي التصوف: «مدارج السالكين شرح منازل السائرين» «وعدة الصابرين وذخيرة الشاكرين» . «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح».

وفي علم الكلام والجدل: «شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر، والحكمة والتعليل» . «الصواعق المرسلة علي الجهمية المعطلة»، «واجتماع الجيوش الإسلامية علي غزو المعطلة والجهمية» . «الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية».

وفي الفقه والسيرة: «زاد المعاد في هدي خير العباد» وهو سيرة الرسول الأكرم ﷺ وغزواته، وفيه إلى جانب ذلك أبحاث فقهية.

وفي التاريخ والاجتماع: «أخبار النساء» وهو يمثل جانبًا من الجوانب المجتمع. فهو إذن قفيه متكلم محدث مفسر .

مؤلفاته المطبوعة والمخطوطة والمحفوظه في المكاتب العامة والخاصة وما وصل إلينا اسمه، ولم نر له عينًا ولا أثرًا.

المؤلفات المطبوعة:

«اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو الفرقة الجهمية»، طبع في أمر تسر الهند سنة ١٣١٤هـ.

«أخبار النساء» في مصر سنة ١٣٠٧ وسنة ١٣١٩هـ.

«أعلام الموقعين عن رب العالمين». طبع في دلهي الهند سنة ١٣١٣ وفي مصر سنة ١٣٢٥ وطبع مرة أخرى في مصر بلا تاريخ.

«إغاثة اللهفان في حكم طلاق الغضبان» طبع في مصر سنة ١٣٣٢هـ.

«إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان»، طبع في مصر سنة ١٣٢٠هـ.

«بدائع الفوائد» . طبع في المطبعة المنيرية في مصر.

«التبيان في أقسام القرآن» . طبع في مكة المكرمة سنة ١٣٢١هـ.

«تحفة المودود في أحكام المولود» . طبع في لاهور الهند سنة ١٣٣٩ .

«تفسير سورة الفاتحة والمعوذتين» ، طبع في مصر.

«جلاء الأفهام في ذكر الصلاة علي خير الأنام»، طبع في الهند، وقد قمت بتحقيقه وطبعه «دار اليقين»

«الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي» ويسمى الداء والدواء طبع في مصر سنة (١٣٤٦)هـ وفي الهند سنة (١٣٠٧).

«حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح» . طبع مع «أعلام الموقعين» في مصر سنة ١٣٢٥هـ. وطبع - وحده - منفردًا .

«حكم ترك الصلاة» . طبع مع كتاب الصلاة ومن يلزم فيها للإمام أحمد. باسم الصلاة وأحكام تاركها سنة ١٣٢٣هـ.

«الروح» طُبع في حيدر آباد الدكن - الهند - سنة ١٣١٨ وسنة ١٣٢٤، وقد اختصره برهان الدين البقاعي.

«روضة المحبين ونزهة المشتاقين» . طبع في دمشق سنة ١٣٤٩ .

«زاد المعاد خفي هدى خير العباد» . طبع في كالبور الهند سنة ١٣٩٨ وطبع في مصر سنة ١٣٢٤ وسنة ١٣٤٧ وطبعة كذلك مؤسسة الرسالة.

«شفاء العليل في القضاء والقدر والحكمة والتعليل»، طبع في مصر سنة ١٣٢٣ .

«الطرق الحكمية في السياسة الشرعية». طبع في مصر سنة ١٣١٧هـ.

«طريق الهجرتين وباب السعادتين». طبع في مصر سنة ١٣٤١ و١٣٤٩هـ.

«الفروسية المحمدية» ، طبع في مصر.

«الفوائد». طبع في مصر.

«الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان» ، طبع في مصر سنة ١٣٢٧هـ.

«الكافية الشافية» في الانتصار للفرقة الناجية ، طبع في الهند ثم في مصر سنة ١٣١٩هـ.

«مدارج السالكين بيان منازل إياك نعبد وإياك نستعين» طبع في مصر سنة ١٣٢٣هـ.

«مفتاح باب السعادة ومشوار لواء العلم والإرادة»، طبع في مصر سنة ١٣٢٣ .

«مصايد الشيطان»، طبع سنة ١٣٢٠، وفي المكتبة الظاهرية بدمشق

نسخة بخط المؤلف ..

«هداية الحيارى من اليهود والنصارى»، طبع في مصر سنة ١٣٢٣ وطبع حفي مصر مع كتاب الفارق بين المخلوق والخالق سنة ١٣٢٢ .

«الوابل الصيب من الكلم الطيب» طبع في الهند، ثم في مصر، ثم في دمشق.

«تهذيب مختصر سنن أبي داود وإيضاح مشكلاته والكلام على وفاته وما فيه من الأحاديث المعلولة» . والمختصر للحافظ المنذري.

هذا ما وصل إلينا من كتبه المطبوعة، ولعل هناك من الكتب ما لم نطلع عليه.

أما كتبه المخطوطة المحفوظة في المكتبات العامة والخاصة والتي تنتظر اليد الكريمة لتخرجها من الظلمات إلى النور، فإليك جدولاً بأسماء ما عثرنا عليه. ما ذكرها له المؤرخون:

١- «بطلان الكيمياء من أربعين وجهًا».

٢- «التحرير فيما يحل ويحرم من لباس الحرير».

٣- «التحفة المكية».

٤- «تفضيل مكه على المدينة» .

٥- «جوابات عابدي الصلبان وإن ما هم عليه دين الشيطان».

٦- «حرمة السماع».

٧- «حكم اغماء هلال رمضان».

٨- «الرسالة الجليلة في الطريقة المحمدية» . نظم .

٩- «رفع التنزيل».

١٠- «رفع اليدين في الصلاة».

١١- «شرح الأسماء الحسنى».

١٢- «شرح أسماء الكتاب العزيز».

١٣- «الصبر والسكن».

١٤- «الصراط المستقيم في أحكام أهل الجحيم».

١٥- «الطاعون» .

١٦- «طب القلوب» (ذكر الأستاذ المعلوف أن في مكتبة برلين نسخة منه).

١٧- «عقد محكم الأحياء بين الكلم الطيب والعمل الصالح المرفوع إلى رب السماء». ذكر في كشف الظنون أنه شرح الكلم الطيب لشيخه ابن تيمية.

١٨- «الفتح القدسي».

١٩- «الفرق بين الخلة والمحبة ومناظرة الخليل لقومه».

٢٠- «فضل العلم».

٢١- «الكافية الشافية في النحو» (ذكرها في كشف الظنون، قال: وله الكافية في الانتصار للفرقة الناجية) وهو المطبوع في الهند ومصر سنة ١٣١٩ كما سرد ذكر أسماء كتبه المطبوعة.

٢٢- «الكبائر» (نقل عن النقشبندي في صلح الإخوان).

٢٣- «الكلم الطيب والعمل الصالح».

٢٤- «المسائل الطرابلسية».

٢٥- «معاني الأدوات والحروف».

٢٦- «المهدي».

٢٧- «المهذب».

٢٨- «نقد المنقول والمحك بين المردود والمقبول».

٢٩- «نكاح المحرم».

٣٠- «نور المؤمن وحياته».

الهدي السوي (هكذا ذكره في كشف الظنون - ولعله الهدي النبوي أو زاد المعاد).

وفاتـــه:

قال ابن رجب رحمه الله: « وكان قد رأى قبل موته بمدة الشيخ تقي الدين رحمه الله في النوم، وسأله عن منزلته فأشار إلى علوها فوق بعض الأكابر، ثم قال له: وأنت كدت تلحق بنا، ولكن أنت الآن في طبقة ابن خزيمة رحمه الله».

وفي ليلة الخميس، ثالث عشر رجب، وقت أذان العشاء تُوُفِّي، رحمه الله رحمة واسعة، وغفر لنا وله وللمسلمين أجمعين .

وصُلِّي عليه بعد صلاة الظهر من الغد بالجامع الأموي، ودفن عند

والدته بمقابر الباب الصغير، رحمه الله .

وقد كانت جنازته حافلة، رحمه الله، شهدها القضاة والأعيان والصالحون من الخاصة والعامة، وتزاحم الناس على حمل نعشه، وكمل له من العمر ستون سنة، رحمه الله .

مراجع الترجمة:

ذيل طبقات الحنابلة	ابن رجب الحنبلي	(٢/ ٤٤٧، ٤٥٢)
البداية والنهاية	ابن كثير	(١٤/ ١٣١، ٢٣٥)
الدرر الكامنة	الحافظ ابن حجر	(٤/ ٢١، ٢٣)
الوافي بالوفيات	الصفدي	(٢/ ٢٧٠، ٢٧٢)
شذرات الذهب	ابن العماد	(٦/ ١٦٨، ١٧٠)
الرد الوافر	ابن ناصر الدمشقي	(ص: ٦٨، ٦٩)
بغية الوعاة	السيوطي	(١/ ٦٢، ٦٣)
البدر الطالع	الشوكاني	(٢/ ١٤٣)
النجوم الزاهرة		(١٠/ ٢٤٩)
كشف الظنون	حاجي خليفة	(٨٩، ١٢٥، ١٢٩، ١٦٨، ٢٠٦، ٢٣٠، ٢٣٥، ٢٦٠، ٣٤١)
إيضاح الكنون		(١/ ٤٧١، ٤٢٢)، (٢/ ٥٤٠)

هدية العارفين (٢/ ١٥٨، ١٥٩)
الأعلام الزركلي (٦/ ٢٨٠، ٢٨١)
معجم المؤلفين كحالة (٧/ ١٠٧)

* * * * *

وصف النسخ المعتمدة

قد تم إخراج هذا السفر عن نسخة خطية وثلاث مطبوعات.

وصف المخطوط

أما النسخة المخطوطة فهي ضمن مجموع جاء على طرة المخطوط كتاب الأمثال للعلامة ابن القيم.

١- «شرح حديث» لابن رجب.

٢- كتاب «في صحة مذهب أهل المدينة» للعلامة ابن تيمية.

٣- كتاب «غزو الجيوش الإسلامية في الرد على المعطلة والجهمية» لابن القيم.

٤- كتاب «كشف الكربة» لابن رجب.

٥- كتاب «الفوائد العذاب» للشيخ أحمد بن ناصر.

٦- كتاب «السياسة الشرعية» لشيخ الإسلام ابن تيمية.

٧- «جواب سؤال ورد من» ..... (كلمة مطموسة).

فكان ترتيب رسالتنا الأولى.

وهي كما ذكرت محفوظة في «مكتبة الأوقاف العامة» ببغداد.

رقم المخطوط (٦٦٨٥)، ولها صورة بالمركز العلمي وإحياء التراث تحت رقم «تفسير ٢٩» ثم ترتيب الرسالة في المجموعة (الأولى) وقد رمزت له بـ (أ) أو الأصل.

عدد الألواح (ثمانية) في كل لوح (وجهان).

اللوح به (خمس وعشرون سطراً)

السطر به (أربع عشرة كلمة تقريباً)

اسم الناسخ: عبدالعزيز بن محمد بن قاسم

عام النسخ: (١٢٨٥هـ).

وصف المطبوع

وقد اعتمدت كذلك في إخراج هذا السفر القيم على مطبوع مستقل طبعة «دار المعرفة للطباعة والنشر» عام (١٩٨١م) تحقيق الشيخ سعيد محمد نمر الخطيب، ورمزت لها برمز (ب)، وقد اعتمد محققها على ثلاثة مخطوطات، منها مخطوطة الأصل التي اعتمدتُ عليها، وقد استفدت من مقدمته للكتاب ونقلت بعض ما سطر فيها والنسخة الثانية طبعة «دار الصحابة» بطنطا عام ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

وقد رمزت لها بـ (ص)

ثم الفصل المودع في كتابه «إعلام الموقعين» وقد رمزت لها بـ (ط)

* * * * *

توثيق نسبة الكتاب

إلى ابن القيم رحمه الله

ذكره الحافظ ابن رجب في ترجمة العلامة ابن القيم رحمه الله ضمن مصنفاته والحافظ ابن رجب من تلاميذ ابن القيم، ذيل طبقات الحنابلة (٢ / ٤٥٠)

وذكره ابن العماد الحنبلي في مصنفا ابن القيم، شذرات الذهب (٦/ ١٧٠) وذكره صاحب كشف الظنون (١ / ١٦٨).

وأيضًا أدخل ابن القيم الكتاب بكاملة ضمن فصل قياس الشبه في كتابه إعلام الموقعين عن رب العالمين.

تنبيـــــه:

بعض من ترجموا لابن القيم رحمه الله ذكروا أن كتاب «الأمثال في القرآن» مُستل من كتاب «إعلام الموقعين» وهذا يُشعر أن ابن القيم رحمه الله لم يصنفه مفردًا، أو أن أحدًا غيره استل الكتاب من «إعلام الموقعين» ثم أخرجه مفردًا، والتحرير العلمي يشهد بأن ذلكم القول مجانب للصواب، وتقرير ذلك من أوجه:

الأول: أن ابن القيم رحمه الله في مقدمة «القصيدة النونية» : فصل: وهذه الأمثال حسان مضروبة للمعطل والمشبه والموحد ذكرتها قبل الشروع في المقصود، فإن ضرب الأمثال مما يأنس به العقل لتقريبها من المشهود وقد قال تعالى وكلامه المشتمل على أعظم الحجج والبراهين: (وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون) [العنكبوت: ٤٣].

وقد اشتمل منها على بضعة وأربعين مثلاً وكان بعض السلف إذا قرأ مثلاً لم يفهمه يشتد بكاؤه ويقول: لست من العالمين وسنفرد لها إن شاء الله كتاباً مستقلاً متضمنًا لأسرارها ومعانيها وما تتضمنه من كنوز العلم وحقائق الإيمان وبالله المستعان وعليه التكلان. أهـ.

انظر توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في «شرح قصيدة الإمام ابن القيم» (١ / ٣٣) ط. المكتب الإسلامي .

الوجه الثاني: ذكر الحافظ ابن رجب رحمه الله كتاب «أمثال القرآن» ضمن مصنفات ابن القيم رحمه الله وجعله مصنفًا مفردًا،

وسبق التنبيه على أن الحافظ ابن رجب تلميذ لابن القيم فهو إذن أعلم بمصنفات شيخه وصنيع الحافظ ابن رجب رحمه الله يؤكد أن ابن القيم رحمه الله أملاه مفردًا،

الوجه الثالث: أن الكتاب له عدة نسخ خطية وهاك ذكرها:

١- في مكتبة بالي كسير باغشلر بمدينة بالي كسير بتركيا بدون رقم، في (٤٠) ورقة ضمن مجموع من (١٣٨ - ١٧٨) مكتوب سنة (٨١٨هـ).

٢- ونسخة في مكتبة الأوقاف العامة برقم (٦٦٨٥ / ١) مجاميع في (٢٨) ورقة، بخط علي ابن آل بليس سنة (١٢٧٦هـ)، ولها صورة بالجامعة الإسلامية برقم (٥١١٣ / ١).

٣- ونسخة من «أمثال القرآن» في مجموع في مكتبة الأوقاف العامة ببغداد برقم (٦٦٨٥) ورقم الرسالة (١)، بخط عبدالعزيز بن محمد بن قاسم سنة (١٢٨٥هـ) وهي نسختنا.

٤- ونسخة في مكتبة الجامع الكبير بعنيزة في (٧٠) صفحة و(٢٤) سطرًا، كاملة بخط معتاد.

٥- ونسخة لدى الشيخ علي بن عبدالعزيز بن علي الشبل بالرياض ضمن مجموع في (٢٠) ورقة (٢٣٦ - ٢٥٥)، من خطوط القرن الثالث عشر الهجري.

*****

عملي في الكتاب

يتلخص عملي في الكتاب على ما يلي:

١- قمت بنسخ المخطوط ومطابقته بالنسخة (أ)

٢- وكذلك مطابقته بالنسخة (ص)

٣- تم مطابقته بالنسخة (ط)

٤- إثبات فروق النسخ بالهامش .

٥- عمل مقدمة عامة للكتابين.

٦- عمل ترجمة للمصنف.

٧- تحقيق الأحاديث تحقيقًا علميًا، مع تقديم درجة الحديث قبل الكلام عليه.

٨- شرح غريب الحديث .

٩- عمل فهارس خاصة للآيات والأحاديث والآثار .

١٠- عمل فهرس عام للكتاب .

وأخيراً:

إني لأرجوا أن يرفع الله منار هذا الكتاب، وأن يثيبني به جميل الذكر في الدنيا وجزيل الأجر في الآخرة، وأن يكون من الثلاث التي ينقطع عمل ابن آدم إذا مات إلا منها، وأن أنا به الدرجات بعد الوفاة بانتفاع كل من عمل بعلومه أو نقل عنها ضارعًا إلى من ينظر من عالم في عملي أن يستر عثاري

وزللي، ويسد بسداد فضله ذللي

والله أسأل أن يجعله زادًا إلى حسن المصير إليه، وعتادًا إلى يمن القدوم عليه إنه بكل جميل كفيل وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وصلى الله علي سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. (١)

* * * * *

(١) مستفادة من مقدمة شيخنا حفظه الله في كتاب «بذل الإحسان بتقريب سنن النسائي» أبي عبدالرحمن الجزء الثاني، وقد أهداه لي جزاه الله خيراً.

نماذج من المخطوط

طرة المخطوط

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير البرية محمد وآله

قال الشيخ الرئيس ابن سينا في القراءة امثال القرآن لا يعقلها الا العالمون وانما

شبيه بتشبيه في حكم وتقريب المعقول من المحسوس او الحسي المحسوس ليكون الامر

عتبارا لرجوعها بالامر كقوله تعالى في حق المنافقين مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما ان

ت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون صم بكم عمي فهم لا يرجعون

او كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون اصابعهم في اذانهم من الصواعق حذر الموت

كل شيء قدير فضرب المنافقين بهذين المثلين مثلا ماشيا لما في الماء والنار من الضا

دة والاشراق والحياة فان النار سادة النور والماء مادة الحياة وقد جعل الله تعالى

القرآن السماء تتضمن الحياة القلوب واستنارتها وكذلك سماه روحا ونورا وجعل قابلة

احيا في النور ومن لم ينفع ببرد الماء وحرارة النار في الظلمات ولنبين من حال المنافقين بالنسبة الى

حظهم من الوحي فنقول ان استوقدنا نار التصديق وانتفع بها وضاء لهم ما حولهم من الامور

فاستضاؤا بها ومشوا بها مع المؤمنين خلطوا المسلمين وكانوا معهم في الظاهر لحقن دمائهم واموالهم

قالوا بألسنتهم طلبا لعز الاسلام وذهب الله بنورهم ولم يقبل منهم فانتفاؤا بها وتركهم في الظلمات

ة والامراة فذهب الله بما فيها من الاضاءة وابقى عليهم ما فيها من الاحراق وتركهم في ظلمات

لا يبصرون فهذا حال من ابصر ثم عمي وعرف ثم انكر ودخل في الاسلام ثم ارتد فهو لا

يرجع اليه ولهذا قال فهم لا يرجعون ثم ذكر حالهم بالنسبة الى المثل الماشي فشبههم باصحاب

وهو المطر الذي يتحدر اي ينزل من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق فلضعف بصائرهم

وعقولهم اشتبهت عليهم ذوالجلال القرآن ووعده ووعيده واوامره ونواهيه وخطابه

النبي بشبه الصواعق فحالهم كحال الصابر حذر فيه ظلمات ورعد وبرق فلضعف قوته

جعل اصبعيه في اذنيه وغمض عينيه خشية ان صاعقة تصيبه وقد تخاطر نفسه وقد تخاطر

كثيرا من مخانيث تلاميذ ابن الخشبة المشعثة اذا سمعوا شيئا من ايات الصفات والجنة

دت الصفات المتافيزيقية لعقولهم راتبهم عنها معرضين كأنهم حمر مستنفرة فرت من كرة

ويقول بعضهم سنطعناهذا الباب وافرغنا شاغيه هذا وترى تلوبهم مولية وهم يحبون ان لا

معرفة الالهية سبحانه وتعالى واسمائه وصفاته على عقولهم وتلوبهم وكذلك الشكوك على

اخلاق شركهم اذ اجل لهم التوحيد تلبيت عليهم بخصوصه للبطلان شركهم اشارت تلوبهم

وتنقل عليهم

وتنقل عليهم ولو ضبط السيل لاستقر الماء فيها فكذلك يخلق الله في قلوب رسوله

صلى الله عليه وسلم اذا سمعوا خصوص الماء الذي هو اشبه بمحل الرسول الذي عليه

تنقل لكه عليهم جدا ذكر تلوبهم وحالها عليه ظاهر ومثل الحق من الباطل من

فخفيف المثل الذي ضربه الله لهم بالماء الذي تسيل به اودية بقدرها فاحتملت

وقدة السيل زبدا رابيا والنار التي توقدون عليه في النار ابتغاء حلية او متاع زبد مثله

الماء الذي ينزل من السماء فسالت اودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا وما يوقدون عليه

اما ما ينفع الناس فيمكث في الارض كذلك الهدى الذي انزل الله على رسوله

القلوب والاسماع والابصار بالماء الذي انزل من السماء فاحيا الارض بالنبات وشبه القلوب بالاود

فقلة كبير وسيع على عظمها كاودية كبير وسيع مع كثرة ما حمل وشبه القلوب بالاود

الصغير فسالت اودية بقدرها فاحتملت الماء على قدرها فشبه القلب الكبير الواسع بحسبه والقلب

خالط الايمان وقر عليه الحق فشبه القلب الكبير بالوادي الكبير والقلب الصغير بالوادي الصغير

ما فيه من الشبهات والشهوات ليقلعها ويمحوها كما يخبث الحديد والفضة والذهب

طه فيقرب بها شارد هن عما يقع الحديد فانه اذا رأى النار هرب منها فانه لا يحتمل

ولا يسكن اليها وهكذا يضرب الله الحق والباطل فالباطل كالزبد الذي يعلو الماء

في النار ابتغاء حلية او متاع زبد مثله وهو الخبث الذي يخرج عند سبك الذهب

لفضة والنحاس والحديد فتخرجه النار وهو خبث مصاحب للجوهر الذي ينتفع به فيرمى

ويطرح ويذهب جفاء كذلك الشهوات والشبهات يرميها قلب المؤمن ويطرحها

يجفوها كما يطرح السيل النار لكه الزبد والقشاء والخشب ليستقر في قرار الوادي

الماء الصافي الذي ينتفع منه الناس ومن زرعه فيسقون انعامهم كذلك يستقر في قرار

القلب وجدوه الايمان الخالص الصافي الذي ينفع صاحبه وينتفع به غيره من اهله

هذين المثلين وما يتعذرها ويعرف ما يراد منها فليس لاهل الطبع الموفق فضل

ومنها قوله تعالى انما مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الا

رض مما يأكل الناس والانعام حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت وظن اهلها انهم

قادرون عليها اتاها امرنا ليلا او نهارا فجعلناها حصيدا كان لم تغن بالامس

نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار

شبه سبحانه الحياة الدنيا في انها تتزين في عين الناظر فتروقه بزينتها وتعجبه فيميل اليها
بقلبه لما تقتضيه من حب الشهوات ثم تكون عاقبتها ان تهلك وتفنى فلا يبقى منها الا
ما قدمه العبد من عمل صالح وهذا مثل ضربه الله لها ليعتبر به عباده فيزهدوا فيها
ويرغبوا في الآخرة ومثل ضربه لمن يتمتع بالدنيا ويغتر بها ويركن اليها ويطمئن
بها ثم يفاجئه الموت فيندم على ما فرط في جنب الله وقد ذكر الله هذا المثل في
مواضع من كتابه وقد ذكر ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما ان هذا المثل
ضربه الله للدنيا وقال ابن جرير ايضا عن ابن عباس رضي الله عنهما ان هذا المثل
ضربه الله للكافر وقال ابن جرير ايضا عن ابن عباس رضي الله عنهما ان هذا المثل
ضربه الله للمنافق وقال ابن جرير ايضا عن ابن عباس رضي الله عنهما ان هذا المثل
ضربه الله للمشرك وقال ابن جرير ايضا عن ابن عباس رضي الله عنهما ان هذا المثل
ضربه الله للمرائي وقال ابن جرير ايضا عن ابن عباس رضي الله عنهما ان هذا المثل
ضربه الله للمتكبر وقال ابن جرير ايضا عن ابن عباس رضي الله عنهما ان هذا المثل
ضربه الله للمختال الفخور وقال ابن جرير ايضا عن ابن عباس رضي الله عنهما ان هذا
المثل ضربه الله للمغتر بالدنيا وقال ابن جرير ايضا عن ابن عباس رضي الله عنهما
ان هذا المثل ضربه الله للمغتر بالدنيا الذي يعمل لها ويؤثرها على الآخرة وقال
ابن جرير ايضا عن ابن عباس رضي الله عنهما ان هذا المثل ضربه الله للمغتر بالدنيا
الذي يعمل لها ويؤثرها على الآخرة وقال ابن جرير ايضا عن ابن عباس رضي الله
عنهما ان هذا المثل ضربه الله للمغتر بالدنيا الذي يعمل لها ويؤثرها على الآخرة
وقال ابن جرير ايضا عن ابن عباس رضي الله عنهما ان هذا المثل ضربه الله للمغتر
بالدنيا الذي يعمل لها ويؤثرها على الآخرة وقال ابن جرير ايضا عن ابن عباس
رضي الله عنهما ان هذا المثل ضربه الله للمغتر بالدنيا الذي يعمل لها ويؤثرها
على الآخرة وقال ابن جرير ايضا عن ابن عباس رضي الله عنهما ان هذا المثل
ضربه الله للمغتر بالدنيا الذي يعمل لها ويؤثرها على الآخرة وقال ابن جرير
ايضا عن ابن عباس رضي الله عنهما ان هذا المثل ضربه الله للمغتر بالدنيا الذي
يعمل لها ويؤثرها على الآخرة وقال ابن جرير ايضا عن ابن عباس رضي الله
عنهما ان هذا المثل ضربه الله للمغتر بالدنيا الذي يعمل لها ويؤثرها على
الآخرة وقال ابن جرير ايضا عن ابن عباس رضي الله عنهما ان هذا المثل
ضربه الله للمغتر بالدنيا الذي يعمل لها ويؤثرها على الآخرة وقال ابن جرير
ايضا عن ابن عباس رضي الله عنهما ان هذا المثل ضربه الله للمغتر بالدنيا
الذي يعمل لها ويؤثرها على الآخرة وقال ابن جرير ايضا عن ابن عباس
رضي الله عنهما ان هذا المثل ضربه الله للمغتر بالدنيا الذي يعمل لها
ويؤثرها على الآخرة وقال ابن جرير ايضا عن ابن عباس رضي الله
عنهما ان هذا المثل ضربه الله للمغتر بالدنيا الذي يعمل لها
ويؤثرها على الآخرة وقال ابن جرير ايضا عن ابن عباس
رضي الله عنهما ان هذا المثل ضربه الله للمغتر
بالدنيا الذي يعمل لها ويؤثرها على
الآخرة وقال ابن جرير ايضا
عن ابن عباس رضي
الله عنهما

هكذا الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون هذا ضرب الله مثلا للمشركين والموحد فالمشرك
بمنزلة عبد تملكه جماعة مشتركون في خدمته لا يكلفه رضاهم جميعا والموحد كمالك
عبد سلم له وحده فمثله كمثل عبد رجل واحد قد سلم له وعلم مقاصده الخفاء فهو في راحة
من تشاحن الخلطاء فيرضيهم بما لكل منهم فارغ فيرفع رأسه مالك مسرور وعبده
له وشفقته عليه واحسانه اليه وتأتيه بمصالحه فهو سيتوفى هذان العبد ان وهذا من ابلغ
الامثال فان الخلق كلهم لله واحد مستحق من معونته واحسانه ما تتفاوت اليه وقل
صالحهم لا يستحق صاحب الشركاء المتشاكسين الحريص بل اكثرهم لا يعلمون فصل
وهنا قوله تعالى ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح ٥٨
وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين ففانتاهما فلم يغنيا
عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين وضرب الله مثلا
للذين امنوا امرأة فرعون اذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني
من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين ومريم ابنة عمران التي احصنت
فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين
فاشتملت هذه الايات على ثلاثة امثال مثل للكافر ومثلين للمؤمنين فتضمن مثل
الكافرين الكافر فجاءت على كفره وعداوته لله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم واوى
ليأته ولا ينفعه مع كفره ما كان بينه وبين المؤمنين من لحمة نسب او وصلة صهر او سبب
من سبب الاتصال فان الاسباب تنقطع يوم القيمة الا ما كان منها متصلا بالسبب الذي
على ايديه رسله عليهم الصلاة والسلام فلو نفعت وصلة القرابة او المصاهرة او النكاح
مع عدم الايمان لنفعت الوصلة التي كانت بين نوح ولوط عليهما الصلاة والسلام
وامرأتيهما فلما لم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل لهما ادخلا النار مع الداخلين
قطعت الآية حينئذ طمع من ارتكب معصية الله تعالى وخالف امره وجاء
ان ينفعه صلاح غيره من قريب او اجنبي ولو كان بينه وبين الدنيا اشد الاتصال
فلا اتصال فوق اتصال النبوة والابوة والزوجية ولم يغن نوح عليه الصلاة
والسلام عن ابنه ولا ابراهيم عليه الصلاة والسلام عن ابيه ولا نوح ولوط

عليهما الصلاة والسلام عن امرأتيهما من الله شيئا قال الله تعالى لن تنفعكم ارحامكم
ولا اولادكم يوم القيمة يفصل بينكم وقال تعالى يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ
وقال تعالى واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا وقال تعالى واخشوا يوما لا يجزي
والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا وهذا كله تكذيب لادعاء
المشركين الباطل ان من تعلق بأبوة مدفون الله من قرابة او صهر او نكاح او
صحبة ينفعهم يوم القيمة او ينجوهم من عذاب الله تعالى او تشفع لهم عند
الله تعالى وهذا اصل ضلال بني آدم وشركهم وهو الشرك الذي لا يغفره الله
وهو الذي بعث الله تعالى جميع رسله عليهم الصلاة والسلام وانزل جميع
كتبه بإبطاله ومحاربته لهله ومعاداتهم فصل واما المثلان
اللذان للمؤمنين فاحدهما امرأة فرعون وجه المثل ان اتصال المؤمن بالكافر
لن يضره شيئا اذا فارقه في كفره وعمله فمعصية العاصي لا تضر المطيع شيئا في
الآخرة ولن تضر بجاني الدنيا بسبب العقوبة التي تحل باهل الارض اذا
اضاعوا امره ولم يعمل فناني عامة فلم تضر امرأة فرعون اتصالها بهو هو
من اكفر الكافرين ولا ينفع امرأة نوح ولوط اتصالهما بهما وهما رسولا
رب العالمين المتصل الثاني للمؤمنين هو ما بين مريم التي لا زوج لها المؤمنة
ولا كافر فذكر ثلاثة اصناف النساء المرأة الكافرة التي لها وصلة بالرجل
الصالح والمرأة الصالحة التي لها وصلة بالرجل الكافر والمرأة العزبة التي لا
وصلة بينها وبين احد فالاولى لا ينفعها وصلتها وسببها والثانية لا تضرها
وصلتها وسببها والثالثة لا تضرها عدم الوصلة شيئا ثم في هذه
الامثال من الاسرار البديعة ما يناسب سياق السورة فانها سيقت
في ذكر ازواج النبي صلى الله عليه وسلم والتحذير من تظاهرهن عليه وما
لهن ان لم يطعن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ويردن الدار الآخرة لم
ينفعهن اتصالهن برسول الله صلى الله عليه وسلم كما لم ينفع امرأة نوح ولوط
اتصالهما بهما وهذا خطاب ضرب الله في هذه السورة مثل اتصال النكاح
دون القرابة تالله يحيى بك عليه السلام ضرب الله المثل اللوط بحذر عائشة وحفصة

ثم ضرب لهما المثل الثاني يحرضهما على التمسك بالطاعة وفي ضرب المثل للمؤمنين أيضا عتاب آخر وهو أنه لما خيرهما عند اسقاط شيء فتنف لعداد الله تعالى لليهود فينسبونه إليها كما يراها الله عنه كولدها الصديقة الكبرى المصطفاة على نساء العالمين فلا تظهر الأمر الصالح فتنفي الفجار والفساق فيرد في هذا تسلية لعائشة رضي الله عنها وللمؤمنين إذا كانت السورة نزلت بعد قصة الإفك ونوطين نفسها على ما قال فيها الكاذبون إذا كانت قبلها كما في التمثيل بامرأة نوح ولوط تحذيرها وتحضيضها على حسن المعاشرة في حق النبي صلى الله عليه وسلم فتضمنت هذه الأمثال التحذير لهن والتخويف والتحريض لهن على الطاعة والتوحيد والتسليم ولو طيب النفس لما أودي منهن وكذب عليه وإسرار التنزيل خوفه هذا لجلة منه ولا سيما أسرار الأمثال التي لا يعقلها إلا العالمون تمت بحمد الله وحسن توفيقه وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما اللهم اغفر كاتبها ولقارئها ومستدعيها حتى يتدبرها ولمصنفها وجميع المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات آمين والحمد لله رب العالمين

يقول الفقير إلى الله تعالى علي ابن زين
العابدين غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

وقد وقع الفراغ من تسويد هذه النسخة المباركة يوم الاثنين الموسوم بالثاني
سنة سبعين بعد المئتين والألف من هجرة من له عز وشرف أفضل الصلاة وأتم

تمت

١٦

الرقم العام
٥٢٤٠٩٠٠

المجمع العلمي العربي الإسلامي
اللجنة الفنية
قسم الترقيم والمعلومات
الرقم العام
٥٢٤٠٩٠٠

المؤلف
المصدر
عدد صفحاته ١٦
حجمه

اللوحة الأخيرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير البرية محمد وآله وصحبه أجمعين ..

«مثل المنافقين في كتاب الله جل وعلا [١]

قال شيخنا رحمه الله [٢] ..

[ومن هذا ما] [٣] وقع في القرآن أمثال، وأن أمثال القرآن لا يعقلها إلا العالمون، [وأنها] [٤] شبيه شيء بشيء في حكمه وتقريب المعقول من المحسوس أو أحد المحسوسين من الآخر، واعتبار أحدهما بالآخر ؛ كقوله تعالى في حق المنافقين: ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم ﴾ إلى قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: ١٧-٢٠] ؛ فضرب للمنافقين بحسب حالهم مثلين: مثلًا [ناريًّا، و] [٥] مثلًا مائيًّا ؛ لما في الماء والنار من الإضاءة والإشراق والحياة، فإن النار مادة النور، والماء مادة الحياة، وقد جعل الله سبحانه الوحي الذي أنزل من السماء متضمنًا

تنبيه: كل آية ذكر فيها المنافقون فهي مدنية - إذ لم يعرف النفاق في مكة وكل آية فيها نداء لأهل الكتاب فهي أيضًا مدنية.

(١) من صنع المحقق، وكذلك ما بعده من عناوين .

(٢) من كلام أحد تلامذة شيخ الإسلام ابن القيم رحمه الله .

(٣) ما بين القوسين زيادة من (ط) .

(٤) في (ط): (فإنها) .

(٥) زيادة من النسخة (ص) .

لحياة القلوب واستنارتها، ولهذا سماه روحًا ونورًا [١]، وجعل قابليه أحياءً في النور ومن لم يرفع به رأسًا أمواتًا في الظلمات .

وأخبر عن حال المنافقين بالنسبة إلى حظهم من الوحي أنَّهم بمنزلة من استوقد نارًا لتضيء له وينتفع بها ؛ وهذا لأنهم دخلوا في الإسلام، فاستضاءوا به وانتفعوا به وآمنوا به وخالطوا المسلمين، ولكن لما لم يكن لصحبتهم مادة من قلوبهم من نور الإسلام طغى عنهم وذهب (لصحبتهم)[٢] الله بنورهم، ولم يقل بنارهم ؛ فإن النار فيها الإضاءة والإحراق، فذهب الله بما فيها من الإضاءة وأبقى عليهم ما فيها من الإحراق، ﴿ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴾ ؛ فهذا حال من أبصر ثم عمي، وعرف ثم أنكر، ودخل في الإسلام ثم فارقه بقلبه، لا يرجع إليه ؛ ولهذا قال: ﴿ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ .

ثم ذكر حالهم بالنسبة إلى المثل المائي ؛ فشبههم بأصحاب صَيِّب، وهو المطر الذي يصوب، أي: ينزل من السماء [٣]، ﴿ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ﴾؛ فلضعف بصائرهم وعقولهم اشتدت عليهم زواجر القرآن ووعيده وتهديده وأوامره ونواهيه وخطابه الذي يُشبه الصواعق، فحالهم كحال من أصابه مطر فيه ظلمة ورعد وبرق، فلضعفه وخوفه جعل أصبعيه في أذنيه [وغمّض عينيه] [٤] خشية من صاعقة تصيبه .

---

(١) إشارة إلى الآية: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى: ٥٢] .

(٢) زيادة من النسخة (ب)

(٣) انظر: (المفردات) للأصبهاني (٢٢٨) .

(٤) ما بين القوسين ساقط من (ص) .

وقد شاهدنا نحن وغيرنا كثيرًا من مخانيث[١] تلاميذ الجهمية[٢] والمبتدعة

(١) مفرده: مُخنّث.

(٢) قال أبو عمرو: وهذه بعض أسطر سوداء في ذكر الجهمية وبعض مواردهم:

الجهمية: إحدى الفرق الكلامية التي تُنسب إلى الإسلام، قامت على البدع الكلامية والآراء المخالفة لعقيدة أهل السنة والجماعة، متأثرة بعقائد اليهود والصابئة والمشركين والفلاسفة والضالين.

قال أبو عمرو: ولأصل الكلمة يُرجع إلى فعل (جهم).

قال الأزهري في (تهذيب اللغة): « قال الليث: رجل جهم الوجه: غليظه، وفيه جهومة: غِلَظ»، قال: « وتجهمت لفلان: إذا استقبلته بوجه كريه ».

وقال الفيروزآبادي في (القاموس المحيط): « الوجه الغليظ المجتمع السمج ».

وقال ابن منظور في (لسان العرب): « الجهم والجهيم من الوجوه: الغليظ المجتمع في سماجة، وتجهمه وتجهم له كجهمه: إذا استقبله بوجه كريه، ورجل جهم الوجه: أي كالح الوجه، ورجل جهم الوجه وجهمه: غليظه ».

قال الجرجاني في (التعريفات): « الجهمية: هم أصحاب جهم بن صفوان، قالوا: لا قدرة للعبد أصلًا، لا مؤثرة ولا كاسبة، بل هو بمنزلة الجمادات، والجنة والنار تفنيان بعد دخول أهلهما حتى لا يبقى موجود سوى الله تعالى ».

أول من أظهر معتقد الجهمية

تشير المصادر إلى أن أول من تكلم بهذا المعتقد هو الضال: الجعد بن درهم.

قال اللالكائي رحمه الله: « أخبار الجعد بن درهم لعنه الله ـ:

ذكره عبد الرحمن بن أبي حاتم، قال: سمعت أبي يقول: أول من أتى بخلق القرآن جعد بن درهم، وقاله في سنة نيف وعشرين ومئة ».

قال ابن كثير رحمه الله: « الجعد بن درهم هو أول من قال بخلق القرآن ».

وقال الذهبي رحمه الله: « هو أول من ابتدع بأن الله ما اتخذ إبراهيم خليلًا، ولا كلم موسى ».

شيء من سيرته السيئة

قال ابن كثير رحمه الله: هو الذي يُنسب إليه مروان الجعدي، وهو مروان الحمّار آخر خلفاء بني أمية، كان شيخه الجعد بن درهم أصله من حران، ويقال: إنه من موالي بني مروان، سكن الجعد دمشق وكانت له بها دار بالقرب من القلانسيين إلى جانب الكنيسة، ذكراه ابن عساكر.

قلت ابن كثير : وهي محلة بالقرب من الخواصبين اليوم، غربيها عند حمام القطانين، يقال له: حمام قلنيس. =

إذا سمعوا شيئا من آيات الصفات وأحاديث الصفات المنافية لبدعتهم رأيتهم

= عقيدته أو قل: فضائحه

قال الإمام ابن حزم رحمه الله: « فمن فضائح الجهمية وشنعهم، قولهم:
بأن علم الله مُحدث مخلوق، وأنه تعالى لم يكن يعلم شيئًا حتى أحدث لنفسه علمًا علم به، وكذلك قولهم في القدرة، وقالوا أيضًا: إن الجنة والنار تفنيان ويفنى كل من فيهما، وهذا خلاف القرآن والثابت عن رسول الله ﷺ وخلاف إجماع أهل الإسلام المتقين » .

قال الحافظ رحمه الله: « وللجعد أخبار كثيرة في الزندقة ؛ منها: أنه جعل في قارورة ترابًا وماء فاستحال دودًا وهوام، فقال: أنا خلقت هذا ؛ لأني كنت سببًا كونه .

فبلغ ذلك جعفر بن محمد ؛ فقال: ليقل، كم هو ؟ وكم الذكران منه والإناث ؟ إن كان خلقه. وليأمر الذي يسعى إلى هذا أن يرجع إلى غيره فبلغه ذلك فرجع .

أقسام الجهمية

قسَّم شيخ الإسلام رحمه الله الجهمية إلى درجات ثلاث:

الأولى: وهم الجهمية الغالية النافون لأسماء الله تعالى وصفاته، وإن سموه بشيء من الأسماء الحسنى، قالوا: هي مجاز .

الثانية: وهم المعتزلة ونحوهم، الذين يقرون بأسماء الله تعالى الحسنى، لكنهم ينفون صفاته جل وعلا ـ ولا يعني ذلك أنهم جبرية في القول بالقدر .

الثالثة: وهم الكثير من الفرق الكلامية وطائفة من أهل الحديث، لمحمد بن كلاب ومن اتبعه، وأبي الحسن والأشعري وطوائف من أهل الفقه والتصوف، وهم يقرون بأسماء الله تعالى وصفاته في الجملة، ولكنهم يردون طائفة من الأسماء والصفات الخبرية وغير الخبرية، ويؤولونها .

موارد عقيدتهم

وإن تعجب فعجب عقيدتهم، فقد استمدوها من اليهود والنصارى .

قال ابن عساكر وغيره: وقد أخذ بدعته عن بيان بن سمعان، وأخذها بيان عن طالوت بن أخت لبيد بن أعصم، وزوج ابنته، عن لبيد بن أعصم الساحر لعنه الله .

ولبيد هو اليهودي المعروف الذي سحر نبينا ﷺ .

قال شيخ الإسلام رحمه الله: « أسانيد جهم ترجع إلى اليهود والصابئين والمشركين » .

قتل الجعد

أخرج البخاري في (التاريخ الكبير) (١/ ٦٤)، وخلق أفعال العباد (٧)، والدارمي في =

عنها معرضين، ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ۝٥٠ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾ [المدثر: ٥٠-٥١]

= (الرد على الجهمية) (١٣/ ٣٨٨)، وفي (الرد على المريسي) (١/ ٥٨٠)، والخلّال في (السنة) (١٦٩٠)، وغيرهم قصة قتل الجعد، وقد حكاه ابن كثير قائلًا: وأما الجعد لعنه الله ـ، فإنه أقام بدمشق حتى أظهر القول بخلق القرآن، فطلبه بنو أمية، فهرب منهم، فسكن الكوفة، فلقيه بها الجهم بن صفوان، فتقلد هذا القول لعنهما الله ـ، ثم قتله خالد بن عبد الله القسري يوم الأضحى بالكوفة، وذلك أن خالدًا خطب الناس، فقال في خطبته تلك: أيها الناس، ضحوا، تقبل الله ضحاياكم، فإني مضح بالجعد بن درهم، إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلًا ولم يكلم موسى تكليمًا، تعالى الله عما يقول الجعد علوًا كبيرًا.

ثم نزل فذبحه في أصل المنبر بيده، أثابه الله تعالى، وتقبل منه، وذلك في أيام هشام بن عبد الملك، وقد كان هشام طلبه بدمشق حين أظهر ما أظهر، ثم إنه هرب بعد ذلك، فكتب إلى نائبه خالد بن عبد الله القسري أن يقتله، فقتله كما ذكرنا.

وقال الذهبي في (الميزان): والقصة مشهورة.

وذكرها غير ما ذكرنا كثير جدًا.

قال شيخ الإسلام في (الفتاوى) (١٢/ ٣٥٠): «فضحى بالجعد خالدٌ القسري بواسط على عهد علماء التابعين وغيرهم من علماء المسلمين، وهم بقايا التابعين في وقته، في مثل الحسن البصري وغيره وحمدوه على ما فعل».

تلميذه وناشر مذهبه الجهم بن صفوان

ذكرنا آنفًا أن الجعد قد بث سمومه للجهم بن صفوان، وقد شرب هذا المعتقد ونشره ودافع عنه.

قال الذهبي رحمه الله: «جهم بن صفوان، أبو محرز الراسبي، مولاهم السمرقندي، الكاتب المتكلم، أسُّ الضلالة ورأس الجهمية، كان صاحب ذكاء وجدال».

مقتل جهم

قال ابن كثير: «دخلت سنة ثمان وعشرين ومئة، فيها كان مقتل الحارث بن سريج، وكان سبب ذلك أن يزيد بن الوليد الناقص كان قد كتب إليه كتاب أمان، حتى خرج من بلاد الترك، وصار إلى بلاد المسلمين، ورجع عن موالاة المشركين إلى نصرة الإسلام وأهله، وأنه وقع بينه وبين ابن سيّار نائب خراسان وحشة ومنافسات كثيرة يطول شرحها، فلما صارت مروان بن محمد استوحش الحارث بن سريج من ذلك، وتولى ابن هبيرة نيابة العراق، وجاءت البيعة لمروان، فامتنع الحارث من قبولها، وتكلم في مروان وجاءه مسلم بن أحوز أمير الشرطة، وجماعة من رؤوس الأجناد والأمراء، وطلبوا منه أن يكف لسانه ويده، فأبى، وبرز نصر =

= من موافقته، واستمر هو على خروجه على الإسلام، وأمر الجهم بن صفوان مولى بني راسب، ويكنى بأبي محرز وهو الذي تنسب إليه الفرقة الجهمية أن يقرأ كتابًا في سيرة الحارث على الناس، وكان الحارث يقول: أنا صاحب الرايات السود، فبعث إليه نصر، يقول: إن كنت ذاك، فلعمري إنكم الذين تخربون سور دمشق، فخذ مني خمس مئة رأس ومئتي بعير وما شئت من الأموال، وإن كنت غيره فقد أهلكت عشيرتك ؛ فبعث إليه الحارث يقول: لعمري إن هذا لكائن، ثم سر إلى الري، وأنا في طاعتك إذا وصلتها، ثم تناظر نصر والحارث ورضيا أن يحكم بينهما مقاتل بن حيان والجهم بن صفوان، فحكما أن يعزل نصر ويكون الأمر شورى، فامتنع نصر من قبول ذلك، ولزم الجهم بن صفوان وغيره قراءة سيرة الحارث على الناس في المجامع والطرق، فاستجاب له خلق كثير وجم غفير، فعند ذلك انتدب لقتاله جماعات من الجيوش عن أمر نصر بن سيّار، فقصدوه فحاجف دونه أصحابه، فقتل منهم طائفة كثيرة، منهم الجهم بن صفوان، طعنه رجل في فيه فقتله .

ويقال: بل أسر الجهم، فأوقف بين سلم بن أحوز، فأمر بقتله، فقال: إن لي أمانًا من ابنك، فقال: ما كان له أن يؤمنك، ولو فعل ما أمنتك، ولو ملأت هذه الملاءة كواكب، ولو أنزلت إلي عيسى ابن مريم ما نجوت، والله لو كنت في بطني لشققت بطني حتى أقتلك، وأمر عبد ربه بن سيسن فقتله .

بشر بن غياث المريسي

« المتكلم المناظر البارع، أبو عبد الرحمن، كان بشر من كبار الفقهاء، ونظر في الكلام فغلب عليه، وانسلخ من الورع والتقوى، وجرد القول بخلق القرآن ودعا إليه، حتى كان عين الجهمية في عهده وعالمهم ؛ فمقته أهل العلم، وكفره عدة، ولم يدرك جهم بن صفوان، بل تلقف مقالاته من أتباعه » .

قال أبو عمرو: هكذا بدأ الذهبي رحمه الله ترجمته في (السير) .

وقال الخطيب رحمه الله : « بشر بن غياث بن أبي كريمة، أبو عبد الرحمن المريسي، كان يسكن الدرب المعروف، ويسمى درب المريسي، وهو بين نهر الدجاج ونهر البزازين، وبشر من أصحاب الرأي، أخذ الفقه عن أبي يوسف القاضي، إلا أنه اشتغل بالكلام، وجرد القول بخلق القرآن، وحكي عنه أقوال شنيعة، ومذاهب مستنكرة أساء أهل العلم قولهم فيه بسببها، وكفره أكثرهم لأجلها . =

ويقول مخنثهم: سدوا عنا هذا الباب، واقرأوا شيئًا غير هذا، وترى قلوبهم مولِّيَة وهم (يجمحون ؛ لثقل معرفة الرب)[1] وأسمائه وصفاته على عقولهم وقلوبهم .

وكذلك المشركون على اختلاف شركهم إذا جُرِّد لهم التوحيد وتُلِيَت عليهم نصوصه المبطلة لشركهم اشمأزت قلوبهم/ وثقل عليهم، لو (٢/أ) وجدوا السبيل إلى سد آذانهم لفعلوا، وكذلك نجد أعداء أصحاب رسول الله ﷺ [إذا سمعوا نصوص الثناء على الخلفاء الراشدين وصحابة رسول الله ﷺ][2] ثقل ذلك عليهم جدًّا فأنكرته قلوبهم، وهذا كله شَبَه ظاهر ومثل محقق من إخوانهم من المنافقين في المثل الذي ضربه الله لهم بالماء ؛ فإنهم لما تشابهت قلوبهم تشابهت أعمالهم .

= موارد عقيدته

قال أبو بكر المروزي: سمعت أبا عبد الله ذكر بشرًا المريسي، فقال: « من كان أبوه يهوديًا، أيش تراه يكون ؟ » .

وقال أبو النضر: « كان أبو بشر المريسي يهوديًا، قصّارًا وصبّاغًا في وسيقة نضر بن مالك » .

قال أبو عمرو: وللمزيد انظر: (خلق أفعال العباد) (١٢)، و (مسائل أبي داود) (٢٧٠)، و (الإبانة) لابن بطة (٣٤٤)، و (تاريخ بغداد) (٧/ ٦١) .

صفته الخلقية

قال العجلي رحمه الله: « رأيت بشر المريسي عليه لعنة الله مرة واحدة، شيخًا قصيرًا دميم المنظر، وسخ الثياب، وافر الشعر، أشبه شيء باليهود، وكان أبوه يهوديًا صبّاغًا بالكوفة في سوق المراضع»، ثم قال: « لا يرحمه الله، ولقد كان فاسقًا » .

وفاتـــــه

قال الخطيب رحمه الله: « مات بشر المريسي في ذي الحجة سنة ثمان عشرة ومائتين، ويقال سنة تسع عشرة ومائتين » .

(١) في النسخة (ب) «محجوبوا العقل عن معرفة الرب سبحانه وتعالى».

(٢) ما بين قوسين ساقط من النسخة (ص) و (ط) .

فصـــل

(المثل المائي والناري)

وقد ذكر سبحانه المثلين، المائي والناري، في سورة الرعد، ولكن في حق المؤمنين ؛ فقال تعالى: ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ [الرعد: ١٧]، شبه الوحي الذي أنزله لحياة القلوب والأسماع والأبصار بالماء الذي أنزله لحياة الأرض بالنبات وشبه القلوب بالأودية فقلب كبير يسع علمًا عظيمًا كواد كبير يسع ماءً كثيرًا، وقلبٌ صغيرٌ إنما يسع بحسبه كالوادي الصغير ؛ ﴿ فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا ﴾ (واحتملت قلوب من الهدى والعلم بقدرها)، كما أن السيل إذا خالط الأرض ومر عليها احتملت غُثاء وزَبدًا؛ فكذلك الهدى والعلم إذا خالط القلوب أثار ما فيها من الشهوات والشبهات ليقلعها ويُذهبها، كما يثير الدواء وقت شربه من البدن أخلاطه [فتكرب][1] بها شاربه، وهي من تمام نفع الدواء ؛ فانه أثارها ليذهب بها، فإنه لا يجامعها ولا يساكنها وهكذا ﴿ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ﴾.

ثم ذكر المثل النَّاري فقال: ﴿ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ﴾، وهو الخبث الذي يخرج عند سبك الذهب والفضة والنحاس والحديد[2]؛ فتخرجه النار وتميزه وتفصله عن الجوهر الذي ينتفع به، فيرمى

---

(١) في النسخة (ب) «فينكرب».

(٢) تقدم تخريجه، وهو عند الطبري (١٤/ ١٣٦).

ويطرح ويذهب جُفاءً.

فكذلك الشهوات والشبهات يرميها قلب المؤمن ويطرحها ويجفوها كما يطرح السيل والنار ذلك الزبد والغثاء والخبث ويستقر في قرار الوادي الماء الصافي [النقي][1] الذي يسقي منه الناس ويزرعون ويسقون أنعامهم؛ كذلك يستقر في قرار القلب وجدره الإيمان الخالص الصافي الذي ينفع صاحبه وينتفع به غيره[2]، ومن لم يفقه هذين المثلين ولم يتدبرهما ويعرف ما يراد منهما فليس من أهلهما، والله الموفق.

فصل

(مثل الحياة الدنيا)

ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ [كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ][3]﴾/ (٢/ب) [يونس: ٢٤]، شبه سبحانه الحياة الدنيا في أنها تتزين في عين الناظر فتروقه بزينتها وتعجبه فيميل إليها ويهواها اغترارًا منه بها، حتى إذا ظَنَّ أنه مالك لها قادر عليها سُلِبَها بغتة أحوج ما كان إليها وحيل بينه وبينها؛ فشبهها بالأرض الذي ينزل الغيث عليها فتعشب ويحسن نباتها ويروق منظرها للناظر فيغتر به ويظن أنه قادر عليها مالك لها، فيأتيها أمر الله فتدرك نباتها

---

(١) زيادة من النسخة (ب).

(٢) انظر: (تفسير القرآن العظيم) لابن كثير (٢/ ٥٠٨).

(٣) ما بين القوسين كتب بهامش (أ).

الآفة بغتة فتصبح كأن لم تكن قبل، فيخيب ظنه وتصبح يداه صِفرًا منهما ؛ فهكذا حال الدنيا والواثق بها سواء، وهذا من أبلغ التشبيه والقياس .

فلما كانت الدنيا عرضة لهذه الآفات والجنة سليمة منها قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [يونس: ٢٥] ؛ فسماها هنا دار السلام لسلامتها من هذه الآفات التي ذكرها في الدنيا، فعم بالدعوة إليها وخص بالهداية من شاء ؛ فذلك عدله وهذا فضله [١] .

فصل

(مثل المؤمن والكافر)

ومنها قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [هود: ٢٤] ؛ فإنه سبحانه وتعالى ذكر الكفار ووصفهم بأنهم ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون، ثم ذكر المؤمنين ووصفهم بالإيمان والعمل الصالح والإخبات [٢] إلى ربهم ؛ فوصفهم بعبودية الظاهر، وبالباطن جعل أحد الفريقين كالأعمى والأصم من حيث كان قلبه أعمى عن رؤية الحق أصم عن سماعه، [فشبهت] [٣] بمن بصره أعمى عن رؤية أحق الأشياء وسمعه أصم عن سماع الأصوات، والفريق الآخر بصير القلب سميعه كبصير العين وسميع الأذن ؛ فتضمنت الآية قياسين وتمثيلين للفريقين، ثم نفى التسوية عن الفريقين بقوله ﴿ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ﴾ [٤] .

---

(١) (تفسير القرآن العظيم) لابن كثير (٢/ ٤١٣) .

(٢) الإخبات، أي: الخشوع والخضوع .

(٣) في (ط): (فشبهه) .

(٤) انظر: (غرائب القرآن) (١١/ ١٧) .

فصل [١]

(مثل الكافر كمثل العنكبوت)

ومنها قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤١] ؛ فذكر سبحانه أنهم ضعفاء وأن الذين اتخذوهم أولياء أضعف منهم، فهم في ضعفهم وما قصدوه من اتخاذ الأولياء كالعنكبوت؛ اتخذت بيتًا وهو أوهن البيوت وأضعفها .

وتحت هذا المثل أن هؤلاء المشركين أضعف ما كانوا حيث اتخذوا من دون الله أولياء، فلم يستفيدوا بمن اتخذوهم أولياء إلَّا ضعفًا كما قال تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴾ [مريم: ٨٠-٨١]، وقال تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴾ [يس: ٧٤-٧٥]، وقال بعد أن ذكر هلاك الأمم المشركين: ﴿ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴾ [هود: ١٠١] ؛ فهذه أربعة مواضع في القرآن تدل على أن من اتخذ من دون الله وليًّا يتعزز به [ويتكثَّر] [٢] به ويستنصر به لم يحصل له به إلا ضد مقصوده، وفي/ القرآن أكثر من ذلك، (٣/أ) وهذا من أحسن الأمثال وأدلها على بطلان الشرك وخسارة صاحبه وحصوله على ضد مقصوده .

---

(١) ليست في (أ) .

(٢) في (ط): (يتكبر) .

فإن قيل: فهم يعلمون أن أوهن البيوت بيت العنكبوت، فكيف نفى عنهم علم ذلك بقوله: ﴿ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ ؟!

فالجواب: أنه سبحانه لم ينف عنهم علمهم بوهن بيت العنكبوت، وإنما نفى علمهم بأن اتّخاذهم أولياء من دونه كـ ﴿ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾؛ فلو علموا ذلك لما فعلوه، ولكن ظنُّوا أن اتخاذهم الأولياء من دونه يفيدهم عزًّا وقوةً، فكان الأمر بخلاف ما ظنّوا [1].

فصل

(مثل السراب والظلمات)

ومنها قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ۚ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٣٩-٤٠].

ذكر سبحانه للكافرين مثلين: مثلًا بالسراب، ومثلًا بالظلمات المتراكمة.

وذلك لأن المعرضين عن الهدى والحق نوعان:

أحدهما: من يظن أنه على شيء فيتبين له عند انكشاف الحقائق خلاف ما كان يظنه ؛ وهذه حال أهل الجهل وأهل البدع والأهواء الذين يظنون أنَّهم على هدىً وعلمٍ، فإذا انكشفت الحقائق تبين لهم أنهم لم يكونوا على

---

(١) انظر: (الجمان) (١٨٦) و(تفسير القرآن العظيم) لابن كثير (٣/ ٤١٣) .

شيء، وأن عقائدهم وأعمالهم التي ترتبت عليها كانت كسراب يُرَى في أعين الناظرين ماءً ولا حقيقة له ؛ وهكذا الأعمال التي لغير الله ﷻ وعلى غير أمره يحسبها العامل نافعةً له وليست كذلك، وهذه هي الأعمال التي قال الله ﷻ فيها: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان: ٢٣] .

وتأمل جعل الله سبحانه السراب بالقيعة، وهي الأرض الخالية القفر من البناء والشجر والنبات والعالم ؛ فمحل السراب أرض قفر لا شيء بها والسراب لا حقيقة له وذلك مطابق لأعمالهم وقلوبهم التي أقفرت من الإيمان والهدى .

وتأمل ما تحت قوله: ﴿ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً ﴾، والظمآن الذي اشتد عطشه فرأى السراب فظنّه ماء فتبعه فلم يجده [شيئًا بل خانه أحوج ما كان إليه ؛ فكذلك هؤلاء لما كانت أعمالهم على غير طاعة الرسل عليهم الصلاة والسلام] [1] ولغير الله جعلت كالسراب ؛ فرفعت لهم أظمأ ما كانوا إليها فلم يجدوا شيئًا ووجدوا الله سبحانه ثَمَّ، فجازاهم بأعمالهم ووفاهم حسابهم.

وفي الصحيح من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ في حديث التجلي يوم القيامة: « **ثم يُؤتى بجهنم تعرض كأنَّها السراب، فيقال لليهود: وما كنتم تعبدون ؟**

فيقولون: كُنَّا نعبد عزيرًا ابنَ الله .

فيقال: كذبتم ؛ لم يكن لله صاحبة ولا ولد، فما تريدون ؟

قالوا: نريد أن/ تسقينا، فيقال: اشربوا ؛ فيتساقطون في جهنم . (٣/ ب

(١) ما بين القوسين ساقط من (ط) .

ثم يقال للنصارى: ما كُنتم تعبدون ؟

فيقولون: كُنا نعبد المسيحَ ابنَ الله .

فيقال: كذبتم ؛ لم يكن لله صاحبة ولا ولد، فما تريدون ؟

فيقولون: أن تسقينا فيقال لهم: اشربوا ؛ فيتساقطون .. »، وذكر الحديث[1].

وهذه حال كل صاحب باطل ؛ فإنه يخونه باطله أحوج ما كان إليه، فإن الباطل لا حقيقة له وهو كاسمه باطل ؛ فإذا كان الاعتقاد غير مطابق ولا حقَّ كان متعلقه باطلًا .

وكذلك إذا كانت غاية العمل باطلة كالعمل لغير الله ﷻ أو على غير أمره بطل العمل ببطلان غايته وتضرر عامله ببطلانه وبحصول ضد ما كان يؤمله، فلم يذهب عليه عمله واعتقاده لا له ولا عليه، بل صار معذَّبًا بفوات نفعه وبحصول ضد النفع ؛ فلهذا قال تعالى: ﴿ وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ ؛ فهذا مثل الضال الذي يحسب أنه على هدى .

فصـــل

(مثل أصحاب الظلمات)

النوع الثاني: أصحاب مثل الظلمات المتراكمة ؛ وهم الذين عرفوا الحق والهدى وآثروا عليه ظلمات الباطل والضلال، [فتراكمت][2] عليه ظلمة

(١) حديث صحيح:
خرجته وشرحته في كتابي (الدرر البهية شرح الأحاديث القدسية)، وللمزيد فقد أخرجه البخاري (٤/ ٢٠١) .

(٢) في النسخة (ب) «متراكمة عليه ظلمة الطبع».

الطبع وظلمة النفوس وظلمة الجهل، حيث لم يعملوا بعلمهم فصاروا جاهلين وظلمة اتباع الغي والهوى ؛ فحالهم كحال من كان في بحر لجيٍّ لا ساحل له، وقد غشيه موج ومن فوق ذلك الموج موج ومن فوقه سحاب مظلم ؛ فهو في ظلمة البحر وظلمة الموج وظلمة السحاب، وهذا نظير ما هو فيه من الظلمات التي لم يخرجه الله منها إلى نور الإيمان .

وهذان المثلان بالسراب الذي ظنه مادة الحياة وهو الماء، والظلمات المضادة للنور نظير المثلين اللذين ضربهما للمنافقين والمؤمنين وهما المثل المائي والمثل الناري،[1] وجعل حظ المؤمنين منهما الحياة والإشراق وحظ المنافقين منهما الظلمة المضادة للنور والموت المضاد للحياة ؛ فكذلك الكفار في هذين المثلين حظهم من الماء السراب الذي يغرر الناظر فيه ولا حقيقة له، وحظهم الظلمات المتراكمة، وهذا يجوز أن يكون المراد به حال كل طائفة من طوائف الكفار وأنهم عدموا مادة الحياة والإضاءة بإعراضهم عن الوحي فيكون المثلان صفتين لموصوف واحد .

ويجوز أن يكون المراد به تنويع أحوال الكفار وأن أصحاب المثل الأول هم الذين [عملوا على غير علم ولا بصيرة بل على جهل وحسن ظن بالأسلاف؛ فكانوا يحسبون أنهم يحسنون صنعًا، وأصحاب المثل الثاني هم الذين][2] استحبوا الضلالة على الهدى وآثروا الباطل على الحق وعمُوا عنه بعد إذ أبصروه وجحدوه بعد أن عرفوه .

فهذا حال المغضوب عليهم، والأول حال الضالين، وحال الطائفتين

---

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (٣/ ٢٩٦).

(٢) ما بين القوسين ساقط من (ط) .

مخالف لحال المنعم عليهم المذكورين في قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا / مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ﴾ إلى قوله: (٤/ ﴿ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [النور: ٣٥-٣٨]؛ فتضمنت الآيات أوصاف الفرق الثلاثة: المنعم عليهم ؛ وهم أهل النور، والضالين ؛ وهم أصحاب السراب، والمغضوب عليهم ؛ وهم أهل الظلمات المتراكمة، والله أعلم .

فالمثل الأول من المثلين: لأصحاب العمل الباطل الذي لا ينفع .

[والمثل الثاني: لأصحاب العلوم (والنظر والأبحاث التي لا تنفع)[1]؛ فأولئك أصحاب العمل الباطل، وهؤلاء أصحاب العمل] [2] الذي لا ينفع والاعتقادات الباطلة، وكلاهما مضاد للهدى ودين الحق ؛ ولهذا مثَّل حال الفريق الثاني في تلاطم أمواج الشكوك والشبهات والعلوم الفاسدة في قلوبهم بتلاطم أمواج البحر فيه، وأنها أمواج متراكمة من فوقها سحاب مظلم .

وهكذا أمواج الشكوك والشُّبَه في قلوبهم المظلمة التي قد تراكمت عليها سحب الغيّ والهوى والباطل .

فليتدبر اللبيب أحوال الفريقين وليطابق بينهما وبين المثلين يعرف عظمة القرآن وجلاله وأنه ﴿ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ .

وأخبر سبحانه أن الموجب لذلك أنه لم يجعل لهم نورًا[3]، بل تركهم على

---

(١) ما بين القوسين ( ) ساقط من (ص) .

(٢) ما بين القوسين [ ] ساقط من (ط) .

(٣) انظر «الكشاف» (٣/ ٦٧).

الظلمة التي خُلقوا فيها فلم يخرجهم منها إلى النور ؛ فإنه سبحانه ﴿ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ .

وفي المسند [١] من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: « إن الله خَلقَ خَلقَهُ في ظُلمةٍ وألقى عليهم من نُورِه ؛ فَمنْ أصَابه من ذَلك النورِ اهْتَدى، ومَن أخطأهُ ضَلّ ؛ فلذلك أقولُ جَفّ القَلم عَلى عِلم الله » [٢] .

فالله سبحانه خلق الخلق في ظلمة فمن أراد هدايته جعل له نورًا وجوديًّا يحيى به قلبه وروحه كما يحيى بدنه بالروح التي ينفخها فيه ؛ فهي حياتان: حياة البدن بالروح، وحياة الروح والقلب بالنور .

ولهذا سمَّى الله الوحي رُوحًا لتوقُّف الحياة الحقيقية عليه، كما قال تعالى: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ ﴾ [النحل: ٢]، وقال: ﴿ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾ [غافر: ١٥]، وقال: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾ [الشورى: ٥٢] ؛ فجعل وحيه روحًا ونورًا، فمن لم يحيه بهذا الروح فهو ميت، ومن لم يجعل له نورًا منه فهو في الظلمات ماله من نور [٣] .

---

(١) (المسند) للإمام أحمد بن حنبل رحمه الله (٢/ ١٧٦)، (٢/ ١٩٧) .

(٢) **حديث صحيح:**

أخرجه الترمذي (٢٦٢٤)، وابن أبي عاصم في (السنة) (٢٤١-٢٤٤)، والآجرّي في (الشريعة) (١٧٥٠)، واللالكائي في (شرح أصول الاعتقاد) (١٠٧٩)، من طرق عن عبد الله بن الديلمي، قال: دخلت على عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .. في حديث طويل .

قال الهيثمي في (مجمع الزوائد) (٧/ ١٩٣-١٩٤): « رواه أحمد بإسنادين، والبزار والطبراني، ورجال أحد إسنادي أحمد ثقات » .

(٣) انظر (الجمان) (١٧٧-١٨٠).

فصـــل

(أكثر الناس كالأنعام)

ومنها قوله تعالى: ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان: ٤٤] ؛ فشبه أكثر الناس بالأنعام، والجامع بين النوعين التساوي في عدم قبول الهدى والانقياد له، وجعل الأكثرين أضلَّ سبيلًا من الأنعام ؛ لأن البهيمة يهديها سائقها فتهتدي وتتبع الطريق فلا تحيد عنها يمينًا ولا شمالًا، والأكثرون يدعونهم الرسل ويهدونهم السبيل فلا يستجيبون ولا يهتدون ولا يفرقون بين ما يضرهم وبين ما ينفعهم .

والأنعام تفرق بين ما يضرها/ من النبات والطريق فتجتنبه وما ينفعها (٤/ فتؤثره، والله تعالى لم يخلق للأنعام قلوبًا تعقل بها ولا ألسنةً تنطق بها وأعطى ذلك لهؤلاء ثم لم ينتفعوا بما جعل لهم من العقول والقلوب والألسنة والأسماع والأبصار ؛ فهم أضلُّ [من البهائم، فإن من لا يهتدي إلى الرشد وإلى الطريق مع الدليل له أضلُّ] [1] وأسوأ حالًا ممن لا يهتدي حيث لا دليل معه .

فصـــل

ومنها قوله تعالى: ﴿ ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ ۖ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الروم: ٢٨] ؛ وهذا دليل قياسي احتج الله سبحانه به على المشركين، حيث جعلوا

(١) ما بين القوسين ساقط من (ط) .

له من عبيده وملكه شركاء، فأقام عليهم حجة يعرفون صحتها من نفوسهم ولا يحتاجون فيها إلى غيرهم، ومن أبلغ الحِجَاج أن يأخذ الإنسان من نفسه ويُحتجَّ عليه بما هو في نفسه مقرر عندهم معلوم لها ؛ فقال: ﴿ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن ﴾ [عبيدكم وإمائكم، ﴿ شُرَكَآءَ ﴾ في المال والأهل][1]، أي: هل يشارككم عبيدكم في أموالكم وأهليكم ؟

فأنتم وهم في ذلك سواء، تخافون أن يقاسموكم أموالكم ويشاطروكم إياها ويستأثرون ببعضها عليكم كما يخاف الشريك شريكه ؟

وقال ابن عباس: « تخافون أن يرثوكم كما يرث بعضكم بعضًا »[2]، والمعنى: هل يرضى أحد منكم أن يكون عبده شريكه في ماله وأهله حتى يساويه في التصرف في ذلك فهو يخاف أن ينفرد في ماله بأمر يتصرف فيه كما يخاف غيره من الشركاء والأحرار ؟

فإذا لم ترضوا ذلك لأنفسكم فلم عدلتم بي من خلقي من هو مملوك لي؟

فإن كان هذا الحكم باطلًا في فِطَركم وعقولكم مع أنه جائز عليكم ممكنٌ في حقكم ؛ إذ ليس عبيدكم ملكًا لكم حقيقة وإنما هم إخوانكم جعلهم الله

---

(١) ساقطة من النسخة (ب).

(٢) إسناده ضعيف:

أخرجه الطبري (٢٢/ ٥٠)، عن حجاج، عن ابن جريج، عن عطاء الخراساني، عن ابن عباس رضي الله عنهما وهذا إسناد ضعيف ؛ رواية ابن جريج عن عطاء ضعيفة، كما في (جامع التحصيل) للعلائي (١/ ٣٢٩).

تحت أيديكم [١] وأنتم وهم [عبادي] [٢] [فكيف] [٣] تستجيزون مثل هذا الحكم في حقي، مع أن من جعلتموهم لي شركاء عبيدي وملكي وخلقي ؟ فهكذا يكون تفصيل الآيات لأولي العقول [٤] .

(١) يشير إلى حديث أبي ذر ﷺ، ويرويه لنا المعرور، قال: لقيت أبا ذر بالربذة، وعليه حلة وعلى غلامه حلة، فسألته عن ذلك، فقال: إني سابيت رجلًا فعيرته بأمه، فقال لي النبي ﷺ: « **يا أبا ذر، أعيرته بأمه ؟! إنك امرؤٌ فيك جاهلية، إخوانكم خولكم، جعلهم الله تحت أيديكم ؛ فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم ؛ فإن كلفتموهم فأعينوهم** » .

حديث صحيح:

أخرجه البخاري (٣٠، ٦٠٥٠)، ومسلم (١٦٦١)، وأبو داود (٥١٥٧)، والترمذي (١٩٤٥)، وأحمد (٥/ ١٦١) .

فائدة:

ذكر الشيخ المطيعي ﷺ في شرح هذا الحديث أن بعض الملاحدة ذكر أنه لا يوجد في الإسلام وقت إضافي في العمل، وقال بزعمه: تقولون أن الإسلام دين شامل يصلح لكل زمان ومكان؟!

فأجابه الشيخ ﷺ بهذا الحديث، الذي فيه: « .. **ولا تكلفوهم ما يغلبهم ؛ فإن كلفتموهم فأعينوهم** »، فألقمه حجرًا، فبهت الذي كفر، والحمد لله رب العالمين .

(٢) في (ط): (عبيدٌ لي) .

(٣) زيادة من النسخة(ط) .

(٤) قال الإمام الطبري ﷺ:

« وأولى القولين بالصواب في تأويل ذلك القول الثاني تخافون هؤلاء الشركاء مما ملكت أيمانكم أن يقاسموكم أموالكم كما يقاسم بعضكم بعضًا ؛ لأنه أشبههما بما دلّ عليه ظاهر الكلام، وذلك أن الله جلّ ثناؤه وبّخ هؤلاء المشركين الذين يجعلون له من خلقه آلهة يعبدونها وأشركوهم في عبادتهم إياه، وهم مع ذلك يقرّون بأنها خلقه وهم عبيده، وعيرهم بفعلهم ذلك .

فقال لهم: هل لكم من عبيدكم شركاء فيما خوّلناكم من نعمنا ؛ فهم سواء وأنتم في ذلك، تخافون أن يقاسموكم ذلك المال الذي هو بينكم وبينهم كخيفة بعضكم بعضًا أن يقاسمه ما بينه وبينه من المال شركة ؛ فالخيفة التي ذكرها تعالى ذكره بأن تكون خيفة مما يخاف الشريك =

فصـــــل

(عبد مملوك وعبد أبكم)

ومنها قوله تعالى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [النحل: ٧٥-٧٦].

هذان مثلان متضمنان قياسين من قياس العكس ؛ وهو نفى الحكم لنفي علته وموجبه، فإن القياس نوعان: قياس طرد يقتضي إثبات/ الحكم (٥/أ) في الفرع لثبوت علة الأصل فيه، وقياس عكس يقتضي نفي الحكم عن الفرع لنفي علة الحكم فيه ؛ فالمثل الأول ما ضربه الله سبحانه لنفسه وللأوثان، فالله سبحانه هو المالك لكل شيء ينفق كيف يشاء على عبيده سرًّا وجهرًا ليلًا ونهارًا يمينه ملأى لا تغضيها نفقة [سحاء][1] الليل والنهار [2].

= من مقاسمة شريكه المال الذي بينهما إياه أشبه من أن تكون خيفة منه بأن يرثه ؛ لأن ذكر الشركة لا يدلّ على خيفة الوراثة، وقد يدلّ على خيفة الفراق والمقاسمة .

وقوله: ﴿ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ .

يقول تعالى ذكره: كما بيَّنا لكم أيها القوم حججنا في هذه الآيات من هذه السورة على قدرتنا على ما نشاء من إنشاء ما نشاء، وإفناء ما نحبّ، وإعادة ما نريد إعادته بعد فنائه، ودللنا على أنه لا تصلح العبادة إلا للواحد القهار، الذي بيده ملكوت كلّ شيء كذلك نبين حججنا في كل حقّ لقوم يعقلون ؛ فيتدبرونها إذا سمعوها، ويعتبرون فيتعظون بها » (جامع البيان) (٢١/ ٥٠).

(١) في النسخة (ب) (سبحانه) وهذا تصحيف.

(٢) كما ورد في الحديث، عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « قال الله ﷻ: =

والأوثان مملوكة عاجزة لا تقدر على شيء ؛ فكيف تجعلونها شركاء لي وتعبدونها من دوني مع هذا التفاوت العظيم والفرق المبين، هذا قول مجاهد وغيره [١]، وقال ابن عباس [٢]: وهو مثل ضربه الله تعالى للمؤمن والكافر، ومثل المؤمن في الخير الذي عنده ثم رزقه منه رزقًا حسنًا فهو ينفق منه على نفسه وعلى غيره سرًّا وجهرًا، والكافر بمنزلة عبد مملوك [عاجز] [٣] لا يقدر على شيء ؛ لأنه لا خير عنده فهل يستوي الرجلان عند أحد من العقلاء ؟

والقول الأول أشبه بالمراد فأنه أظهر في بطلان الشرك وأوضح عند المخاطب وأعظم في إقامة الحجة وأقرب نسبًا بقوله: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: ٧٣-٧٤] .

ثم قال: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ ﴾ .

ومن لوازم هذا المثل وأحكامه أن يكون المؤمن الموحد كمن رزقه منه رزقًا حسنًا والكافر المشرك كالعبد المملوك الذي لا يقدر على شيء ؛ فهذا ممَّا نبه عليه المثل وأرشد إليه، فذكره ابن عباس منبهًا على إرادته ؛ لأن الآية اختصت به، فتأمله فإنك تجده كثيرًا في كلام ابن عباس وغيره من السلف في

= أنفِق أُنفِق عليك، وقال: يد الله ملآى لا تغيضها نفقة، سحاء الليل والنهار » .

حديث صحيح:

خرجته وشرحته في كتابي (الدرر البهية) .

(١) أخرجه الطبري (١٤/ ١٤٩) .

(٢) إسناده ضعيف:

أخرجه الطبري (١٤/ ١٥٤)، من طريق محمد بن سعد، عن أبيه ..

وهذا إسناد ضعيف، تقدم الكلام عليه .

(٣) زيادة من (ص) .

فهم القرآن، فيظن الظانُّ أن ذلك معنى الآية التي لا معنى لها غيره فيحكيه قوله [١].

فصـــــل

(مثل ضربه الله سبحانه وتعالى لنفسه ولما يُعبد من دونه)

وأما المثل الثاني؛ فهو مثل ضربه الله سبحانه لنفسه ولما يعبدون من دونه أيضا، فالصنم الذي يُعبد من دونه بمنزلة رجل أبكم لا يعقل ولا ينطق، بل هو أبكم القلب واللسان قد عدم النطق القلبي واللساني، ومع هذا فهو عاجز لا يقدر على شيء البتة، ومع هذا فأينما أرسلته لا يأتيك بخير ولا يقضي لك حاجة، [والله][٢] سبحانه حيٌّ قادرٌ متكلمٌ، يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم، وهذا وصف له بغاية الكمال والحمد؛ فإنَّ أمره بالعدل وهو الحق يتضمن أنه سبحانه عالم به معلِّم له راض به آمرٌ لعباده به محبٌّ لأهله لا يأمر بسواه، بل ينزه عن ضده الذي هو الجور والظلم والسفه والباطل، بل أمره وشرعه عدل كلُّه، وأهل العدل هم أولياؤه وأحباؤه وهم المجاوروه فيه عن يمينه على منابر من نور[٣]، وأمره بالعدل يتناول الأمر الشرعي الديني والأمر القدري الكوني؛ وكلاهما عدل لا جور فيه/ بوجه ما، كما في الحديث (٥/ب) الصحيح: « **اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك، ناصيتي بيدك ماض فيَّ حكمك، عدلٌ فيَّ قضاؤك** » [٤]؛ فقضاؤه هو أمره الكوني، فإنما أمره إذا أراد

---

(١) وللمزيد راجع: (جامع البيان) للطبري .(١٤/ ١٤٨ - ١٥١)

(٢) في (ب) (وأنه).

(٣) جعلنا الله منهم . بمنه وكرمه

(٤) حديث صحيح: خرجته في كتابي (صحيح الأذكار) .

شيئًا فإنما يقول له: كن فيكون، فلا يأمر [إلا] (١) بحق وعدل، وقضاؤه وقدره القائم به حقٌّ وعدلٌ، وإن كان في المقضي المقدر ما هو جورٌ وظلمٌ فإنَّ القضاء غير المقضي والقدر غير المقدَّر .

ثم أخبر سبحانه أنه ﴿ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾، وهذا نظير قول رسوله هود(٢) عليه الصلاة والسلام : ﴿ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُمْ ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [هود: ٥٦] ؛ فقوله: ﴿ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ﴾ نظير قوله: « ناصيتي بيدك » (٣)، وقوله: ﴿إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ نظير قوله: « عدل فيَّ قضاؤك » ؛ فالأول ملكه، والثاني حمده، وهو سبحانه له الملك وله الحمد، وكونه سبحانه على صراط مستقيم يقتضي أنه لا يقول إلا الحق ولا يأمر إلا بالعدل ولا يفعل إلا ما هو مصلحة [ورحمة] (٤) وحكمة وعدل ؛ فهو على حق في أقواله وأفعاله فلا يقضي على العبد ما يكون ظالمًا له به، ولا يأخذه بغير ذنبه، ولا ينقصه من حسناته شيئًا، ولا يحمل عليه من سيئات غيره التي لم يعملها ولم يتسبب

---

(١) زيادة يقتضيها النص زدناها من النسخة (ط) .

(٢) بالأصل، وكذلك (ص): (شعيب)، وما أثبتناه هو الصواب ونبه على ذلك كذلك الشيخ الخطيب

(٣) قال الإمام الطبري رحمه الله:

« فإن قال قائل: وكيف قيل: ﴿ هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ﴾، فخص بالأخذ (الناصية) دون سائر أماكن الجسد .

قيل: لأن العرب كانت تستعمل ذلك في وصفها من وصفته بالذلة والخضوع ؛ فتقول: ما ناصية فلان إلا بيد فلان، أي: أنه له مطيع يصرفه كيف شاء .

وكانوا إذا أسروا الأسير فأرادوا إطلاقه والمنّ عليه جزُّوا ناصيته ؛ ليعتدّوا بذلك عليه فخرًا عند المفاخرة، فخاطبهم الله بما يعرفون في كلامهم، والمعنى ما ذكرت » (جامع البيان) (١٤/ ٦٤).

(٤) زيادة من النسخة (ط) .

إليها شيئًا، ولا يؤاخِذ أحدًا بذنب غيره، ولا يفعل قط ما لا يُحمد عليه ويُثنى به عليه ويكون له فيه العواقب الحميدة والغايات المطلوبة ؛ فإن كونه على صراط مستقيم يأبى ذلك كله .

قال محمد بن جرير الطبري: « وقوله: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ .

يقول إن ربي على طريق الحق ؛ يجازي المحسن من خلقه بإحسانه والمسيء بإساءته، لا يظلم أحدًا منهم شيئًا ولا يقبل منهم إلا الإسلام والإيمان به »[١].

ثم حكى عن مجاهد من طريق شبل عن ابن أبي نجيح عنه: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، قال: « الحق »[٢]، وكذلك رواه ابن جريج عنه[٣] .

وقالت فرقة: هي مثل قوله ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٤][٤]، وهذا اختلاف عبارة ؛ فإن كونه بالمرصاد هو مجازاة المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته.

وقالت فرقة[٥]: في الكلام حذف تقديره: إن ربي يحثكم على صراط مستقيم ويحضكم عليه، وهؤلاء إن أرادوا أن هذا معنى الآية التي أريد بها، فليس كما زعموا ولا دليل على هذا المقدَّر، وقد فرق سبحانه بين كونه آمرًا بالعدل وبين كونه على صراط مستقيم، وإن أرادوا أن حثه على الصراط المستقيم من جملة كونه على صراط مستقيم فقد أصابوا .

(١) (جامع البيان) (١٤/ ٦٤) .
(٢) المصدر السابق .
(٣) المصدر السابق (١٤/ ٦٥) .
(٤) انظر: (زاد المسير) لابن الجوزي (٤/ ٤٠١)، و(غرائب القرآن) (١٢/ ٣٩) .
(٥) انظر: (معالم التنزيل) للبغوي (٣/ ٢٣٨) .

وقالت فرقة أخرى: معنى كونه على صراط مستقيم أن مرد العباد والأمور كلها إلى الله لا يفوته شيء منها، وهؤلاء إن أرادوا أن هذا معني الآية، فليس كذلك، وإن أرادوا أن هذا من لوازم كونه على صراط مستقيم ومن مقتضاه وموجبه فهو حق.

وقالت فرقة/ أخرى: معناه كل شيء تحت قدرته وقهره وفي ملكه (٦/ وقبضته[١]، وهذا وإن كان حقًّا فليس هو معنى الآية، وقد فرق هود[٢] عليه الصلاة والسلام بين قوله: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾، وبين قوله: ﴿إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾؛ فهما معنيان مستقلان.

فالقول قول مجاهد[٣]، وهو قول أئمة التفسير ولا تحتمل العربية غيره إلا على استكراه[٤].

قال جرير[٥] يمدح عمر بن عبد العزيز:

أمير المؤمنين على صراط إذا اعوجّ الموارد مستقيم

وقد قال تعالى: ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: ٣٩]، وإذا كان الله تعالى هو الذي جعل رسله عليهم الصلاة والسلام وأتباعهم على الصراط المستقيم في أقوالهم وأفعالهم؛ فهو سبحانه أحق أن يكون على صراط مستقيم في قوله وفعله، وإن كان صراط الرسل وأتباعهم هو موافقة أمره؛ فصراطه الذي هو سبحانه عليه هو ما يقتضيه

---

(١) انظر: (تفسير القرآن العظيم) (٢/ ٤٥٠).

(٢) في (أ): (شعيب)، وهو خطأ.

(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ٦١).

(٤) انظر: (معاني القرآن) (٣/ ٣٥٩)، و(إعراب القرآن) للنحاس (٢/ ٢٨٨).

(٥) وهو في (ديوانه) (١/ ٢١٨).

حمده وكماله ومجده من قول الحق وفعله، وبالله التوفيق .

فصـــل

وفي الآية قول ثان مثل الآية الأولى سواء، أنه مثل ضربه الله للمؤمن والكافر، وقد تقدم ما في معنى هذا القول، والله الموفق .

فصل

(مثل المعرضين عن كلام الله)

ومنها قوله تعالى في تشبيه من أعرض عن كلامه وتدبره: ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴾ [المدثر: ٤٩-٥١] .

شبههم في إعراضهم ونفورهم عن القرآن بحمر [(١)] رأت الأسد والرماة[(٢)] ففرت منه، وهذا من بديع التمثيل ؛ فإن القوم من جهلهم بما بعث الله سبحانه رسوله ﷺ كالحمر فهي لا تعقل شيئًا، فإذا سمعت صوت الأسد أو الرامي نفرت منه أشد النفور، وهذا غاية الذم لهؤلاء ؛ فإنهم نفروا عن الهدى الذي فيه سعادتهم وحياتهم كنفور الحمر عما يهلكها ويعقرها، وتحت المستنفرة معنى أبلغ من النافرة ؛ فإنها لشدة نفورها قد

---

(١) الحمر: النَّتَقُ، والحمار: النَّهاقُ، من ذوات الأربع، أهليًّا كان أو وحشيًا، وجمعه: أَحْمِرَة، وَحُمُر، وَحَمِير، وحُمُور، وحُمرات جمع الجمع، والأنثى حمارة .

انظر: (لسان العرب) مادة (حمر) .

(٢) قال الإمام القرطبي رحمه الله:

« كان هؤلاء الكفار في فرارهم من محمد ﷺ ﴿ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴾، أي: نفرت وهربت من ﴿ قَسْوَرَةٍ ﴾، أي: من رُماة يرمونها »، (الجامع لأحكام القرآن) (٢١/ ٣٩٩-٤٠٠) .

استنفر بعضها بعضًا وحضَّه على النفور، فإن في الاستفعال من الطلب قدرًا زائدًا على الفعل المجرد، فكأنها [تواصت][1] بالنفور وتواطأت عليه، ومن قرأها بفتح الفاء فالمعنى: أن القسورة استنفرها وحملها على النفور ببأسه وشدته[2].

فصل

(مثل حامل الكتاب ولم يقم به كمثل الحمار)

ومنها قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [الجمعة: ٥]، فقاس سبحانه من حمَّله كتابه ليؤمن به ويتدبره ويعمل به ويدعو إليه ثم خالف ذلك، ولم يحمله إلا على ظهر قلب [فقرأته][3] بغير تدبر ولا تفهم ولا اتباع له ولا تحكيم له وعمل بموجبه كحمار على ظهره زاملة أسفار لا يدري ما فيها، وحظه منها حملها على ظهره ليس إلَّا[4]؛ فحظه من كتاب الله كحظِّ هذا الحمار/ من الكتب التي (٦) على ظهره.

فهذا المثل وإن كان قد ضُرِبَ لليهود فهو متناول من حيث المعنى لمن حمل القرآن فترك العمل به ولم يؤد حقه ولم يرعه حق رعايته[5].

---

(١) في (ب) (تواصف) وهذا تصحيف.

(٢) انظر: (معاني القرآن) (٣/ ٢٠٦)، و (تفسير النسفي) (٤/ ٣١٢).

(٣) في (أ) و (ب): (فقرأ به)، وما أثبتناه من (ط).

(٤) بياض في (أ).

(٥) انظر (الجمان) (٣١٢).

فصل

(مثل العالم الذي لاط بالأرض)

ومنها قوله تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٥-١٧٦].

فشبه سبحانه من آتاه كتابه وعلمه العلم الذي منعه غيره فترك العمل به واتبع هواه وآثر سخط الله على رضاه ودنياه على آخرته والمخلوق على الخالق بالكلب الذي هو من أخبث الحيوانات وأوضعها قدرًا وأخبثها نفسًا، وهمته لا تتعدى بطنه وأشدها شرَهًا وحرصًا، ومن حرصه أنه لا يمشي إلا وخطمه في الأرض يتشمم ويتروح حرصًا وشرَهًا، ولا يزال يشم دبره دون سائر أجزائه، وإذا رميت له بحجر رجع إليه ليعضه من فرط نهمته [١] وهو من أمهن الحيوانات وأحملها للهوان وأرضاها بالدنايا، والجيف القذرة المروحة [٢] أحب إليه من اللحم الطري، والعذرة [٣] أحب إليه من الحلوى، وإذا ظفر بميتة تكفي مائة كلب لم يدع كلبًا يتناول معه منه شيء إلا هرَّ عليه [٤] وقهره لحرصه وبخله وشرَهه، ومن عجيب أمره وحرصه أنه إذا رأى ذا هيئة رثة وثياب دنية وحال رُؤية نبحه وحمل عليه كأنه يتصور

---

(١) أي: شدة شهوته، ورغبته في الطعام.

(٢) أروح الشيء: أنتن.

(٣) العذرة: الغائط وفي النسخة (ب) (المقذرة).

(٤) هر عليه: نبح عليه وكشر عن أنيابه.

مشاركته له ومنازعته في قوته، وإذا رأى ذا هيئة حسنة وثياب جميلة ورئاسة وضع له خطمه بالأرض وخضع له ولم يرفع إليه رأسه .

(تشبيه الذين لا يعملون بعلمهم بالكلب)

وفي تشبيه من آثر الدنيا وعاجلها على الله والدار الآخرة مع وفور علمه بالكلب في حال لهثه سرٌّ بديع [١]، وهو أن هذا الذي حاله ما ذكره الله تعالى من انسلاخه من آياته واتباعه هواه إنما كان لشدة لهفه على الدنيا لانقطاع قلبه عن الله تعالى والدار الآخرة فهو شديد اللهف عليها، ولهفه نظير لهف الكلب الدائم في حال إزعاجه وتركه، واللهف واللهث شقيقان وأخوان في اللفظ والمعنى، قال ابن جريج: « الكلب منقطع الفؤاد لا فؤاد له،

(١) قال الإمام الطبري رحمه الله:

« فمثل هذا الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها، مثلُ الكلب الذي يلهث، طردْته أو تركته .

ثم اختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله جَعَل الله مثَله كمثل الكلب .

فقال بعضهم: مثَّله به في اللهث ؛ لتركه العمل بكتابِ الله وآياته التي آتاها إياه، وإعراضِه عن مواعظ الله التي فيها إعراض من لم يؤته الله شيئًا من ذلك، فقال جل ثناؤه فيه: إذْ كان سواء أمرُه، وُعِظَ بآيات الله التي آتاها إياه أو لم يوعظ، في أنه لا يتَّعظ بها، ولا يترك الكفر به ؛ فمثله مثل الكلب الذي سواءٌ أمره في لهثه، طرد أو لم يطرد، إذ كان لا يتركُ اللهث بحال .

وقال آخرون: إنما مثّله جل ثناؤه بالكلب ؛ لأنه كان يلهث كما يلهثُ الكلب .

وأولى التأويلين في ذلك بالصواب، تأويلُ من قال: إنما هو مثلٌ لتركه العمل بآيات الله التي آتاها إياه، وأنّ معناه: سواء وعظ أو لم يوعظ، في أنه لا يترك ما هو عليه من خلافه أمر ربّه، كما سواءٌ حمل على الكلب وطُرِد أو ترك فلم يطرد، في أنه لا يدَع اللهث في كلتا حالتيه .

وإنما قلنا ذلك أولى القولين بالصواب ؛ لدلالة قوله تعالى: ﴿ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا ﴾، فجعل ذلك مثلَ المكذِّبين بآياته .

وقد علمنا أن اللَّهَاث ليس في خِلقة كل مكذّب كُتب عليه ترك الإنابة من تكذيبه بآيات الله، وأن ذلك إنما هو مثل ضربه الله لهم، فكان معلومًا بذلك أنه للذي وصف الله صفته في هذه الآية، كما هو لسائر المكذبين بآيات الله مثلٌ » (جامع البيان) (٩/ ١٣٨-١٣٩) .

﴿ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ﴾[١] ؛ فهو مثل الذي يترك الهدى لا فؤاد له إنما فؤاده ينقطع » .

قلت: مراده بانقطاع فؤاده أنه ليس له فؤاد يحمله على الصبر وترك اللهث، وهكذا الذي انسلخ من آيات الله لم يبق معه فؤاد يحمله على الصبر عن الدنيا وترك اللهف عليها ؛ فهذا يلهف على الدنيا من قلة صبره عليها وهذا يلهث من قلة صبره على الماء، فالكلب من أقل الحيوانات صبرًا عن الماء، وإذا عطش أكل الثرى من العطش، وإن كان [فيه][٢] صبر عن الجوع، وعلى كل حال فهو من أشد الحيوانات لهثًا/ يلهث قائمًا وقاعدًا وماشيًا وواقفًا ؛ (٧/أ) ذلك لشدة حرصه، فحرارة الحرص في كبده توجب له دوام اللهث، فهكذا مشبهه ؛ شدة حرارة الشهوة في قلبه توجب له دوام اللهث، فإن حملت عليه بالموعظة والنصيحة فهو يلهث، وإن تركته ولم تعظه فهو يلهف .

قال مجاهد: « وذلك مثال الذي [أوتي][٣] الكتاب ولم يعمل به »[٤] .

وقال ابن عباس: « إن تحمل عليه الكلمة لم يحملها وإن تركته لم يهتد إلى الخير، كالكلب إن كان رابضًا لهث وإن طرد لهث »[٥] .

---

(١) عند الطبري في المطبوع: « قال ابن جريج: الكلب منقطع الفؤاد، لا فؤاد له، إن حملت عليه يلهث، أو تتركه يلهث، قال: مثل الذي يترك الهدى لا فؤاد له، إنما فؤاده منقطع » (جامع البيان) (٩/ ١٣٨) .

(٢) زيادة من (ط) .

(٣) عند الطبري (يقرأ) .

(٤) أخرجه الطبري (٩/ ١٣٨)، وانظر: (تفسير مجاهد) (١/ ٢٥١)، و (معالم التنزيل) (٢/ ٣١٥) .

(٥) إسناده ضعيف:

أخرجه الطبري (٩/ ١٣٨)، بإسناد ضعيف، من طريق علي بن ابي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وتقدم الكلام على هذا الإسناد .

وقال الحسن: « وهو المنافق ؛ لا يثبت على الحق، دُعي أو لم يُدع، وعظ أم لم يوعظ ؛ كالكلب يلهث طُرد أو تُرك »[١].

وقال عطاء: « ينبح إن حملت عليه أو لم تحمل [عليه][٢] »[٣].

وقال أبو محمد بن قتيبة: « كل شيء يلهث إنما يلهث من إعياء أو عطش إلا الكلب ؛ فإنه يلهث في حال الكلال أو حال الراحة، وحال الصحة وحال المرض والعطش ؛ فضربه الله مثلا لمن كذب بآياته »[٤].

وقال ابن عطية: « [إن وعظته][٥] فهو ضال[٦]، وإن تركته فهو ضال ؛ كالكلب إن طردته لهث، وإن تركته على حاله لهث ».

ونظيره قوله تعالى: ﴿ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴾ [الأعراف: ١٩٣].

وتأمل ما في هذا المثل من الحكم والمعنى.

فمنها قوله: ﴿ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا ﴾، فأخبر سبحانه وتعالى أنه هو الذي آتاه آياته ؛ فإنها نعمة، والله هو الذي أنعم بها عليه فأضافها إلى نفسه.

ثم قال: ﴿ فَٱنسَلَخَ مِنْهَا ﴾، أي: خرج منها كما تنسلخ الحية من جلدها، وفارقها فراق الجلد ينسلخ عن اللحم، ولم يقل: فسلخناه منها ؛ لأنه هو

---

(١) تقدم.

(٢) ليست في (ب).

(٣) انظر: (الكشف والبيان) (١٣١).

(٤) انظر: (تأويل مشكل القرآن) (٣٦٥) و(الجامع لأحكام القرآن) (٧/ ٣٢٢).

(٥) ليست في (أ).

(٦) في النسخة (ب) «فهو ضال كالكلب إن طردته لهث، وإن تركته على حاله لهث، ونظيره قوله ...»

الذي تسبب إلى انسلاخه منها باتباع هواه .

ومنها قوله سبحانه: ﴿ فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾، أي: لحقه وأدركه كما قال تعالى في قوم فرعون: ﴿ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴾ [الشعراء: ٦٠]، فكان محفوظًا محروسًا بآيات الله محمي الجانب بها من الشيطان، لا يُنال منه شيئًا إلا على غرةٍ وخطفةٍ، فلما انسلخ من آيات الله ظفر به الشيطان ظفر الأسد بفريسته، فكان من الغاوين العاملين بخلاف علمهم الذين يعرفون الحق ويعملون بخلافه كعلماء السوء .

ومنها أنه سبحانه قال: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا ﴾، فأخبر سبحانه أن الرفعة عنده ليست بمجرد العلم ؛ [فإن هذا كان من العلماء] [1]، وإنما هي باتباع الحق وإيثاره وقصد مرضاة الله تعالى ؛ فإن هذا كان من أعلم أهل زمانه ولم يرفعه الله بعلمه ولم ينفعه به، فنعوذ بالله من علم لا ينفع [2] .

وأخبر سبحانه أنه هو الذي يرفع عبده إذا شاء بما آتاه الله من العلم، وإن لم يرفعه الله فهو موضوع لا يرفع أحد به رأسًا ؛ فإن الخافض الرافع الله سبحانه خفضه ولم يرفعه .

والمعنى: ولو شئنا فضلناه وشرفناه ورفعنا قدره ومنزلته بالآيات التي آتيناه، قال ابن عباس رضي الله عنهما : « ولو شئنا لرفعناه بعلمه بها » [3] .

---

(١) ليست في (أ) .

(٢) انظر: (جامع البيان) (٩/ ١٢٧)، و (معالم التنزيل) (٢/ ٣١٥) .

(٣) إسناده ضعيف:

أخرجه الطبري (٩/ ١٣٦)، والبغوي (٢/ ٣١٥)، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ كما في (الدر المنثور) (٣/ ٢٦٧) ، عن ابن جريج، عن ابن عباس رضي الله عنهما .

وهذا إسناد ضعيف منقطع .

وقالت طائفة [١]: الضمير في قوله ﴿لَرَفَعْنَٰهُ﴾ عائد على الكفر، والمعنى/ : (٧/ ولو شئنا لرفعناه عن الكفر بما معه من آياتنا .

قال مجاهد وعطاء: « لرفعنا عنه الكفر بالإيمان وعصمناه » [٢]، وهذا المعنى حق والأول مراد الآية، وهذا من لوازم المراد .

وقد تقدم أنَّ السلف كثيرًا ما ينبهون على لازم معنى الآية فيظن الظانُّ أن ذلك هو المراد منها، وقوله: ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾، قال سعيد بن جبير: « ركن إلى الأرض » [٣] .

وقال مجاهد: « سكن » [٤] .

وقال مقاتل: « رضي بالدنيا » [٥] .

(١) انظر: (زاد المسير) (٣/ ٢٩٠)، و (روح المعاني) (٣/ ١٦٣) .

(٢) أخرجه الطبري (٩/ ١٣٦) .

قال الطبري رحمه الله:

«وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب أن يقال: إن الله عمّ الخبر بقوله: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا﴾، أنه لو شاء رفعه بآياته التي آتاه إياها، والرفع يَعمُّ معاني كثيرة ؛ منها: الرفع في المنزلة عنده، ومنها: الرفع في شرف الدنيا ومكارمها، ومنها: الرفع في الذكر الجميل والثّناء الرفيع .

وجائزٌ أن يكون الله عنى كلَّ ذلك: أنه لو شاء لرفعه فأعطاه كل ذلك، بتوفيقه للعمل بآياته التي كان آتاها إياه .

وإذ كان ذلك جائزًا ؛ فالصواب من القول فيه أن لا يخصَّ منه شيء، إذ كان لا دلالة على خصوصه من خبر ولا عقل » .

(٣) أخرجه الطبري (٩/ ١٣٧)، وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم كما في (الدر المنثور) (٣/ ٢٦٧).

(٤) أخرجه الطبري (٩/ ١٣٧)، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، كما في (الدر المنثور) (٣/ ٢٧٦) .

(٥) في (تفسيره)، وانظر كذلك: (البرهان) للزركشي (٢/ ١٥٨)، و (غرائب القرآن) (٩/ ٨٥).

وقال أبو عبيدة: « لزمها وأبطأ، والمخلد من الرجال هو الذي تبطئ مشيته، ومن الدواب الذي تبقى ثناياه إلى أن تخرج رباعيته »[١].

وقال الزجاج: « خلد وأخلد واحد، وأصله من الخلود: وهو الدوام والبقاء؛ يقال: فلان أخلد [ولاذ][٢] بالمكان: إذا أقام به »[٣].

قال مالك بن نويرة:

بأبناء حي من قبائل مالك وعمرو بن يربوع أقاموا وأخلدوا[٤]

قلت: ومنه قوله تعالى: ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴾ [الواقعة: ١٧]، أي: قد خُلقوا للبقاء لذلك لا يتغيرون ولا يكبرون، وهم على سن واحد أبدًا[٥]، وقيل: المقرَّطون في آذانهم والمسوَّرون في أيديهم[٦]، وأصحاب هذا القول فسروا اللفظ ببعض لوازمه وذلك إشارة إلى التخليد على ذلك السن فلا ينافي القولين.

وقوله: ﴿ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ﴾.

قال الكلبي: « اتبع مسافل الأمور وترك معاليها »[٧].

وقال أبو روق: « اختار الدنيا على الآخرة »[٨].

---

(١) انظر: (مجاز القرآن) (٩/ ٨٥).

(٢) ليست في (أ)، وفي (ط): (فلان).

(٣) انظر: (معاني القرآن) له، وكذلك: (زاد المسير) (٣/ ٢٩٠).

(٤) (جامع البيان) (٩/ ١٣٧).

(٥) انظر: (زاد المسير) (٨/ ١٣٦).

(٦) المصدر السابق.

(٧) انظر (الكشف والبيان) (١٣١).

(٨) المصدر السابق.

وقال عطاء: « أراد الدنيا وأطاع شيطانه » [١] .

وقال ابن زيد: « كان هواه مع القوم » [٢]، يعني: الذين حاربوا موسى عليه الصلاة والسلام وقومه .

وقال يمان: « اتبع امرأته ؛ لأنها هي التي حملته على ما فعله » [٣] .

فإن قيل: الاستدراك بـ (لكن) يقتضي أن يثبت بعدها نفي ما قبلها أو ينفي ما أثبت كما تقول: لو شئت لأعطيته لكنِّي لم أعطه، ولو شئت (لما فعلت كذا) [٤] لكني فعلته ؛ فالاستدراك يقتضي: (﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا ﴾ ولكنَّا لم نشأ)، أو (فلم نرفع [﴿ وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ ﴾] [٥] ؛ فكيف استدرك بقوله: ﴿ وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾ بعد قوله: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا ﴾ ؟

قيل: هذا من الكلام الملحوظ فيه المعنى المعدول فيه عن مراعاة الألفاظ إلى المعاني، وذلك أن مضمون قوله: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا ﴾ أنه لم يتعاط الأسباب التي تقتضي رفعه بالآيات من إيثار الله ومرضاته على هواه، ولكنه آثر الدنيا وأخلد إلى الأرض واتبع هواه .

وقال الزمخشري [٦]: « المعنى: ولو لزم آياتنا لرفعناه بها ؛ فذكر المشيئة

---

(١) (معالم التنزيل) (٢/ ٣١٥) .

(٢) (جامع البيان) (٩/ ١٣٨)، و (معالم التنزيل) للبغوي (٢/ ٣١٥)، ووقع في (ط): (ابن دُريد)، وهذا تصحيف بيّن .

(٣) (زاد المسير) (٣/ ٢٩٠) .

(٤) ليست في (ب).

(٥) ليست في (ط) .

(٦) (الكشاف) (٢/ ١٣١) .

والمراد ما هي تابعة له ومسببة عنه » .

[كأنه قيل: ولو لزمها لرفعناه بها][1] .

قال: « ألا ترى إلى قوله: ﴿ وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ ﴾ فاستدرك المشيئة بإخلاده الذي هو فعله فوجب أن تكون ﴿ وَلَوْ شِئْنَا ﴾ في معنى ما هو فعله، ولو كان الكلام على ظاهره لوجب أن يقال: (ولو شئنا لرفعناه ولكنَّا لم نشأ) » .

فهذا منه شنشنة نعرفها من قَدَرِيٍّ نافٍ للمشيئة العامة مبعدٌ للنجعة في جعل كلام الله معتزليًّا قدريًّا ؛ فأين قوله: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا ﴾ من قوله: (ولو لزمها) ؟

ثم إذا كان/ الملزوم لها [موقوعًا][2] على مشيئة الله، وهو الحق، بطل أصله. (٨/أ)

وقوله إن مشيئة الله تابعة للزومه [الآيات من أفسد الكلام وأبطله ؛ بل لزومه][3] لآياته تابعة لمشيئة الله ﷻ، فمشيئة الله سبحانه متبوعة لا تابعة .

وقال: وسبب لا مسبب وموجب مقتضي لا مقتضى، فما شاء الله وجب وجوده وما لم يشأ امتنع وجوده .

---

(١) زيادة من (ط) وليست في (ب).

(٢) في (ص) و (ط): (موقوفًا) .

(٣) ما بين القوسين ساقط من (ص) و(ب).

فصـــــل

(مثل الغيبة مثل تمزيق الجسد)

ومنها قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحجرات: ١٢].

وهذا من أحسن القياس التمثيلي [١] ؛ فإنه شبه تمزيق عرض الأخ بتمزيق لحمه، ولما كان المغتاب يمزق عرض أخيه في غيبته كان بمنزلة من يقطع لحمه في حال غيبة روحه عنه بالموت.

لما كان المغتاب عاجزًا عن دفعه بنفسه بكونه غائبًا عن ذمّه كان بمنزلة الميت الذي يقطع لحمه ولا يستطيع أن يدفع عن نفسه.

ولما كان مقتضى الأخوة التراحم (والتواصل)[٢] والتناصر فعلق عليها المغتاب ضد مقتضاها من الذم والعيب والطعن كان ذلك نظير تقطيعه لحم أخيه والأخوة تقتضي حفظه وصيانته والذب عنه، ولما كان المغتاب [متمتعًا بعرض أخيه] [٣] متفكها بغيبته وذمه متحليًا بذلك شبَّه بأكل لحم أخيه بعد تقطيعه، ولما كان المغتاب محبًّا لذلك معجبًا به شُبه بمن يحب أكل لحم أخيه ميتًا ومحبته لذلك قدر زائد على مجرد أكله كما أن أكله قدر زائد على تمزيقه.

فتأمل هذا التشبيه والتمثيل وحسن موقعه ومطابقة المعقول فيه للمحسوس وتأمل أخباره عنهم بكراهة أكل لحم الأخ ميتًا، ووصفهم بذلك في آخر الآية

---

(١) انظر: (الكشاف) (٣/ ٥٦٧).

(٢) ليست في (ب)

(٣) زيادة من (ط) وليست في (ب).

والإنكار عليهم في أولها أن يحب أحدهم ذلك، فكما أن هذا مكروه في طباعهم فكيف يحبون ما هو مثله ونظيره؛ فاحتج عليهم بما كرهوه على ما أحبوه، وشبه لهم ما يحبونه بما هو أكره شيء إليهم وهم أشد شيء نفرة عنه؛ فلهذا يوجب العقل والفطرة والحكمة أن يكونوا أشد شيء نفرة عما هو نظيره ومشبهه، وبالله التوفيق.

فصل

(مثل أعمال الذين كفروا كالرماد)

ومنها قوله تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴾ [الرعد: ١٨].

فشبه تعالى أعمال الكفار في بطلانها وعدم الانتفاع بها برماد مرت عليه ريح شديدة في يوم عاصف[1] فشبه سبحانه أعمالهم في حُبُوطها وذهابها باطلًا (كالهباء)[2] المنثور لكونها/ على غير أساس من الإيمان والإحسان، وكونها (٨/ ب) لغير الله ﷻ وعلى غير أمره برماد طيرته الريح العاصف؛ فلا يقدر صاحبه على شيء منه وقت شدة حاجته إليه، فلذلك ﴿ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ﴾ لا يقدرون يوم القيامة مما كسبوا من أعمالهم على شيء؛ فلا يرون لها أثرًا من ثواب ولا فائدة نافعة، فإن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا لوجهه موافقًا لشرعه.

والأعمال أربعة: فواحد مقبول، وثلاثة مردودة؛ فالمقبول: الخالص

---

(١) انظر: (الكشاف) (٢/ ٣٧٢).

(٢) في النسخة (ب) (كالرماد).

الصواب، فالخالص أن يكون لله لا لغيره، والصواب أن يكون مما شرعه على لسان رسوله ﷺ، والثلاثة المردودة: ما خالف ذلك .

وفي تشبيهها بالرماد سرٌّ بديع، وذلك للتشابه الذي بين أعمالهم وبين الرماد في إحراق النار وإذهابها لأصل هذا وهذا، فكانت الأعمال التي لغير الله ﷻ وعلى غير مراده طعمة للنار وبها تسَعَّر النار على أصحابها وينشئ الله سبحانه لهم من أعمالهم الباطلة نارًا وعذابًا كما ينشئ لأهل الأعمال الموافقة لأمره التي هي خالصة لوجهه من أعمالهم نعيمًا وروحًا ؛ فأثَّرت النَّار في أعمال أولئك حتى جعلتها رمادًا، فهم وما يعبدون من دون الله وقود النار [١] .

فصل

(مثل الكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة)

ومنها قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [إبراهيم: ٢٤-٢٥] .

فشبه سبحانه الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة ؛ لأن الكلمة الطيبة تثمر العمل الصالح والشجرة الطيبة تثمر الثمر النافع .

وهذا ظاهر على قول جمهور المفسرين الذين يقولون: « الكلمة الطيبة هي: شهادة أن لا إله إلا الله » [٢] ؛ فإنها تثمر جميع الأعمال الصالحة الظاهرة والباطنة، فكل عمل صالح مرضي لله ﷻ ثمرة هذه الكلمة .

---

(١) انظر: (جامع البيان) (١٣/ ١٩٦)، و (معالم التنزيل) (٤/ ٣٧) .

(٢) تقدم الكلام عليها .

وفي تفسير علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: [« ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ شهادة أن لا إله إلا الله، ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ وهو المؤمن] [١]، ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ قول: لا إله إلا الله في قلب المؤمن، ﴿وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ يقول: يرفع بها عمل المؤمن إلى السماء » [٢].

وقال الربيع بن أنس: « كلمة طيبة هذا مثل الإيمان، والإيمان الشجرة الطيبة، وأصلها الثابت الذي لا يزول الإخلاص فيه، وفرعه في السماء خشية الله » [٣].

والتشبيه على هذا القول أصح وأظهر وأحسن ؛ فإنه سبحانه شبه شجرة التوحيد في القلب بالشجرة الطيبة الثابتة الأصل الباسقة الفرع في السماء علوًّا، التي لا/ تزال تؤتي ثمرتها كل حين . (٩/أ)

وإذا تأملت هذا التشبيه رأيته مطابقًا لشجرة التوحيد الثابتة الراسخة في القلب التي فروعها من الأعمال الصالحة صاعدة إلى السماء .

ولا تزال هذه الشجرة تثمر الأعمال الصالحة كل وقت بحسب ثباتها في القلب ومحبة القلب لها وإخلاصه فيها ومعرفته بحقيقتها وقيامه بحقها ومراعاتها حق رعايتها ؛ فمن رسخت هذه الكلمة في قلبه بحقيقتها التي هي حقيقتها واتصف قلبه بها وانصبغ بها بصبغة الله التي لا أحسن صبغة منها، فيعرف حقيقة الهيئة التي يثبتها قلبه لله ويشهد بها لسانه وتصدقها

---

(١) ما بين قوسين ساقط من (ص) .

(٢) إسناده ضعيف:

أخرجه الطبري (١٣/ ٢٠٣)؛ تقدم الكلام عليه .

(٣) أخرجه الطبري (١٣/ ٢٠٣) .

جوارحه، ونفى تلك الحقيقة ولوازمها عن كل ما سوى الله ﷻ وواطأ قلبه لسانه في هذا النفي والإثبات وانقادت جوارحه لمن شهد له بالوحدانية، طائعةً سالكةً سبل ربِّه ذللًا غير ناكبة عنها ولا باغيةً سواها بدلًا، كما لا (يبتغي القلب) [١] سوى معبوده الحق بدلًا ؛ فلا ريب أن هذه الكلمة من هذا القلب على هذا اللسان لا تزال تؤتي ثمرتها من العمل الصالح الصاعد إلى [الله كل وقت ؛ فهذه الكلمة هي التي رفعت هذا العمل الصالح إلى [٢] الرب تعالى وهذه الكلمة الطيبة تثمر كثيرًا طيبًا كلما يقارنه عمل صالح ؛ فيرفع العمل الصالح الكلم الطيب كما قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠] ؛ فأخبر سبحانه أن العمل الصالح يرفع الكلم الطيب، وأخبر أن الكلمة الطيبة تثمر لقائلها كل وقت عملًا صالحًا كل وقت .

والمقصود أن كلمة التوحيد إذا شهد المؤمن بها عارفًا بمعناها وحقيقتها نفيًا وإثباتًا متصفًا بموجبها قائمًا قلبه ولسانه وجوارحه بشهادته ؛ فهذه الكلمة [هي التي رفعت هذا العمل] [٣] من هذا الشاهد أصلها ثبات راسخ في قلبه وفروعها متصلة بالسماء، وهي مخرجة لثمرتها كل وقت .

ومن السلف من قال: إن الشجرة الطيبة هي النخلة [٤]، ويدل عليه حديث ابن عمر الصحيح [٥] .

---

(١) في النسخة (ب) (لا ينبغي سوى معبوده) .

(٢) ما بين قوسين ساقط من (ص) .

(٣) ما بين قوسين زيادة من (ط) .

(٤) انظر (جامع البيان) (١٣/ ٢٠٤)، و(معالم التنزيل) (٤/ ٤٠) و(زاد المسير) (٤/ ٣٥٨).

(٥) حديث صحيح: خرجناه من قبل .

ومنهم من قال: هي المؤمن نفسه، كما قال محمد بن سعد: حدثني أبي، حدثني عمي، حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴾؛ يعني بالشجرة الطيبة المؤمن، ويعني بالأصل الثابت في الأرض والفرع في السماء يكون المؤمن يعمل في الأرض ويتكلم فيبلغ قوله وعمله السماء وهو في الأرض [١].

وقال عطية العوفي في: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴾، قال: « ذلك/ مثل المؤمن؛ لا يزال يخرج منه كلام طيب وعمل صالح يصعد إلى الله » [٢]. (٩/ ب)

وقال الربيع بن أنس: ﴿ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ قال: « ذلك المؤمن؛ ضرب مثله في الإخلاص لله وحده وعبادته وحده لا شريك له، قال: ﴿ أَصْلُهَا ثَابِتٌ ﴾ أصلها ثابت، قال: أصل عمله ثابت في الأرض، ﴿وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ قال: ذكره في السماء » [٣]، ولا اختلاف بين القولين.

فالمقصود بالمثل المؤمن والنخلة مشبهة به، وهو مشبه بها، وإذا كانت النخلة شجرة طيبة فالمؤمن المشبه بها أولى أن يكون كذلك، ومن قال من السلف إنها شجرة في الجنة [٤]؛ فالنخلة من أشرف أشجار الجنة.

وفي هذا المثل من الأسرار والعلوم والمعارف ما يليق به ويقتضيه علم الذي تكلم به سبحانه وحكمته.

---

(١) إسناده ضعيف: تقدم الكلام عليه.

(٢) أخرجه الطبري (١٣/ ٢٠٤).

(٣) انظر: (زاد المسير) (٤/ ٣٥٨).

(٤) انظر (معالم التنزيل) (٤/ ٤٠).

فمن ذلك أن الشجرة لابد لها من عروق [وساق وفروع] [١] وورق وثمر، فكذلك شجرة الإيمان والإسلام ليطابق المشبه المشبه به ؛ فعروقها العلم والمعرفة واليقين، وساقها الإخلاص، وفروعها الأعمال، وثمرتها ما توجبه الأعمال الصالحة من الآثار الحميدة والصفات الممدوحة والأخلاق الزكية والسمت الصالح والهدى [والدل] [٢] المرضي ؛ فيستدل على غرس هذه الشجرة في القلب وثبوتها فيه بهذه الأمور، فإذا كان العلم صحيحًا مطابقًا لمعلومه الذي أنزل الله كتابه به، والاعتقاد مطابقًا لما أخبر به عن نفسه وأخبرت به عنه رسله صلوات الله وسلامه عليهم ـ والإخلاص قائم في القلب، والأعمال موافقة للأمر، والهدى والدلّ والسمت مشابه لهذه الأصول مناسب لها ؛ علم أن شجرة الإيمان في القلب أصلها ثابت وفرعها في السماء، وإذا كان الأمر بالعكس علم أن القائم بالقلب إنما هو الشجرة الخبيثة التي ﴿ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾ .

ومنها أن الشجرة لا تبقى حية إلا بمادة تسقيها وتنميها، فإذا انقطع عنها السقي أوشك أن تيبس ؛ فهكذا شجرة الإسلام في القلب إن لم يتعاهدها صاحبها بسقيها كل وقت بالعمل النافع والعمل الصالح والعود بالتذكر على التفكر والتفكر على التذكر وإلا أوشك أن تيبس، وفي مسند الإمام أحمد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: « **إنّ الإيمان يَخْلُق في القلب كما يَخْلُق الثوب ؛ فَجَدِّدوا إيمانكم** » [٣] .

(١) ليست في (أ) .

(٢) ليست في (أ) .

(٣) أما ما أخرجه أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه ؛ فهو بلفظ:

قال رسول الله ﷺ: « جددوا إيمانكم »، قيل: يا رسول الله، وكيف نجدد إيماننا ؟ قال: « أكثروا من قول: (لا إله إلا الله) »، وهذا حديث ضعيف . =

وبالجملة ؛ فالغرس إن لم يتعاهده صاحبه أوشك أن يهلك، ومن هنا يعلم شدة حاجة العباد إلى ما أمر الله به من العبادات على تعاقب الأوقات وعظيم رحمته وتمام نعمته وإحسانه إلى عباده بأن وضعها عليهم وجعلها مادة لسقي غراس التوحيد الذي غرسه في قلوبهم .

ومنها: أن الغرس والزرع النافع قد أجرى الله سبحانه العادة أنه لابد أن يخالطه دغل ونبت غريب ليس من جنسه، فإن تعاهده ربه ونقاه وقلمه كمل الغرس والزرع واستوى وتمَّ نباته/ وكان أوفر لثمرته وأطيب وأزكى . (١٠/أ)

وإن تركه أوشك أن يغلب على الغرس والزرع ويكون الحكم له أو يضعف الأصل ويجعل الثمرة ذميمة ناقصة بحسب كثرته وقلته، ومن لم

= أخرجه أحمد (٢/ ٣٥٩)، وعبد بن حميد في (مسنده) (١٤٢٤)، والبزار (٦٦٤-كشف الأستار)، والحاكم في (المستدرك) (٤/ ٢٥٦)، وأبو نعيم في (حلية الأولياء) (٢/ ٣٥٧)، من طرق عن أبي داود الطيالسي، حدثنا صدقة بن موسى السلمي، حدثنا محمد بن واسع، عن سُمير بن نهار، عن أبي هريرة .. به .

وهذا إسناد ضعيف:

صدقة: ليس بالقوي، كما قال أبو حاتم الرازي .

وسُمير: قال عنه الذهبي: ضعفوه .

قال ابو عمرو: وقد ضعفه ابن معين وأبو داود والنسائي .

وأما لفظ الباب ؛ فقد أخرجه الحاكم (١/ ٤)، من طريق ابن وهب، أخبرني عبد الرحمن بن ميسرة، عن أبي هانئ الخولاني حميد بن هانئ، عن أبي عبد الرحمن الحبلي، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: قال رسول الله ﷺ: « **إن الإيمان ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب، فاسألوا الله أن يجدد الإيمان في قلوبكم** » .

قال الحاكم: رواته مصريون ثقات، ووافقه الذهبي .

وقال الهيثمي في (المجمع) (١/ ٥٢): « رواه الطبراني في (الكبير)، وإسناده حسن » .

يكن له فقه (يقيس) [١] في هذا ومعرفته به فإنه يفوته ربح كثير وهو لا يشعر؛ فالمؤمن دائم سعيه في شيئين: سقي هذه الشجرة، وتنقية ما حولها ؛ فبسقيها تبقى وتدوم، وبتنقية ما حولها تكمل وتتم، والله المستعان وعليه التكلان .

فهذا بعض ما تضمنه هذا المثل العظيم الجليل من الأسرار والحكم، ولعلها قطرة من بحر بحسب أذهاننا الواقعة وقلوبنا المخبطة وعلومنا القاصرة وأعمالنا التي توجب التوبة والاستغفار، وإلا فلو طهرت منا القلوب وصفت الأذهان وزكت النفوس وخلصت الأعمال وتجردت الهمم للتلقي عن الله تعالى ورسوله لشاهدنا من معاني كلام الله ﷻ [٢]، وأسراره وحكمه ما تضمحل عنده العلوم، وتتلاشى عنده معارف الحق، وبهذا يعرف قدر علوم الصحابة ومعارفهم ﭫ، وأن التفاوت الذي بين علومهم وعلوم من بعدهم كالتفاوت الذي بينهم في الفضل، والله أعلم حيث يجعل مواقع فضله ومن يختص برحمته .

فصـــــل

(مثل الكلمة الخبيثة كالشجرة الخبيثة)

ثم ذكر سبحانه مثل الكلمة الخبيثة، فشبهها بالشجرة الخبيثة التي اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار ؛ فلا عرق ثابت، ولا فرع عالٍ، ولا ثمرة زاكيةٍ، ولا ظلٍّ، ولا جنىً، ولا ساق قائم، ولا عرق في الأرض ثابت ؛ [فلا أسفلها] [٣] مغدق، ولا أعلاها مونق، ولا جنىً لها، ولا تعلو بلى تُعْلَى .

(١) في (ب) (نفيس).

(٢) ولهذا قال عثمان ﭬ : « لو طهرت قلوبنا ما شبعنا من كلام ربنا » .
أثر صحيح: خرجته في (تحقيق فضائل القرآن) للفريابي، يسر الله أمره .

(٣) ما بين قوسين ساقط من (ص) .

وإذا تأمل اللبيب أكثر كلام هذا الخلق في خطابهم وكتبهم وجده كذلك؛ فالخسران كل الخسران الوقوف معه والاشتغال به عن أفضل الكلام وأنفعه .

قال الضحاك: « ضرب الله مثلًا للكافر بشجرة ﴿ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾، يقول: ليس لها أصل ولا فرع، وليس لها ثمرة ولا فيها منفعة؛ كذلك الكافر ليس يعمل خيرًا ولا يقوله، ولا يجعل الله فيه بركة ولا منفعة » (١).

وقال ابن عباس: « [﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾ وهي الشرك] (٢)، ﴿ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾ يعني الكافر، ﴿ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾، يقول: الشرك ليس له أصل يأخذ به الكافر ولا برهان، ولا يقبل الله عمل المشرك ولا يصعد إلى الله ؛ فليس له أصل ثابت في الأرض، ولا فرع في السماء، يقول: ليس له عمل صالح في السماء، ولا في الآخرة » (٣) .

وقال الربيع بن أنس: « مثل الشجرة الخبيثة مثل الكافر ؛ ليس لقوله ولا لعمله أصل ولا فرع، ولا يستقر قوله ولا عمله على الأرض، ولا يصعد إلى السماء » (٤) .

وقال/ سعيد عن قتادة في هذه الآية أن رجلًا لقي رجلًا من أهل العلم، (١٠/ب فقال له: ما تقول في الكلمة الخبيثة ؟

---

(١) تقدم تخريجه .

(٢) ما بين القوسين ساقط من (ص) و (ب).

(٣) في (ط): (ولا في الأرض)، وانظره فيما تقدم (سورة إبراهيم) .

(٤) تقدم الكلام عليه .

قال: لا أعلم لها في الأرض مستقرًا ولا في السماء مصعدًا إلا أن تلزم عنق صاحبها حتى يوافي بها يوم القيامة .

وقوله: ﴿ٱجْتُثَّتْ﴾، أي: استؤصلت من فوق الأرض، ثم أخبر سبحانه عن فضله وعدله في الفريقين أصحاب الكلم الطيب والكلم الخبيث، فأخبر أنه يُثبِّت الذين آمنوا بالقول الثابت أحوج ما يكونون إليه في الدنيا والآخرة، وأنه يضل الظالمين وهم المشركون عن القول الثابت ؛ فأضل هؤلاء بعدله لظلمهم وثبت المؤمنين بفضله لإيمانهم .

فصـــــل

(تثبيت الله كنز عظيم)

وتحت قوله: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧] (كنز عظيم)[1] من وقف عليه لظنته وأحسن استخراجه واقتناءه وأنفق منه فقد غنم، ومن حرمه فقد حُرِمَ،

وذلك أن العبد لا يستغني عن تثبيت الله طرفة عين ؛ فإن لم يثبته وإلا زالت سماء إيمانه وأرضه عن مكانهما، وقد قال تعالى لأكرم خلقه عليه عبده ورسوله: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٤] [2]، .....

(١) ليست في (ب).

(٢) قال الإمام ابن كثير رحمه الله:

« يخبر تعالى عن تأييد رسوله صلوات الله عليه وسلامه وتثبيته وعصمته وسلامته من شر الأشرار وكيد الفجار، وأنه تعالى هو المتولي أمره ونصره، وأنه لا يكله إلى أحد من خلقه ؛ بل هو وليه وخافظه وناصره ومؤيده ومظفره، ومظهر دينه على من عاداه وخالفه وناوأه في مشارق الأرض ومغاربها، صلى الله عليه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين » (تفسير القرآن العظيم) (٢/ ١٧٢٩) .

وقال تعالى [لأكرم خلقه][(١)]: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الأنفال: ١٢][(٢)]، وفي الصحيحين من حديث البجلي، قال: «وهو يسألهم ويثبتهم»[(٣)]، وقال تعالى لرسوله: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ [هود: ١٢٠].

فالخلق كلهم قسمان: موفق بالتثبيت، ومخذول بترك التثبيت، ومادة التثبيت وأصله ومنشأه من القول الثابت وفعل ما أمر به العبد؛ فبهما يثبت الله عبده؛ فكل ما كان أثبت قولًا وأحسن فعلًا كان أعظم تثبيتًا؛ قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ [النساء: ٦٦].

فأثبت الناس قلبًا أثبتهم قولًا، والقول الثابت هو القول الحق والصدق، وهو ضد القول الباطل الكذب.

---

(١) زيادة من (ط).

(٢) قال الإمام الطبري رحمه الله:

« وأما قوله: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ﴾ أنصركم؛ ﴿فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، يقول: قوُّوا عزمهم، وصححوا نياتهم في قتال عدوهم من المشركين.

وقد قيل: إن تثبيت الملائكة المؤمنين كان حضورهم حربهم معهم.

وقيل: كان ذلك معونتهم إياهم بقتال أعدائهم.

وقيل: كان ذلك بأن الملك يأتي الرجلَ من أصحاب النبي ﷺ يقول: سمعت هؤلاء القوم، يعني: المشركين، يقولون: والله لئن حملوا علينا لننكشفن؛ فيحدِّث المسلمون بعضهم بعضًا بذلك، فتقوى أنفسهم.

قالوا: وذلك كان وحي الله إلى ملائكته » (جامع البيان) (٩/ ٢١٠).

(٣) أما من رواية البجلي: فلم أظفر بها، والحديث معروف ومشهور من رواية أبي هريرة رضي الله عنه، بلفظ: « وهو يأمرهم ويثبتهم »، وهو حديث طويل.

أخرجه الترمذي (٢٥٥٧)، وأحمد (٢/ ٣٦٧)، وللمزيد انظر: (التوحيد) لابن خزيمة بتحقيقنا.

فالقول نوعان: ثابت له حقيقة، وباطل لا حقيقة له، وأثبت القول كلمة التوحيد ولوازمها ؛ فهي أعظم ما يثبت الله بها عباده في الدنيا والآخرة ؛ ولهذا ترى الصادق من أثبت الناس وأشجعهم قلبًا، والكاذب من أمهن الناس وأخبثهم وأكثرهم تلويًا وأقلهم ثباتًا، وأهل الفِرَاسة يعرفون صدق الصادق [من ثبات قلبه وقت الاختبار وشجاعته ومهابته] [(١)]، ويعرفون كذب الكاذب بضد ذلك، ولا يخفى ذلك إلا على ضعيف البصيرة .

وسُئِلَ بعضهم عن كلام سمعه من متكلم به، فقال: والله ما فهمت منه شيئًا إلا أني سمعت لكلامه صولة (ليست بصولة)[(٢)] مبطل،

فما مُنِح العبد منحة أفضل من منحة القول الثابت، ويجد أهل القول الثابت ثمرته أحوج ما يكونون إليه في قبورهم ويوم معادهم كما في صحيح مسلم من حديث البراء بن عازب عن النبي أن هذه الآية نزلت في عذاب القبر .

وقد جاء هذا مبينًا في أحاديث صحاح ؛ فمنها ما في المسند من حديث داود ابن أبي هند عن أبي نضرة عن أبي سعيد، قال: كنا مع النبي في جنازة، فقال: « **يا أيها الناس إن هذه الأمة تُبتلى في قبورها ؛ فإذا الإنسان دُفِن وتفرق عنه أصحابه جاءه ملك بيده مطراق فأقعده، فقال: ما تقول في هذا الرجل ؟ فإن كان مؤمنا قال: أشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، فيقول: له صدقت ؛ فيفتح له باب إلى النار، فيقال له: هذا منزلك لو كفرت بربك ؛ فأما إذ آمنت فإن الله أبدلك به هذا، ثم يفتح له**

---

(١) ليست في (أ) .

(٢) ليست في (ب) مما يحرف المعنى.

باب إلى الجنة فيريد أن ينهض له، فيقال: اسكن ثم يفسح له في قبره .

وأما الكافر والمنافق فيقال له ما تقول في هذا الرجل ؟

فيقول: لا أدري، فيقال: لا دريت ولا اهتديت، ثم يفتح له باب إلى الجنة، فيقال له: هذا منزلك لو آمنت بربك ؛ فأما إذ كفرت فإن الله أبدلك به هذا، ثم يفتح له باب إلى النار، ثم يقمعه الملك بالمطراق قمعة يسمعه خلق الله كلهم إلا الثقلين » .

قال بعض أصحابه: يا رسول الله، ما منا من أحد يقوم على رأسه ملك بيده مطراق إلا هيل عند ذلك، فقال رسول الله: « ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ »[1] .

---

(١) حديث صحيح:

أخرجه أحمد (٣/ ٣-٤)، وابن أبي عاصم في (السنة) (٨٦٥)، والطبري (١٣/ ٢١٤) .

قال الهيثمي في (المجمع) (٣/ ٤٧-٤٨): « رواه أحمد والبزار، ورجاله رجال الصحيح » .

قال أبو عمرو: أما قوله: « إن هذه الأمة تُبتلى في قبورها » ؛ فقد أخرجه مسلم (٢٨٦٧) .

وله شاهد عن أنس عند البخاري (١٣٣٨)، ومسلم (٢٨٧٠) .

وكذلك عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها عند البخاري (٨٦)، (١٨٤) .

وله شاهد آخر عن البراء رضي الله عنه، وهو الآتي .

غريب الحديث:

قال السندي رحمه الله:

« قوله: « إن هذه الأمة »، أي: نوع الإنسان، أو نوع المكلف، قاله احترازًا عن أنواع البهائم، أو المراد أمته، وتخصيصهم بالذكر ؛ لأن المقصود بيان حالهم، ويحتمل أن يكون لاختصاص سؤال الملكين بهم، ولا يضره ما جاء من عذاب اليهود في القبور ؛ لأنه يمكن أن يكون بلا سبق سؤال، والله تعالى أعلم .

تُبتلى: على بناء المفعول، أي: بسؤال الملكين . =

وفي المسند من حديث البراء بن عازب .

وروى المنهال [بن] [١] عمرو، وعن زاذان عن البراء، قال: قال رسول الله وذكر قبض روح المؤمن ؛ فقال: « .. **يأتيه آت يعني: في قبره ؛ فيقول: من ربك؟ وما دينك ؟ ومن نبيك ؟**

فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمد ﷺ » .

قال « [فينتهره فيقول] [٢] **فيقول له: ما ربك ؟ وما دينك ؟ وهي آخر فتنة تعرض على المؤمن ؛ فذلك حين يقول الله:** ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا

= **فإذا الإنسان دُفن**: يؤيد الوجه الأول، وهو أن المراد بالأمة نوع الإنسان، لكن السؤال والجواب يؤيدان الاختصاص، وحينئذٍ فالمراد بقوله: « **فإذا الإنسان** »، أي: منهم دُفن .

ملك: أي: هذا النوع، وإذا فقد ثبت أنهما ملكان .

مطراق بكسر الميم -: آلة يضرب بها .

في هذا الرجل: المشتهر بينكم بدعوى الرسالة .

فأمّا إذ آمنت فهذا منزلك، أي: فهذا الذي يظهر بفتح باب إلى الجنة منزلك .

فيريد أن ينهض: يقوم .

اسكن: محلك، حتى يجيء وقت دخولك في ذاك المنزل .

سمعت الناس يقولون شيئًا، أي: فتبعتهم، يريد أنه مقلد لغيره، فلا يسأل عن حقيقة الأمر، ثم إنه قد قلد غالب الناس أو كلهم، ولا يظن الخطأ بهم كلهم .

ولا تَلَيْتَ، أي: ولا قرأت، أصله: تلوت، قلبت الواو ياء للازدواج، أو: ولا اتبعت أهل الحق، أي: ما كنت محققًا للأمر، ولا مقلدًا لأهله، ولا مهتديًا إلى معرفتهم، فضلًا عن تقليدهم .

ثم يقمعه: قَمَعَه كمنعه: ضربه بالمِقْمَعة كمِكْنَسة: مِحْجَن من حديد يضرب به رأس الفيل، وخشبة يضرب بها الإنسان على رأسه، جمعه: مقامع .

يسمعها، أي: يسمع صوتها .

إلا هيلَ عند ذلك، أي: أوقع في الهول والفزع، على بناء المفعول، من هاله هولًا: إذا أفزعه .

(١) في (أ) و (ب) و (ص): (عن)، وهذا خطأ فادح، وما أثبتناه هو الصحيح بلا ريب .

(٢) ما بين قوسين زيادة من (ط) .

﴿ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾، فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمد ﷺ.

فيقال له: صدقت »[1]، وهذا حديث صحيح .

---

(١) حديث صحيح:

أخرجه أبو داود (٣٢١٢، ٤٧٥٣، ٤٧٥٤)، والنسائي (٤/ ٧٨)، أحمد (٤/ ٢٨٧)، والطيالسي (ص: ١٠٢)، وابن أبي شيبة (١٢٣١)، والحاكم (١/ ٣٧، ٣٨)، من طرق عن الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن زاذان، عن البراء .. الحديث .

قال الحاكم: « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، فقد احتجا جميعًا بالمنهال بن عمرو». وزاذان أبي عمر الكندي .

وفي هذا الحديث فوائد كثيرة لأهل السنة وقمع البدعة، ولم يخرجاه بطوله » .

وقال الهيثمي في (المجمع) (٣/ ٥٠): « رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح » .

وقال أبو عمرو: والرواية التي أسوقها هنا هي تأليف الشيخ العلامة شيخنا الألباني رحمه الله، فقد قال:

« وقد سقته سياقًا واحدًا ضامًّا إليه جميع الزوائد والفوائد التي وردت في شيء من طرقه الثابتة عند هؤلاء وغيرهم، بصورة لا يجدها في غيره، والحمد لله على توفيقه » .

عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ وَلَمَّا يُلْحَدْ.

فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مستقبل القبلة وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ وَكَأَنَّ عَلَى رُءُوسِنَا الطَّيْرَ وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ فِي الْأَرْضِ.

فجعل ينظر إلى السماء وينظر إلى الأرض وجعل يرفع بصره ويخفضه ثلاثًا.

ثم قَالَ: اسْتَعِيذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا.

ثم قال: اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ثلاثًا ثُمَّ قَالَ:

إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ عَلَيْهِ السَّلَام حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ. =

= قَالَ: فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السِّقَاءِ فَيَأْخُذُهَا.

وفي رواية: حتى إذا خرجت روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والأرض وكل ملك في السماء، وفتحت له أبواب السماء، ليس من أهل باب إلا وهم ويدعون الله أن يعرج بروحه من قبلهم.

فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ فذلك قوله تعالى: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾

وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةِ مِسْكٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ.

قَالَ: فَيَصْعَدُونَ بِهَا فَلَا يَمُرُّونَ يَعْنِي بِهَا عَلَى مَلَإٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا حَتَّى يَنْتَهُوا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ فَيُفْتَحُ لَهُمْ.

فَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ ﴿وَمَا أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ۝١٩ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ۝٢٠ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ فيكتب كتابه في عليين ثم قال:

وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ فَإِنِّي وعدتهم أني مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى.

قَالَ: فيرد إلى الأرض فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ.

قال: فإنه يسمع خفق نعال أصحابه إذا ولوا عنه مدبرين.

فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ شديدا الانتهار فينتهرانه فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ:

مَنْ رَبُّكَ؟!

فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللَّهُ.

فَيَقُولَانِ: وَمَا دِينُكَ؟!

فَيَقُولُ: دِينِيَ الْإِسْلَامُ.

فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟!

فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

فَيَقُولَانِ لَهُ: وَمَا عِلْمُكَ؟!

فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ.

فينتهره فيقول: من ربك؟ وما دينك؟ وما نبيك؟ =

= وهي آخر فتنة تعرض على المؤمن، فذلك حين يقول الله ﷻ:
﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾
فيقول: ربي الله، ودِيني الإسلام، ونبي محمد ﷺ.
فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ أَنْ صَدَقَ عَبْدِي فَأَفْرِشُوهُ مِنْ الْجَنَّةِ وَأَلْبِسُوهُ مِنْ الْجَنَّةِ وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ.
قَالَ: فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ.
قَالَ: وَيَأْتِيهِ .. وفي رواية: يمثل له رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ حَسَنُ الثِّيَابِ طَيِّبُ الرِّيحِ فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ أبشر برضوان من الله وجنات فيها نعيم مقيم هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ.
فَيَقُولُ لَهُ: وأنت، فبشرك الله بخير مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ.
فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ، فوالله ما علمتك إلا كنت سريعًا في إطاعة الله بطيئًا في معصية الله فجزاك الله خيرًا.
ثم يفتح له باب من الجنة وباب من النار.
فيقال: هذا منزلك لو عصيت الله، أبدلك الله به هذا.
فإذا رأى ما في الجنة قال: فَيَقُولُ رَبِّ عجل قيام السَّاعَةَ كيما أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي فيقال له: أسكن.
قَالَ: وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ وفي رواية: الفاجر إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنْ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنْ الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مِنْ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ غلاظ شداد سُودُ الْوُجُوهِ مَعَهُمْ الْمُسُوحُ من النار يَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ اخْرُجِي إِلَى سَخَطٍ مِنْ اللَّهِ وَغَضَبٍ.
قَالَ: فَتَفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُّودُ الكثير الشعب مِنْ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ فتقطع معها العروق والعصب فيلعنه كل ملك بين السماء والأرض، وكل ملك في السماء فتغلق أبواب السماء ليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله ألا تعرج روحه قبلهم.
فَيَأْخُذُهَا فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنْتَنِ رِيحِ جِيفَةٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ فَيَصْعَدُونَ بِهَا فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَإٍ مِنْ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا مَا هَذَا الرُّوحُ الْخَبِيثُ فَيَقُولُونَ فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمَّى بِهَا فِي الدُّنْيَا ويأتيه ملكان شديدا الانتهار فينتهرانه ويُجلسانه فَيَقُولَانِ لَهُ مَنْ رَبُّكَ فَيَقُولُ هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي فَيَقُولَانِ لَهُ مَا دِينُكَ فَيَقُولُ هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي فَيَقُولَانِ لَهُ مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ =

= فلا يهتدي لاسمه فيقال: محمد فَيَقُولُ هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي سمعت الناس يقولون ذاك
قال: فيقال لا دريت ولا تلوت.
فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنْ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ فَافْرِشُوا لَهُ مِنْ النَّارِ وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ فِي قَبْرِهِ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ وَيَأْتِيهِ - وفي رواية: يمثل له - رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ قَبِيحُ الثِّيَابِ مُنْتِنُ الرِّيحِ فَيَقُولُ أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ فَيَقُولُ وأنت فبشرك الله بالشر مَنْ أَنْتَ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالشَّرِّ فَيَقُولُ أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ فوالله ما علمت إلا كنت بطيئًا عن طاعة سريعًا إلى معصية الله فجزاك الله شرًا ثم يقيض له أعمى أصم أبكم في يده مرزبة لو ضرب بها جمل كان ترابًا فيضربه ضربة حتى يصير بها ترابًا ثم يعيده الله كما كان، فيضربه ضربة أخرى فيصيح صيحة يسمعه كل شيء إلا الثقلين، ثم يفتح له باب من النار ويمهد من فرش النار.
فَيَقُولُ رَبِّ لَا تُقِمْ السَّاعَةَ.
غريب الحديث:
الحنوط بفتح المهلمة -: ما يخلط من الطيب لأكفان الموتى، وأجسامهم خاصة .
ملك الموت: قلت أي: العلامة الألباني رحمه الله -: « هذا هو اسمه في الكتاب والسنة (ملك الموت)، وأما تسميته (عزرائيل) فمما لا أصل له، خلافًا لما هو المشهور عند الناس، ولعله من الإسرائيليات» .
المسوح، جمع المسح بكسر الميم: وهو ما يلبس من نسيج الشعر على البدن تقشفًا وقهرًا للبدن.
أي: ثقب الإبرة، والجمل هو الحيوان المعروف، وهو ما أتى عليه تسع سنوات .
هي كلمة تقال في الضحك وفي الإيعاد، وقد تقال للتوجع وهو أليق بمعنى الحديث، والله أعلم ؛ كذا في الترغيب، انظر: (أحكام الجنائز) (ص: ١٥٨-١٥٩) .
قال أبو عمرو: نعم ! أُعِل الحديث بعللٍ واهيةٍ، أجاب عنها العلماء ؛ منهم ابن القيم رحمه الله ؛ حيث قال: « وقال أبو حاتم البستي: خبر الأعمش عن المنهال بن عمرو عن زاذان عن البراء، سمعه الأعمش عن الحسن ابن عمارة عن المنهال بن عمرو، وزاذان لم يسمع من البراء ؛ فلذلك لم أخرجه .
فذكر له علتين: انقطاعه بين زاذان والبراء، ودخول الحسن بن عمارة بين الأعمش والمنهال ».
وقال أبو محمد ابن حزم: ولم يرو أحد في عذاب القبر أن الروح ترد إلى الجسد إلا المنهال بن عمرو، وليس بالقوي . =

= وقد قال تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨]، فصحّ أنهما حياتان وموتتان فقط، ولا ترد الروح إلا لمن كان ذلك أية له، كمن أحياه عيسى عليه السلام، وكل من جاء فيه نص بذلك، ولم أعلم أحدًا طعن في هذا الحديث إلا أبا حاتم البستي وابن حزم .

ومجموع ما ذكراه ثلاث: إحداها ضعف المنهال .

الثانية: أن الأعمش لم يسمعه من المنهال .

والثالثة: أن زاذان لم يسمعه من البراء .

وهذه علل واهية جدًا .

فأما المنهال بن عمرو: فروى له البخاري في صحيحه .

وقال يحيى بن معين والنسائي: « المنهال ثقة » .

قال أبو عمرو: وكذلك العجلي .

قال ابن القيم رحمه الله: « والذي اعتمده أبو محمد بن حزم في تضعيفه: أن ابن أبي حاتم حكى عن شعبة أنه تركه، وحكاه أحمد عن شعبة » .

قال أبو عمرو: هذا ما حكاه ابن أبي حاتم في (الجرح والتعديل) (٨/ ٣٥٧)، حيث قال: أنا عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل فيما كتب إليَّ، قال: سمعت أبي يقول: ترك شعبة المنهال بن عمرو وعلي عمدة .

فتعقبه ابن القيم قائلًا: « وهذا لو لم نذكر سبب تركه لم يكن موجبًا لتضعيفه ؛ لأن مجرد ترك شعبة له لا يدل على تضعيفه ؛ فكيف ؟ وقد قال ابن أبي حاتم: إنما تركه شعبة لأنه سمع في داره صوت قراءة بالتطريب .

وروى عن شعبة، قال: أتيت منزل المنهال، فسمعت صوت الطنبور فرجعت .

فهذا سبب جرحه .

قال أبو عمرو: وتعقبه الناس على هذا الجرح .

فقال ابن القيم: « ومعلوم أن شيئًا من هذا لا يقدح في روايته ؛ لأن غايته أن يكون عالمًا به مختار له، ولعله متأول فيه .

فكيف، وقد يمكن أن لا يكون بحضوره، ولا إذنه ولا علمه .

وبالجملة: فلا يرد حديث الثقات بهذا وأمثاله » .

وقال الذهبي في (الميزان) (٤/ ١٩٢): « وهذا لا يوجب غمز الشيخ » .

وقال الحافظ في (هدي الساري) (ص: ٤٦٨): « والذي رواه وهب بن جرير، عن شعبة، =

= أنه قال: أتيت منزل المنهال فسمعت منه صوت الطنبور فرجعت ولم أسأله » .

قلت أي: وهب ـ: فهلا سألته عسى كان لا يعلم !!

قلت أي: الحافظ ـ: وهذا اعتراض صحيح ؛ فإن هذا لا يوجب قدحًا في المنهال .

قال أبو عمرو: بل قد روى شعبة الحديث وسيأتي ذكره .

قال أبو عمرو: ومعلوم أن شعبة كان من المتشددين، وهو صاحب القول المشهور: « لأن أشرب بول حمار خير من أن أدلس »، وغير هذه الأقوال المشهورة عنه .

ولو أننا أخذنا بغمز كل رجل في راوٍ ما سلم لنا أحدٌ .

وللذهبي كلام رائق يوزن بالذهب في (الميزان)، في ترجمة هشام بن حسان صاحب الحسن وابن سيرين ؛ حيث أورد كلام شعبة كذلك فيه، فقال شعبة: لو حابيت أحدًا لحابيت هشام ابن حسان، كان ختني، ولم يكن يحفظ، وقال يحيى بن آدم: ثنا أبو شهاب، قال لي شعبة: عليك بحجاج ومحمد بن إسحاق ؛ فإنهما حافظان، واكتم علي عند البصريين في خالد وهشام .

فتعقبه الذهبي قائلًا: « هذا قول مطروح، وليس شعبة بمعصوم من الخطإ في اجتهاده، وهذه زلة من عالم ؛ فإن خالدًا الحذاء وهشام بن حسان ثقتان ثبتان، والآخران فالجمهور على أنه لا يحتج بهما .

فهذا هُدبة بن خالد يقول عنك يا شعبة أنك ترى الإرجاء، نسأل الله التوبة » .

قال أبو عمرو: وقد تكلم كذلك في المنهال المغيرة بن مقسم .

فقد نقل الحافظ عن ابن أبي خيثمة أنه أسند عن المغيرة بن مقسم أنه كان ينهى الأعمش عن الرواية عن المنهال، وأنه قال ليزيد بن أبي زياد: نشدتك بالله، هل كانت تجوز شهادة المنهال على درهمين ؟ قال: اللهم لا .

قلت أي: الحافظ ـ: وهذه الحكاية لا تصح ؛ لأن راويها محمد بن عمر الحنفي لا يعرف، ولو صحت فإنما كره منه مغيرة ما كره شعبة من القراءة بالتطريب ؛ لأن جريرًا حكى عن مغيرة أنه قال: كان المنهال حسن الصوت، وكان له لحن يقال له: وزن سبعة، وبهذا لا يجرح الثقة .

وذكر الحاكم أن يحيى القطان غَمزه .

وحكى المفضل العلائي أن ابن معين كان يضع من شأنه .

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: سمعت أبي يقول: أبو بشر أحب إلي من المنهال بن عمرو، وأبو بشر أوثق .

وقال الجوزجاني: كان سيء المذهب، وقد جرى حديثه . =

= قال أبو عمر: وقد أجاب الحافظ عن كل هذه الشبهات بقوله:

فأما حكاية العلائي ؛ فلعل ابن معين كان يضع منه بالنسبة إلى غيره كالحكاية عن أحمد، ويدل على ذلك أن أبا حاتم حكى عن ابن معين أنه وثقه .

وأما الجوزجاني، فقد قلنا غير مرة أن جرحه لا يقبل في أهل الكوفة لشدة انحرافه ونصبه، وحكاية الحاكم عن القطان غير مفسرة .

قال أبو عمرو: وبهذا وذاك تنتفي العلة الأولى، والحمد لله رب العالمين .

قال ابن القيم رحمه الله:

« وأما العلة الثانية: وهي أن بين الأعمش فيه وبين المنهال: الحسن بن عمارة .

فجوابها: أنه قد رواه عن المنهال جماعة، كما قاله ابن عدي .

فرواه عبد الرزاق، عن معمر، عن يونس بن خباب، عن المنهال .

ورواه حماد بن سلمة، عن يونس، عن المنهال .

فبطلت العلة من جهة الحسن بن عمارة، ولم يضر دخول الحسن شيئًا » .

قال أبو عمرو: أولًا: قد جمعت طرق الحديث وإليك بيانها .

١ - الأعمش عن المنهال به .

رواه عن الأعمش كلًا من:

عبد الله بن نمير، وأبو معاوية الضرير، عنه به

أخرجه أحمد (٤/ ٢٨٨)، وابن أبي شيبة (١٢٠٣١، ٢٩١٣٩)، والحاكم (١/ ٣٧) .

عبد الله بن نمير عنه

أخرجه أبو عوانة في (الجنائز)، كما في (إتحاف المهرة) (٢/ ٤٥٩)، والحاكم (١/ ٣٧) .

أبو معاوية عنه

أخرجه أبو داود (٤٧٥٣)، وابن أبي شيبة (١٢٠٥٨)، وابن خزيمة في (التوحيد) (١/ ٢٧٤)، والحاكم (١/ ٣٧)، والآجري في (الشريعة) (ص: ٣٦٧، ٣٧٠) .

أبو عوانة عنه

أخرجه الطيالسي (ص: ١٠٢) .

سفيان الثوري عنه

أخرجه أحمد (٤/ ٢٩٧)، والحاكم (١/ ٣٨) .

شعبة عنه =

= أخرجه الحاكم (١/ ٣٩) .

معاوية بن عمرو عنه

أخرجه أحمد (٤/ ٢٨٨) .

محمد بن فضيل عنه

أخرجه ابن خزيمة في (التوحيد) (١/ ٢٧٤)، والحاكم (١/ ٣٨) .

جرير عنه

أخرجه أبو داود (٣٢١٢)، وابن خزيمة في (التوحيد) (١/ ٢٧٤) .

زائدة عنه

قال الحاكم بعد ما ذكر رواية عبد الله بن نمير وأبو معاوية ومحمد بن فضيل ثلاثتهم عن الأعمش به، قال: « وقد رواه سفيان بن سعيد، وشعبة بن الحجاج، وزائدة بن قدامة، وهم من الأئمة عن الأعمش » .

ثم ذكر روايتهم، ثم قال: « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ؛ فقد احتجا جميعًا بالمنهال بن عمرو، وزاذان أبي عمر الكندي، وفي هذا الحديث فوائد كثيرة لأهل السنة وقمع للمبتدعة، ولم يخرجاه » .

قال أبو عمرو: وله طرق عن الأعمش أخرجه أبو عوانة في (الجنائز) كما في (إتحاف المهرة) (٢/ ٤٥٩) .

قال الحافظ رحمه الله: « وعن عباس الدوري، ثنا أبو يحيى الحماني، وعن أبي بكر الجعفي، ثنا أبو أسماء، وعن أبي قلابة، ثنا أبو عاصم، ثنا سفيان، عن أبي بكر ابن ابنة معاوية بن عمرو، ثنا معاوية بن عمرو، ثنا زائدة، وعن محمد بن علي بن داود بن أحمد بن عراك، ثنا إسحاق بن إبراهيم الهروي، ثنا عبد الله بن عبد القدوس، كلهم عن الأعمش .

قال أبو عمرو: وقد تابع الأعمش ثُلة من العلماء نسوق ذكرهم ؛ فنقول:

تابعه عمرو بن قيس، عن المنهال، به

أخرجه النسائي (٤/ ٧٨)، وابن ماجه (١٥٤٩)، والحاكم (١/ ١٤٠) .

الحسن بن عبيد الله، عن المنهال، به

أخرجا الحاكم (١/ ١٤٠) .

زيد بن أبي أنيسة

أخرجه أبو عوانة في (الجنائز) كما في (إتحاف المهرة) (٢/ ٤٥٩) . =

.....

= يونس بن خباب

أخرجه أحمد (٤/ ٢٩٦)، وابن ماجه (١٥٤٨)، وعبد الرزاق (٦٧٦٦)، والحاكم (١/ ١٤٠)، وابن خزيمة في (التوحيد) (١/ ٢٧٥) .

وأبو خالد الدالاني، واسمه يزيد بن عبد الرحمن

أخرجه الحاكم (١/ ١٤٠) .

هذا ما وقفت عليه بالنسبة لطرق الحديث .

فإن كنت قد وفقت ؛ فالمنة والحمد لله على توفيقه .

وإن كنت قد أخطأت وعدلت عن الصواب، فهذه طبيعة بني آدم، وأتوب إلى الله وأرجع على الفور، وأستغفره من زللي وخطئي .

عود على بدءٍ:

ومما تقدم، تعلم أخي القارئ أنه قدر واه عن الأعمش أئمة ثقات ؛ منهم شعبة نفسه والثوري.

ثم الأعمش متابع كما تقدم .

نعم، أعلم أن فيهم ضعفاء، وبعضهم يدلس، لكنه متابع لثقة .

قال ابن القيم رحمه الله: « أما العلة الثالثة: وهي أن زاذان لم يسمعه من البراء .

فجوابها من وجهين أحدهما: أن أبا عوانة الإسفرايني رواه في صحيحه .

وصرح فيه بسماع زاذان له من البراء، فقال: سمعت البراء بن عازب .. فذكره » .

قال أبو عمرو: « وأزيد:

وأخرجه أبو داود (٤٧٣٩-عون)، وأحمد في (مسنده) (٤/ ٢٨٨)، قال: ثنا ابن نمير، ثنا الأعمش، ثنا المنهال بن عمرو، عن أبي عمر زاذان، قال: سمعت البراء بن عازب، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ .. الحديث .

وابن نمير هو عبد الله بن نمير ؛ قال: الحافظ: ثقة صاحب حديث من أهل السنة .

قال أبو عمرو: فهذه تثبت سماع زاذان من البراء رضي الله عنه .

وهناك علة أخرى لم يذكرها ابن القيم رحمه الله نبه عليها الحاكم رحمه الله، حيث قال بعد ما ذكر الثقات الذين رووه عن الأعمش، ثم ذكر شاهدًا للحديث ـ:

« فقد بان بالأصل والشاهد صحة هذا الحديث، ولعل متوهمًا يتوهم أن الحديث الذي حدثناه أبو الحسن عبد الصمد بن علي بن مكرم البزار، ثنا جعفر بن محمد بن كزال، =

= ثنا أبو إبراهيم الترجماني، ثنا شعيب بن صفوان، ثنا يونس بن خباب، عن المنهال بن عمرو، عن زاذان، عن أبي البختري الطائي: سمعت البراء بن عازب، أنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ .. الحديث.

قال الحاكم: يعلل به هذا الحديث، وليس كذلك .

فإن ذكر أبي الختري في هذا الحديث، وهم من شُعيب بن صفوان لإجماع الأئمة الثقات على روايته، عن يونس بن خباب، عن المنهال بن عمرو، عن زاذان أنه سمع البراء، حدثنا بصحة ما ذكرته جعفر بن محمد بن نصر الخلدي إملاء ببغداد، ثنا علي بن عبد العزيز، ثنا إبراهيم بن زياد سيلان، ثنا عباد بن عباد، قال: أتيت يونس ابن خباب بمنى عند المنارة، وهو يقص، فسألته عن حديث عذاب القبر، فحدثني به ثم ساق بإسناده عن مهدي بن ميمون عن يونس ومعمر عن يونس به .

ثم قال: هذا هو الصحيح المحفوظ من حديث يونس بن خباب، وهكذا رواه أبو خالد الدالاني، وعمرو بن قيس الملائي، والحسن بن عبيد الله النخعي، عن المنهال بن عمرو، ثم ساق بإسناده إليهم، وقد تقدم ذكرهم .

قال أبو عمرو: وقد وافقه الحافظ حيث ذكر ما قاله الحاكم في إتحاف المهرة .

قال أبو عمرو: نعم، قد اختلف أهل العلم في حال شعيب، فقال أحمد: لا بأس به، وذكره ابن حبان في (الثقات)، وقال أبو حاتم: يكتب حديث ولا يحتج به .

لكن جرحه ابن معين حيث قال: ليس حديثه بشيء، قال: وأيش كان عنده، كان عنده سمر .

وقال أيضًا: ليس بشيء، الترجماني يروي وليس يبالي عمن روى .

قال أبو عمرو: فهذه من ناحية الرواية، أما من ناحية الخلاف فقد بته ابن عدي كما في (الضعفاء) له بعدما ذكر أحاديث له ـ حيث قال: ولشعيب غير ما ذكرت من حديث، وليس بالكثير، وعامة ما يرويه لا يتابع عليه .

ثم أعود فأقول:

قال ابن القيم رحمه الله:

والثاني: أن ابن منده رواه عن الأصم، حدثنا الصنعاني، أخبرنا أبو النضر عيسى بن المسيب، عن عدي بن ثابت، عن البراء .. فذكره .

فهذا عدي بن ثابت قد تابع زاذان .

قال ابن منده: ورواه أحمد بن حنبل، ومحمود بن غيلان وغيرهما عن أبي النضر . =

وقال حماد بن سلمة، عن محمد بن عمرو، وعن أبي سلمة، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾، قال: « **إذا قيل له في القبر: من ربك ؟ وما دينك ؟**

فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمد ؛ جاء بالبينات من عند الله فآمنت وصدقت .

فيقال له: صدقت ؛ على هذا عشتَ وعليه متَّ وعليه تُبعثُ » (١) .

وقال الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن زاذان، عن البراء بن عازب، قال: قال رسول الله وذكر قبض روح المؤمن ـ، قال: « **فترجع روحه في**

= ورواه ابن منده أيضًا من طريق محمد بن سلمة، عن خصيف الجزري، عن مجاهد، عن البراء.
قال أبو موسى الأصبهاني: هذا حديث حسن مشهور بالمنهال عن زاذان .
وشجعه أبو نعيم والحاكم وغيرهما .
قال ابن القيم رحمه الله:
وأما ما ظنه أبو محمد بن حزم من معارضة هذا الحديث لقوله تعالى: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ﴾ الآية [البقرة: ٢٨] .
وأنهما حياتان وموتتان لا غير .
فجوابه: أنه ليس في الحديث أنه يحيا حياة مستقرة في قبره .
والحياتان المذكورتان في الآية هما اللتان ذُكرا في قوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ ﴾ [غافر: ١١] .
وهاتان حياتان مستقرتان، وأما رد الروح إليه في البرزخ للسؤال فرد عارض لا يتصل به حياة ثالثة، فلا معارضة بين الحديث والقرآن بوجه من الوجوه، وبالله التوفيق .

(١) صحيح:
أخرجه الطبري (١٤/ ٢٢١)، وعبد الرزاق في (المصنف) (٣/ ٦٧٠)، وابن أبي شيبة (٣/ ٢٥٨، ٢٥٩) .

جسده، ويبعث إليه ملكان [شديدان] [١] ؛ فيجلسانه وينهرانه، ويقولان: من ربك ؟

فيقول: الله، وما دينك ؟ فيقول: الإسلام .

فيقولان: ما هذا الرجل الذي بُعث فيكم ؟ فيقول: محمد رسول الله » .

قال: « فيقولان له: وما يدريك ؟ »، قال: « يقول: قرأت كتاب الله ؛ فآمنت به وصدقت، وذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ » [٢]، رواه ابن حبان في صحيحه وأحمد .

وفي صحيحه [٣] أيضًا من حديث أبي هريرة، يرفعه، قال: « إن الميت ليسمع خفق نعالهم يولون عنه مدبرين ؛ فإذا كان مؤمنًا كانت الصلاة عند رأسه، والزكاة عن يمينه، وكان الصيام عن يساره، وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان إلى الناس عند رجليه ؛ فيُؤتَى من عند رأسه ؛ فتقول الصلاة ما قبلي مدخل، فيؤتى عن يمينه ؛ فتقول الزكاة ما قبلي مدخل، فيؤتي عن يساره ؛ فيقول الصيام ما قبلي مدخل، فيؤتى من عند رجليه ؛ فتقول فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان إلى الناس ما قبلي مدخل .

---

(١) في (ب) و (ط): (شديدا الانتهار) .

(٢) حديث صحيح:
تقدم تخريجه والكلام على هذه الرواية .

(٣) أي: ابن حبان .

فيقال له: اجلس، فيجلس قد مثلت له الشمس قد [قدمت] [١] للغروب؛ فيقال له: أخبرنا عما نسألك عنه، [فيقول: وعَمَّ تسألوني ؟] [٢]، فيقول: دعوني حتى أصلي .

فيقال: إنك ستفعل ؛ فأخبرنا عما نسألك .

فيقول: وعمَّ تسألون ؟ فيقال له: أرأيت هذا الرجل الذي بعث فيكم، ماذا تقول فيه ؟ وماذا تشهد به عليه ؟

فيقول: محمد صلى الله عليه وسلم، فيقولون: نعم، فيقول: أشهد أنه رسول الله، وأنه جاءنا بالبينات من عند الله ؛ فصدقناه، فيقال له: على ذلك حييت، وعلى ذلك مت، وعلى ذلك تُبعث إن شاء الله، ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعًا، وينور له فيه، ثم يفتح له باب إلى الجنة ؛ فيقال: انظر إلى ما أعد الله لك فيها، فيزداد غبطةً وسرورًا، ثم يجعل نسمته في النسم الطيبة ؛ وهي طير خضر تعلق بشجر الجنة فيعاد الجسد إلى ما بدا منه من التراب، وذلك قول الله: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ » [٣] .

ولا تستطل هذا الفصل المعترض ؛ فالمفتي والشاهد والحاكم، بل وكل مسلم أشد ضرورة إليه من الطعام والشراب والنفس، وبالله التوفيق .

---

(١) في (ب) و (ط): (دنت) .

(٢) ليست في (أ)

(٣) تقدم الكلام على هذه الرواية آنفًا .

فصـــــل

(مثل الأوثان)

ومنها قوله تعالى: ﴿ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ [الحج: ٣٠-٣١].

فتأمل هذا المثل ومطابقته لحال من أشرك بالله وتعلق بغيره، (ويجوز لك) [1] في هذا التشبيه أمران:

أحدهما: أن تجعله تشبيهًا مركبًا ويكون قد شبه من أشرك بالله وعبد معه غيره برجل قد تسبب إلى هلاك نفسه هلاكًا لا يرجى معه نجاة؛ فصور حاله بصورة من خرَّ من السماء فاختطفه الطير في الهوى فتمزق مزعًا في حواصلها، أو عصفت به الريح حتى هوت في بعض المطارح البعيدة؛ وعلى هذا لا ينظر إلى كل فرد من أفراد الشبه ومقابلته من المشبه به.

والثاني: أن يكون من التشبيه المفرق، فيقابل كل واحد من أجزاء الممثل بالممثل به؛ وعلى هذا فيكون قد شبه الإيمان والتوحيد في علوه وسعته وشرفه بالسماء التي هي مصعده ومهبطه، فمنها يهبط إلى الأرض وإليها يصعد منها، وشبه تارك الإيمان والتوحيد بالساقط من السماء إلى أسفل سافلين من حيث التضييق الشديد والآلام المتراكمة والطير الذي يخطف أعضاءه ويمزقه كل ممزق بالشياطين التي يرسلها الله عليه تؤزه أزًّا وتزعجه وتقلقه إلى مظانِّ هلاكه، فكل شيطان له مزعة من دينه وقلبه كما أن لكل طير مزعة من لحمه

---

(١) في (ب) (ونحو ذلك).

وأعضائه، والريح التي تهوي به في مكان سحيق هو هواه الذي يحمله إلقاء نفسه في أسفل مكان، وأبعده من السماء [١].

فصـــــل

(مثل حقيقٌ سماعه)

ومنها قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج: ٧٣-٧٤].

حقيق على كل عبد أن يستمع لهذا المثل ويتدبره حق تدبره ؛ فإنَّه يقطع موارد الشرك من قلبه، وذلك أن المعبود أقل درجاته أن يقدر على إيجاد ما ينفع عابده وإعدام ما يضره، والآلهة التي يعبدها المشركون من دون الله لن تقدر على خلق ذباب ولو اجتمعوا كلهم لخلقه ؛ فكيف ما هو أكبر منه ! ولا يقدرون على الانتصار من الذباب إذا سلبهم شيئًا مما عليهم من طيب ونحوه فيستنقذونه منه، فلا هم قادرون على خلق الذباب الذي هو من أضعف الحيوان، ولا على الانتصار منه واسترجاع ما سلبهم إياه ؛ فلا أعجز من هذه الآلهة ولا أضعف منها، فكيف يستحسن عاقل عبادتها من دون الله تعالى ؟!

وهذا المثل من أبلغ ما أنزل الله سبحانه في بطلان/ الشرك وتجهيل (١٢/ب) أهله وتقبيح عقولهم، والشهادة على أن الشياطين قد تتلاعب بهم أعظم من تلاعب الصبيان بالكرة ؛ حيث أعطوا الإلهية التي من بعض لوازمها

---

(١) انظر: (الكشاف) (٣/ ١٢).

القدرة على جميع المقدورات والإحاطة بجميع المعلومات والغنى عن جميع المخلوقات وأن يعمد إلى الرب في جميع الحاجات وتفريج الكربات وإغاثة اللهفات وإجابة الدعوات، فأعطوها صورًا وتماثيل تمتنع عليها القدرة على مخلوقات الآلهة الحق وأذلها وأصغرها وأحقرها، ولو اجتمعوا لذلك وتعاونوا عليه [١] .

وأدل من ذلك على عجزهم وانتفاء آلهتهم أن هذا الخلق الأقل الأذل العاجز الضعيف لو اختطف منهم شيئًا واستلبه فاجتمعوا على أن يستنقذوه منه لعجزوا عن ذلك ولم يقدروا عليه، ثم سوى بين العابد والمعبود في الضعف والعجز بقوله: ﴿ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾ .

قيل: الطالب العابد، والمطلوب المعبود [٢] ؛ فهو عاجز متعلق بعاجز .

وقيل: هو تسوية بين السالب والمسلوب، وهو تسوية بين الإله والذباب في الضعف والعجز ؛ وعلى هذا فالطالب الإله الباطل والمطلوب الذباب يطلب منه ما استنقذه منه .

وقيل: الطالب الذباب والمطلوب الآلهة، فالذباب يطلب منه ما يأخذه مما عليه .

والصحيح أن اللفظ يتناول الجميع ؛ فضعف العابد والمعبود والمستلِب والمستلَب ؛ فمن جعل هذا الآلهة مع القوي العزيز فما قدره حق قدره ولا عرفه حق معرفته ولا عظمه حق عظمته [٣] .

---

(١) انظر: (جامع البيان) للطبري (١٨/ ٢١٣) .

(٢) انظر: (زاد المسير) (٥/ ٤٥٢) .

(٣) قال الإمام الطبري رحمه الله: =

فصـــــل

(مثل الكفار كمثل الناعق)

ومنها قوله تعالى: ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ١٧١] .

= « واختُلف في معنى قوله: ﴿ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾ .

فقال بعضهم: عني بالطالب: الآلهة، وبالمطلوب: الذباب » .

ثم أورد بإسناد ضعيف عن ابن عباس رضي الله عنهما، في قوله: ﴿ ٱلطَّالِبُ ﴾، قال: « آلهتهم »، ﴿ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾: « الذباب »، وإسناده ضعيف مرسل .

ثم قال: « وكان بعضهم يقول: معنى ذلك: ﴿ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ ﴾ من بني آدم إلى الصنم حاجته، ﴿ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾ إليه الصنم أن يعطي سائله من بني آدم ما سأله، يقول: ضعف عن ذلك وعجز .

والصواب من القول في ذلك عندنا ما ذكرته عن ابن عباس من أن معناه: عجز الطالب، وهو الآلهة، أن تستنقذ من الذباب ما سلبها إياه، وهو الطيب وما أشبهه، والمطلوب: الذباب .

وإنما قلت هذا القول أولى بتأويل ذلك ؛ لأن ذلك في سياق الخبر عن الآلهة والذباب، فأن يكون ذلك خبرًا عما هو به متصل أشبه من أن يكون خبرًا، عما هو عنه منقطع، وإنما أخبر جلّ ثناؤه عن الآلهة بما أخبر به عنها في هذه الآية من ضعفها ومهانتها تقريعًا منه بذلك عَبَدتها من مشركي قريش .

يقول تعالى ذكره: كيف يجعل مثل في العبادة ويشرك فيها معي ما لا قدرة له على خلق ذباب، وإن أخذ له الذباب فسلبه شيئًا عليه لم يقدر أن يمتنع منه ولا ينتصر، وأنا الخالق ما في السماوات والأرض ومالكٌ جميع ذلك والمحيي من أردت، والمميت ما أردت ومن أردت، إن فاعل ذلك لا شك أنه في غاية الجهل .

وقوله: ﴿ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾ .

يقول: ما عظَّم هؤلاء الذين جعلوا الآلهة لله شريكًا في العبادة حق عظمته حين أشركوا به غيره، فلم يخلصوا له العبادة ولا عرفوه حق معرفته ؛ من قولهم: ما عرفت لفلان قدره إذا خاطبوا بذلك من قَصَّر بحقه، وهم يريدون تعظيمه » .

فتضمن هذا المثل ناعقًا، أي: مصوتًا بالغنم وغيرها، ومنعوقًا به وهو الدواب؛ فقيل: الناعق العابد ؛ وهو الداعي للصنم، والصنم: هو المنعوق به المدعو، وإن حال الكافر في دعائه كحال من ينعق بما لا يسمعه، هذا قول طائفة؛ منهم عبد الرحمن بن زيد وغيره [١] .

واستشكل صاحب الكشاف [٢] وجماعة معه هذا القول، وقالوا: قوله: ﴿إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً﴾ لا يساعد عليه ؛ لأن الأصنام لا تسمع دعاءً ولا نداءً، وقد أجيب عن هذا الإشكال بثلاثة أجوبة:

أحدها: أن (إلا) [٣] زائدة، والمعنى: بما لا يسمع دعاء ونداء، قالوا: وقد ذكر الأصمعي في قول الشاعر [٤]:

جراجيج لا تنفك إلا مناخة

أي، ما تنفك مناخة .

وهذا جواب فاسد ؛ فإن (إلا) لا تزاد في الكلام .

الجواب الثاني: أن التشبيه وقع في مطلق الدعاء، لا في خصوصات المدعو .

الجواب الثالث: أن المعنى أن مثل هؤلاء في دعائهم آلهتهم التي لا تفقه

---

(١) أخرجه الطبري (٢/ ٨٨)، وقال رحمه الله:

« وأولى الأقوال عندي بالآية التأويل الأول، وهو: أن معنى الآية: ومثل وعظ الكافر وواعظه كمثل الناعق بغنمه ونعيقه ؛ فإنه يسمع نعقه ولا يعقل كلامه على ما قد بينا من قبل » .

(٢) أي: الزمخشري، (١/ ٢٥٠) .

(٣) ما بين القوسين ساقط من (ب) و (ص) .

(٤) انظر: (ديوان ذي الرقة) (٣/ ١٤١٩) و(الموشح) (١٨٢) .

دعاءهم كمثل الناعق بغنمه، فلا ينتفع بنعقته شيئًا غير أنه في دعاء ونداء، وكذا المشرك ليس له من دعائه وعبادته إلا العناء .

وقيل المعنى: ومثل الذين كفروا كالبهائم التي لا تفقه مما يقول الراعي أكثر من الصوت[1] ؛ فالراعي هو داعي الكفار والكفار هم البهائم المنعوق بها .

قال سيبويه: « المعنى: ومثلك يا محمد ومثل الذين كفروا كمثل الناعق والمنعوق به »[2] .

وعلى قوله فيكون المعنى: ومثل الذين كفروا وداعيهم كمثل الغنم والناعق بها، ذلك أن تجعل هذا من التشبيه المركب وأن تجعله من التشبيه المفرق ؛ فإن جعلته من المركب كان تشبيهًا للكفار في عدم فقههم وانتفاعهم بالغنم التي يَنعق بها الراعي فلا تفقه من قوله شيئًا غير الصوت المجرد الذي هو الدعاء والنداء .

وإن جعلته من التشبيه المفرق فالذين كفروا بمنزلة البهائم، ودعاؤهم إلى الطريق والهدى بمنزلة النعيق، وإدراكهم مجرد الدعاء والنداء كإدراك البهائم مجرد صوت الناعق، والله أعلم .

فصـــــــل

(مثل المنفق في سبيل الله)

ومنها قوله تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٦١] .

(١) أخرجه الطبري (٢/ ٨٦)، عن مجاهد .

(٢) انظر (الكتاب) (١/ ١٠٨).

شبه سبحانه نفقة المنفق في سبيله ؛ سواء كان المراد به الجهاد أو جميع سبل الخير من كل بر، بمن بَذر بَذرًا فأنبتت كل حبة سبع سنابل، اشتملت كل سنبلة على مائة حبة، والله يضاعف [لمن يشاء فوق ذلك] (١) بحسب حال المنفق وإيمانه وإخلاصه وإحسانه ونفع نفقته وقدرها ووقوعها موقعها ؛ فإن ثواب الإنفاق يتفاوت بحسب ما يقوم بالقلب من الإيمان والإخلاص والتثبت عند النفقة، وهو إخراج المال بقلب ثابت قد انشرح صدره بإخراجه وسمحت به نفسه، وخرج من قلبه قبل خروجه من يده ؛ فهو ثابت القلب عند إخراجه غير جزع ولا هلع، ولا متبعه نفسه ترجف يده وفؤاده، ويتفاوت بحسب نفع الإنفاق ومصارفه بمواقعه، وبحسب طيب المنفق وزكائه .

وتحت هذا المثل من الفقه:

أنه سبحانه شبه الإنفاق بالبذر ؛ فالمنفق ماله الطيب لله لا لغيره باذر ماله في أرض زكية فمغلة بحسب بذره وطيب أرضه وتعاهد البذر بالسقي ونفي الدغل والنبات الغريب عنه، فإذا اجتمعت هذه الأمور ولم تحرق الزرع نارٌ ولا لحقته جائحة جاء أمثال الجبال، وكان مثله كمثل جنة بربوة، وهي المكان [المرتفع] (٢) الذي تكون الحبة فيه نصب الشمس والرياح، فتربى الأشجار هناك أتمَّ تربية فنزل عليها من السماء مطر عظيم القطر متتابع، فرواها ونمَّاها فآتت أكلها ضعفي ما تؤتيه غيرها بسبب ذلك الوابل، ﴿ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ﴾ ؛ مطر صغير القطر يكفيها لكرم منبتها تزكو على الطل وتنمي عليه، مع أن في ذكر نوعي الوابل والطل إشارة إلى نوعي الإنفاق

(١) زيادة من (ط) .

(٢) زيادة من (ط) .

الكثير والقليل .

فمن الناس من يكون إنفاقه وابلًا، ومنهم من يكون إنفاقه طلًّا، والله لا يضيع مثقال ذرة .

فإن عرض لهذا العامل ما يغرق أعماله ويبطل بها حسناته كان بمنزلة رجل ﴿لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ﴾ [البقرة: ٢٦١].

فإذا كان يوم استيفاء الأعمال وإحراز الأجور وجد العامل عمله قد أصابه ما أصاب صاحب هذه الجنة فحسرته، حينئذ أشد من حسرة هذا على جنته ؛ فهذا مثل ضربه الله سبحانه في الحسرة لسلب النعمة عند شدة الحاجة إليها مع عظم قدرها ومنفعتها، والذي ذهبت عنه قد أصابه الكبر والضعف فهو أحوج ما كان إلى نعمته، ومع هذا فله ذرية ضعفاء لا يقدرون على نفعه والقيام بمصالحه بل هم في عياله، فحاجته إلى نعمته حينئذ أشد ما كانت لضعفه وضعف ذريته؛ فكيف يكون حال هذا إذا كان له بستان عظيم فيه من جميع الفواكه والثمر وسلطان ثمره أجل الفواكه وأنفعها، وهو ثمر النخيل والأعناب فنخله يقوم بكفايته وكفاية ذريته، فأصبح يومًا وقد وجده محترقًا كله كالصريم، فأي حسرة أعظم من حسرته ؟!

قال ابن عباس: « هذا مثل الذي يختم له بالفساد في آخر عمره »[1] .

وقال مجاهد: « هذا مثل المفرط في طاعة الله حتى يموت »[2] .

---

(١) تقدم تخريجه .

(٢) أخرجه الطبري (٣/ ٧٧) .

وقال السدي: « هذا مثل للمرائي في نفقته الذي ينفق لغير الله ؛ ينقطع عنه نفعها أحوج ما يكون إليها » [١] .

وسأل عمر بن الخطاب الصحابة ﷺ يومًا عن هذه الآية، فقالوا: الله أعلم، فغضب عمر، وقال: قولوا نعلم أو لا نعلم !

فقال ابن عباس: في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين، قال: قل يا ابن أخي ولا [تحصر] [٢] نفسك .

قال: ضرب مثل لعمل، قال: لأي عمل ؟ قال: لرجل غنى يعمل بالحسنات، ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أحرق أعماله كلها [٣] .

وقال الحسن: « هذا مثل قلَّ والله أعلم من يعقله من الناس ؛ شيخ كبير، ضعُف جسمه وكثُرَ صبيانه أفقر ما كان إلى جنته، وإن أحدكم والله أفقر ما يكون إلى عمله إذا انقطعت عنه الدنيا » [٤] .

فصـــل

(ما يبطل الأعمال من المن والأذى والرياء)

فإن عرض لهذه الأعمال من الصدقات ما يبطلها من المن والأذى والرياء؛ فالرياء يمنع انعقادها سببًا للثواب، والمن والأذى يبطل الثواب الذي كان سببًا

---

(١) المصدر السابق .

(٢) في (أ): (تحرق) .

(٣) أثر صحيح:

تقدم تخريجه في أول الكتاب .

(٤) أخرجه الطبري (٣/ ٧٧) .

له، فمثل صاحبها وبطلان عمله ﴿كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾، وهو: الحجر الأملس، ﴿عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ﴾، وهو: المطر الشديد ؛ ﴿فَتَرَكَهُ صَلْدًا﴾ لا شيء عليه .

وتأمل أجزاء هذا المثل البليغ وانطباقها على أجزاء الممثل به تعرف عظمة القرآن وجلالته ؛ فإن الحجر في مقابلة قلب هذا المرائي والمَانّ والمؤذي، فقلبه في قسوته عن الإيمان والإخلاص والإحسان بمنزلة الحجر، والعمل الذي لغير الله بمنزلة التراب الذي على ذلك الحجر فقوة ما تحته وصلابته تمنعه من الثبات والنبات عند نزول الوابل، فليس له مادة متصلة بالذي يقبل الماء وينبت الكلأ، وكذلك قلب المرائي ليس له ثبات عند وابل الأمر والنهي والقضاء والقدر، فإذا نزل عليه وابل الوحي انكشف عنه ذلك التراب اليسير الذي كان عليه فبرز ما تحته حجرًا صلدًا لا نبات فيه، وهذا مثل ضربه الله سبحانه لعمل المرائي ونفقته؛ لا يقدر يوم القيامة على ثواب شيء منه أحوج ما كان إليه، وبالله التوفيق .

فصـــــل

(المنفق في غير طاعة الله)

ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا ۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١٦﴾ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١١٦-١١٧] .

هذا مثل ضربه الله تعالى لمن أنفق ماله في غير طاعته ومرضاته، فشبه

سبحانه ما ينفقه هؤلاء من أموالهم في المكارم والمفاخر وكسب الثناء وحسن الذكر لا يبتغون به وجه الله وما ينفقونه ليصدوا به عن سبيل الله واتباع رسله عليهم الصلاة والسلام بالزرع الذي زرعه صاحبه يرجو نفعه وخيره فأصابته ريح شديدة البرد جدًا يحرق بردها ما يمر عليه من الزرع والثمار، فأهلكت ذلك الزرع وأيبسته .

واختُلف في الصِّرِّ، فقيل: البرد الشديد .

وقيل: النار، قاله ابن عباس [١] .

وقال الأنباري: وإنما وصفت النار أنها صَرٌّ لتصريتها عند الالتهاب، وقيل: الصر الصوت الذي يضحب الريح من شدة هبوبها [٢] .

والأقوال الثلاثة متلازمة فهو برد شديد محرق بيبسه للحرث كما تحرق النار، وفيه صوت شديد .

وفي قوله: ﴿ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ﴾ تنبيه على أن سبب إصابتها لحرثهم هو ظلمهم، فهو الذي سلط عليهم الريح المذكورة حتى أهلكت زرعهم وأيبسته، فظلمهم هو الريح التي أهلكت أعمالهم ونفقاتهم وأتلفتها .

فصـــل

ومنها قوله تعالى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر: ٢٩] .

---

(١) تقدم تخريجه .

(٢) أخرجه الطبري (٤/ ٦٢) عن ابن زيد نحوه، وانظر (فتح القدير) (١/ ٣٧٤) .

هذا مثل ضربه الله سبحانه للمشرك والموحد ؛ فالمشرك بمنزلة عبد تملكه جماعة [متنازعون مختلفون متشاحنون، والرجل المتشاكس: الضيق الخلق ؛ فالمشرك لما كان يعبد آلهة شتى شبه بعبد يملكه جماعة متنافسون][1] في خدمته لا يمكنه رضاهم أجمعين، والموحد لما كان يعبد الله وحده فمثله كمثل عبد رجل واحد قد سلِم له وعلم مقاصده وعرف الطريق إلى رضاه، فهو في راحة من تشاحن الخلطاء فيه، بل هو سالم لمالكه من غير منازع فيه مع رأفة مالكه به ورحمته له وشفقته عليه وإحسانه إليه وتوليته بمصالحه، فهل يستوي هذان العبدان ؟!

وهذا منه أبلغ الأمثال ؛ فإن الخالص لمالك واحد مستحق من معونته وإحسانه والتفاته إليه وقيامه بمصالحه ما لا يستحقه صاحب الشركاء المتشاكسين، ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ .

فصـــل

(امرأة نوح وامرأة لوط)

ومنها قوله تعالى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴾ [التحريم: ١٠-١٢].

---

(١) ما بين القوسين زيادة من (ط) .

فاشتملت هذه الآيات على ثلاثة أمثال ؛ مثل للكافر، ومثلين للمؤمنين.

فتضمن مثل الكفار أن الكافر يعاتب على كفره وعداوته لله تعالى ورسوله وأوليائه ولا ينفعه مع كفره ما كان بينه وبين المؤمنين من لحمة نسب أو صلة صهر أو سبب من سبب الاتصال، فإن الأسباب كلها تنقطع يوم القيامة إلا ما كان منها متصلًا بالله وحده على أيدي رسله عليهم الصلاة والسلام ـ، فلو نفعت وصلة القرابة والمصاهرة والنكاح مع عدم الإيمان لنفعت الصلة التي كانت بين نوح ولوط عليهما الصلاة والسلام وامرأتيهما، فلما لم يغنيا عنهما من الله شيئًا، وقيل لهما ادخلا النار مع الداخلين، فقطعت الآية حينئذ طمع من ارتكب معصية الله تعالى وخالف أمره ورجا أن ينفعه صلاح غيره من قريب أو أجنبي ولو كان بينهما في الدنيا أشد الاتصال، فلا اتصال فوق اتصال النبوة والأبوة والزوجية، ولم يغن نوح عليه الصلاة و السلام عن ابنه[1]، ولا إبراهيم عليه الصلاة والسلام عن

(١) قال تعالى:

﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ۞ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرِىٰهَا وَمُرْسَىٰهَا ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ

أبيه [١]، ولا نوح ولوط عليهما الصلاة و السلام عن امرأتيهما من الله شيئًا .

وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [هود: ٣٧-٤٧] .

(١) وقد وردت قصته في القرآن الكريم والسنة الشريفة .

فأما القرآن ؛ فقال تعالى:

﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴾ [مريم: ٤١-٥٠] .

وأما في السنة ؛ فقد وردت عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال:

« يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة، وعلى وجه آزر قترة وغبرة، فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك: لا تعصيني ؟

فيقول أبوه: فاليوم لا أعصيك .

فيقول إبراهيم: يا رب، إنك وعدتني أن لا تخزني يوم يبعثون، فأي خزي أخزى من أبي الأبعد؟!

فيقول الله تعالى: إني حرمت الجنة على الكافرين .

ثم يقال: يا إبراهيم، ما تحت رجليك ؟

فينظر فإذا هو بذِيخٍ ملتطخٍ، فيؤخذ بقوائمه، فيلقى في النار » .

تخريج الحديث:

صحيح: أخرجه البخاري (٣٣٥٠، ٤٧٦٨)، والنسائي في الكبرى (١١٣١١)، والحاكم (٢/ ٢٣٨، ٤/ ٥٨٩) .

يستفاد من الحديث: =

= ١- أن اسم أباه آزر كما نص عليه القرآن الكريم .

٢- أن آزر من أهل النار، ومما يدل عليه قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠١] .

٣- لا شفاعة لكافر .

٤- تحريم الجنة على الكافرين .

٥- شفقة إبراهيم ؛ على أبيه .

٦- تغير آزر إلى ذيخ ملتطخ بالدم .

والذيخ: هو ذكر الضباع، ملتطخ: أي في رجيع أو دم أو طين .

فائدة:

لعل قائلًا يقول: لم مسخ إلى ذيخ ؟!

قيل: الحكمة في مسخه لتنفر نفس إبراهيم منه، ولئلا يبقى في النار على صورته فيكون فيه غضاضة على إبراهيم ؛ .

وقيل: الحكمة في مسخه ضبعًا أن الضبع من أحمق الحيوان، وآزر كان من أحمق البشر ؛ لأنه بعد أن ظهر من ولده من الآيات البينات أصر على الكفر حتى مات .

واقتصر في مسخه على هذا الحيوان ؛ لأنه وسط في التشويه بالنسة إلى ما دونه كالكلب والخنزير، وإلى ما فوقه كالأسد مثلاً .

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ:

« يقول إبراهيم: يا رباه ! يوم القيامة، فيقول له الرب: يا لبيكاه .

فيقول: أحرقت بنيَّ .

فيقول: أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال برة من إيمان، مثقال شعيرة من إيمان » .

تخريج الحديث:

صحيح: أخرجه أبو عوانة (١/ ١٧٥)، وابن حبان (١٦/ ٣٨٣/ ٧٣٧٨) .

قال المنذري في الترغيب والترهيب: « ولا أعلم في إسناده مطعنًا » .

يقول نبي الله إبراهيم عليه السلام:

يا رباه: نداء من صاحب القلب السليم إلى رب العالمين، وذلك يوم القيامة .

فيقوله له الرب: يا لبيكاه: إجابة بعد إجابة .

فيقول إبراهيم عليه السلام: أحرقت بنيّ، فيقول الله عز وجل: أخرجوا من النار من كان في قلبه =

قال الله تعالى: ﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ ۚ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾ [الممتحنة: ٣].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا ۖ وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ [الانفطار: ١٩].

وقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا﴾ [البقرة: ٤٨].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا﴾ [لقمان: ٣٣].

وهذا كله تكذيب لأطماع المشركين الباطلة أن من تعلقوا به من دون الله من قرابة أو صهر أو نكاح أو صحبة تنفعهم يوم القيامة أو تجيرهم من عذاب الله تعالى أو تشفع لهم عند الله تعالى، وهذا أصل ضلال بني آدم وشركهم، وهو الشرك الذي لا يغفره الله، وهو الذي بعث الله تعالى جميع رسله عليهم الصلاة والسلام وأنزل جميع كتبه بإبطاله ومحاربة أهله ومعاداتهم.

فصل

(مثل امرأة فرعون ومريم)

وأما المثلان اللذان للمؤمنين؛ فأحدهما: امرأة فرعون.

ووجه المثل أن اتصال المؤمن بالكافر لا يضره شيئا إذا فارقه في كفره وعمله، فمعصية العاصي لا تضر المطيع شيئًا في الآخرة وإن تضرر بها في الدنيا بسبب العقوبة التي تحل بأهل الأرض إذا أضاعوا أمر الله ﷻ فتأتي عامة فلم يضر امرأة فرعون اتصالها به وهو من أكفر الكافرين، ولم ينفع

= مثقال برة من إيمان، مثقال شعيرة من إيمان؛ لأن الخلود في النار ليس لأحد من المؤمنين.

امرأة نوح ولوط اتصالهما بهما وهما رسولا رب العالمين .

المثل الثاني للمؤمنين: مريم التي لا زوج لها لا مؤمن ولا كافر .

فذكر ثلاثة أصناف النساء: المرأة الكافرة التي لها وصلة بالرجل الصالح، والمرأة الصالحة التي لها وصلة بالرجل الكافر، والمرأة العزبة التي لا وصلة بينها وبين أحد ؛ فالأولى لا تنفعها وصلتها وسببها، والثانية لا تضرها وصلتها وسببها، والثالثة لا يضرها عدم الصلة شيئًا .

ثم في هذه الأمثال من الأسرار البديعة ما يناسب سياق السورة ؛ فإنها سيقت في ذكر أزواج النبي والتحذير من تظاهرهن عليه [1]، وأنهن إن لم

(١) وذلك فيما يسميه أهل العلم بقصة المغافير .

فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت:

كان رسول الله ﷺ يحب العسل والحلوى، وكان إذا انصرف من العصر دخل على نسائه، فيدنو من إحداهن، فدخل على حفصة بنت عمر فاحتبس أكثر مما كان يحتبس، فغرت فسألت عن ذلك، فقيل: أهدت لها امرأة من قومها عكة عسل، فسقت النبي ﷺ منه شربة، فقلت: أما والله لنحتالن له، فقلت لسودة بنت زمعة: إنه سيدنو منك ؛ فإنه يقول لك سقتني حفصة شربة عسل، فقولي له: جرست نحلة العرفط، وسأقول ذلك، وقولي أنت يا صفية ذلك .

وكان رسول الله ﷺ يشتد عليه أن يوجد منه الريح .

قالت: تقول سودة: فوالله ما هو إلا أن قام على الباب فأردت أن أبادئه بما أمرتني به فرقًا منك.

فلما دنا منها قالت له سودة: يا رسول الله، أكلت مغافير ؟

فقال ﷺ: « لا » .

قالت: فما هذه الريح التي أجد منك .

قال ﷺ: « سقتني حفصة شربة عسل » .

فلما دخل عليَّ قلت له مثل ذلك، ثم دخل على صفية فقالت له مثل ذلك .

فلما دخل على حفصة قالت له: يا رسول الله، ألا أسقيك منه ؟

فقال ﷺ: « لا حاجة لي فيه » . =

يطعن الله ورسوله ويردن الدار الآخرة لم ينفعهن اتصالهن برسول الله كما لم ينفع امرأة نوح ولوط اتصالهما بهما، ولهذا ضرب لهما في هذه السورة مثل اتصال النكاح دون القرابة .

قال يحيى بن سلام: « ضرب الله المثل الأول يحذر عائشة وحفصة، ثم ضرب لهما المثل الثاني يحرضهما على التمسك بالطاعة » .

وفي ضرب المثل للمؤمنين بمريم أيضا اعتبارًا آخر وهو أنها لم يضرها عند الله شيئًا قذفُ أعداء الله تعالى اليهود لها ونسبتهم إياها وابنها إلى ما برأهما الله عنه مع كونها الصديقة الكبرى المصطفاة على نساء العالمين فلا يضر الرجل الصالح قذف الفجار والفساق فيه، وفي هذا تسلية لعائشة أم المؤمنين إن كانت السورة نزلت بعد قصة الإفك [1] وتوطين نفسها على ما

= قالت: تقول سودة: سبحان الله، والله لقد حرمناه .

قالت: قلت لها: اسكتي .

تخريج الحديث:

صحيح: أخرجه البخاري (٥٢٦٨)، ومسلم (١٤٧٤)، وأبو داود (٣٧٠٩) .

غريب الحديث:

جرست بفتح الجيم والراء ـ: أي أكلت العرفط ليصير منه العسل، وأصل الجرس: الصوت الخفي، ولا يقال: جرس بمعنى أكل أو رعى إلا للنحل .

العرفط بضم الفاء وسكون الراء ـ: هو الشجر الذي صمغه المغافير، وهو نبات له ورقة عريضة تفرش بالأرض، وله شوكة وثمرة بيضاء مثل زر القميص .

الريح، وهو الرائحة: أي غير الطيب .

فرقًا: خوفًا .

المغافير: جمع مغفور: وهو صمغ حلو وله رائحة كريهة .

حرمناه: منعناه .

(١) وقصة الإفك قصة مشهورة ..

= رواها ابن شهاب، قال: حدثني عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب وعلقمة ابن وقاص وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ حين قال لها أهل الإفك ما قالوا وكلهم حدثني طائفة من حديثها، وبعضهم كان أوعى لحديثها من بعض وأثبت له اقتصاصًا، وقد وعيت عن كل رجل منهم الحديث الذي حدثني عن عائشة وبعض حديثهم يصدق بعضًا، وإن كان بعضهم أوعى له من بعض، قالوا: قالت عائشة:

كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفرًا أقرع بين أزواجه فأيهن خرج سهمها خرج بها رسول الله ﷺ معه قالت عائشة فأقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج فيها سهمي فخرجت مع رسول الله ﷺ بعد ما أنزل الحجاب فكنت أحمل في هودجي وأنزل فيه فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته تلك وقفل دنونا من المدينة قافلين آذن ليلة بالرحيل فقمت حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأني أقبلت إلى رحلي فلمست صدري فإذا عقد لي من جزع ظفار قد انقطع فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه قالت وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلوني فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب عليه وهم يحسبون أني فيه وكان النساء إذ ذاك خفافًا لم يهبلن ولم يغشهن اللحم إنما يأكلن العلقة من الطعام فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل فساروا ووجدت عقدي بعد ما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس بها منهم داع ولا مجيب فتيممت منزلي الذي كنت به وظننت أنهم سيفقدوني فيرجعون إلي فبينا أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني من وراء الجيش فأصبح عند منزلي فرأى سواد إنسان نائم فعرفني حين رآني وكان رآني قبل الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فخمرت وجهي بجلبابي ووالله ما تكلمنا بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه وهوى حتى أناخ راحلته فوطئ على يدها فقمت إليها فركبتها فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش موغرين في نحر الظهيرة وهم نزول قالت فهلك من هلك وكان الذي تولى كبر الإفك عبد الله بن أبي ابن سلول قال عروة أخبرت أنه كان يشاع ويتحدث به عنده فيقره ويستمعه ويستوشيه » .

وقال عروة أيضا: « لم يسم من أهل الإفك أيضا إلا حسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش في ناس آخرين لا علم لي بهم غير أنهم عصبة كما قال الله تعالى وإن كبر ذلك =

= يقال له عبد الله بن أبي ابن سلول قال عروة كانت عائشة تكره أن يسب عندها حسان وتقول إنه الذي قال فإن أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاء .

قالت عائشة:

« فقدمنا المدينة فاشتكيت حين قدمت شهرًا والناس يفيضون في قول أصحاب الإفك لا أشعر بشيء من ذلك وهو يريبني في وجعي أني لا أعرف من رسول الله ﷺ اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي إنما يدخل علي رسول الله ﷺ فيسلم ثم يقول كيف تيكم ثم ينصرف فذلك يريبني ولا أشعر بالشر حتى خرجت حين نقهت فخرجت مع أم مسطح قبل المناصع وكان متبرزنا وكنا لا نخرج إلا ليلا إلى ليل وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريبًا من بيوتنا قالت وأمرنا أمر العرب الأول في البرية قبل الغائط، وكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا، قالت: فانطلقت أنا وأم مسطح وهي ابنة أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف وأمها بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق وابنها مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب، فأقبلت أنا وأم مسطح قبل بيتي حين فرغنا من شأننا فعثرت أم مسطح في مرطها، فقالت: تعس مسطح، فقلت لها: بئس ما قلت أتسبين رجلًا شهد بدرًا، فقالت: أي هنتاه ولم تسمعي ما قال، قالت: وقلت ما قال: فأخبرتني بقول أهل الإفك، قالت فازددت مرضًا على مرضي فلما رجعت إلى بيتي دخل عليَّ رسول الله ﷺ فسلم ثم قال: « كيف تيكم »، فقلت له: أتأذن لي أن آتي أبوي ؟

قالت:

« وأريد أن أستيقن الخبر من قبلهما، قالت: فأذن لي رسول الله ﷺ فقلت لأمي يا أمتاه ماذا يتحدث الناس، قالت: يا بنية هوني عليك فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها لها ضرائر إلا كثرن عليها، قالت: فقلت سبحان الله، أوقد تحدث الناس بهذا، قالت فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ثم أصبحت أبكي، قالت: ودعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي يسألهما ويستشيرهما في فراق أهله، قالت: فأما أسامة فأشار على رسول الله ﷺ بالذي يعلم من براءة أهله وبالذي يعلم لهم في نفسه، فقال أسامة: أهلك ولا نعلم إلا خيرًا وأما علي فقال: يا رسول الله لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير وسل الجارية تصدقك، قالت فدعا رسول الله ﷺ بريرة، فقال: « أي بريرة، هل رأيت من شيء يريبك ؟ »، قالت له: بريرة والذي بعثك بالحق ما رأيت =

= عليها أمرًا قط أغمصه غير أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن فتأكله، قالت: فقام رسول الله ﷺ من يومه فاستعذر من عبد الله بن أبي وهو على المنبر، فقال: يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني عنه أذاه في أهلي والله ما علمت على أهلي إلا خيرًا ولقد ذكروا رجلًا ما علمت عليه إلا خيرًا وما يدخل على أهلي إلا معي، قالت:

فقام سعد بن معاذ أخو بني عبد الأشهل فقال: أنا يا رسول الله أعذرك فإن كان من الأوس ضربت عنقه وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك، قالت: فقام رجل من الخزرج وكانت أم حسان بنت عمه من فخذه وهو سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج، قالت: وكان قبل ذلك رجلًا صالحًا ولكن احتملته الحمية فقال لسعد: كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله ولو كان من رهطك ما أحببت أن يقتل فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد فقال لسعد بن عبادة كذبت لعمر الله لنقتلنه فإنك منافق تجادل عن المنافقين، قالت: فثار الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله ﷺ قائم على المنبر، قالت: فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم حتى سكتوا وسكت، قالت: فبكيت يومي ذلك كله لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم، قالت: وأصبح أبواي عندي وقد بكيت ليلتين ويومًا لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم حتى إني لأظن أن البكاء فالق كبدي فبينا أبواي جالسان عندي وأنا أبكي فاستأذنت علي امرأة من الأنصار فأذنت لها فجلست تبكي معي قالت فبينا نحن على ذلك دخل رسول الله ﷺ علينا فسلم ثم جلس قالت ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل قبلها وقد لبث شهرًا لا يوحى إليه في شأني بشيء قالت فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس ثم قال أما بعد يا عائشة إنه بلغني عنك كذا وكذا فإن كنت بريئة فسيبرئك الله وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه فإن العبد إذا اعترف ثم تاب تاب الله عليه قالت فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلص دمعي حتى ما أحس منه قطرة فقلت لأبي أجب رسول الله ﷺ عني فيما قال فقال أبي والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ فقلت لأمي أجيبي رسول الله ﷺ فيما قال قالت أمي والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ من القرآن كثيرًا إني والله لقد علمت لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به فلئن قلت لكم إني بريئة لا تصدقوني ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أني منه بريئة لتصدقني فوالله لا أجد لي ولكم مثلا إلا أبا يوسف حين قال: ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾، ثم تحولت =

قال فيها الكاذبون إن كانت قبلها، كما في التمثيل بامرأة نوح ولوط تحذير لها ولحفصة مما اعتمدتاه في حق النبي ﷺ .

فتضمنت هذه الأمثال التحذير لهن والتخويف والتحريض لهن على

= واضطجعت على فراشي والله يعلم أني حينئذ بريئة وأن الله مبرئي ببراءتي ولكن والله ما كنت أظن أن الله منزل في شأني وحيا يتلى لشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله في بأمر ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله بها فوالله ما رام رسول الله ﷺ مجلسه ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء حتى إنه ليتحدر منه من العرق مثل الجمان وهو في يوم شات من ثقل القول الذي أنزل عليه قالت: فسري عن رسول الله ﷺ وهو يضحك فكانت أول كلمة تكلم بها أن قال يا عائشة أما الله فقد برأك قالت فقالت لي أمي قومي إليه فقلت والله لا أقوم إليه فإني لا أحمد إلا الله ﷻ قالت: وأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾، العشر الآيات ثم أنزل الله هذا في براءتي قال أبو بكر الصديق وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه وفقره والله لا أنفق على مسطح شيئا أبدًا بعد الذي قال لعائشة ما قال فأنزل الله: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، قال أبو بكر الصديق بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه وقال والله لا أنزعها منه أبدًا قالت عائشة وكان رسول الله ﷺ سأل زينب بنت جحش عن أمري فقال لزينب ماذا علمت أو رأيت فقالت يا رسول الله أحمي سمعي وبصري والله ما علمت إلا خيرًا قالت عائشة وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي ﷺ فعصمها الله بالورع قالت وطفقت أختها حمنة تحارب لها فهلكت فيمن هلك.

قال ابن شهاب فهذا الذي بلغني من حديث هؤلاء الرهط ثم قال عروة قالت عائشة والله إن الرجل الذي قيل له ما قيل ليقول سبحان الله فوالذي نفسي بيده ما كشفت من كنف أنثى قط قالت ثم قتل بعد ذلك في سبيل الله .

تخريج الحديث:

صحيح: أخرجه البخاري (٤١٤١، ٤٧٥٠)، ومسلم (٢٧٧٠)، وأبو داود (٢١٣٨)، والنسائي في الكبرى (٨٩٢٣)، وأحمد (٦/ ١١٧) .

الطاعة والتوحيد والتسلية وتوطين النفس لمن أوذي منهن وكذب عليه .

وأسرار التنزيل فوق هذا وأجل منه، ولا سيما أسرار الأمثال التي لا يعقلها إلا العالمون .

تمت بحمد الله وحسن توفيقه

وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

اللهم اغفر لكاتبها ولقارئها ومتدبرها حق تدبرها ولمصنفها

وجميع المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات .. آمين

والحمد لله رب العالمين

بقلم الفقير إلى ربه تعالى علي بن زيد آل بليّس

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

وقد وقع الفراغ من تسويد هذه النسخة يوم الأربعاء أحد شهور سنة ستة وسبعين بعد المائتين والألف من هجرته، عليه أفضل الصلاة والسلام

الفهـــارس

فهـــرس الفهـارس

الموضـــوع	الصفحة
أمثال القرآن للماوردي	
فهرس الآيات	٤٠٧
فهرس الأحاديث	٤١٢
فهرس الآثار	٤١٤
فهرس القوافي	٤٢٨
الفهرس العام	٤٣٣
الأمثال في القرآن الكريم لابن قيم الجوزيه	
فهرس الآيات	٤٣٨
فهرس الأحاديث	٤٤١
فهرس الآثار	٤٤٢
فهرس القوافي	٤٤٥
الفهرس العام	٤٤٦

أمثـال القـرآن للمـاوردي

فهـــرس الآيـــات

الآيـــــة	رقمها	الصفحة
سورة البقرة		
﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا﴾	٢٦	١٢٠
﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾	١٩	١٠٠
﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ﴾	١٨	٨٧
﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾	١٣٧	٥٥
﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ﴾	٢٦٦	١٥٧
﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ﴾	٢٠	٧٢
﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ﴾	٢٦١	١٤١
﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾	١٧	٩٨
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟﴾	٢٦٧	١٥٩
﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم﴾	١٩	١٠٣
﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ﴾	٢٦٩	٥١
﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ﴾	٢٠	١٠٥
سورة آل عمران		
﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾	٥٩	١٦٨، ١٧٤
﴿مَّثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ﴾	١١٧	١٧٤

الآيـــــة	رقمها	الصفحة
سورة الأعراف		
﴿ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ ﴾	١٧٧	١٨٧
﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ﴾	١٤٦	٥٢
﴿ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ ﴾	٥٨	١٧٧
﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا ﴾	١٧٥	١٧٨
﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا ﴾	١٧٩	١٨٩
سورة يونس		
﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ ﴾	٢٤	١٩١
سورة الرعد		
﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ ﴾	١٧	١٩٤
﴿ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾	١٦	١٩٤
﴿ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴾	١٧	١٩٧
﴿ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ ﴾	٦	٦٣
سورة إبراهيم		
﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا ﴾	٢٤	٢٠٧
﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ﴾	١٨	٢٠٥
سورة النحل		
﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا ﴾	٧٥	٢١٦

الآيـــــــة	رقمها	الصفحة
﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ ﴾.....	٦٠	٢١٦
﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا ﴾.....	٧٥	٢١٩
﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا ﴾.....	٥٨	٢١٦
﴿ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ ﴾.....	٧١	٢١٨
﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ ﴾.....	٧٦	٢٢٠
﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً ﴾.....	١١٢	٢٢٢
﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ ﴾.....	٧٣	٢١٩
سورة الإسراء		
﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ ﴾.....	٧٤	٢٢٤
سورة الكهف		
﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ ﴾.....	٣٢	٢٢٦
سورة النور		
﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾.....	٣٥	٢٣٢
﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ ﴾.....	٣٩	٢٥١
سورة الروم		
﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾.....	٢٨	٢٥٢
سورة يس		
﴿ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ ﴾.....	٧٧	٢٥٥

الآيـــــة	رقمها	الصفحة
﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ﴾.....	١٣	٢٥٣
سورة الزمر		
﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ﴾.....	٢٧	٢٥٨
سورة الزخرف		
﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾	٥٧	٢٦٢
سورة الفتح		
﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ﴾.....	٢٩	٢٦٦
سورة محمد		
﴿مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾.....	١٥	٥٥
سورة الحشر		
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ﴾.....	١١	٢٧٩
سورة الجمعة		
﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ﴾.....	٥	٢٨٤
سورة النبأ		
﴿جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ﴾.....	٣٦	٩١
سورة فصلت		
﴿لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ﴾.....	٤٢	٥١

الآيـــــة	رقمها	الصفحة
سورة الأنعام		
﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾	٣٨	٥١
سورة الشورى		
﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾	١١	٥٦
سورة المنافقون		
﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾	٤	١٠٣
سورة التوبة		
﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾	١١١	٩٠
سورة الدخان		
﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ﴾	٤٣	٧٩
سورة الحج		
﴿فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ﴾	١١	٧٢

فهرس الأحاديث

طرف الحديث	الصفحة
آمن لسانه وكفر قلبه	١٨٣
أشد الناس بلاءًا الأنبياء	٦٥
أكرموا عمتكم النخلة	٢٠٩
إن الله ضرب مثل المؤمن كشجرة	٢٠٨
إن الله قسم بينكم أخلاقكم	١٦٥
إن اهل الجنة ليتراؤن	٢٣٥
أنشديني شعر أخيك	١٨٢
أيها الناشد غيرك الواحد	٢٤٥
بارك الله لك فيما أمسكت	١٤٦
بارك فيها سبعون نبيًا	٢٣٩
جئت بالحنيفيه دين إبراهيم	١٨٥
الحمد لله الذي جعل في أمتي أخوين	٢٢٦
خير المال سكة مأبورة	٢١٠
عجبًا لأمر المؤمن	٢٠٨
عينتكم وإياهم	٢٦٢
قولوا لا إله إلا الله	٣٥٧
مثل أمتي مثل المطر	١٣٤

طرف الحديث	الصفحة
معاذ الله أن يكون له ولد	١٧٣
من أحب أن يمثل له الرجال	٦٣
من كثرت صلاته بالليل	٢٦٨
النخل من فضل تربة آدم	٢١١
هذا ابن آدم	١٣٢
هل تروى من شعر أميه	١٨٧
ومن صاحبكم	١٧٨
يا معشر التجار إن الله بعث التجار	١٦٦
يا معشر التجار إن هذا البيع	١٦٧
يفرش لأحدهم سبعون مثلا	٥٨-٥٩

فهـرس الآثـــار

الأثـــر	قائله	الصفحة
«أ»		
أبو جهل وأصحابه.....	الحسن	٢٨٠
أبى الله أن يكرم قلوب البطالين	ذو النون	٥٢
أُبيّ بن خلف	ابن عباس	٢٦٥
إتيانه إياه موته	مجاهد	٢٥١
أثر السهر	ابن عباس	٢٦٧
أجوركم	عطاء	١٥٠
أحاط بقتل بني قريظة	ابن عباس	١١٢
أحرمهم فهم القرآن	سفيان بن عيينة	٥٢
أدوا الفرائض	علي بن أبي طالب	٢٧٦
إذا طلعت الشمس أضاءتها	سعيد بن جبير	٢٤٥
أراد به البهائم	ابن عباس ، مجاهد	١٣٦
استؤصلت	الضحاك	٢١٥
اسمه في السماء أحمد	ابن عباس	٢٦٧
أضاءة النار إقبالها	مجاهد	٧٤
أقاموا على السنة	سهل بن عبدالله	٢٧٤
اقتلعت	ابن عباس	٢١٥
اقرأ عليهم القرآن	قتادة	١٨٧
إلا أن تروا	البراء	١٦٤

الأثـــر	قائله	الصفحة
الله هادي أهل السموات	ابن عباس	٢٣٢
ألم تخبر كيف يبين الله	ابن عباس	٢٠٧
إن الله لما أنزل في كتابه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ .....﴾ [الحج: ٧٣]	ابن عباس	١٢٣
إن الله لا يستحيى من الحق	قتادة	١٢٦
إن الله لا يستحيى أي لا يمنعه الحياء ..	سعيد بن جبير	١٢٥
إن المنافق لما تكلم بالإيمان	الحسين بن الفضل	٧٥
أن ترفع أي يصلى فيها	الضحاك	٢٤٦
إن عيسى ينزل بيت المقدس	ابن عباس	٢٦٥
إن لله في أموالكم حقا	ابن عباس	١٦٤
إن هذا القرآن لم يشب	ابن عباس	٥١
أنبتت وحسنت	قتادة	١٩١
إنها في المنافقين	ابن عباس، الحسن، قتادة، الضحاك، مقاتل، السدي	٦٨
إنها في اليهود	ابن عباس، محمد بن كعب، سعيد بن جبير، مجاهد	٧٢
إنها ليست من شجر الدنيا	الحسن	٢٣٩
أي والله لمن تشبث بالدنيا	قتادة	١٩٣
« ب »		
برد شديد	قتادة	١٧٥

الأثـــر	قائله	الصفحة
بنشر من الأرض	قتادة	١٥٢
البرق الإسلام	قتادة	١٠٥
البرق مخاريق	علي	١١٠
البرق ملك يسوق	مجاهد	١١٠
البهائم تسمع ما يقال لها	مجاهد	١٣٩
البهيمة لا تعقل	عطاء	١٣٦
« ت »		
تحيا ما جاعت	سعيد بن جبير	١٣٥
ترفع تعظم	مجاهد	٢٤٦
تشخص إلى الداعي	الضحاك	٢٤٨
تصان أن تعمل فيها	سعيد بن جبير	٢٤٦
تصدقوا من أطيب	ابن عباس	١٦١
تصيب	الربيع	٣٢٦
تعظم وتوقر	الحسن	٢٤٥
توقد من شجرة	عطاء، الحسن	٢٣٨، ٢٣٩
« ث »		
ثم ضرب للمنافقين مثلاً	الحسن	١٠٨
ثم ضرب مثلاً آخر	ابن عباس	١٠٣
« ج »		
جوانبه	عطا	٢٧٤
الجنة للمسلمين	الحسن	١٩٨

الأثـــر	قائله	الصفحة
«ح»		
حسنها	الضحاك	١٩٢
حصيدا	قتادة	٢٣٠
حملت في السنة مرتين	عكرمة	١٥٢
حلول المستوقد	ابن كيسان	٧٦
الحين حينان	عكرمة	٢١٣
الحسن شهران	سعيد بن المسيب	٢١٣
الحين غدوة	ابن مسعود	٢١٣
«خ»		
ختم الله على قلوبهم	مقاتل	١٩٠
«ذ»		
ذال في الزكاة	ابن سيرين	١٦٣
ذهبت أحوج ما كان	الربيع	١٥٦
ذو وضوء	الحسن	١٤١
الذهب، الفضة	مجاهد	٢٢٧
الذي يضيء بالليل	الضحاك	٢٤٢
«ر»		
رملاً هائلاً	مجاهد	٢٣٠
ريح فيها صوت	ابن كيسان	١١٥
الرعد التسبيح	أبو الدرداء	١١٠
الرعد الريح	أبو الجلد	١١٢

الأثـــر	قائله	الصفحة
الرعد ملك يزجر السحاب	عكرمة	١١٠
الرعد ملك يسبح	مجاهد	١١٠
« ز »		
الزجاجة القنديل	مجاهد	٢٤٢
الزيت الذي كاد يضيء	الحسن	٧٧
« س »		
سأل عمر بن الخطاب أصحاب رسول الله	عبيد بن عمير	١٥٤
السموم الحارة	ابن عباس	١٧٥
« ش »		
شبه الله أعمال الكفار بالرماد	الضحاك	٢٠٥
الشجرة الخبيثة الكافر	ابن عباس	٢١٥
الشريان	أنس	٢١٤
« ص »		
صر وبرد	الحسن	١٥٦
«صم» عن الحق	قتادة	٨٧
«صم» عن هذا الحديث	الحسن	٨٨
«صم» لا يسمعون الخير	ابن عباس	٨٧
«صم» لا يسمعون القرآن	ابن عباس	٨٨
الصفوان الحجر	ابن عباس	١٤٨
الصيب: المطر	ابن عباس، الحسن، قتادة، مجاهد، الشعبي، عطاء، الضحاك	١٠٠، ١٠٥

الأثـــر	قائله	الصفحة
«ط»		
الطل الندي	قتادة	١٥٢
«ع»		
عذابًا	مجاهد، مقاتل	٢٣٠
عقوبة لهم من أظهروا الإيمان	الحسن	١٢٠
علق الإنسان حشفًا	عطاء	١٦٤
علم القرآن ذكر	الحسن	٥٣
علم الله سبحانه أن ناسًا يمنون	قتادة	١٤٨
علي جهاز من لا جهاز له	عثمان	١٤٧
«غ»		
غير ذي عوج	عثمان بن عفان	٢٥٨
غير مختلف	ابن عباس	٢٥٨
«ف»		
فسقوا فأضلهم الله	قتادة	١٣٠
فكذلك اليهود	أبو صالح	٧٤
في بقائها وفنائها	ابن عباس	١٩١
في عذاب إذا ماتوا	ابن عباس	٧٣
فيكونون خلفًا منكم	ابن عباس	٢٦٤
فيه ظلمات ابتلاء	الضحاك	١٠٣
الفهم والإصابة	مجاهد	٥١
«ق»		

الأثـــر	قائله	الصفحة
قدم وفد نجران	الضحاك	١٧٢
القريب هاهنا سنتان	ابن عباس	٢٨٠
« ك »		
كان أبو عامر	سعيد بن المسيب	١٨٤
كان الرجل له الحيطان	قتادة	١٦٣
كان رجل أعطى ثلاث دعوات	سعيد بن المسيب	١٨٤
كان علماء التوراة يقرؤنها	ابن عباس	١٠٧
كان لقطروس مال	ابن عباس	٢٢٧
كان من حديث الراهب	ابن عباس	٢٨١
كان ناس من يتلومون	أبو أمامة	١٦٦
كانت له أموالاً كثيرة	قتادة	٢٢٧
كرجوع الطرف	ابن عباس	٢٢٢
كزيتونة التفت بها الشجر	أبي بن كعب	٢٤٤
كل ساعة	الضحاك	٢١٣
كلام المؤمن نور	أبي بن كعب	٢٤٩
الكفار الزراع	عكرمة	٢٧٥
« ل »		
لدرهم طيب أحب إلى	أبو هريرة	١٦٥
لعلهم يتقون الكفر	الضحاك	٢٥٨
لو وجدتموه يباع في السوق	الحسن	١٦٣
ليس في أموالكم خبيث	عبدالله بن معقل	١٦٣

الأثـــر	قائله	الصفحة
ليس لها أصل في الأرض	الربيع	٢١٥
« م »		
ما قام رسول الله فينا خطيبا إلا	عمران بن حصين	٦٢
مبعدون	سعيد بن جبير	٢١٦
متشاجون	الضحاك	٢٥٩
متشاكسون	ابن عباس	٢٦٠
متناجون	ابن عباس	٢٢٤
مثل السوء	مقاتل	٢١٩
مثل الكافر كمثل البهيمة	عكرمة، مقاتل	١٤٠
مثل المفرط في طاعة الله	مجاهد	٣٨٩
مثل ضربه الله للكافر والمؤمن	قتادة	٣٩٤
مثل علم القرآن كمثل العروس	الحسين بن الفضيل	٥٣
مثل علم القرآن مثل الأسد	عبدالعزيز بن يحيى	٥٣
مثله كمثل الكلب	ابن كيسان	١٨٧
مثلهم في انتظارهم	ابن عباس، محمد بن	٧٢
مثلاً شبهاً	ابن عباس	٢٥٩
معجلون إلى النار	قتادة	٢١٧
معناه أحرمهم فهم القرآن	سفيان بن عيينة	٥٢
معناه الله هادي	ابن عباس	٢٣٢
من الأمثال الصغيرة	مجاهد	١٢٥
من المنافقين	ابن عباس	١٢٦

الأثـــر	قائله	الصفحة
من حين تطلع إلى حين ترطب	سعيد بن جبير	٢١٣
من جحده	الحسن	١٢٦
من طيبات ما كسبتم	ابن مسعود	١٦٤
مصحرة	عكرمة	٢٤٤
من يتولى الله أمره	ابن كيسان	١٨٨
منير ضخم	قتادة	٢٣٤
المشكاة الحديد	سعيد بن المسيب	٢٤٠
المشكاة الصفر	قتادة	٢٤٠
المشكاة القنديل	مجاهد	٢٤٠
المشكاة الكوة	أبو اسحاق السبيعي، ابن عباس، ابن عمر، أبو موسى الأشعري، الحسن، الضحاك، السدي	٢٣٩
المكان الظاهر	مجاهد	١٥٢
« ن »		
نار السموم	ابن عباس	١٥٨، ٢٣٠
نزلت في البسوس	ابن عباس	١٧٩
نزلت في الأنصار	البراء	١٦٢
نزلت في اليهود والنصارى	عكرمة	١٧٩
نزلت في عبدالله بن أُبي	مجاهد	٢٨٠
نزلت في منافقي أهل الكتاب	ابن كيسان	١٨٩

الأثـــر	قائله	الصفحة
نزلت هذه الآية في نصارى نجران	ابن عباس	٢١٨
نفقة التكاثر في الدنيا	مجاهد	١٧٦
نور المشكاة	ابن عباس	٢٤٩
نور في قلب المؤمن	الحسن وقتادة	٢٤١
« هـ »		
هذا رجل كبرت سنه	قتادة	١٥٦
هذا مثل آخر للمنافق	قتادة	١٠٥
هذا مثل آدم	مجاهد	١٧٧
هذا مثل البهيمة	عطاء	١٤٠
هذا مثل الذي يقرأ القرآن	منصور، مجاهد	١٨٦
هذا مثل الكافر	ابن عباس	٢٤٨، ٢٥١
هذا مثل إله الحق	مجاهد	٢٢١، ٢٥٩
هذا مثل المنافق	الضحاك	٧٥
هذا مثل ضربه الله لأعمال الكفار	قتادة	١٤٩
هذا مثل ضربه الله لأهل الكفر	ابن عباس	١٣٩
هذا مثل ضربه الله للحق	ابن عباس	١٩٤
هذا مثل ضربه الله للذين كفروا	ابن عباس	٢٠٥
هذا مثل ضربه الله تعالى في المنافقين ...	ابن عباس	٧٣
هذا مثل ضرب للعمل	ابن جريج	١٥٨
هذا مثل في المنافقين	الضحاك	٧٣
هذا مثل قل	الحسن	١٥٨

الأثـــر	قائله	الصفحة
هذا مثل لمن عرض	قتادة	١٨٥
هذا مثل من أعطى الدنيا	ابن عباس	١٥٤
هذا من الذهب والفضة	الحسن	١٦٢
هذه الآية نزلت في قوم مضر	ابن عباس	١٠٥
هذه ثلاثة أمثال	قتادة	١٩٦
هم أولاد الزنا	سعيد بن جبير	١٨٩
هم المنافقون	الحسن	٧٦
هو النور والإيمان	السدي	٨٠
هو أبو جهل	عطاء	٢٢١
هم اليهود	ابن عباس	٢٨٤
هو المنافق	الحسن	١٨٥
هو أمية ابن الصلت	عبدالله بن عمرو، سعيد بن المسيب	١٧٩
هو من مدينة الجبارين	ابن عباس	١٧٩
هو من مدينة بلقاء	مقاتل	١٧٩
هي أرض مصر	زيد بن أسلم	١٥٢
هي الأرض المستوية	الحسن	١٥٢
هي تؤكل في الشتاء والصيف	قتادة	٢١٣
هذا مثل إله السوء	مجاهد	٢٥٩
هذا مثل ضربه الله لمن عدل به	قتادة	٢٥٣
هم التجار	مجاهد	٢٤٨

الأثـــر	قائله	الصفحة
هم أهل الصفة	عكرمة	٢٤٨
هم كفار قريش	قتادة	٢٨٠
هما شجرتان	ابن عباس	٢٥٦
هما مثلان	الضحاك	٢٧٤
هو العظيم	ابن عباس	٢٤٢
هو المضيء	أبي بن كعب	٢٤٢
هو المشرك	قتادة	٢٥٩
هو المنبر	قتادة	٢٤٣
هو المؤمن	ابن عباس، قتادة	٢٥٩
هو بعث النبي وأصحابه	قتادة	٢٧٢
هو ما ينبت بجنب الجنة	مجاهد، الضحاك	٢٧٤
هو يهوذا	ابن عباس	٢٢٦
هي البيوت نخلها	عكرمة	٢٤٦
هي التي بارك فيها سبعون نبيًا	ابن عباس	٢٤٣
هي التي في الشمس	مجاهد	٢٤٥
هل التي لا يضيء عليها ظل	قتادة	٢٤٥
هي الخشوع	مجاهد	٢٦٧
هي بيوت رسول الله	الربيع، السدي	٢٤٦
هي حدائق القنديل	مجاهد	٢٤١
هي شامية	زيد بن أسلم	٢٤٣
هي شجرة وسط الشجر	ابن عباس	٢٤٤

الأثـــر	قائله	الصفحة
هي ما أخذت الجبهة	عكرمة	٢٦٧
هي صدر المؤمن	أبي بن كعب	٢٤٢
« و »		
والقريب هاهنا	ابن عباس	٢٤٣
والله لو كانت من شجر الأرض	الحسن	٢٤٣
وأنت لما ظهرت أشرقت	العباس	٧٧
وَجّه عيسى رسولين	ابن عباس، مقاتل	٢٥٣
وكانت الجنة عشية	ابن عباس	١٥٨
وهذه الآية نزلت في قوم	ابن عباس	١٠٥
وهي تؤكل في الشتاء	معمر	٢١٣
« لا »		
لا ترضوا الله	الضحاك	١٦٥
لا يتم المعروف إلا بثلاث	جعفر الصادق	١٤٥
لا يجتمع فهم القرآن والاشتغال	الثوري	٥٢
لا يسمعون الخير	ابن عباس	٨٧
لا يعبد الله بعد هذا اليوم سر	عمر	٢٧٥
« ي »		
يجزعون	قتادة	٢٦٣
يخلف بعضكم بعضا	الحسن	٢٦٢
يريد أن الذي استوقد	ابن عباس	٧٥
يصيحون	سعيد بن المسيب	٢٦٢

الأثـــــر	قائله	الصفحة
يصبحون	ابن عباس، مجاهد، محمد بن كعب	٢٦٢
يحسبهم مرض	الحسن	٢٦٧
يعجون	مجاهد	٢٦٢
يراجعه الكلام	ابن عباس	٢٢٨
يرحم بعضهم بعضا	قتادة	٢٦٥
يريد أن الذي استوقد	ابن عباس	٧٦
يعمرون	مجاهد	٢٦٢
يضيء أبو بكر الصديق	عكرمة	٢٧٠
يعني أن عيسى كآدم	ابن عباس	١٧٤
يعني الإخلاص	قتادة	٢١٩
يعني التجارة	مجاهد	١٦٢
يعني الفهم	مجاهد	٥١
يعني صف لهما شبها رجلين	ابن عباس	٢٢٦
يعني بما أمنتم به	ابن عباس	٥٥
يعني عظيماً	ابن عباس	٢٣٤
يعني عن الصلاة	ابن عباس	٢٤٧
يعني مكة	ابن عباس	٢٢٢
يقول مثلهم	الحسن	١٤٠
يكونون بدلاً منكم	الضحاك	٢٦٤
ينزل على جبل ببيت المقدس	ابن عباس	١٧٠
ينفقة في طاعة الله	ابن عباس	٢٢٠

فهرس القوافـــى

البيت	قائلـــه	الصفحة
الأباطل	زهير	١١٠
أبيًا (بيتان)	أحمد بن محمد	٢٦٠
الأجلة	قطرب	١٥١
احقوقفا	العجاج	١١٤
الآصال	أبو نعامة	٢٤٧
إصليت	-	١٩٧
إعطامكا (٤ أبيات)	محمود بن الحسن	١٤٣
الأغلال	الأخطل	٩٦
اكتامه (٣ أبيات)	-	١٢٢
الأكما	زهير	٢٠٧
أم خالد	-	٧٩
أمجد (٨ أبيات)	أمية	١٨٢
أمجدا (بيتان)	العباس بن عبدالمطلب	٢٦٦
الأمير	-	١٣٨
إيانا	حسان	١٣١
بأجدعا	-	٢٣١
بالربابات	محود الوراق	١٤٥
بالعناق	زهير	١٢٢
بالفرح	-	٢٢٨
بالمصاقيل	-	٩٦

البيت	قائلـــه	الصفحة
بالهزل	-	١١٥
بد	-	١٧٨
بمنان	-	١٤٤
بهامها	لبيد	٢٣٦
التراب	أبو العتاهية	١٨٩
تصل	-	١٢٩
تصوب	علقمة	١٠١
التعميرا	الأصمعي	١١٨
تمما	منصور بن عبدالله	١٤٤
تموجا (بيتان)	ورقة بن نوفل	٨٤
ثقيلا (٣ أبيات)	أمية	١٦١
جوائرا	-	١٣٠
الجواميس	جرير	١١٩
حسن (٤ أبيات)	محمود الوراق	١٤٤
الخفيا (٦ أبيات)	أمية	١٨٣
حيرانًا	رؤبة	٥٩
خاشع	النابغة	٩٠
خالد	-	٨٨، ٩٦
خسارا	زهير	١٢٣
خميص	-	١١٩
دفنوا (بيتان)	قنعب	٩٢
ديني	-	٢٤٩

البيت	قائلـــه	الصفحة
الرجال (بيتان)	ابن شبرمة	١٤٢
رفيق	-	١٣٧
رقوب	-	١٢٠
زاد	-	١٢١
زاد	جرير	١٨٨
زور	-	٢٣١
سابغ	النابغة	٩٠
ستر (٤ أبيات)	مسكين بن عازب	٩٣
السحاب	-	١١٥
سرا	سيبويه	١١٣
السفر	-	٢٢٢
سميع	-	١٣٩
شاكر	الوليد بن عبيد	٥٥
شزن	الأعشى	١٤١
شمسًا	-	٢٠٦
الظلم (٤ أبيات)	حساب بن ثابت	٨٢
عشق	رؤبة	٥٥
عفار	الأعشى	٢٥٧
عواقبها	-	١٢٩
فاجر	-	٢٠٧
فاصطيدا	-	٩٥
فجورها	الفراء	١١٣

البيت	قائلـــــه	الصفحة
فرحًا (بيتان)	قعنب	٨٤
فزاغوا (٣أبيات)	-	٦٧
فقدي	النابغة	١٣٢
كدوا	طرفة	١٤٣
الكلاب	-	١٣١
لضره (١٠ أبيات)	أبو فهيم	٢٧٥
ليا	-	١٢٠
ماثل	الوليد بن عبيد	٦٥
المتباعد	الوليد بن عبيد	٥٨
المتوقد	-	١٢١
مثلك	رؤبة	٥٦
مجيب	الأحفش	٨٧
المرجم (٥ أبيات)	زهير	١٢٢
مستكن	الأعشى	٢٥٠
المسحر	لبيد	٢٢٥
مسلول	كعب بن زهير	٨٢
مشرب	الوليد بن عبيد	٦٧
معلقة	-	١٩٣
معه	-	٢٢٨
مقيم	بليد	٢١٥
المفاصل	العجاج	١١٥
نصره (١٠ أبيات)	ابن علي	٢٧٧

البيت	قائلـــه	الصفحة
النات	أبو عمرو	١٤٢
الناظر	الوليد بن عبيد	٥٩
الناكد	-	١٧٧
نبنيها	-	١٨٩
ندايا	ثعلب	١٣٧
نزعوا (٣ أبيات)	الوليد بن عبيد	٦٢
نوازع	النابغة	١١٧
نياما	-	١٣٠
هطل	المؤرخ	١٠٠
وابل	-	١٥٣
يبر	علقمة بن عبده	١١٣
يخلد	-	١٨٩
يزولا (٣ أبيات)	-	١٨٢
يصطحبان	الفرزدق	٩٨
يقتل	الأخفش	١١٨
يمحصا	-	١١٦
يمحق	حمزة بن عبدالمطلب	١٩٥
يناما	زهير	١٢٩

الفهـــرس العـــام

الموضـــــوع	الصفحة
مقدمة التحقيق	٥
فضيلة القرآن على كل المعجزات	٦
نبذة عن الأمثال	٩
المؤلف في الباب	٩
ترجمة المصنف «الماوردي»	١٧
وصف المخطوط	٣٤
توثيق نسبة الكتاب لمصنفه	٣٦
ميزات الكتاب	٣٨
مصادر الماوردي في كتابه	٣٨
عملي في الكتاب	٣٩
نماذج من المخطوط	٤١
النص المحقق	٤٧
مقدمة المصنف	٤٧
أشرف العلوم علم القرآن	٥١
أصل المثل في اللغة	٥٤
المثال على ثلاثة أوجه	٥٨

الموضـــوع	الصفحة
مقاتل بن سليمان	٦٠
الجهم بن صفوان	٦١
أمثال القرآن	٦٨
سورة البقرة	
فمنها قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾	٦٨
تحقيق إسناد الطبري «محمد بن سعد عن أبيه عن عمه عن أبيه عن جده عن ابن عباس رضي الله عنهما»	٦٩
ترجمة ورقة بن نوفل رحمة الله عليه - حاشية - .	٨٤
معنى «الظلمات»	٨٥
قوله: ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ﴾	٨٧
قوله: ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾	٩٣
قوله: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾	٩٩
قوله: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ﴾	١٠٣
قوله: ﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ﴾	١٠٤
الإختلاف في قراءة ﴿يَخْطَفُ﴾	١١٧
ومنها قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا﴾	١٢٠
قوله: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾	١٣٠
ومنها قوله جل ذكره: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ .... ﴾ [البقرة: ٢٦١]	١٤١

الموضـــــوع	الصفحة
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا ... ﴾ [البقرة: ٢٦٧] ..	١٥٩
سورة آل عمران	
﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ ﴾	١٦٨
عيسى شبيه آدم عليهما السلام في خمس عشرة خصلة	١٦٩
قال تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾[١١٧]	١٧٤
سورة الأعراف	
قوله تعالى: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ ﴾	١٧٧
قوله تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا ﴾	١٧٨
اختلف الناس في معنى قوله: ﴿ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا ﴾	١٧٨
اختلفوا خفي الآيات التي أوتى !!	١٨٦
قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ ..... ﴾	١٨٦
سورة يونس	
قال تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ .... ﴾	١٩١
سورة الرعد	
قال تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾	١٩٤
شبه إرسال محمد صلى الله عليه وسلم بالمطر	٢٠١
سورة إبراهيم	

الموضـــوع	الصفحة
قال تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ..... ﴾ [إبراهيم: ١٨]	٢٠٥
اختلف الناس في العلة التي شبه الله المؤمن بالنخلة ؟!	٢٠٩
سورة النحل	
﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ .... ﴾ [النحل: ٥٨]	٢١٦
سورة الإسراء	
﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ .... ﴾ [الإسراء: ٤٧]	٢٢٤
سورة الكهف	
قوله تعالى: ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ ... ﴾ [الكهف: ٣٢]	٢٢٦
سورة النور	
قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ... ﴾ [النور: ٣٢]	٢٣٢
ومنها في هذه السورة قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ... ﴾[النور: ٣٩]	٢٥١
سورة الروم	
قال تعالى: ﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ .. ﴾ [الروم: ٢٨]	٢٥٢
سورة يس	
قال تعالى: ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ .. ﴾ [يس: ١٣] ...	٢٥٣
ومنها في هذه السورة: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ .. ﴾ [يس: ٧٧]	٢٥٥
سورة الزمر	

الموضـــوع	الصفحة
﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ .. ﴾ [الزمر: ٢٧]	٢٥٨
سورة الزخرف	
ومنها في الزخرف: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ .. ﴾ [الزخرف: ٥٧] .	٢٦٢
سورة الفتح	
ومنها في سورة الفتح قوله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ .. ﴾ [الفتح: ٢٩] ..	٢٦٦
تحقيق حديث «من كثر صلاته بالليل ..» تحقيقًا علميًا،	٢٦٨
سورة الحشر	
ومنها في سورة الحشر: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ .. ﴾ [الحشر: ١١] ...	٢٧٩
سورة الجمعة	
قال تعالى: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ .. ﴾ [الجمعة: ٥]	٢٨٤

الأمثال في القرآن الكريم لابن قيم الجوزيه

فهـــرس الآيـــات

الآيـــــة	رقمها	الصفحة
سورة البقرة		
﴿لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ﴾	٢٦١	٣٨٩
﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾	٢٦١	٣٨٧
﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾	١٧	٣١٧
﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ﴾	١٧١	٣٨٥
سورة آل عمران		
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ﴾	١١٦	٣٩١
سورة الأعراف		
﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾	١٧٥	٣٤٥
﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ﴾	١٩٣	٣٤٨
سورة يونس		
﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ﴾	٢٤	٣٢٥
﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾	٢٥	٣٢٦
سورة هود		
﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ﴾	١٢٠	٣٦٥
﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ﴾	٢٤	٣٢٦
﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾	١٠١	٣٢٧
سورة النحل		
﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ﴾	٢	٣٣٣
﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا﴾	٧٥	٣٣٧
﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾	٧٣	٣٣٨

سورة النساء

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ﴾ ٦٦ ٣٦٥

سورة الأنعام

﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ﴾ ٣٩ ٣٤٢

سورة الرعد

﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ ١٧ ٣٢٤

سورة إبراهيم

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ﴾ ١٨ ٣٥٥

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾ ٢٤ ٣٥٦

﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ ٢٧ ٣٦٤

سورة الحج

﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ ٣٠ ٣٨٢

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ﴾ ٧٣ ٣٨٣

سورة النور

﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ٣٥ ٣٣٢

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍ﴾ ٣٩ ٣٢٨

سورة الفرقان

﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟﴾ ٢٣ ٣٢٩

﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ﴾ ٤٤ ٣٣٤

سورة العنكبوت

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ ٤١ ٣٢٧

سورة مريم

﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ ٨١ ٣٢٧

سورة يس

﴿ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾	٧٤	٣٢٧

سورة الإسراء

﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ ﴾	٧٤	٣٦٤

سورة الروم

﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾	٢٨	٣٣٤

سورة الزمر

﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ ﴾	٢٩	٣٩٢

سورة الحجرات

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ ﴾	١٢	٣٥٤

سورة الجمعة

﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ﴾	٥	٣٤٤

سورة التحريم

﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾	١٠	٣٩٣

سورة المدثر

﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴾	٤٩	٣٤٣
﴿ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴾	٥٠	٣٢١

سورة غافر

﴿ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ ﴾	١٥	٣٣٣

سورة الشورى

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾	٥٢	٣٣٣

سورة الفجر

﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴾	١٤	٣٤١

سورة فاطر

﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ﴾	١٠	٣٥٨

فهـرس الأحـــاديث

طرف الحديث	الصفحة
إذا قيل له في القبر: من ربك؟	٣٣٢
اللهم إني عبدك	٣٣٩
إن الله خلق خلقه في ظلمة	٣٣٣
إن الميت ليسمع خفق نعالهم	٣٨٠
إن الإيمان يخلق في القلب	٣٦٠
ثم يؤتى بجهنم	٣٢٩
فترجع روحه في جسده	٣٧٩
وهو يسألهم ويثبتهم	٣٦٥
يأتيه آنٍ -يعني في القبر-	٣٦٨
يا أيها الناس إن هذه الامة تبتلى في قبورها	٣٦٦

فهرس الآثـــار

الأثـــر	قائله	الصفحة
«أ»		
اتبع امرأته	يمان	٣٥٢
اتبع مسافل الأمور	الكلبي	٣٥١
اختار الدنيا	أبو ورق	٣٥١
أراد الدنيا	عطاء	٣٥٢
إن تحمل الكلمة لم يحملها	ابن عباس	٣٤٧
«ت»		
تخافون أن يرثوكم	ابن عباس	٣٣٥
«ح»		
الحق	مجاهد	٣٤١
«ذ»		
ذلك مثل المؤمن	عطية العوفي	٣٥٩
«ر»		
رضى بالدنيا	مقاتل	٣٥٠
ركن إلي الأرض	سعيد بن جبير	٣٥٠
«س»		
سكن	مجاهد	٣٥٠
«ض»		
ضرب الله المثل الأول يحذر عائشه	يحي بن سلام	٣٩٩

الأثـــر	قائله	الصفحة
«ش»		
شهادة أن لا اله الا الله	ابن عباس	٣٥٧
«ك»		
كان هواه مع القوم	ابن زيد	٣٥٢
كلمة طيبة هذا مثل الإيمان	الربيع	٣٥٧
الكلب منقطع الفؤاد	جريح	٣٤٦
«ل»		
لرفعنا عنه الكفر	مجاهد ، عطاء	٣٥٠
لزمها وأبطأ	أبو عبيدة	٣٥١
«م»		
مثل الشجرة الخبيثة مثل الكافر	الربيع	٣٦٣
«ف»		
النار	ابن عباس	٣٩٢
«ق»		
قولوا نعلم أولا نعلم	عمر	٣٩٠
«هـ»		
هذا مثل الذي يختم له بالفساد	ابن عباس	٣٨٩
هذا مثل المفرط	مجاهد	٣٨٩
هذا مثل لمرائي	السدي	٣٩٠
هذا مثل قل	للحسن	٣٩٠

الأثـــر	قائله	الصفحة
«و»		
وذلك مثال الذي أوتي الكتاب	مجاهد	٣٤٧
ولو شئنا لرفعناه بعلمه بها	ابن عباس	٣٤٩
وهو المنافق	الحسن	٣٤٨
وهو مثل ضربه الله للمؤمنين والكفار	ابن عباس	٣٦٣
«ى»		
ينبح إن حملت عليه	عطاء	٣٤٨

فهرس القوافـــى

البيت	قائلـــــه	الصفحة
اخلدوا	مالك بن نويره	٣٥١
مستقسم	جرير	٣٤٢
مناخه	الأصمعي	٣٨٦

الفهرس العـــام

الموضـــوع	الصفحة
ترجمة شيخ الإسلام ابن القيم رحمهاله	٢٨٩
سبب تسميته بلقب (ابن قيم الجوزية)	٢٨٩
مولده	٢٨٩
شيوخه	٢٩٠
تأثره بشيخه شيخ الإسلام ابن تيمة	٢٩٠
تلاميذه	٢٩١
عبادته وزهده وأخلاقه	٢٩٢
أقوال العلماء فيه	٢٩٢
محنته	٢٩٤
أقواله	٢٩٤
مؤلفاته	٢٩٦
وفاته	٣٠١
مصادر الترجمة	٣٠٢
وصف النسخ المعتمدة	٣٠٤
وصف المخطوط	٣٠٤
توثيق نسبة الكتاب لمصنفه	٣٠٦
تنبيه	٣٠٦

الموضـــــوع	الصفحة
نماذج منالمخطوط	٣١١
النص المحقق	٣١٧
مثل المنافقين في كتاب الله جل وعلا	٣١٧
ذكر فرقة الجهمية هامش	٣١٩
أقسام الجهمية (هامش)	٣٢٠
فصل: «المثل المائي والناري»	٣٢٤
فصل : «مثل الحياة الدنيا»	٣٢٥
فصل : «مثل المؤمن والكافر»	٣٢٦
فصل : «مثل الكافر مثل العنكبوت»	٣٢٧
فصل: «مثل السراب والظلمات»	٣٢٨
فصل: «مثل أصحاب الظلمات»	٣٣٠
فصل: «أكثر الناس كالأنعام»	٣٣٤
فصل: «ومنها قوله تعالي ﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾.....	٣٣٤
فصل: «عبد مملوك وعبد أبكم»	٣٣٧
فصل: «مثل ضربه الله سبحانه وتعالي لنفسه ولما يعبد من دونه ..	٣٣٩
فصل: «مثل المعرض عن كلام الله	٣٤٣
فصل: «مثل حامل الكتاب ولم يقم به كمثل الحمار»	٣٤٤
فصل: «مثل العالم الذي لاط بالأرض»	٣٤٥
تشبيه الذين لا يعلمون بهلمهم بالكلب	٣٤٦
فصل: «مثل الغيبة مثل تمزيق الجسد»	٣٥٤

الموضـــوع	الصفحة
فصل: «مثل مثل أعمال الذين كفروا كرماد»	٣٥٥
فصل: «مثل الكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة»	٣٥٦
فصل: «مثل الكلمةالخبيثة كلاشجرة الخبيثة»	٣٦٢
فصل: «تثبيت الله كنز عظيم»	٣٦٤
بحث حديث في حديث البراء	٣٦٩
فصل: «مثل الأوثان»	٣٨٢
فصل: «مثل حقيق سماعه»	٣٨٣
فصل: «مثل الكفار كمثل الناعق»	٣٨٥
فصل: «مثل المنفق في سبيل الله»	٣٨٧
فصل: «مثل ما يبطل الأعمال من المن والأذي والرياء»	٣٩٠
فصل: «المنفق في غير طاعةالله»	٣٩١
فصل	٣٩٢
فصل: «مثل امرأة نوح وامرأة لوط»	٣٩٣
فصل: «مثل امرأة فرعون ومريم»	٣٩٧
الخاتمة	٤٠٤